الأعمال الرقمية الكاملة

لفاضل السبّاعي

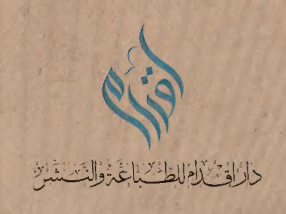
دراسة وتحقيقاً

د. أحمد عمر

د. محمد المهدي رفاعي • د. خالد خالد • د. إياس الرشيد

د. إسلام جانكير • د. عرابي عرابي • د. أنس صالح

الجزء الخامس



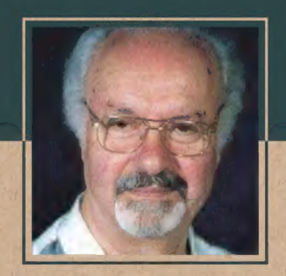
كامِ

عيّ

بقاً

الجزء الخامس

«إلى الأصدقاء.. الذين يقرؤون الخواطر التي أكتبها وأنشرها في صفحتي، يوميًّا وعلى مدى سنوات، مؤرِّخًا الحالةَ التي يعيشها البلد، متابعًا الحراك الثقافي في الوطن الكبير، في تجلّياتٍ أَستوحيها من المجتمع بقِيَمه التليدة والمستحدثة، وبما أُوَشّي ذلك من ذكرياتٍ شخصية هي غيضٌ من فيضِ الذاكرة الجَمعية في بلاد الشام. أناشدكم الاهتمام بهذا الإرث، المتنوّع، الذي لا تُعوزه الصراحة والصدق ولا الدقة والموضوعية والنزاهة، ومساعدتي في أن أقدّمه للقراء في مجلدات بعددها... والعون الذي ألتمس أن يتولّى هذه المهمّة القادرون عليها من المثقفين الغيورين على الوطن والمجتمع والتاريخ والأدب والحقيقة...»



فاضل السبّاعي



+90 506 023 22 35 www.dar-ikdam.com

+90 212 671 62 48 dar-ikdam@gmail.com

www.facebook.com/dar-ikdam



9 786256 483033

9 786256 483088

5. cilt isbn

الأعمال الرقمية الكاملة لفاضل السباعي

دراسة وتحقيقاً

د.أحمد عمر | د.محمد المهدي رفاعي

د.خالد خالد | د.إياس الرشيد

د.إسلام جانكير | د.عرابي عرابي

د.أنس صالح

اسم الكتاب: الأعمال الرقمية الكاملة لفاضل السباعي دراسة وتحقيقا
المؤلف: مجموعة مؤلفين
الناشر: دار إقدام للطباعة والنشر
الطبعة: الاولى
سنة النشر: 2023
مكان النشر: اسطنبول- تركيا
isbn: 978-625-6483-03-3
5. cilt isbn: 978-625-6483-08-8

أعتذر لكم، يا أصدقائي

مرة لتقصيري أحيانا، في الردّ على رسائلكم وعلى تعليقاتكم، فقد أمسى البصر كليلاً، ومرة أخرى للمتابعين الذين يطلبون الصداقة لقصوري في الاستجابة، فقد بلغ العدد الخمسة آلاف منذ مطلع العام ٢٠١٥، وأرهقني حذف غير المتابعين لتدحرج أسمائهم إلى آخر القائمة!

وكلّ عام وأنتم بخير.

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ١-١-٢٠١٧

نحن، بـ لَيِّ عنق القلم، نكتب... ما نريد

وهم، بغير القلم، يفعلون ما يريدون

دمشق الشام: ظهيرة الاثنين ٢-١-٢٠١٧

المئذنة التاريخية في الجامع الأموي الكبير بحلب

المئذنة التاريخية في الجامع الأموي الكبير بحلب، فُخخت وأُنزلت على الأرض أنقاضا في نيسان/ أبريل ٢٠١٣!

كلّ هذه العظمة التاريخية دمّرها حقد أعمى!

دمشق الشام: مساء الاثنين ٢-١-٢٠١٧

"كنّا عايشين".. وماري أنطوانيت

في سبعينيات القرن الماضي، كان سعر الدولار الأمريكي لم يزل في حدود أربع ليرات سورية

فهل كان من أسباب ارتفاعه:

أنّ بعضهم نما المال عندهم نمُوًّا جميلاً، فأخذوا يُسرّبونه من البلد، مودِعين مئات المليارات من تلك العملة الرجيمة في بنوك الخارج أمانًا لما "بعرق الجبين" كسبوه!

فأخذ الدولار، منذ ذلك الحين، يرتفع... حتى وصل إلى الخمسين قبيل الحرب المحليّة المدارة كونيًّا

واليوم حلّق إلى الخمسمئة، خمسمئة ليرة، يزيد قليلا، أو ينقص على استحياء ليعاود الصعود!

ومعاشي التقاعدي -وكنت مديرًا في إحدى وزارات الدولة- هو اليوم دون المئة دولار

ويتساءلون: لماذا تمرّد الناس وقاموا؟ كنّا عايشين!

فنتذكّر ما رواه التاريخ من قولة "ماري أنطوانيت" للزاحفين إلى قصر "فرساي".

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ٣-١-٢٠١٧

لقاء أدبي في بيتي قبل ستّ سنوات

غاب عن ذاكرتي، بأن لي هذه الساعة في "موقع حلب"

"فاضل السباعي" وأدبٌ معطَّرٌ بالروح الشعبية

"السباعي": لست كاتبًا عالميًّا لكنِّي أكتب أدبًا عالميًّا

سمر وعر السبت ٠٢ تموز ٢٠١١

قرأ لكبار الكتاب منذ صغره، وحلم أن يكون واحدًا منهم في مقبلات أيامه وكان له ذلك، فكتاباته تجاوزت حدود الوطن.

إنه الروائي "فاضل السباعي" الذي امتلك أسلوبًا خاصًّا في الكتابة؛ تحدث عنه الكاتب

الدكتور "جميل الحمو" صحفي وكاتب قائلاً:

«لو أردنا أن نتكلم عن الروائي "فاضل السباعي" فالأمر يحتاج لمجلدات، لقد قرأت للسباعي الكثير، هو يمتلك أسلوبًا مميزًا جدًّا، هو يكتب الأدب من أجل الأدب فقط وليس احترافاً، ما زلت أرى الأديب "فاضل السباعي" بعدما تجاوز الثمانين من العمر هاويا؛ حين يبدأ بالكتابة يخلق حالة إبداع مميزة لدى أي كاتب، وعلى المستوى الشخصي تشرفت بأن قدمت له أحد كتبي "الملك يا قرد الزمان"».

الفنانة التشكيلية "خلود السباعي" تحدثت عن "فاضل السباعي" الوالد والأديب بالقول:

«والدي يتمتّع بإنسانية عالية واحترام وحب للطفولة وإتقان للعمل وإخلاص له، ثقافته واسعة فهي كبستان ينبت فيه كل أنواع الزهور، وأستطيع أن أحصل منه على جواب لكل سؤال يحضرني، هو مجتهد، متواضع كان يأخذ رأينا ونحن أطفال في كتاباته.

وأذكر أنني قرأت رواية "نساء صغيرات" وأنا في الصف السابع؛ وقتها أغراني بمبلغ مالي صغير لقراءتها، ولكني عندما بدأت القراءة استمتعت كثيرا وأذكر أنني فهمتها رغم صغر سني.

أحببت رواية "ثم أزهر الحزن" ومن شدة تأثري بها رسمت فيما بعد لوحة سميتها بذات الاسم، بشكل عام تجذبني عناوين قصصه، كما تعلمت منه أن أكون صاحبة مبدأ، وهو رجل مرح عنده روح النكتة، وربما العزلة التي يعيشها ساعدته على حالات الإبداع».

بينما تحدث الأديب الدكتور "سمر روحي الفيصل" عن الروائي بالقول: «هو آخر كتاب الأساليب»، أما المستشرق "فيليب سايار" الذي قدم أطروحة عن السباعي بعنوان "رسالة في فن الفانتازيا في أدب فاضل السباعي" باللغة الإنكليزية بجامعة ستوكهولم فقد تحدث عن أسلوبه في الكتابة ومما قال: «جُمل "فاضل السباعي" لا يوجد فيها ترهل، فكره صاف، يكتب

الجملة دون أن يمكن الحذف منها أو الإضافة عليها».

" زار الروائي الأديب "فاضل السباعي" بمنزله الكائن في حي "نوري باشا" في "دمشق"، "السباعي" بدأ حديثه بالقول:

«نشأت في حي شعبي في "حلب" يسمى "وراء الجامع" وفي حارة يطلق عليها "زقاق الزهراوي"، وفي "سوق المدينة" الأثري الذي كان أبي يعمل فيه نهاره ويصحبني لمساعدته، عايشت البسطاء والفقراء فأحببتهم ومنهم بدأت باستيحاء بواكيري القصصية والروائية، وما أزال، فجاء أدبي معطراً بالروح الشعبية.

بدأت القراءة في سن المراهقة، فكنت أطالع المجلات قبل أن أتحول إلى قراءة الكتب وخاصة لكبار كتاب العالم العربي -والحقيقة أنني كنت أحلم أن أكون واحدا منهم في مقبلات أيامي- وبعدها بدأت أنظم الشعر وأكتب بعض القصص، لقد كتبت مبكرا وكنت أنشر ما أكتبه في مجلة مدرسية اسمها "الشمس" كانت تصدرها مدرسة "الملك فيصل" التي منها حصلت على الابتدائية.

وقد سولت لي نفسي وأنا في المرحلة الإعدادية أن أفكر في إصدار مجلة، وحققت حلمي وأنا في المرحلة الثانوية؛ يوم أخذ مدير المدرسة الأستاذ "عمر يحيى" باقتراحي بأن تموّل الإدارة إصدار مجلة سميناها "صوت الطالب"، كان الشاعر "سليمان العيسى" مشرفا عليها، أصدرنا منها ثلاثة أعداد كان أولها في كانون الثاني ١٩٥٠».

«خذ هذه الناي واعزف في جوانبها

لحنا حزينا فما يشجيك يشجيني»

كان من أول الأبيات التي نظمها "السباعي" عندما كان ما يزال طالباً في المرحلة الإعدادية، وعن بداياته في اقتحام بحور الأدب تحدث:

«أود الاعتراف بأنني اقتحمت في عهد الشباب الأول كتابة الرواية مرتين؛ الأولى وأنا في المرحلة الإعدادية، والثانية في المرحلة الثانوية، أسهبت في المحاولة الأولى حتى أحسست بالضياع فتوقفت، وتأنيت في الثانية وتأنقت في اللغة حتى مللت فتوقفت.

وفي المرحلة الجامعية كتبت كثيرا من القصص القصيرة، ولكني ظللت أرنو بعيني إلى الرواية، وكانت أول قصصي الطويلة "ثريا"، "ضيف من الشرق"، "ثم أزهر الحزن"، "رياح كانون"».

للحب مكانة كبيرة عند "السباعي" فقد نالها من عدة مصادر، تحدث عنها بالقول:

«علاقتي مع الحب متبادلة، فأنا من جهة محب ومن أخرى محبوب، أحببت الأم والأهل والإخوة والأخوات والزوجة والأبناء والأحفاد، أحببت الناس، وتألمت للطفل والمرأة، وعبرت عن تعاطفي مع كل هؤلاء في أدبي بما ملكته من قدرة على التعبير.

يسكنني القلق تلقاء الإبداع في بحثي عن الفكرة المضيئة، وفي التقاطها لحظة تشرق في الخاطر.. أحتضنُها، أحنو عليها كي تتفتّق عن عمل صغيرٍ أو كبيرٍ، وبعد إنجاز هذا العمل أدعه جانبا مدة لأعود إليه وقد تحررت من اللحظة النفسية التي رأى النور في ظلها؛ فأقرأه بعين أخرى.

أحِب الناس ولا أتردّد في مساعدتهم بعيدا عن التعالي، ومن يقترب مني يجدني أكثر ألفة.

أحب الاحتفاظ بأوراقي القديمة، عندي عشرات المصنفات التي تضم الرسائل المتبادلة بيني وبين الأدباء والمجلات والناشرين والأصدقاء والأهل وما تلقيته منهم، ومسودات ما كتبته إليهم على مدى خمسين عاما، أحتفظ بدفاتر يومية أدون فيها بإيجاز بالغ وقائع يومي كي تكون لي عونا على التذكر يوم أتفرغ لكتابة سيرة حياتي وقد شرعت في ذلك.

عندي رواية أكتبها عن حياتي (سيرة ذاتية)، إضافة لقصص ترجمتها عن الفرنسية، وقصص

للأطفال، ومجموعة قصصية بعنوان "نساء في ضوء القمر"، ولكن في الحقيقة أخاف ألا يسعفني الوقت بإنجاز ما أصبو إليه».

وعن شعوره وهو يقرأ ترجمة أعماله للغات عالمية يقول "السباعي":

«لاشك إنه لسرور عظيم، فإنه من الممتع أن تعلم أن ما تخطه يدك يذاع بين الناس وراء الحدود وليس بين أبناء قومك وحسب.

أقول: أنا لست كاتبا عالميا ولكنني أكتب أدباً عالمياً، تجاوزت به حدود سورية إلى العالم، بدليل أنه يترجم، ورغم هذا أنا لم آخذ حقي في المجتمع السوري من الناحية الأدبية والثقافية».

يُذكر أن الروائي الأديب "فاضل السباعي" هو من مواليد حلب /١٩٢٩/ يحمل إجازة في الحقوق من جامعة القاهرة عمل محامياً في /حلب/ ومدرسا في ثانوياتها

ثم عمل موظفا في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، والمكتب المركزي للإحصاء، ومديرا للشؤون الثقافية بجامعة دمشق، طلب إحالته على التقاعد ١٩٨٢.

ألف أكثر من /٣٥/ كتاباً، وتُرجمت بعض كتاباته إلى العديد من اللغات (الفرنسية والإنكليزية والروسية والألمانية...)، وهو عضو مؤسس باتحاد الكتاب العرب، ومقرر جمعية الرواية والقصة في الاتحاد لعدد من السنوات.

٢ تموز ٢٠١١

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٣-١-٢٠١٧

بعد الدخول.. إلى صفحتي!

كان صوتها عذبًا على الهاتف، وهي تُفضي إليّ بأنها بذلت جهدا حتى توصّلت إلى رقم

هاتفي، ثمّ بدا لي هذا الصوت مُفعمًا بالثقة والثقافة، وهي تدعوني لأكون ضيفًا عندها في "قناة سوريا دراما"، بلقاء أتحدّث فيه عن مدينتي حلب، التاريخ والأمجاد، فإنها تستضيف في برنامجها النخبة من مثقفي حلب، يستفيضون في الحديث عن مدينتهم الخالدة، الأدب والفنون والطرب الأصيل، خلال ستين دقيقة، وعلى الهواء مباشرة.....

سألتها: هل قرأت لي؟ هل تعرفينني جيدا؟

قالت: أنت أديب معروف...

نصحتها: ادخلي صفحتي في التواصل... واقرئي، واستمدّي منها أسئلة، وعودي إليّ...

قالت: حاضر.

بعد تلك المكالمة، بعد ذلك اليوم، افتقدت صوتها العذب، بكلّ ما فيه من ثقة وثقافة.

كنت أتوقّع هذا، فهو قدري.

دمشق الشام: ضحى الأربعاء ٤-١-٢٠١٧

أيها المالكون كلَّ شيء...

لِتَدخل الرحمة قلوبكم!

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ضحى السبت ٧-١-٢٠١٧

برد الشتاء.. وحرّ الصيف

صديقي أعلمني أنه مسافرٌ في غده هو وزوجته إلى الجنوب، متنقلا - كعادته كلّ عام - بين أولاده حيث يقيمون ويعملون، متّقيًا برد الشتاء، قبل أن تنضاف إلينا أزمة الماء، وهناك يرى الأحباب، ويعانق الأحفاد، ويسترجع في ذرّيته رائحة الوطن، ومع تفتّح ياسمين الشام يعود.

صديق آخر أعلمني أنه ذهب ذات صيف إلى الشمال، أملا في أن يقيم بين أبنائه، يرى ويعانق ويشمّ... لم يتحمّلوه، بعد شهر عاد إلى حرّ البلد و... ياسمينها المتفتّح.

دمشق الشام: ليل السبت ٧-١-٢٠١٧

مَن يُخبِرني

لماذا عمد النظام

في بداية التظاهرات السلميّة

إلى إطلاق سراح ذوي اللِحى السوداء

هؤلاء الذين... سارعوا للقتال؟

دمشق الشام: صباح الأحد ٨-١-٢٠١٧

فاضل السباعي في حوار مطوّل

بجريدة "تشرين" (العدد ١٢٨٢٧ الأحد ٨-١-٢٠١٧)

العناوين:

• ثقافة شعبية نهلها من طفولته في أسواق حلب وعمّمها بالاجتهاد

• فاضل السباعي: الأيديولوجيات تتخالف وتتنافر، أمّا ما اشتغلت عليه فهو الشوق إلى الحرية!

• أمر واحد ما زال يُقلقني هو هذا الكمّ ممّا كتبت ولمّا يُحضَّر لنشره في حياتي!

• حزننا على الأندلس لا يماثله إلا وجعنا على فلسطين

أعد الحوار «جواد ديوب»

وسوف أقدّم الحوار هنا مُجزّءًا.

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ضحى الأحد ٨-١-٢٠١٧

فاضل السباعي في حوار بجريدة "تشرين"/ التقديم والسؤال١

(العدد ١٢٨٢٧ الأحد ٨-١-٢٠١٧)

حاوره: جواد ديوب

يَجمع إخلاصَ الباحث بتَوْق الرحالة إلى اكتناز أكبر عدد ممكن من الحكايات، مع هاجس الروائي الذي لا يفوته أن يقدّم لقرائه كلَّ من يلتقيهم على هيئة «شخوص» منسوجة بعناية تستأهل أن يقرأ عنها. وبهمّة المصور الفوتوغرافي ودأبه يلتقط تفاصيل التفاصيل من متن الحياة وحواشيها؛ من الأفعال المهمة للناس وتلك الهامشية.. وهو بذلك كالعالم الأندلسي الإشبيليّ «أبي العباس النباتي» ليس في كونه «جمّاعَةَ كتبٍ» فقط؛ بل بأنه جمّاعة قصص لا تنسى..

إنه فاضل السباعي الذي استكملَ لنا أجوبته، أو «اعترافاته» كما يحلو له تسميتها، التي وعدنا بها بعد أن زرناه في بيته تلك الزيارة الوجدانية... وها هي هنا أفكاره كما أرسلها لنا عبر «النت» هذه الوسيلة التكنولوجية الحديثة التي يقول عنها رأياً طريفاً، بأنها غيّرتْ علاقة الناس مع بعضهم، وشكْلَ جلساتهم وسهراتهم، إذ ليس فقط أصبح بإمكان المرء أن يلتقي من يريده وقتما يشاء، بل الأجمل من ذلك أنها تُمكّن الإنسان من أن «يحذف» الشخص الغليظ بكبسة زر واحدة! ...

إليكم الحوار:

السؤال الأول:

• في لغتك قدرة مذهلة على التعبير بأناقة عالية حتى عن أبسط الأشياء أو أعقد المواضيع.. من أين لك تلك المقدرة اللغوية التي سبّبت لك انتقادات كثيرة بأنها «لغة مترفة»؟!

•• هذه اللغة، التي يصفها بعضهم بأنها «مترفة»، لم أصل إليها بسهولة، هي حصيلة جهد واجتهاد عبر عقود من السنين. وأنا تلميذ في «ثانوية المأمون» في حلب في النصف الثاني من الأربعينيات، كنت أقرأ المجلات الأسبوعية السهلة اللغة، مثلما أُقبل على المجلات الثقافية الشهرية التي ينشر فيها أكابر الكتّاب، وأذكر أني، وأنا تلميذ يلبس «الشورت»، بدأت اقتناء مجلة «الكتاب» منذ أن صدر عددها الأول عن دار المعارف في مصر أواخر العام ١٩٤٦، وتابعت قراءتها وسواها حتى احتجابها في ١٩٥٢. وذات يوم قرأت انتقاداً للمثقفين يرسله كاتب مصري يقول إنه ليس هناك مثقف عربي يمكنه أن يقرأ صفحة من كتاب من دون أن يقع في كثير من الأخطاء النحوية، وينصح بأن يحاول محبُّ الثقافة والأدب أن يقرأ، وبصوت عالٍ، محرّكاً أواخر الكلمات، مُسائلاً نفسه عن صحتها كي يُقوّم لغته... وقد استجبت للنصيحة، فمكّنت نفسي من أن أضع قواعد اللغة التي أتعلّمها في المدرسة موضع التطبيق. وهل أذكر لك متعتي بالقراءة للكُتّاب الأولين، وتوقّفي – مثلاً– عند فقرات من كتاب «الحيوان» للجاحظ، متأمّلاً صوغه للجملة، ومدى احتيازه البلاغة فيها؟ من دون أن يفوتني أنه في بعض مواضع من هذا الكتاب كان يهيض أسلوبه، ولا يخفى ذلك عليّ!.

«تَرَفٌ»! «لغة مترفة»! هل أتّهمهم بالقصور، قصورهم في التعبير وعجزهم عن بلوغ الأجمل؟، طيّب، فليقولوا: لغة سليمة، أنيقة، جزلة. في شبكة التواصل كتبَ لي الأديب والسياسي «محمد الأمين» (وزير خارجية موريتانيا الأسبق)، واصفاً لغتي بـ«المصقولة»، أعجبني الوصف، فإني أراه يتجاوز المفردات إلى بنيان الجملة.

وفي هذا الصدد، سألت يوماً (في ربيع ٢٠٠٢) المستعرب السويدي الشاب، الذي تهمّم

لأن تكون قصصي، المتّخِذة من «الفانتازيا» أسلوباً في تكوين القصة، موضوعاً لأطروحة يُعدّها في جامعة استوكهولم... سألته جاداً عمّا إذا كانت لغتي، وسمّيتها له «الجَزْلة»، سيُتعِبُه فهمُها وترجمتُه للمقاطع التي يستشهد بها في أطروحته؟، فأجابني بأن الأمر هو عكس ذلك، فالمفردات «الصعبة» يمكن التعرف على معانيها بالرجوع إلى المعجم، ولكنه لاحظ أنّ الجملة عندي تخلو من «الترهّل»، لا يَعيبها تزيّدٌ في المفردات أو نقص، لغة منضبطة... أعترف بأنه – واسمه «فيليب سايار»– لفتني إلى جانب في لغتي أمارسه تلقائياً، ولم يخطر لي التعبير عنه: انضباط اللغة، ضبْطها! وقد أتمّ كتابة الأطروحة باللغة الانكليزية، وتولّت السيدة «سماء محاسني» نقلها إلى العربية، وعنوانها «خارج السرب، رسالة في «فنّ الفانتازيا» في قصص فاضل...»، تبحث عن ناشر!.

ثمة مقولة –أرسلها قبل قرنين من الزمان ويزيد، كاتب فرنسي اسمه – Georges Louis Leclerc– أصبحت فيما بعد ممّا يستشهد به الثاقفون في «الأسلوبية» وغيرها: «الأسلوب هو الرجل! »، ما معناها؟، إنّ الإنسان كما يتميّز من سواه ببصمة يده، فإنه لكذلك يتميّز بين سواه من الكتّاب بأسلوبه، وقد يتشابه كاتبان لغة، ولكن محال أن يتطابقا أسلوباً، وإذا كان الفضل والمزيّة يعودان لثقافة الكاتب، فإنهما يعودان أيضاً، وبالقدر ذاته، إلى ما يتّبع كلّ منهما من أسلوب في الكتابة. وعلى ذلك فإنّ لغتي، أسلوبي الذي يَصمونه بأنه «مترف»، يشكّل علامة فارقة بين الكتّاب من أبناء جيلي. وغير ذلك تجويدي للكلمة التي أكتب، وعنايتي حتى بأدوات الترقيم!.

– – – – – – – – – – –

دمشق الشام: ضحى الأحد ٨–١–٢٠١٧

س٢. فاضل السباعي في حوار بجريدة "تشرين"

(العدد ١٢٨٢٧ الأحد ٨-١-٢٠١٧)

حاوره: جواد ديوب

السؤال الثاني:

• تبدو استعاراتك ومجازاتك والإسقاطات في قصصك وكأنها مستقاة من "ألف ليلة وليلة" أو من " كليلة ودمنة" كما في قصّتك "عيون ملوّنة" مثلاً.. أهي حيلة أدبية كي لا تُكرّر نفسك ولتُثري بها عالمك القصصي.. أم هي مداورة لتجنّب الرقابة؟!.

ـ بل قل بصراحة ولا تُداور: هي مداورة لتجنّب الرقابة والمساءلة والمحاسبة!

يا عزيزي جواد، عندما يعيش كاتب في بلد لا تُسعفه فيه منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان، فإنه يضطرّ إلى أن يتوارى خلف الرمز ويتّخذ من «الفانتازيا» أسلوبًا له!

في عام ١٩٦٦ (ربما) رأيت مناما تُنتقَص فيه حقوقي موظفًا، ولم يكن المنام أضغاث أحلام، بل واقعًا تصعّد عندي إلى دنيا الأحلام. فيه - عندما تراءى لي أن أكتبه قصة معبّرة - «خَلطتُ الأوراق» وقلت ما لا يقال في مجرى الحياة اليوميّة، مثلا في وِقفة بطل القصة على باب الفرن ساعة الفجر ليشتري الخبز لإخوته الصغار، يأتي مدعوم فيتجاوز الدور ويُهدّد المعترضين عليه. بطل قصتي الذي ظنّ نفسه حكيمًا، يرفع صوته قائلا: «لماذا تتشاجرون ونحن أرقى شعوب العالم؟ »، فيقول اثنان أو ثلاثة من الواقفين في الصفّ: «وكيف نكون أرقي شعوب العالم وليس عندنا مسرح رفيع، ولا موسيقى سنفونية، ويقع في بلدنا كلّ يوم انقلابٌ أو محاولة انقلاب فاشلة! »... وتمضي القصة - الحُلميّة (التي كتبتها في آذار/ مارس ١٩٦٧) ترسم أعراض الهَلْوَسة التي ينوء بها بطل القصة (نُشرت في مجلة "المجلة" القاهرية، نوفمبر/ تشرين الأول ١٩٦٨).

كانت تلك القصة هي البداية، تبعتها قصص وحكايات ما كان لها أن تنتهي. هل أحدّثك عن قصة أخرى كتبتها عام ١٩٦٧ أيضا، فيها صوّرت حالة تعذيبٍ نفسي يمارسه سجّان على معتقل مثقف، حتى يُلجئه إلى أن... إلى أن يُقبّل بُسطاره، وجعلتُ منتعل البُسطار يُبدي سروره ممّا آلت إليه حالة المعتقل، يقول: «يبدو لي أنك أصبحت مواطنا صالحا، لقد غسل دماغك على نحو جيّد»، مستلهمًا هذا القول ممّا كان شاع في تلك الآونة في الصين: «غسل دماغ» المعارضين.

وأضيف: لقد ظلت هذه القصة أسيرة درج رئيس تحرير مجلة «الموقف الأدبي» في أول صدورها عامًا كاملا، وهو يُسوّف ويماطل، إلى أن صرّح بالاعتذار، فنشرتُها - وعنوانها «العينان في الأفق الشرقي" - في مجلة "الكاتب" بالقاهرة (عدد يونيو/ حزيران ١٩٧٥)، شاغلةً عشرين من صفحاتها ترافقها ثلاث لوحات تزيينيّة.

ولست أتّهم السلطة في مستوياتها العليا، بأنها هي التي توعز بالتضييق على الكتّاب في مجالاتهم الإبداعية، إنها «تصرّفات» يمكن القول بأنها «فرديّة» يمارسها المسؤول عن المجلة، إمّا بدافع من خوف ملتبس، أو تملّقًا للسلطة (ملكيّ أكثر من الملك)، أو تحجيمًا للمبدع من قبل مبدع مسؤول غَيْرةً وحسدا.

وأعترف بأنّ المجلتين الأدبيّتين في دمشق («المعرفة» و«الموقف الأدبي») نشرتا لي قصصا في هذا المنحى، بل إنّ الرقابة على المصنّفات الأدبية أتاحت لي إصدار كتبي (التي تولّت نشرها الدار التي أحدثتُها بسبب تردّد الناشرين في إصدارها!)، وهي غير قليلة، منها «الألم على نار هادئة» و«حزن حتى الموت» و«آه، يا وطني! » و"تقول الحكاية»...

وفي إشارتك إلى الكتابين العربيين الخالدين «ألف ليلة وليلة» و«كليلة ودمنة»، أقول إني في قصصي "المؤدلجة" هذه، أنطقت «الحيوان»، وجعلت «النبات» يفكر ويعي ويتكلم،

ومنحتُه المقدرة على أن يستمع إلى حديث البشر ويفهمه إلا أنّ البشر لا يسمعون كلامه ومن ثَمّ يجهلون ما يعاني من أوجاع!

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ليل الأحد ٨-١-٢٠١٨

س٣. فاضل السباعي في حوار بجريدة "تشرين"

(العدد ١٢٨٢٧ الأحد ٨-١-٢٠١٧)

حاوره: جواد ديوب

السؤال الثالث:

• وفي نهاية القصة «عيون ملوّنة» يطلق القطُّ صرخة أسىً فيقول مخاطباً أمَّه: «الإنسان يظلُّ إنساناً»، وكأنه يقول: «الوحش يبقى وحشاً».. لمَ هذه القسوة والغضب على الجنس البشري من قبلك؟!.

ـ لكن ألا ترى أنّ صرخة القط «لاكي» هذه تُشبه صرخة الإنسان الذي يتلقّى «التعذيب» من أخيه الإنسان، فيَصِمه بأنّ تصرّفه «حيواني» أو أنه «وحش»؟ كلٌّ من الإنسان والحيوان يصف الآخر بما يراه منافيًا لجنسه.

في شأن القطّ «لاكي» ورفاقه القطط الأربع «المدجّنة» في بيت ذلك المسؤول الذي سمّته القصة «الباشا»، كان يبعث صاحب البيت، هاوي اقتناء القطط الجميلة، بكلّ واحد منها إلى الطبيب البيطري، يُجري له عملية «إخصاء» وأخرى «نزع مخالب»، على التتابع، وهل ثمة أقسى من هذين الفعلين في حق كائن: الحرمان من الدفاع عن النفس، وإفقاده القدرة على التزاوج؟ حتى إنّ أصدقاء الباشا يقولون له مرة يمازحونه: «كأننا نراك، يا باشا، تجعل من هذه

القطط في بيتك "حقل تجارب"، تتمرّن بها على سلّ قوة الرعيّة وتدجينها! ».

وكان لا بدّ من خاتمة لقصة هذا القطّ، أنه نجا بنفسه هاربًا من بيت الباشا، لكن بعد أن كان قد تمّ إخصاؤه.

قصة كتبتها وأنا في إقامة مؤقتة عند ابنتي في «لوس انجلوس» صيف ٢٠٠٤، أرى في البيت قطًّا قد خضع لعملية الإخصاء، فغدا ممتلئًا يكاد جلده ينشقّ سِمَنًا، وطال وبره الأبيض الناصع، وجدته صموتًا وكأنه يجترّ أحزانا، وهو الذي أوحى إليّ بفكرة هذه القصة.

لم أكن قاسيًا في حقّ الإنسان، فكثيرا ما يكون الإنسان أقسى من الحيوان... ألا ترى ذبح الحيوانات، ما يمشي منها وما يطير، وتقطيعَ لحومها وطبخَها على نار هادئة أو لاهبة، وتمرير ما يسمّى "سيخ المعاش" عليها تنعيمًا تمهيدًا لشيّها بهيئة «كَبَاب»؟ ولكنّا لا نسمع تأوّهات الذبائح لأنّ الحيوان لا ينطق، فأنطقتُه، وأصغيت إلى أوجاعه.

ولنتمعّن في حالة القطّ بعد أن أفلح في الهرب: «في موسم الأمطار، عندما بدأ يرتفع مُواء القطط اللهيف، تَطلب القطة لنفسها قطا أليفا تحافظ به على النوع، كان القطّ المسكين ينزوي في ركن، يستمع إلى المُواء وليس في إمكانه أن يستجيب. إلا أنّ بعض حزنه يتبدّد، عندما يُنشِب مخالبه في الأرض، مُحدّثا نفسه: لي مخالب، فأنا قادر على البقاء! ».

سؤالك زيّن لي أن أسترسل.

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: ليل الأحد ٨-١-٢٠١٧

اغلِ الماء على النار.. قبل أن تشربه!

ما زالت أزمة "نبع الفيجة" الذي تشرب منه دمشق قائمة، والماء القليل الذي يُضخّ من

الينابيع الداعمة عبر الأنابيب إلى البيوت في سويعات معيّنة، يصلح للاستعمالات المنزلية عدا الشرب... فهجم الناس على عبوات الماء الصحي يشترونها ويشربونها.

سعر العَبْوة البلاستيكية كما هو مكتوب عليها (١١٧ ل س)، ولكنّ البقال الذي تفتّح جشعه كتفتّح ثمرات الحنظل، يبيعها لنا بمئتين (٢٠٠ ل س).

عمدت الحكومة إلى منع توزيع هذه العبوات على هؤلاء الباعة عقابًا (أما كان يمكنها أن تراقبهم فيكُفّوا)، وأمرت ببيعه لكلّ راغب في الساحات العامة بالسعر المكتوب، ومع أنّ أماكن البيع ومواعيدَه غير معروفة على وجه التحديد، فإنّ الزحام على أشدّه أمام سيارات البيع عند وجودها، ويشتري الرجل حزمة من ستّ عبوات (١٠ كلغ) ويتعثّر في حملها...

فاضطررنا لأن نغَلي الماء الواصل لبيوتنا على النار، نبرّده ونشربه غير عذب.

سوف نظلّ في الوطن.

دمشق الشام: فجر الأحد ٨-١-٢٠١٧

س٤. فاضل السباعي في حوار بجريدة "تشرين"

(العدد ١٢٨٢٧ الأحد ٨-١-٢٠١٧)

حاوره: جواد ديوب

السؤال الرابع:

• لكنك اتجهت نحو المباشرة الأيديولوجية كما في قصة «الأشباح»، وبشكل أوضح وأكثر جرأة في قصّتك «الخروج من النفق» لدرجة بدت كأنها استشرافٌ غريبٌ لما سُمّي لاحقاً «ثورات شعبية»؟!.

ـ أجل، كتبت «الأشباح» عام ١٩٨٠، وكتبت «الخروج من النفق» عام ٢٠٠٤ (في لوس

انجلوس أيضا) عدا الصفحة الأولى منها كنت بدأتها وأنا في المعرض الدولي للكتاب بالقاهرة مطلع ٢٠٠٣، ولم أقوَ على المتابعة، كانت القصة «شديدة الوطأة»، فحملت تلك الورقة إلى حيث أتممت! وكتبت كثيرا من ذلك قبلها، وأول ما أصدرت في هذا الباب كان ما تحصّل لديّ من قصص خلال السنوات من ١٩٦٧ حتى أوائل السبعينيّات، في مجموعة سمّيتها "حزن حتى الموت" (مقتبِسًا العنوان من كلمة للسيد المسيح نطق بها عقب العشاء الأخير، ثمّ كان ما كان ممّا ترويه الأناجيل الأربعة من الصلب والقيامة).

تقول: «المباشرة الإيديولوجيّة»، أنا لا أؤيدك في هذا التوصيف، يا صديقي. فالإيديولوجيات متعدّدة، متغيّرة، وهي تتخالف وتتنافر حتى الاقتتال. أما ما اشتغلت عليه، وما أزال، فهو الحرية، الشوق إليها والتماهي معها حتى الموت في سبيلها.

قصة «الأشباح»، مواطن يُنتَزع من بيته سويعة الفجر، ويُذهب به إلى حيث تُوجَّه إليه اتهامات هو بريء منها، وتحت التعذيب يموت، فتنسلّ روحه من جسده لتعود شبحًا يُرهِب الجلادين. هل أقول إني استوحيت فكرتها من قصة «المعطف» للروسي غوغول الذي «خرج الروائيون الروس من "معطفه"»[١] كما يقال؟ لعلها امتدادٌ لشخصية «أكاكي أكاكيافتش»[٢] (نُشرت في مجلة "الثقافة العربية"، بنغازي ليبيا، ديسمبر/ كانون الأول ١٩٨١).

و«الخروج من النفق» مواطن آلى على نفسه أن يجاهر بانتقاد ما شاع في مجتمعه من قهر وفقر وفساد. ازدراه "المحقّق" أولا، فلما جاءه العلم بقَدْره احترمه وأجَلّه لدرجة البكاء، ولكنّ بطل القصة يخسر ولده، الذي كانوا أخذوه في أثناء ذلك إلى حيث أرادوا أن ينتزعوا منه «الحقيقة»،

---

(١) "كلنا خرجنا من معطف غوغول" تنسب هذه المقولة إلى دوستويفسكي، وأحيانا إلى غيره من كبار الأدباء الروس. ولا يُعلم قائلها على وجه اليقين.

(٢) بطل قصة المعطف الشهيرة.

عذّبوه حتى فارق الحياة. (نُشرت في مجلة "دبي الثقافية"، العدد ٢٩ اكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٧).

ليس في هاتين القصتين "إيديولوجيا" قابلة للتغيّر. إنّ فيهما - وفي كلّ ما كتبت منذ الستينيّات حتى اليوم من قصص اتّخذتُ فيها من «الفانتازيا» مذهبًا فنيّا... فيها أشواقٌ للحرية- مطلبًا غير قابل للتغيّر.

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: فجر الاثنين ٩-١-٢٠١٧

س٥. فاضل السباعي في حوار بجريدة "تشرين"

(العدد ١٢٨٢٧ الأحد ٨-١-٢٠١٧)

حاوره: جواد ديوب

السؤال الخامس:

• بالعموم.. لم أستطع تحديد طبيعة قصصك وأجوائها، فتارة تذكّرني بقصص عزيز نيسين التركي، وأخرى تضعني في أجواء القصص الروسية (غوغول، تشيخوف)، وأحياناً لا تشبه إلا نفسك.. أتعتقد أن ما سبّبْه لي كتاباتك من سباحة عبر الأمكنة والأزمنة هو ميزةٌ من مزاياك.. أم يسوؤك أن يقال ذلك عنها؟!

ـ إنها "ميزة"، يا صديقي، قلها ولا تتردّد.

وربما لم يخطر لك، أو هو خطر في بالك، أني أكتب القصة والرواية في مذاهب من الفنّ السردي، واقعيّا، ورومنسيّا، ومرحًا أحيانا حتى الإضحاك بصوت عال، وتراجيديّا حتى استدرار الدموع، ولا تنس قصصا غير قليلة سلكت فيها درب التنديد بمسبّبات القهر وعوامل

الفساد، فضلا عن قصص وطنية احتواها كتابي القصصي الأول «الشوق واللقاء» (١٩٥٨، ١٩٩٢).

هذا إلى ما كتبته من دراسات تاريخية، ومقاربة لتاريخ الطبّ أتقدّم ببحوثي في ذلك إلى المؤتمرات القطرية والندوات العالمية... وليس لأحد أن يظنّ هذا تشتيتًا لفنّ الكتابة، وأتردّد في الادعاء بأنه إثراء.

ولا بأس في ألا تستطيع تحديد طبيعة قصصي وأجوائها، فهي من جميع ما بيّنتُ.

وأضيف إني «قَرْزَمتُ»[1] الشعر وأنا طالب في «ثانوية المأمون بحلب»، ونشرت في تلك الآونة مقطوعات، منها:

خذ هذه الناي واعزف في جوانبها   لحنًا حزينا فما يشــجيك يشــجيني

(من بحر «الطويل» فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل)

إلى أن تبيّنت أنّ قلمي يليق بالنثر!

\- - - - - - - - - -

دمشق الشام: عصر الاثنين ٩-١-٢٠١٧

س٦. فاضل السباعي في حوار بجريدة "تشرين"

(العدد ١٢٨٢٧ الأحد ٨-١-٢٠١٧)

حاوره: جواد ديوب

السؤال السادس:

• يقال إنّ ما يحصل مع الإنسان يشبهه، أو يشبه ما يحلم به بشدّة، لدرجة أن القدر نفسه

---

(١) **قرزم** الشاعر شعره: جاء به رديئا.

يجعل أمور الحياة تجري لصالح تلك الأحلام والرغبات العميقة التي يريدها الإنسان بصدق.. هل تعتقد بعد هذا العمر أن ما حصل معك هو اجتهادٌ ودأب ومغالبة للحياة.. أم هو ضربة حظّ موفقة؟!.

ـ حين كنت، في سنّ المراهقة، ألتهم الكتب والمجلات قراءةً، كنت أحلم بأن أغدو يوما كاتبًا مرموقا، يتّخذ جلسة الكتابة وراء نافذة تطلّ على طريق «الجميليّة – متنزّه السبيل»، فيلاًّ تشبه تلك التي ابتناها الوجيه الحلبي «فتح الله الصقال»... ولم يتحقق الحلم!

لمّا أخذت أكتب القصة القصيرة، حلَمت بأن أكتب رواية، فكتبت القصة المطوّلة أولا، فكأني مرّنت بهذا قلمي حتى تأتّى لي أن أكتب روايتين قارب تعداد كلمات كلّ منهما المئة ألف مفردة.

كانت «حركة النشر» في سورية متواضعة، وما كانت في الخمسينيّات "وزارة ثقافة" ولا "اتحاد كتّاب"، فتحقق حلمي بأن أنشر في عاصمتَي الثقافة العربيتين، القاهرة وبيروت، حتى إنه صدر لي كتاب في سلسلة "اقرأ" الشهرية الشهيرة وأنا في حدود الثلاثين من العمر.

تمنّيت أن يُترجم شيء من أعمالي إلى اللغات، فكان.

لم يكن الحظّ، الذي لا أومن به، بل كان الاجتهاد.

\- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: مساء الاثنين ٩-١-٢٠١٧

س١٠. فاضل السباعي في حوار بجريدة "تشرين"

(العدد ١٢٨٢٧ الأحد ٨-١-٢٠١٧)

حاوره: جواد ديوب

السؤال العاشر:

[تقدير... وراء الحدود!]

• أستاذ فاضل، مع هذه الثقافة الواسعة الشعبية المستمدة من أيام الطفولة، والتي زوّدتها بما يلزم من ثقافة القصصيّ والروائي، وأنت المعنيّ بقضايا المجتمع، والمسكون بالتاريخ.. هل تحدّثنا باختصار عن استقبال القراء والنقاد لك، في وطننا الصغير والكبير، وما وراء حدود الوطن العربي؟

•• بدأت النشر في مطلع الخمسينيّات وأنا طالب في الجامعة، بل قبيل ذلك يوم كنت تلميذاً في الإعدادي نشرت في المجلات المدرسية.

وأقرّ بأنّ لمجلة «الأديب» اللبنانية كبيرَ الفضْل عليّ يوم كنت في عداد «شُداة الأدب» (الناشئين)، وكان من اهتمام صاحب المجلة «البير أديب» - طيّب الله ثراه - أنه ما إن يتلقى مني المادة المرسلة حتى يقدّمها للنشر في العدد الذي بين يديه، ونحن ندري فِعْلَ ذلك في نفس الكاتب مبتدئاً كان أم متمرّساً.

في نشر كتابي الأول «الشوق واللقاء»، كانت دور النشر في بيروت تعتذر لي بامتلاء برنامج النشر عندها، ولما تبيّنت أنها مشكلة «الكتاب الأول! » بادرت إلى نشره بحلب على نفقتي (١٩٥٨)، ولا حرج في أني كنت أُودع نسخاً من الكتاب في المكتبات [أحملها بنفسي]، وأتلقى من الأصدقاء المساعدة في تسويقه.

وفي السنة التي تلت نشرت لي دار الآداب ببيروت ثاني كتبي «ضيف من الشرق» ونشرت دار المعارف بمصر كتابي «مواطن أمام القضاء» في سلسلتها الشهرية «اقرأ»، وأذكر كلمة طيبة للأستاذ فايز إسماعيل، المحبّ للأدب قارئاً وجمّاعة كتب: «لقد اقتحم فاضل السباعي قلعة النشر المصرية وهو دون الثلاثين من العمر»، كلمة أذكرها وأعتزّ بها.

كنت، ذيّاك العهد، أقيم في حلب بعيداً عن أضواء العاصمة حيث كانت تحتدم المناقشات على صفحات جريدة «النقّاد» الأسبوعية [يديرها ببراعة الإعلامي] الصحفي المخضرم «سعيد الجزائري»، ويبدو أنّ الشباب أندادي في العاصمة (وكنا كُثراً مع تفتّح القرائح لأدب القصة في عقد الخمسينيّات)، «حجبوا عني ودّهم» وأنا أتجاوز النشر في دمشق إلى بيروت والقاهرة. وبدا أنّ تمنّع الودّ استمرّ حتى بعد أن أنشئ «اتحاد الكتّاب العرب» (وكنت فيه من الأعضاء المشاركين في اجتماعات التأسيس عام ١٩٦٨ و٦٩)، فما حَظِيَ أيّ من مخطوطاتي بموافقة منه على تبنّي نشرها، وأخصّ كتابي المتميّز «حزن حتى الموت» الذي حاولوا بكلّ الإصرار رفضه، ثمّ كان أن نُشر في بيروت بثلاث طبعات متتابعة، والرابعة بدمشق، وإصدارٌ خامس للكتاب في باريس مترجماً إلى الفرنسية.

كان ما كتبه النقاد والدارسون المنصفون عن أعمالي يفوق قيميّاً كلّ ما كتبه الذين لا يملكون من النزاهة إلا أيسرها. صبرت إلى أن آن يومٌ يعتذر لي فيه هؤلاء، حيناً بعد حين، وقد رأوا أنّ هامتي كانت تنحني لرياحهم ولكنها تعود منتصبة.

كما تُرجمت قصص لي إلى بضع عشرة لغة، وأُعدّت أطروحات ماجستير ودكتوراه في أوروبا حول أدبي، آخرها ما يُعدّه في تركيا «وائل الآغا» و«كلثوم سليمان».

دمشق الشام: ضحى الخميس ١٢-١-٢٠١٧

س١١و١٢الأخيران. فاضل السباعي في حوار بجريدة "تشرين"

(العدد ١٢٨٢٧ الأحد ٨-١-٢٠١٧)

حاوره: جواد ديوب

السؤال الحادي عشر:

[الوطن.. والفصول الوادعة في البيت]

• على ذِكْر الأماكن ومشاعر الحنين.. أعلم أنك مؤخّراً تركت الإقامة في أمريكا وعدت إلى بيتك في دمشق، في سفح قاسيون، رغم التخويفات الكثيرة من بعض الأصدقاء وتحذيراتهم لك بعدم الرجوع بدواعي «غضب الجهات الأمنية» عليك.. لكنك كما قلت لنا في زيارتك لـ«صحيفة تشرين»: إنك أتيت بثقة كبيرة، وها أنت تتحرك بحريّتك من دون أي مضايقات.. ما الذي يمكن أن تقوله لنا في هذا الشأن؟ وما الذي تتمناه؟

•• أسرتي الكبيرة مقيمة في حلب (وأصلُ الجدّ من حمص). سكنتُ دمشق صيف ١٩٦٦ بحكم الوظيفة. قبل الأحداث التي تعصف اليوم في بلدي، كان بعض ذريّتي قد توجّهوا للإقامة في أمريكا، فلما اشتعلت الحرب انضمّ إليهم من بقي منهم، ابني وأسرته الصغيرة. وتوجّهت ابنتي الفنانة التشكيلية «خلود» إلى القاهرة يرافقها ابنها التشكيلي أيضاً، لتشارك في الأنشطة الفنية هناك، عرضاً ورسماً في ورشات فنية... وبقيت أنا في دمشق، فغلبني أبنائي في فلوريدا على أن ألتحق بهم. أقمت هناك، خمسة بيوت لذرّيتي في بلدة «بالم باي» Palm Bay الوادعة في أحضان الغابات، وبيت سادس في مدينة قريبة «جاكسون- فيل» حيث تقيم حفيدة لي. عشرون فرداً، ما بين أبناء وأحفاد وأسباط وأطفال لهؤلاء، وأصهار وكنائن، وأماسِيّ ساهرة، وكأننا نعيش في الوطن.

شيء كان ينغّص عليّ وجودي هناك: بُعدي عن الوطن (لولا توحّدي في البيت إن عدت)، وأمر آخر يوازيه: إنّ في البيت الذي غادرته هناك، يرقد على الرفوف وفي الأدراج والأضابير، كثيرٌ من الفصول والنصوص، قصص وروايات، ودراسات في الأدب، وبحوث في التاريخ، وحوارات فيها ومضات من سيرة الحياة، ذلك كله يتطلب الاستخراج، والتصنيف، والتنضيد، والإعداد ليكون مشاريع كتب، هي نتاج عمر عشته في الأدب، إن غبت عنه غاب

هو في العدم، فليس هناك من يعرف عنه شيئاً أي شيء... ثمّ كان أن عادت ابنتي من القاهرة فعزمت هناك على العودة إلى الوطن.

في اعتزامي هذا، الذي أعربت عنه في صفحتي، بدأت ترد إليّ، في التعليقات الظاهرة وعبر الرسائل، تحذيراتٌ من أن يصيبني مكروه منذ اجتيازي الحدود اللبنانية-السورية، نتيجة لما أعبّر عنه في صفحتي من الآراء، وبدلاً من الاستجابة عيّنت يوم رحلة العودة وسويعة دخولي أرض الوطن. وفي حديقة بيتي التُقطت لي صور وأنا في وعثاء السفر ونُشرت في صفحتي.

نعم، أتنقّل بحرية، وأتابع ما كنت فيه قبل السفر وفي أثنائه وبعد العودة، وأكتب زاوية صغيرة أسبوعية في جريدة «تشرين»، في الثقافة، مستحضراً ما تيسّر من ذكرياتي القريبة والبعيدة، سمّيتها «أيام وليال»، ويدي على قلبي خوفاً على الوطن، وعلى مدينتي العزيزة العظيمة حلب.

السؤال الثاني عشر:

• سوف تطرق أبواب التسعين من العمر بعد سنتين من الآن.. كيف تفكّر بالموت؟ هل تخشاه؟

•• في سنّ الشباب كنت أخشى الموت، لسببين: ظنّي أني لم أكتب بعد إلا شيئاً ممّا أريد، والثاني أنه ليس لأسرتي الصغيرة من مورد رزق إلا ما يتحصّل لي من راتب الوظيفة، ومن قليلٍ أكسبه من مداد القلم.

بعدئذ لم أعد أخشاه، أرحّب به يوم يأتي.

أمر واحد ما زال يقلقني، هو هذا الكمّ مما كتبت ولـمّا يُصنّف أو يُحضّر طباعيّاً لنشره في حياتي - وأنا أعيش في «الوقت الضائع» أو المستقطع - أو بعد رحيلي.

دمشق الشام: مساء الخميس ١٢-١-٢٠١٧

الذي قطع الماء عن دمشق

الذي قطع الماء عن دمشق

هل كان في ذهنه أن يَهْجرها أبناؤها؟

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ١٠-١-٢٠١٧

هل توقّف أكابر ضاحية "الصبّورة" عن ملء مسابحهم بالماء؟

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ١٠-١-٢٠١٧

كتب لي أحدهم على الخاص

المعفّشون ناس طيبون وغلابى

وقد بذلوا

بيوتهم عفشها قديم

فهل نستكثر عليهم بعد البذل أن يجدّدوه؟

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ١٠-١-٢٠١٧

"معفّشون": بكم "تشتري" منّا محلّك؟

ترك محلّه التجاري في حلب الشرقيّة خوفًا على حياته، وفي الغربيّة أقام، وأوصى أصدقاءه هناك برعاية المحلّ من أن ينهبه "المقاتلون"، وظلّ الأصدقاء يتصلون به ويطمئنون.

بعد أن خرج المقاتلون من الشرقيّة ذهب إلى محلّه، فتح، عاين، تفقّد، كلّ شيء على حاله، ففرح وحمد الله حمدًا كثيرا، وعزم على الإقلاع في العمل.

في اليوم التالي جاءه "معفّش" وبرفقته معفّشون أشدّاء، أدار كبيرُهم عينيه في أرجاء المحلّ،

وجده ممتلئا رزقا وعافية، فقال: «بكم "تشتري" منّا محلّك؟ ».

استغرب الرجل سماعَ هذا... ثمّ فهم أنه إن لم "يدفع" فرأسه حقّه رصاصتين!

ولأنه "رجل أعمال" وإن كان صغيرا، فقد "تفاوض" معهم وافتدى نفسه ومحلّه، وسألهم عند الدفع: «بس بكره ما يجيني غيركن ويبيعني محلي مرة تانية! »، فطمأنوه!

في زيارة للشرقيّة قام بها مسؤول كبير، سمع كثيرا من هذه الحكايا، رواها أصحابها بتأييد وتأكيد من رجالات غرفتَي التجارة والصناعة في المدينة، فعاد إلى العاصمة وهو لا يكاد يُصدّق أذنيه، ليس لأنه مقيم في "برج حكومي"، لكن لأنّ ما سمع شيء يتنافى مع التحرير الذي تعبت الدولة للوصول إليه. وقيل إنه عزم على أن يعالج هذه المسألة.

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ١٠-١-٢٠١٧

\- - - - - - - - - - -

عُدلت الكلمة، صُححت وفقا الرواية. أرجو إعادة القراءة! س ٢: ٣٠ م

ما اغتنى غنيٌّ... إلا على أكتاف فقير

وما تقوّى قويٌّ... إلا على ظهر مَن استُذلّ وأُهين

دمشق الشام: ليل الخميس ١٢-١-٢٠١٧

في المحاضرة.. الثقافية

كتبت له من البلد الذي تقيم فيه بالخليج:

ـ المجلات الثقافية التي طلبتها مني، بحثت عنها في المكتبات... لم أجد ما صدر منها حديثا... لكني وجدت بعض أعداد الأشهر الأخيرة!

أسرع يجيبها:

ـ هاتيها، ابعثي بها مع صديقتك القادمة إلى دمشق. نحن عِطاش لنقرأ أيا من أعداد المجلات جديدها والقديم... بس ما تكون صدرت قبل الحرب!

دمشق الشام: عصر الجمعة ١٣-١-٢٠١٧

كأس من ماء "الفيجة".. عبوة من نبع "بقّين"!

كتبت غير مرة عن أشواقي للوطن عبر شوقي لكأس من ماء الفيجة، تملؤها سلاسل الدرّ المنسابة من النافورة وسط البركة في حديقة بيتي، أشربها ولو على غير ظمأ.

اليوم يصل إلينا الماء من الينابيع الاحتياطية، ومقنّنًا، يصلح لغسل الأيدي وللغسّالة، وأما ماء "بقّين" العذب الذي يباع معبّأ في القناني، فقد منعت الحكومة توزيعه على البقّاليّات، لجشع في أصحابها قادهم، في هذه الأزمة التي نريدها طارئة، إلى أن يرفعوا السعر إلى مثليه، وولّت أناسا أمناء لتوزيع العبوات، في الساحات العامة، وإن كانت تنقص ذلك الدقة في تحديد المواعيد.

ويا لها من صفوف للناس خلف سيارة عالية، يبيع مُعتليها الماء بالسعر المنضبط للمنتظمين في الصفّين، واحد للرجال وآخر للنساء، ثلاث حزم (في كل حزمة ستّ عبوات) ترنو إليها أعين المنتظرين في ظمأ ملحوظ!

من يومئذ والنصح يأتينا متواصلا بأن نغلي على النار الماء الذي يُضخّ لبيوتنا بضع ساعات يليها غياب ثلاثة أيام، وأن نُصفّيه بشاشيّة بيضاء استبعادًا للشوائب المترسّبة فيه بعد الغلي، أو أن نأتي من الصيدلية بأقراص الكلور، نرمي في القدر قرصا ثمّ نعرّض الماء للهواء الطلق حتى تفارقه تلك الرائحة... وتظلّ بعد كلّ هذا عذوبة الماء المفتقدة حلما يرنّق في الخيال!

أمس، زرت موظفا كبيرا في مكتبه. استرعت انتباهي عنده عبوتان من ماء بقّين، منتصبتا القامة على طاولة الوسط، تنظران إليّ وتغمزان بالعيون، وأخريَان تحتهما!

آه لو تعلمون، يا أصدقائي، كم تمنّيت... لا أن أشرب كأسا منها، بل أستأذن صاحبي بأن أستخلص لنفسي عبوة من هذه الأربع، منعني من ذلك الحياء، ومعرفتي بأنّ هذا الماء للعاملين في الدولة.

وعدت إلى بيتي ظمآن... ولا بأس في أن ينزل "القَطْر" على سواي!

[نُشر في جريدة "تشرين" عدد اليوم الأحد (١٢٨٣٣) في زاوية "أيام وليال"، بعنوان "الظمأ"]

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ١٥-١-٢٠١٧

لؤي كيالي.. أوراقٌ مطويّة! نبذة من سيرة حياته

لستُ أنسى مدى عمري، يا "لؤي"، فجر ذلك اليوم من خريف ١٩٦٦، وقد استيقظتُ على رنين الهاتف. صوتُ أبيك المُجهَد يلتمس مني أن أوافيه، في ذلك الهزيع من الليل، فإنك أنت، تريد التحدث إليّ!

سألته: «هل "لؤي" بخير؟».

أجاب: «اطمئنّ، يا ولدي. إنه بخير، فقط يريدك أن تكون الساعةَ إلى جانبه!».

كنت قد انتقلت، بعملي الوظيفي، من حلب إلى دمشق في صيف ذلك العام، ووُفِّقتُ لحسن الحظّ، في العثور على بيت ما أشدَّ قربه من بيتك!

كنت أعرفُ - وأنا متوجّه إليك في ساعة الفجر تلك - أنه يطيب لك أن تنام في مرسمك الرحيب الأنيق. فلما وصلنا إليك والصبح لمّا يَنْجلِ، قادونا إلى حيث كنتَ قابعًا في سرير أبيك، في تلك الغرفة التي لا مطلّ لها على الشارع.

قلتَ لي، زائغَ البصر - لمّا سألتُك عمّا بك - وأنت تشير إلى مرسمك المطلّ على الشارع: «إنهم يريدون أن... يقتلوني! ».

فترقرقت الدمعة في عيني، وأنا أراك مكوّمًا في السرير من خوف وهلع. وأدركت أنّ "خصومك"، أعداءَ الفنّ والإنسانية، قد أفلحوا في أن يتسلّلوا إلى أعماق نفسك، وأن يُحْدِثوا فيها صَدْعًا بليغا، وأن يبثّوا في أرجائها الإحساس بالاضطهاد!

من محاضرة ألقيت بالنادي العربي بدمشق مساء ٢٤-٤-١٩٧٩.

من مشروع كتاب «لؤي كيالي.. أوراق مطويّة»

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: فجر الأحد ١٥-١-٢٠١٧

هم يعلمون أنه نزح من نصف المدينة الساخن

هم يعلمون أنه نزح من نصف المدينة الساخن

وباع فيها محتويات محلّه بسعر التراب

اليوم يريد أن يتجدّد

جاءته من بعيد كلمة:

«الله يكون في العون! »

ونسوا أن يُعينوه في أزمته وهم القادرون.

دمشق الشام: ضحى الاثنين ١٦-١-٢٠١٧

تحية من القلب... للشاعرة المفكرة "ابتسام الصمادي".

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: ليل الاثنين ١٦-١-٢٠١٧

(وكانت قد كتبت: ماذا تفعل الأنظمة القمعية بالمنظومة النفسية للفرد؟ إنها تُراكم أحقاده الصغيرة بانتظار لحظة الانفجار في حين تستعد وتُراكم هي التهيئة الكاملة للحظة الانقضاض. الأنظمة الحرة مهما كانت لا أخلاقية بحديقتها الخلفية لصالح مصالحها الفجة، غير أنها لا تخلق إنسانا مشوها أو مشروخاً لأنها تمنحه حق التنفس في الوقت المناسب لغضبة دون تبعات أو خوف. فلا يراكم ولا يتراكم عليها. من هنا تُظهر الحروب أسوأ ما في النفوس ويُظهر السلام والاستقرار ليس أجمل ما فيها لكن على الأقل تنمو الفنون وتترعرع الثقافة القادرة على الحوار والتجديد والتغيير والخلق.)

في ذهوله

وجثامين أولاده الأربعة مسجّاةٌ أمامه

لم تذرف عيناه دمعة واحدة

ولكنّ القادمين لمواساته

بكوا كثيرا

حزنًا على الأبناء الأربعة

وإشفاقا عليه هو

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ١٧-١-٢٠١٧

بالدور.. أمام الماء

في طفولتي البعيدة، كنت أقف أمام "فرن أواديس" في "السويقة" بحلب، لأحصل على رغيف أبيض، مرشوشَ الوجه بحبّة البركة، خارجا لتوّه من بيت النار، وكنا نسمّيه "الخبز

السوقي"، مختلفًا عن "البيتوتي"، تشتري الأسرة في المواسم الحنطة الحمراوية، وبعد الطحن تعجنه أمهاتنا، ونذهب نقول للفران: «خلّي الأجير يجي ياخد "دفّة العجين"»!

فيما بعد أخذ الناس يقفون، في صفوف طويلة... أمام جرار الغاز.

اليوم، وقوفنا عِطاشًا عند سيارة عالية، في صفّين واحد للرجال وآخر للنساء، لنأخذ منها الماء معبّأ بالقناني، أرجعني إلى عهد الطفولة الباكر، فتذكّرت وقوفنا في منعطف في "زقاق الزهراوي" أمام ما كنا نسمّيه "العين"، تلك الحنفية الضخمة التي نضخّ منها الماء عذبًا، مجانا، قبل أن تُمدّد إلى بيوتنا أنابيب الماء، ومن هناك تلقّينا أول "دروس" الصبر على المكاره، بجوار صفّ ممتدّ من أباريق الصفيح وسطول التوتياء الثقيلة.

أسأل: هل هي طويلة "أزمة مياه الشرب" بدمشق، يا أيها القائمون على أمرنا؟

قد يرحل، بسببها، من سكان الشام مترفوها، ولكن يبقىَ فقراؤها والعاملون، تأبّيًا لأن يفترشوا أرصفة شوارع بيروت، العاصمة قاسية القلب، يا سيدي النظام!

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ١٧-١-٢٠١٧

أنا فهمت انو نصر الله شيعي

كويّس

لكن هل هو عربي؟

دمشق الشام: فجر السبت ٢١-١-٢٠١٧

نصر الله بهرنا بقتاله لإسرائيل

اليوم يبهرنا بقتاله في سوريا

يقول إنه سيحرر القدس عبر بلاد الشام

دمشق الشام: فجر السبت ٢١-١-٢٠١٧

يُشاع

أنّ من قصف نبع الفيجة

ليسوا هم المقاتلين

ولا قوات النظام

ولكنه طرفٌ ثالث

مرتبط بأحد الطرفين!

دمشق الشام: فجر السبت ٢١-١-٢٠١٧

الفنان لؤي كيالي في أوّليّته

ولد "لؤي كيالي" في شهر كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٣٤ بحلب، وكان ترتيبه الثالث بين أخوات ثلاث هو شقيقهنّ الوحيد، وقد افترق الأربعة عن أمّهم صغارًا، وأحجم أبوهم عن الزواج ثانية، فرعت الأولاد عمّاتٌ لهم كنّ يُشاطرنَ الأبَ حياتَه العائلية.

عرفتُ "لؤي" يافعًا في سنوات "الإعدادي" التي قضاها في ثانوية المأمون بحلب (وكانت تضمّ المرحلتين الإعدادية والثانوية). كان يهتمّ بالرسم أكثر من اهتمامه بكتبه المدرسية، وما كان ليكفّ عن ذلك حتى في أيام امتحاناته. ويوم حصل على "الثانوية" عام ١٩٥٤، لم يستطع أبوه "حسين"، الذي كان موظفًا لدى الكاتب بالعدل، أن يوفده لدراسة الفنّ خارج البلاد (ولم تكن "كلية الفنون الجميلة" قد أحدثت في القطر بعد) فانتسب لؤي إلى كلية الحقوق بدمشق، التي سرعان ما عزف عن الدراسة فيها، ولكي يكسب حياته، عمل في هيئة عسكرية بحلب تُعرف باسم "المُعتمديّة" بوظيفة "كاتب"، لقاء راتب لا يزيد كثيرًا على مئة ليرة سورية

بعملة ذلك الزمان.

كنت أراه يداوم على عمله المجهد في السابعة والنصف من صباح كلّ يوم، ويعكِف مساء، في بيت أهله، على لوحاته بهمّة لا تعرف الكلال. وكان يؤمّ بيته، غرفته الخاصة، أصدقاءٌ له وأقارب، يطّلعون على ما تخطّ ريشته من وجوه ومناظر، ويشترون ما يروق لهم من بواكيره الأولى، ويمضون بها ليعلّقوها على جدران بيوتهم، مزهوّين بأنّ صديقهم أو قريبَهم هو الذي رسمها، على مشهد منهم أحيانا!

أعترف بأني أشفقت على الشاب الموهوب أن تستهلكه الوظيفة، قبل أن تتاح له فُرصة دراسة الفنّ في منابعه الأصلية، ولكنّ الفرجَ أقبل، حين أوفدته "وزارة المعارف"، أوائل العام ١٩٥٧، للدراسة في أكاديمية الفنون الجميلة في روما (وكان وزيرها يومذاك الدكتور عبد الوهاب حومد).

وهكذا، بعد غربته الروحيّة في دراسة جامعية لم يُيَسّر لها وفي عمل كتابيّ كان قد أخذ يستنزف طاقته اليوميّة، وجد "لؤي" نفسه، وهو في روما، وسْطَ مناخ فنيّ يُمكّنه من الأخذ ومن العطاء معًا.

[مقتطف من محاضرة ألقيتها في "النادي العربي" بدمشق مساء ٢٤-٤-١٩٧٩]

(نُشر في جريدة "تشرين" اليوم يعدد ١٢٨٣٩ في زاوية "أيام وليال")

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: صباح الأحد ٢٢-١-٢٠١٧

قلت لأخي حسان على الهاتف:

- الآن استردّ النظام حلب الشرقية، فهيّا عُد إلى صيدليتك المهجورة واستأنف العمل.

فأجابني:

ـ يا أخي أبو فراس... المسألة مو بدها سكّان يشتروا الدوا!

دمشق الشام: ليل الاثنين ٢٣-١-٢٠١٧

اكتشفت الآن أن أحدهم كتب لي

مرحبًا، لا يعجبني المحتوى الذي تنشره. هلا توقفت من فضلك؟ شكرًا.

- - - - - - - - - - -

أعِدُك!

دمشق الشام: مساء الأربعاء ٢٥-١-٢٠١٧

صديقي في شبكة التواصل

السوري الحمصي نعيم موسى

درس

هاجر إلى القارة الجديدة، عمل، أسس أسرة جميلة

يعيش في تقاعده سعيدا

لكن

ينغّص عليه كلّ شيء

أنّ وطنه يتمزّق!

دمشق الشام: مساء الأربعاء ٢٥-١-٢٠١٧

أيقنت

أنّ العالم كلّه،

كلّه،

كلّه...

متآمرٌ على سورية الحضارةِ التليدة

دمشق الشام: ظهيرة الأربعاء ٢٥-١-٢٠١٧

السير بين البيوت الوادعة

بإمكاني أن أذهب إلى "مجمّع العثمان الطبي"، انطلاقًا من "ساحة الجسر الأبيض"، عبر شارعين مستقيمين، أقيمت بدايةُ أولهما فوق "نهر تورا"، وأتابع السير على ضفّة النهر حتى "الميسات"، وعندها أنعطف يمينًا، فأصل إلى حيث صديقي الدكتور طارق الذي وعدني بأن يقضي لي حاجة هو قادر عليها.

ولكني لم أسلك هذا الطريق، بل دخلت عند الجسر الأبيض في "جادة الرئيس" (حيث كان بيت الرئيس الأسبق شكري بيك القوتلي)، وتغلغلت في طرقات قصيرة، أنعطف فيها يمينًا وشمالا، تقوم على جوانبها المباني الدمشقية اللطيفة، ولدى خروجي منها واجهني مبنى وزارة التربية، فدلفت إلى جواره، وانعطفت، فإذا أنا في الشارع الذي يقع فيه المجمّع الطبي يديره صديقي.

ليس اختصارُ المسافة هو الذي زيّن لي سلوك هذا الطريق.

لا!

إنها الرغبة في الاستمتاع بمرأى المباني الوادعة التي لم يَنَلْها خرابٌ في حربنا المجنونة.

متذكّرًا الحارة التي وُلدت فيها، "زقاق الزهراوي" بحلب، وقد اعتدت أن أتجوّل فيه كلما قدمت إلى مدينتي زائرا، أُكحّل العينين بجدران الزقاق العتيقة وبلاط الطرقات التي مشيتها صغيرا، وأستعيد في الذاكرة ما في داخلها من أرض ديار تزنّرها الحجرات وتعلوها العلالي، ويهدل اليمام بين أغصان الليمون والنارنج، والعصافير ترسل أناشيدها، وتُثرثر قطرات الماء المنسكبةُ على سطح البحرة (البِرْكة) بأحاديث لا تنتهي...

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٢٥-١-٢٠١٧

في ساعة تأمّلٍ في معاني الحياة

في ساعةٍ يَغيب فيها الفرح حتى الموت

يخطر لي أن أتساءل:

هل يتأتّى لنظام في الدنيا

منذ غابر الزمان

حتى يوم الناس هذا

وإلى آخر ورقة تخطّها يد القدر

أن يُهجّر نصف شعبه في الآفاق

وأن يُخرّب البيوت، والأزقة، والحارات

وأن يُدمّر الحجر والبشر...

ثمّ،

بابتهاج،

يعلن انتصاره؟

دمشق الشام: ظهيرة الأربعاء ٢٥-١-٢٠١٧

عندما يُستدعى حامل مؤهِّل جامعي للتحقيق

في أيامنا، عندما يُستدعى حامل مؤهِّل جامعي للتحقيق، فإنّ مما يُعيّره به المحقق، كيف قلت كذا أو فعلت كيت، أنت الذي فتحت لك الدولة أبواب جامعاتها؟

وفي هذا الطرح يتماهى عند المحقق الوطن مختلطا بالنظام، دون ما تفريق.

ترى، ما يكون وقع جوابي عنده إن سألني وقلت: لكني درست في الجامعات المصرية!

دمشق الشام: مساء الجمعة ٢٧-١-٢٠١٧

الإعلامي والأمني.. في وطني الحبيب

كأني بـ"الإعلاميّ" في وطني يقول اليوم لـ"الأمنيّ":

- دعنا نقيم المودّات الصافيات مع الكتّاب المعارضين في الداخل، المطالبين بـ...

مشيرين في ذلك، ضمنًا، إلى يوم ذَرَفت تلكما العينان السوداوان، في لقاء تلفزيوني عابر موصول مع الخارج، دمعةً واحدة على أطفال بلدتها المسحوبةِ أظافرُهم من رؤوس الأنامل، فتلقّت على الفور هاتفًا من أمنيّ (وليس من إعلاميّ) يأمرها بالرحيل.

دمشق الشام: ضحى الخميس ٢٧-١-٢٠١٧

إنها الانقلابات، أيها الأصدقاء!

لم تكن للبدلة العسكرية من غطرسة عند تأسيس الجيش السوري بُعيد الجلاء. كنا نرى بحلب طلاب الكلية العسكرية يزورون بلدانهم في العطل الانتصافية، وهم يروحون ويجيئون ما بين شارع إسكندرون أوله عند سكة الترامواي، وبين متنزّه السبيل... كانوا شبابا سوريين مثل الورود، طيبين متواضعين، متخرجين من ثانوية المأمون، ينوون خدمة الوطن.

لكن منذ انقلاب حسني الزعيم رأينا السيّئين من لابسي البدلات العسكرية ينزلون إلى الشوارع ويتعاملون مع الشعب بفظاظة. واستمر ذلك عبر الانقلابات المتتالية.

وقد لاحظت الضباط المصريين بالقاهرة، حين نزلت فيها خريف ١٩٥٠طالبا بجامعتها، أمرَهم عاديا، يركبون الأوتوبيس بين الناس، ولا تبدو عليهم مظاهر العنجهية... إلى أن وقع انقلاب يوليو/ تموز ١٩٥٢، وبدأ التعالي!

إنها الانقلابات، أيها الأصدقاء، والنفوذ الذي يفسد النفوس.

دمشق الشام: عصر الجمعة ٢٧-١-٢٠١٧

والله ما نسيناكَ، يا "جولان"

ولا فارقت أنفاسَنا رائحة تفاحك والدُّرّاق

ولكنها الجراح

تكاثرت

وتناثرت فوق سطح الجسد

وفي أعماقه العميقة

فما عدنا نعرف أيَّ جرح أكثرَ إيلاما

دمشق الشام: ليل الأحد ٢٩-١-٢٠١٧

هل تبلغ مياه النهر.. عتبةَ بيتي؟

عندما يدخل "نهر بردى" دمشق، يتفرّع إلى سبعة فروع، أحدها "نهر تورا" (باللغة السُّريانية: المرتفع أو الجبلي)، الذي يمرّ في "شارع زهير بن أبي سُلمى" القريب من بيتي.

مشيت الساعة على ضفّته، فرأيت مياهه مرتفعة على غير العادة... ذلك أنّ مياه "عين

الفيجة"، التي كنا نشربها، حُوّلت إلى مجرى بردى وفروعه، بعد الإعلان عن أنها أمست غير صالحة للشرب ولأجَل غير محدّد...

تُرى هل تزداد المياه ارتفاعًا بعد ذوبان الثلوج في القمم الغربية حتى تبلغ عتبة بيتي، فتُغرقَ السجادة العجمية التي أملكها؟

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ٢٩-١-٢٠١٧

رغيف فلافل في "شارع مالابار"

(كتبتها قبل سنتين وأنا بعيد عن الوطن!)

خرجت من البيت، الذي عدت أقيم فيه عند ابنتي الكبرى، أسير متريِّضًا في الشارع الذي يحمل اسم "مالابار Malabar"، طريق عام بين الغابات، تتهادى فيه السيارات ولا أكاد أسمع منها إلا ما يشبه حفيف أجنحة اليمام، أمشي الهوينى على الرصيف، هذا الذي تحفّه من جانبيه مروجٌ لا تنصُل خضرتُها، وعند منعطفٍ أتوقّف، لأستدير عائدًا إلى البيت.

خطر لي، أمس، أن أتجاوز هذا المنعطف قليلا، وأنا أتأمّل وأتذكّر... وإذا الأنسام تحمل إليّ... رائحة قَلي فلافل!

حدّثت النفس: ساكنٌ عربيٌّ، سوريّ، من دمشق أو من حلب، هنا؟... كيف لم أعرف وأتعرّف على أبناء وطني، في الحارة التي أسكنها!

ومضيت، أتابع الرائحة... وإذا بي أمام دكان "بيّاع فلافل"، فيها فتيانٌ "أمريكيون" ينتظرون في صبر ملحوظ. وفتياتٌ يكشفنَ عن زنود بضّة، بيض وسمر، وفي الأيدي قُفّازاتٌ شفافة. إحداهنّ أمام المقلاة، ترمي ببراعة، وتغرُف. يُلقِمنَ الفرنَ الكهربائي، في كلّ حين، صينيةً، على سطحها أشكالُ من عجين، ثمّ يفتحنَ ويسحبن، وإذا العجائن قد تحوّلت إلى

"صمّون" شهيّ. تشقّ كلًّ منهنّ الصمّونة بسكين. تحشوها بالأقراص الساخنة، تهرسها. خُضَرٌ مخلّلة وتوابل، تسألك ما تريد وما تستزيد. وسمراء منهنّ تتناول، تلفّ في قرطاس. تكبس الزرّ. تسجّل الثمن: "رغيف الفلافل"، في بلدة منسيّة بولاية فلوريدا الشهيرة، بخمسة دولارات!

بلطفٍ التمست منها: «من فضلك، دعي رأس الصمّونة مكشوفا! ».

وأخذت أقضم، في الطريق، رغيف الفلافل، كما لم أفعل يومًا في طرقات الوطن.

أعترف لكم، أصدقائي، بأني أكتب لكم هذه الخاطرة الآن، وأنا وراء الطاولة، لا ابتعدت في تريّضي أمس في شارع مالابار، ولا رأيت بيّاع فلافل، وإنما هي خواطر، أحلامُ يقظة، أشواقٌ للوطن أعانيها، لترابه، وسمائه، وشمسه، وهوائه، وغباره... ولرائحة الفلافل في دكان قاليها وبائعها في "الجسر الأبيض" القريب من بيتي بدمشق، فاعذروني!

فلوريدا:... -١-٢٠١٥

نُشرت في جريدة "تشرين"، عدد اليوم ١٢٨٤٥ في زاويتي "أيام وليال"

\- - - - - - - - - -

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ٢٩-١-٢٠١٧

عندما تنضاف إلى الفهم.. النزاهة

اطّلعت على هذا "التقرير" الذي خطّته يد "مُحكَّم" في شأن مخطوطة أحيلت إليه ليُبدي رأيه في نشرها، وقد أُخفي عنه اسم صاحبها... أحببت أن أقدّمه نموذجا لفهم المثقف حين تحليه النزاهة السامية، والنص بهذا الشكل قطعة أدبية جديرة بالاطلاع عليها وحفظها.

\- - - - - - - - - -

١) مضمون المخطوطة:

ضمّت المخطوطةُ عشر قصص صينية مكتوبة للأطفال، عناوينها:..........

وهي قصص جميلة جدا عالجت موضوعات مهمة من الجانب التربوي والتربية الجمالية للأطفال... منها نَبْذ الجشع والطمع وما يدفعان إليه من المهالك، الحثّ على الغيريّة ونبذ الأنانية وإيثار الآخرين، الحثّ على التواضع وعدم التفاخر حتى لو كان العمل والمنجز عظيما، رفض الظلم وضرورة دفعه عن الناس، رفض الكسل والتواكل، أهمية الحبّ وضرورته في وجه البغض والحقد الخ.......

٢) الرأي الفكري:

القصص جميلة جدا وغنيّة بالقيم الإنسانية السامية، وهي قادرة على ترسيخ أفكار وقيم رائعة في نفوس الناشئة لذكاء ما تحمله من معان وخفّتها ورشاقتها، كما هي قادرة - فيما يبدو لي - على المساهمة في تربية الفتيان على ثوابت غنيّة بالأبعاد الإنسانية والقيم التربوية والجمالية التي بتنا لا نراها فيما تقذف به المطابع إلى الأسواق.

٣) الرأي الفني:

المترجم متمكّن جدا من اللغتين على ما أظنّ، لغة المصدر ولغة الهدف، حتى إنك لا تشكّ للحظة أنّ القصص لم تكتب في الأساس باللغة العربية، بمعنى آخر لغة المترجم جميلة، غنية، عالية المستوى، يمكن أن تعلّم الفتى القارئ صياغات جديدة ومفردات جديدة.

والحكايات جميلة جدا في لغتها الأم على ما يبدو، وهي شديدة الغنى والتنوّع وخيال أصحابها أو كتّابها الأصليين محلّق ما يساعد أيضا في تنمية قدرة التخيّل الأدبي عند قرائها من الفتيان السوريين والعرب حتى الأطفال.

٤) الرأي اللغوي:

لغة المترجم جميلة، سليمة، خالية من الأخطاء... اللهم إلا المطبعية أو ما جاء سهوا.

٥) آراء أخرى:

منذ فترة طويلة لم أقرأ شخصيا نصوصا موجهة للأطفال والفتيان بهذا المجال.

- - - - - - - - - - - -

دمشق الشام: عصر الاثنين ٣٠-١-٢٠١٧

رافقه صديقه في الذهاب إلى مشوار قريب

رافقه صديقه في الذهاب إلى مشوار قريب، فاتخذ إليه الطريق المتعرّج...

فسأله صديقه لِمَ أختار هذا الطريق؟

أجاب بهدوء: لأني أحبّ الاستمرار في ممارسة الحياة.

دمشق الشام: عصر الثلاثاء ٣١-١-٢٠١٧

من "حلب".. إلى "أبها"

في انتظار دوري عند طبيبة الأسنان في «حلب»، بصورة تلقائية سلسة للغاية، تعرفت على مجموعة سيدات، وعلى رشفات القهوة التي قدمتها لنا الممرضة تبادلنا العديد من الأحاديث، المدهش في الموضوع هو أن تلك الأحاديث لم تكن سطحية، البعض باح بمكنونات صدره كما لو أنه في لقاء مريح مع أعز صديق..

ساقتني ذاكرتي عنوة لعيادة الأسنان في «أبها» (السعودية) عندما كنت انتظر دوري بين مجموعة سيدات يرمقنني بنظرات حادة من عيونهن المطلة من غطاء الوجه الذي لم يكلفن أنفسهن بإماطته عن وجوههن رغم أن الغرفة مخصصة للسيدات فقط، وكأنهن مرتاحات لكونه يصنع لهن حواجز يمنعن به تواصل الغريبات الذي على ما يبدو لم يكن مستحبا...

المرأة التي كانت بجواري تملكتها الشجاعة وسألتني: أنت سورية؟

وعندما أجبتها بنعم، دعت لي أن يفرج الله عنا.. ثم ساد الصمت.

٢٩ يناير، الساعة ١١: ٣٤ م

_ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _

٣١-١-٢٠١٧ دمشق الشام:

هل وصلت تلك "الظاهرة" إلى واشنطن!

في زمنه وجد نفسه يملك نفطا تفتقده كثير من الدول، فاندفع يجترح العجائب:

يريد أن يوحِّد دولته الصغيرة مع جارته الكبيرة قسرا، فعزم على اجتياح حدودها بجحافل من البشر، فسمّاه الجار "مجنون ليبيا"!

ولما اختلف، مساء يوم، مع إمام كان في زيارته ببلده، حول آية قرآنية، احتبسه، ثمّ في صمت صفّاه!

اليوم رُزق العالم بقذافي جديد اسمه "ترامب"... فلنرَى ما يُبدع من عجائب الزمان!

دمشق الشام: ضحى الخميس ٢-٢-٢٠١٧

كان شهرا أسود، على حماة وعلى الشعب السوري[(١)].

_ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _

(١) تعليقاً على منشور لمحمود عادل بادنجكي قال فيه: يومٌ أسوَد كتبتها في ٣شباط ٢٠١٢ وكنتُ لا أزال في (حضن الوطن) قبل ثلاثين عاماً.. وبالتحديد في ٥ شباط عام ١٩٨٢.. قبل يومين من ذكرى ميلادي الحادية والعشرين.. وفي طريقي نحو بيروت.. في سيّارة أجرة.. مررنا بأطراف "حماة".. كان يوماً أسود!!

السماء ملبدة بغيوم سوداء.. أفراد حاجز القوّات الخاصة دهنوا وجوههم بخطوطٍ سوداء.. أعمدة من الدخان الأسود

دمشق الشام: ضحى الجمعة ٣-٢-٢٠١٧

«انتو مش بتطالبوا بالمساواة!»

في زمن بعيد، يعود إلى ربيع ١٩٥٢ وأنا طالب يدرس الحقوق في "جامعة فؤاد الأول" بالقاهرة، حدث أنّ زوجتي كانت تستقلّ الأتوبيس من وسط القاهرة عائدة إلى بيتنا في "حيّ الدقّي"، وكانت واقفة في المقدمة وعلى ساعدها طفلتنا الأولى "سوزان" بنت الأشهر الخمسة أو الستّة، ولم يتطوّع أيّ من الركاب الجالسين براحة تامّة لأن يُقدّم مقعده للسيدة الواقفة حاملة الطفلة، وفي منعطفٍ مال الركاب، وكان ميل الأمّ بطفلتها أشدّ، ما جعلها ترفع صوتها بلَومٍ للرجال المرتاحين في مقاعدهم، فانبرى واحد منهم يقول: «انتو الستّات مش بتطالبوا بالمساواة!».

لم أتمالك نفسي عند سماعي هذه القصة في البيت، فكتبت تفاصيلها، غيرَ المملّة، في رسالة بعثت بها عبر البريد إلى أديبة مصر الكبيرة "أمينة السعيد"، التي كانت تحرّر يومذاك صفحة في مجلة "المصوّر" الأسبوعية (عن دار الهلال)، أقرؤها وأعجب بنقداتها الاجتماعية الأنثوية، فنشرت الكاتبة - المدافعة ابتداءً عن حقوق المرأة - الرسالة وذيّلتها بتقريع لاذع للمتخلّفين من الرجال أولئك الذين انعدمت عندهم النخوة حتى إنهم لا يحترمون الأمومة إن لم نقل الأنوثة، مشيرةً إلى ما تتحلّى به الأمم الراقية من عناية بالطفولة تصل حدّ القداسة، وقد

تتصاعد من أماكن متفرّقة من "حماة".. طائرتان حربيّتان تظهران بلونٍ أسوَد تحلقان فوق المدينة..

وجماعات من النساء بلباسهن الأسود.. مع أطفالهنّ.. وبعض صررهن.. يغادرن "حماة" بالعويل والبكاء.. نحو المجهول!!

كان الخوف يمنعنا نحن الغرباءُ لا يعرف أحدنا الآخر في سيارة الأجرة من التعبير فيما بيننا.. سوى بعبارة" لا حوْلَ ولا قوّة إلاّ بالله"!!

بعينين مغرورقتين نظرتُ إلى رُفقاء الطريق.. فوجدتهم.. يكفكفون دموعهم.. تحسّباً للحاجز التالي.

احتفظت بتلك "القصاصة" من المجلة إلى أن ذهبت بها رياح الأيام.

وما زلت أذكر ذلك الانطباع الذي تكوّن عندي بعد قراءتي عمل أمينة السعيد الأدبي الذي سمّته "الجامحة" (الصادر عام ١٩٥٤ أو ما حوله في سلسلة "اقرأ" عن دار المعارف بمصر)، وكان سردًا أخّاذًا لسيرة فتاة جامعية متخرّجة، جمع بين الأخذ من واقع حياتها – أعني المؤلفة – وبين الفنّ الروائي المتخيّل، وذلك في بناء فنيّ مُحكَم وأسلوب رفيع. وأعترف بأنّ ذلك الكتاب كان في جملة الأعمال الإبداعية التي أثّرت في نفسي إلى حدّ الإلهام، ومنها أيضا رواية "نساء صغيرات" للكاتبة الأمريكية "لويزا ماي ألكوت"، التي نقلتها أمينة السعيد نفسها إلى العربية في أربعة أجزاء (عن دار المعارف بمصر)... وذلك قبل أن أشرع بكتابة روايتي "ثمّ أزهر الحزن" في شتاء ١٩٦١–٦٢.

أقول: وأما الطفلة التي كانت على ساعد أمّها، فقد غدت مدرّسة للغة الفرنسية في المعاهد الجامعية بحلب، وهي اليوم – في تقاعدها – أمٌّ لثلاثة أبناء وجدّةٌ لخمسة أطفال يعيشون حيث تُحترم الأمومة والطفولة.

إنها الأيام والليالي.

[نُشرت اليوم في جريدة "تشرين"، عدد ١٢٨٥١ في زاوية "أيام وليال"]

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: صباح الأحد ٥-٢-٢٠١٧=

أخلاق الناس.. في ظلّ الحرب!

تزحزحت اللمبة في مصباح الطاولة عندي من موضعها، فقال لي الكهربائي: "الدارة" فيه تحتاج إلى إصلاح، وأخذ على ذلك أجرا.

انتهى مفعول البطاريّة في ساعة اليد فوجب تبديلها. فتحها الساعاتي أمامي وقال: تحتاج إلى تصليح، وطلب أن أنتظر ثلاثة أيام!

تعطّل الإبريق المُسخّن للماء كهربائيا، فأصلحته ودفعت. بعد يومين عاد إلى سيرته الأولى، فاشتريت جديدا.

الموتور الكهربائي، الغاطس في قاع البِركة مكرّرًا ضخّ الماء للنافورة فيتيح لي أن أستمع لغنائها وأنا في حديقة بيتي، توقّف لاحتشاء الشوائب في جوفه. ولكنّ صديقي الحداد أعلن موته، واشترى لي جديدًا بعد تركيبه زفّ إليّ بأنه - إكرامًا لي - بذل جهدًا في إصلاح القديم، وقال: خلِّه عندك "يَدَكْ"، احتياط، إذا تعطّل الجديد! لم أقل له: يا ابن الحلال، لماذا شرّيتَني واحدًا بثلاثة عشر ألف ليرة!

وأما "الصمّون" (العيش الفرنجي)، فقد فتحتُ الكيس وأخذت منه واحدًا، وجدتُه زائدَ الرطوبة. تراءى لي أن "أشويه" على النار، فتفتّت، لم أستحسن أن أشكو للبقال خبزه العجين فيقول عني في الحارة: شوفوا جارنا الختيار قدّيش بيشتكي!

لا أتحدث عن... "الغلاء"، بل عن "التعامل"!

هل توحّش الناس في ظلّ الحرب... الوطنية؟

دمشق الشام: عصر الثلاثاء ٧-٢-٢٠١٧

الكاتب.. وحيدًا

إنّ الكاتب، الذي يعمل في سبيل الحرية والعدالة، إذا ما وقف "الأحرار" متفرّجين، قصدا أو اضطرارا...

فلا عتب ولا عجب

فإنّ هناك شعبًا طالب بالديمقراطية، فغلبه النظام قهرًا وتشريدًا، وعيون "العالم الحرّ" تشهد!

دمشق الشام: فجر الخميس ٩-٢-٢٠١٧

أبي.. وفنجان قهوته الليلي! (٢)

تعليق منتقى.. للمربيّة "هيام صبح"

على السّجيّة يسترسل أستاذنا الفاضل الوصف، نظلّ برهةً نتأمّل.. فتتجلى لنا حقائق.. هي أطياف تتناول التاريخ، والجغرافية، والاجتماع.. مكلّلةً بهالة من عبق الزمان..

تخلو العبارات من التذمُّر لتعدّديّة الزوجات، أو النفور من إخوة لأُمهات..

وتحلو بالتغنّي بمتعة الأوقات.. في رحاب بيوتات الأهل.. وتبادل حوادث الساعة، وتجاذب الذكريات، وتحليل السياسات.. وما لِسحر فنجان القهوة من نشوة ولهفة تتناغم وتقارِب بين روابط العائلات..

نقلة سحريّة إلى عالم حميم نفتقده هذه الآونة.. بسبب الحروب وآفات المجتمعات.. ومظاهر تبدو حضارية لكنها السبب فيما آلتْ إليه المجتمعات من تفسّخٍ وتفرقة بين الأهل والإخوة من بنين وبنات..

سقى الله زمانًا كان فيه المنزل يضمّ القبيلة كاملة، من زوج وزوجات.. جَدّ وجدة، صبيان وبنات، وكنّات.. والكلّ حول مائدة واحدة مجتمعٌ، وسط ضحكات وقهقهات..

دمشق الشام: ضحى الخميس ٩-٢-٢٠١٧

وعدني أن يزورني في ساعة معيّنة

وعدني أن يزورني في ساعة معيّنة. ولما جاء فهمت منه أنه عائد لتوّه من تسجيل تلفزيوني

وما هي إلا ساعة أو بعضها حتى استأذن بأنه مضطرّ للذهاب ليسجّل حلقة إذاعية في برنامج ما.

أعرف أنه "منهم"، بمقدار ما أعرف أنّ مواهبه الثقافية والفكرية والإبداعية ليست بشيء، فقامته في هذا لا تصل إلى كتفي، وأرى – مع ذلك – "سوقَه" رائجة، وأنا ليس مَن يسأل عني!

ثمّ يقولون: ليش قمتوا؟ كنا عايشين!

دمشق الشام: مساء الجمعة ١٠-٢-٢٠١٧

قال ينبّهني على أنّ عاصفة شديدة قادمة للبلد.

فقلت له: إن وطنًا تعاقبت عليه كلّ النكبات لم يعد يبالي بالعواصف وإن كانت عاتية!

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ظهيرة السبت ١١-٢-٢٠١٧

الصلاة.. لدفع أذى "ترامب"!

حكاية صغيرة من فلوريدا.

الطفلة "أليسّا" تحبّ رفيقة المدرسة "جودي" السورية، التي اضطرت أمُّها للسفر إلى الوطن من أجل إجراء جراحة ضرورية، فليس لها ضمان صحي يتكفّل بمصاريف الجراحة الباهظة.

في غياب الأمّ صدر قرار "ترامب" بمنع دخول السوريين إلى البلاد حتى لأولئك الذين يحملون بطاقة إقامة أصولية.

علمت التلميذتان ذلك وهما تستمعان إلى أخبار الصباح في المدرسة قبيل الدخول إلى الحصة الأولى، فكان خوف أليسّا على أمّ صديقتها من المنع لا يقلّ عن خوف جودي.

عند المساء هتفت أليسّا الأمريكية تقول لصديقتها السورية: «إني أصلّي من أجل السماح لأمّك بالدخول إلى البلاد بأمان! ».

دمشق الشام: عصر السبت ١١-٢-٢٠١٧

عرائس.. من سورية!

في عقد الستينيّات، وقد نالت بلد المليون ونصف المليون شهيد استقلالها، تهمّمت الحكومة هناك للأخذ بالتعريب، واتفق أنّ المعلمين العرب الذين استُقدموا إلى هناك، كان كثيرٌ منهم من السوريين والسوريات.

قامت الشابة السورية "ليلى" بزيارة لشقيقتها، التي تعمل وزوجها في مجال التعليم بالجزائر، وكانت تربط الزوجين صداقة وودّ بـ"أمين وزارة التربية"، هذا الذي ما إن التقى بالشابة السورية الزائرة حتى عمل، وساعده في ذلك صديقاه، على "الاتصال الهاتفي" بالأهل في حلب... طلبًا لليد.

تزوجت ليلى من "عبد الحميد"، الذي سرعان ما أصبح وزيرًا للتربية، ثمّ اختير سفيرًا لبلده في باريس، ففي العاصمة المغربية الرباط، وبعدئذ أمسى الأمين العام لحزب الجبهة الوطنية الجزائرية، وقد أنجب الزوجان السعيدان ابنًا وابنتين، إحداهما هي الزوجة لابن رئيس الجمهورية الجزائرية السابق "الشاذلي بن جديد".

الآن أقول: رحم الله "عبد الحميد مهري" وزوجته الحلبية "ليلى جركس".

وأقول أيضا: لو أنه أتيح للعالم المصري "أحمد زويل"، في مطلع الربيع العربي، أن يكون رئيسا للجمهورية في وطنه، لكانت سيدة مصر الأولى هناك زوجته الدمشقية بنت حارتي في حيّ الروضة، "الدكتورة ديمة فحام" ابنة الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية في بلاد الشام.

دمشق الشام: ضحى السبت ١١-٢-٢٠١٧

شمس الحياة وشمس الحرية

في خاطرتي أمس السبت ١١-٢ "عرائس من بلاد الشام"، وقفت والأصدقاء وِقفةً حول نَسَب بعض من وردت أسماؤهم في سطورها، تتبّعنا فيها ما كان ينبغي أن نفعل... وقد ختمتها بهذا التعليق:

- - - - - - - - - - -

آمل ألا يظنّنّ أحدٌ أنّ استغراقنا في تحديد الأسماء والأنساب هنا، هو من نافلة القول لا...

إنّ الأفاضل الذين أتينا على ذكرهم:

الدكتور شاكر الفحام، وزوجته المربية الأمّ مديحة العنبري، والابنة الدكتورة رشا السمان، والابنة الدكتورة ديمة الفحام، وزوجها البروفسور أحمد زويل،

والأديبة جمانة طه، والدكتور محمد حسان السمان، والأستاذ كامل الحمصي، والأستاذة سحر السيوفي، والسياسي الجزائري المخضرم عبد الحميد مهري، وزوجته السورية ليلى جركس، وشقيقتها لمعان وزوجها أحمد شومان...

هؤلاء كلّهم مِن النُخب في سورية ومصر والجزائر، وإنّ منهم وممّن هم على غرارهم الجميل تتكوّن نُخَب الأمة العربية.

الرحمة للراحلين منهم، والصحة والعمر المديد لمن تطلع عليهم وعلينا كلّ يوم شمس الحياة وإن تغيّبت عنّا بشكل أو بآخر شمس الحرية.

دمشق الشام: ليل الأحد ١٢-٢-٢٠١٧

هل من يبين لنا ما نتيجة محاكمة هذا المجرم العنصري[١]؟

دمشق الشام: فجر الاثنين ١٣-٢-٢٠١٧

الحكومات الصالحة

الحكومات الصالحة يمكنها أن ترتقي بشعوبها المتخلفة، قليلاً أو كثيرًا أو كثيرًا جدا والحكومات الفاسدة على العكس من ذلك تماما.

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ليل الاثنين ١٤-٢-٢٠١٧

مئة مرة قلت:

أيها العلويون، كونوا عادلين واحكمونا إلى الأبد

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ضحى الأربعاء ١٥-٢-٢٠١٧

شويّة.. حنان!

حكاية من فلوريدا:

رأت "جودي" بنت العاشرة، أنّ أخاها "فاضل الصغير" يعاني اكتئابًا زائدًا، وهما معًا أمام التلفاز يستمعان إلى أخبار "ترامب" التي تقول إنّ المقيمين في بلده من أصل سوري إنْ هم غادروها لأي سبب، يمتنع عليهم أن يدخلوا مطاراتها حتى إن كانوا يحملون بطاقة الإقامة... وأمّهم منذ أسبوعين في الوطن هناك تُدبّر أمورًا.

---

(١) وكان قد شارك منشوراً يتحدث عن مجرزة شابيل هيل في أمريكا

فرفعت جودي" صوتها تنادي أختها الكبرى بالإنكليزية:

Zain! Would you come and talk to your brother ،he needs some tenderness

(يا زين! تَعي كلّمي أخوك، لازمُه شويّة حنان!)

دمشق الشام: ليل الخميس ١٦-٢-٢٠١٧

الرسالة الممزقة! اعتذار.. من الزمن الجميل

في مطالع الخمسينيات، وأنا أدرس بجامعة القاهرة، دأبتُ على أن أراسل أخي الأصغر "عادل" بحلب.

ذات صيف، حدّثني، وأنا في زيارة للأهل، أنه تلقّى يومًا من إدارة البريد دعوة لمراجعتها. لما ذهب استقبله المسؤول باهتمام ملحوظ، وأطلعه على "رسالة ممزّقة"، قال إنها كانت قد وردت من القاهرة موجّهة إليه، لكن حدث أن سقطت سهوًا في مكان غير منظور بين خزانتين من حديد، فغابت عن أنظار العاملين في شبكة التوزيع زمنًا، وقبل يومين حرّكوا إحدى الخزانتين فوجدوها قابعة بينهما، وتبيّنوا أنها انشطرت عند تحريك الخزانة شطرين... وقدّموها له، معتذرين!

وبكلّ الاستغراب تسلّم أخي، ابنُ الثمانية عشر ربيعًا، الرسالة وتلقّى هذا الاحتفاء والاعتذار، ومضى.

وللعلم لم تكن الرسالة مسجّلة (مضمونة)... بل عادية.

كان ذلك... في الزمن الجميل.

دمشق الشام: ليل الخميس ١٧-١٢-٢٠١٥

وكتب الطبيب لي وصفة!

ذهبت إلى الطبيب أشكو من وجع، وجعًا ما كان له أن يمنعني من المشي ولا أن يُضائل من استرسالي في الحديث!

بعد أن شخّص الطبيب وعرف، ولمّا يأخذ القلم ليكتب الوصفة بعد، أعلمني، بصوت أقرب إلى الهمس، أنه يتابع ما أنشر في شبكة التواصل، وأنه وأنه... وأسرف في التعبير، وقال كالمعتذر إنه يتجنّب وضع "اللايكات"... ثمّ تناول القلم، وكتب لي دواء.

وتابعنا الحديث ليس عن "الأوجاع" بل عن "الأوضاع" وما تؤول إليه البلاد، فأسهبت في الكلام، وهو يُصغي إليّ بجوارحه... ثمّ رأيته يأخذ القلم ويكتب لي دواء ثانيا!

وأشار إلى أنّ ممّا قرأ لي أني "دخلت" هناك، واستوحيت في العتمات قصة كتبتها، وذكر اسمها "بدر الزمان" بطلها الامبراطور الصيني "يانْ - تْسون"، وأنها تُرجمت إلى الإسبانية... وأخذ القلم وكتب دواء ثالثا!

ثمّ لم يكن في وسعه أن يكتم - وعيناه إلى الباب - أنه هو "دخل"، ونام على "جنب واحد" خمس سنين لكلمة تفوّه بها، فبلغ تعاطفي معه الذروة، وأحسست أني أعرفه من خمسين سنة... وتناول القلم وكتب لي دواء رابعًا!

أعترف لكم بأني أحببت هذا الرجل، وأشهد أني شُفيت من أوجاعي بما كتب لي من أدويته الأربعة.

من أعماق قلبي أحيّيه!

دمشق الشام: ظهيرة السبت ١٨-٢-٢٠١٧

كتبت صديقة مرحة في صفحتها تقول:

في حارتنا مسؤول، للآن ما قطعوا الكهربا!

فكتبت أعلق:

في بنايتنا بالطابق العلوي، مسؤول... قطع لي كابل التلفزيون!

أعرف أنها تمزح، وأما أنا فلا.

دمشق الشام: صباح الاثنين ٢٠-٢-٢٠١٧

بالأمس، يوم النكبة الكبرى

قَدِم إلينا أخوتنا الفلسطينيون مهجّرين من أوطانهم، ونزلوا في أرض قاحلة سُمّيت "مخيّم اليرموك"، ومضى زمن قبل أن يصبح المخيم مدينة زاهرة، بجهودهم وإخوانهم السوريين المنضمّين إليهم

اليوم، والنكبة أكبر

كم "يرموكًا" سوف يبني السوريون!

وأين؟

وكم من السنين!

ومن ينضمّ إليهم؟

دمشق الشام: ليل الأربعاء ٢٢-٢-٢٠١٧

"بدر الزمان".. باللغة الإسبانية

بعد إطلاق سراحي من "معتقل الشيخ حسن" بدمشق أواخر العام ١٩٨٠ (وما لبثت هناك

إلا قليلاً، فسبب الاعتقال كان "أدبيّا"!)، بادرت إلى كتابة "بدر الزمان" التي استلهمت فكرتها وأنا بين أربعة جدران كتيمة.

امتنعت مجلة "الموقف الأدبي" (التي يصدرها اتحاد الكتّاب العرب) عن نشرها حَذَرًا، إلى أن نشرتها مجلة "المعرفة" (عن وزارة الثقافة) في عدد كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٠ في ثلاثين صفحة، احتواها كتاب بعنوان "بدر الزمان، حكاية أسطورية للصغار والكبار" (عن دار إشبيلية للدراسات والنشر بدمشق عام ١٩٩٢)، مزدانًا بخمس وعشرين لوحة تزيينيّة بريشة الفنانة (التي رحلت شابّة) "ريما بطرس".

وصل الكتاب إلى إسبانيا، وصادف أنّ طالبًا هناك يبحث عن نصّ سرديّ في الأدب العربي يجعله أطروحة لنيل مؤهِّل الدكتوراه، فترجم "بدر الزمان" إلى الإسبانية، ونال بها مؤهِّل الدكتوراه من جامعة مدريد، ونُشر الكتاب هناك بنصّيه العربي والإسباني في العام ١٩٩٩. الطالب هو "عبد الله خلف" من أبناء فلسطين العزيزة.

دمشق الشام: عصر الخميس ٢٣-٢-٢٠١٧

ولم أكن في قصتي تلك.. من المازحين!

قبل بضعة عشر عامًا، التقيت، في مجلس تعزية في إحدى قريباتي، ضابطًا ذا رتبة، كنت سمعت به إلى أن جمعنا هذا المجلس الحزين.

بعد انصراف المعزّين حتى لم يبقَ سوى الأقارب، أُغلِق الباب، وأخذنا نتحدّث في شؤون الحياة و... السياسة، ووصلنا إلى أن حكيت لهم أني - وأنا يومًا بين أربعة جدران مُحكمة الإغلاق - استوحيت هناك فكرة قصة تأتّى لي أن أكتبها بعد "سراحي"، فجاءت قصة مطوّلة، نشرتها في بلدي بكتاب عديد الصفحات، بطلها الامبراطور "يانْ - تْسون"، يمارس في شعبه فنونًا من التحكّم والقسر والقهر... ووعدت الضابط العميد: «غدا آتي بنسخة أقدّمها لك»،

فما كان منه إلا أن قال: «وكيف أُدخِلها بيتي! ».

بعد انصرافه عبّرت أمام الحاضرين عن استعجابي من حَذَرٍ يُبديه صاحب زيّ مزدان بالنجوم، من أن يعلو رفًّا من رفوف مكتبته المنزلية كتابٌ مثل "بدر الزمان"!

وأتيت في الغد التالي بنسخة من الكتاب، فقال لي وهو يتلقّاها – وقد بلغه استعجابي – إنه بكلمته أمس كان يمزح، فأجبته: «ولكني في قصتي لم أكن من المازحين! ».

ولم يُقدّر لي أن ألتقي به بعد ذلك اليوم.

دمشق الشام: ضحى الخميس ٢٣-٢-٢٠١٧

الشقيقات الحنونات

بيتٌ في حيّ من الأحياء الغربية بحلب، مؤلف من خمس غرف، لا ينقصه شيء، قد رَبّى فيه الزوجان ابنًا وبنتًا.

اليوم...

الابن منصرف إلى أسرته وعمله، والابنة متزوجة في دبي ترفل بالنعيم، التحقت بها أمّها هربًا من البراميل المتساقطة من السماء تشاركها هناءتها، وظلّ الأب رهين البيت وهو يزحف نحو السبعين زحفا.

في يد الشقيقات مفتاح البيت، يتفقّدنَ أخاهنّ الأكبر بالهاتف، صباح مساء وما بينهما، ويزرنه معتنيات به.

لم يستجب أخوهنّ للرنين يومًا، انشغل البال، جئنَ إليه، كان الإدرار قد أغرق بالبلل نصفه السفلي وهو في سريره، فغاب عن الوعي، وكان كلما عاد غاب.

آه، أيتها الحرب! تفعلين بنا في كلّ الاتجاهات.!

دمشق الشام: فجر السبت ٢٥-٢-٢٠١٧

أولئك.. الذين نسُوا عميد أسرتهم!

جاءني صديقي يشكو.

قال إنّ أفراد أسرته، المتوزّعين في مشارق الأرض ومغاربها... قد نَسُوه!

تساءلت: كيف ينسونك وأنت عميد الأسرة؟

فأفاض مجروح الفؤاد بأنهم لا يرسلون إليه، عبر الشبكة العنكبوتيّة، كلمة. لم يأبه. هو ليس في حاجة إلى كلامهم ولا لعونهم. ولكن بالأمس، لـمّا جاء العيد... لم يتذكّروه بكلمة معايدة، سقط الاسم من ذاكرتهم، والكيان أيضا!

قلت أتعلّل:

ـ أتكون شواغل الحياة، يا صديقي؟

قال:

ـ إني أقرأ تراسلهم في الشبكة، ومزاحهم، وتبادلهم النكات. تصوّر، في العيد تكتب إحدى حفيداتي لأمّها: «يا أمي الحبيبة، كيف أنسى أنك حملتني تسعة أشهر، وأرضعتني من صدرك أزكى حليب، وحنوت عليّ تلميذةً تعلمينني رسم الحروف، ودفعتني إلى المثابرة في طلب العلم بأعلى مراتبه... آه، يا أمي! كيف أنسى أفضالك التي لا تُنسى! »، تُعبّر، المنظومة، وكأنها شاعرة! طيّب، أمُّها، ألا تذكر أفضال أبيها، الذي كان يُقطّع من لحم كتفيه ليطعمها، ويربّيها، ويعلّمها، ويجعلها في أعلى المراتب! أنا لا أريد منهم شيئا، سوى كلمة "كلّ عام وأنت بخير، يا أبي، يا جدّنا، الباقي في الوطن تستنشق رائحة ترابه"!

لم أشكّ في كلمة ممّا يقول صديقي. فقط دفعتني الأنانية لأن أحدّث النفس بصوت غير

مسموع، أن ليس في ذرّيتي ولله الحمد من هم على هذا المنوال!

وبالصوت المسموع أعلنت:

ـ آه، أيتها الحرب اللعينة! كم ذا كشفتِ من علل كانت في النفوس خبيئة!

دمشق الشام: صباح السبت ٢٥-٢-٢٠١٧

«هل تُعيد عليّ ما قلتَه قبل سنين؟»

استوقفتْني، وأنا أهمّ بمغادرة مكتب هاتف أبو رمّانة، سيدةٌ في نحو السبعين من العمر، تسألني: «أنت الأستاذ...؟»، فأجبت... وقرّبت رأسي منها - وقد نسيتُ وضع "السمّاعتين" عند خروجي من البيت - لأسمع جيدا ما تقول.

عرّفتني بنفسها "سحر... "، وذكّرتني بلقاء في بيت أبيها بدمشق يعود إلى عام ١٩٧٢، والتمست مني - بشغف نمّت عليه العينان المتألقتان - أن أعيد اللحظة على مسمعها ما كنت قلته في حقّ أمّها، الراحلة شابّةً في لحظة من لحظات عطاء الأمومة... كلمات ما تزال تُرجّعها في خاطرها منذ سمعتْها مني قبل عقود من السنين!

وفي سعادتي بهذا اللقاء المفاجئ، وما كشف عن ذكرى حنونة لا يستطيع أحد أن يرويها إلا... ذاكرتي، أخذت أفكر، عائدًا بانطباعاتي إلى منتصف أربعينيّات القرن الماضي، وأعبّر...

كنت يومذاك في سنّ الطلب، وكان والدها (الأستاذ بهجت) مدرّسُ اللغة الفرنسية - وإن لم أكن من بين تلاميذه - شابًّا وسيمًا ذا قامة رياضية، نراه، نحن تلاميذ المدرسة، يسير في "شارع إسكندرون"، ترافقه زوجته الجميلة، وكنا نراها هي في أُوَيْقات[1] أخرى تسير مصطحبة طفلتيها الجميلتين، اللتين عرفنا اسميهما "سحر" (وهي محدّثتي الآن) و"سلوى" التي تصغرها

(١) تصغير أوقات

بسنتين، تمسك بيد كلّ منهما، رأيتهنّ الثلاثة غير مرة، بجوار "بناية كوزُم" الكبيرة التي تتوسّط الشارع... ثمّ علمنا أنها، في حَملها التالي، تضع جنينها (١٩٤٨) و... تموت في النِّفاس! وأذكر أننا، نحن بعض تلاميذ "المأمون" من أبناء "حيّ الجميليّة"، حزنّا كثيرًا لوفاة أمّ شابة في أثناء الولادة، وما كنا نعرف عن الموت إلا قليلاً!

وأذكر أني التقيت بهذا الابن – وقد سمّوه "عادل" اسمًا مشتقًّا من اسم الأمّ "اعتدال" – وهو في مطلع شبابه، اتفقت عودتنا معًا في سيارة أقلّتنا من بيروت إلى حلب، فتحدّثنا عن "الأمّ"، التي أعرفها دونه، وعبّر لي عن أنه ينتابه أحيانا إحساسٌ بأنه هو سبب وفاتها!

رأيت دمعة في عينيها... قبّلت رأسها، ومضيت.

ثمّ إنّ الأب رحل، ورحل الابن وقد كان يقيم في ديار الغرب.

إنها الأيام والليالي.

دمشق الشام: صباح الأحد ٢٦-٢-٢٠١٧

خصية "البوعزيزي" في أدب فاضل السباعي

بقلم: ماري إسكندر عيسى

أديبة وإعلامية سورية، مغتربة

ما أثار انتباهي مما قرأته للأديب فاضل السباعي – وقد وصلت بعض مؤلفاته إليّ وأنا في مغتربي بأعجوبة – كيف كان يؤمن بالثورة منذ الثمانينات وهو الذي ينقد بهدوء الفساد عبر الكلمة الهادفة والقصة الواقعية لحقيقة ما يجري في مجتمعنا بقصص تلامس هموم المواطن العادي المقهور ووجعَه.

إنّ من يقرأ أدبه ابتداءً من روايته "بدر الزمان" حتى مجموعاته القصصية "الألم على نار

هادئة" و"الابتسام في الأيام الصعبة" و"تقول الحكاية" و"حزن حتى الموت" (هذه بعض أعماله)، يعرف لماذا كان النظام يُغيّب مثل هذه الكتابات لصالح كتابات هشّة وسطحية، ويرفض – عبر اتحاد الكتّاب العرب الذي ساهم الأديب السباعي في تأسيسه – نشر كتبه ومؤلفاته.

فكتابات فاضل السباعي الإبداعية امتازت بدقة الملاحظة ووعيٍ كبير لحقيقة ما يجري في مجتمعنا من فساد وقهر وظلم للمواطن، قدّمها بتوصيف دقيق للواقع كما عايشه، مستفيدا من خبرته وعمله محاميا لفترة، وموظفا رفيعاً لدى الحكومة لفترة أخرى. فكتب، بضمير يقظ وهو المؤمن بأنّ الأديب ضمير الأمة، وهو مَن عاهد نفسه أن يكون صوت المقهورين والمظلومين ونصيرهم، بالكلمة التي آمن بقدرتها على تغيير الواقع، وبالثورة التي انتظرها ودعا إليها منذ الثمانينات، كما يبدو من قصة له بعنوان "لعبة الأرقام المتوافقة" في مجموعة قصصية له صدرت طبعتها الأولى في تونس العام ١٩٨٣ بعنوان "الابتسام في الأيام الصعبة" [وكان كتب هذه القصة قبل ذلك العام بأحد عشر عاما، ١٩٧٢!]، يذكّرنا بطلُها بـ"بوعزيزي تونس" لاحقا المقهور والمظلوم، والذي يحرق نفسه ليفجّر ثورة تونس وبعدها ثورات الربيع العربي.

الثورة الحقيقية آتية لا ريب فيها

لكن بوعزيزي قصة فاضل السباعي المقهور والمظلوم، يكتفي بالصراخ ويهدّد بالثورة التي لا بد أن تأتي، لتخلّصه من الظلم والقهر في عالم يسوده الفساد واللا أخلاق. فبسبب مشكلة صغيرة في عمله تتعقّد الأمور شيئا فشيئا ببيروقراطية الأنظمة السائدة، ويصبح بلا عمل، وبسبب استهتار مؤسسته التي يعمل فيها بمستقبل وحياة موظف يُترك وعائلته وأطفاله ليواجه الجوع والضياع، من أجل ثمن زهيد لنسختين من كتاب عن آثار بلاده أُمِر بشرائهما دون تحرير أمر مالي بذلك، وهو يتقصّد السرعة في تلبية طلب مديره، الذي أراد أن يقدمهما

هدية لوفد يزور بلده ووزارته التي يعمل فيها.

ذاك الظلم والقهر كان كفيلا بصراخ بطل قصة السباعي، صراخاً كان قد بقي مكتوماً آنذاك في مجتمع تحكمه القبضة الأمنية جيداً، ولا تتوفر فيه وسائل الاتصال الحديثة التي ساعدت في نشر هشيم الثورات في زمننا هذا، لكنها صرخة تثير فينا الوجع والقهر وتحملنا على البكاء كما أبكتنا بداية الثورة.

يقول في صراخه:

«ولكن.. لماذا أدفع، أنا وحدي، ثمن تناقضات النُّظم البالية؟! لماذا لا يعاقَب واضعوها، ومطبّقوها، والراضون بها؟! إذا كانت هذه النظم تعجز عن حلّ مسألة صغيرة، فكيف بها أمام المعضلات الجسام؟ ألا تحتاج عقليتكم ذاتها إلى تغيير؟! أليس مجتمعنا الغافي في حاجة إلى ثورة، ثورة حقيقية، لا ثورة شعارات؟ أكثر من مئة توقيع تُخفق في صرف عشر ليرات سورية من خزينة الدولة! يا له من نظام!! أن أُسرّح أنا، تلك عدالة!! أن يجوع صغاري، ذلك حق!! ولكن الثورة الحقيقية آتية لا ريب فيها، إنّ الظلام يُعقبه فجر منذ الأزل! ».

مهرجان للكرامة الإنسانية

وفي قصة أخرى بعنوان "مهرجان" وردت في مجموعته القصصية "تقول الحكاية" الصادرة العام ٢٠٠٦، يكتب السباعي في بداية القصة وتحت العنوان: «إنه المهرجان العالمي للكرامة الإنسانية، أيها السادة، الذي رعته الدولة، واستضافت المشاركين فيه ممن قدموا إلى البلاد من مختلف أنحاء المعمورة! ».

وقصته هذه ليست غريبة عنا اليوم حيث امتهان الكرامة الإنسانية من قبل الحكومة والنظام والأمن لمواطنيها معروف للجميع وعلى مرأى ومسمع كل العالم. يطلب الوزير من أحد كبار موظفيه التفرّغ لتدقيق الأبحاث التي قُدمت في المهرجان – مهرجان الكرامة الإنسانية – ولكي

يؤمن الوزير تنفيذ الموظف مهمته يعطيه إجازة لمدة أسبوعين ومفتاح فيلا خالية تعود له لكي يختلي فيها بعيدا عن الناس ويتمكن من إنجاز مهمته بالوقت الملائم دون تأخير. وفعلا يصطحب هذا الموظف زوجته إلى الفيلا حاملين احتياجاتهما من الطعام والشراب لترعاه زوجته وتؤمن احتياجاته، في الوقت الذي ينكب هو على عمله.

لكن ما حدث في اليوم الأول كان صادما ومرعباً، فما إن يُنهي الموظف تدقيق البحث الأول وعند خروجه لحديقة الفيلا، حتى يبدأ رشّ الرصاص عليه والقنص من قوات الأمن الذين تنبّهوا لوجود غرباء في الفيلا وبسرعة يقررون أنهم إرهابيون يريدون استخدام الفيلا كوكر لهم، غير عابئين بوجود امرأة ولا بكرامة الشخصين وقبل التحقق من الواقعة، مما اضطر الزوج – تلبية لأوامرهم – أن يخلع ثيابه وهو منبطح ليُظهر لهم أنه غير مسلح، لكي يرحموه ويصدقوه ولا يقتلوه هو وزوجته.

القصة [التي كتبها عام ١٩٨٢] تلقي الضوء على عقلية الأمن وكيفية استسهال امتهان كرامة المواطن، تحت شعار حماية الوطن والأمن القومي.. هذه العقلية التي تُظهر انعدام الثقة بين السلطة والمواطن لخلل نفسي وعقد كثيرة عند الأمن والنظام، وبسبب عدم وجود قانون مدني يحمي المواطن ويولي حياته وكرامته الأولوية.. فالمواطنون كلهم إرهابيون بنظر الدولة، تماما كما يجري اليوم.

سلّ قوة الرعيّة!

ويؤكد هذه الفكرة بقصة أخرى بعنوان "عيون ملونة" [كتبت في لوس أنجلوس عام ٢٠٠٤]، ويقصد بها عيون قطط يهوى "باشا في الحكومة" اقتناءها، بعد إجراء عمليتين جراحيتين لها، الإخصاء وانتزاع المخالب!

يقول له أحد أصدقائه في زيارة له مداعباً إياه وكاشفاً للحقيقة التي نعرفها جميعاً: «كأننا

نراك، يا باشا، تجعل من هذه القطط في بيتك "حقل تجارب"، تتمرّن بها على سلّ قوة الرعية، وتطويعها، وتدجينها! »، وهو منطق النظام أنّ الرعية للتدجين وللخضوع ومن يتمرد فالويل له.

وقصص أخرى يترصّد بها الأديب والروائي فاضل السباعي وجع المقهورين، وهو الذي عاهد نفسه أن تبقى عينه ساهرة على الحقيقة ففعل، وهو اليوم يتابع الثورة ويبثّ ألم الناس ووجعهم لما يحتملون من عنف يمارس عليهم، يصوغه بلغته الأنيقة وأسلوبه المتّزن على صفحات التواصل الاجتماعي.

إنه أديب الإنسان وكاتب وجعه، سلاحه الكلمة والفكر.. لذلك لا عجب أن يُغيّب هو وأمثاله ويهمش من قبل أنظمة تخاف الحقيقة والنور..

ولو تركوا أدبه وأدب المبدعين الأحرار يخرج للنور كما يجب لخرجت الثورة من عشرين عامًا وثلاثين وأربعين، وخرج "البوعزيزي السوري" ولم ننتظر حتى اليوم بوعزيزي تونس وأطفال درعا..

ماري إسكندر عيسى

مارس ٢٠١٤

– – – – – – – – – –

دمشق الشام: فجر الأحد ٢٦-٢-٢٠١٧

واشتهيتُ الموت!

رأيت، فجر اليوم فيما يرى النائم، أنّ ألمي لموت الناس في وطني قد بلغ بي حدّ أن اشتهيت الموت لنفسي. فذهبت إليهم وعلى كتفي "كشكول"، ووقفت قريبا من بابهم، أنادي بأعلى

صوتي:

ـ ابيييه، أنتم يا من هناك! أثختنتم في الناس ولم تَعْفُّوا حتى عن الصغار!

فسدّد إليّ أحدهم... قلت:

ـ انتظر، لا تقتلني بيديك المضرّجتين، دعني أموت أمامك من تلقاء نفسي!

طأطأت البندقية، وجاءني منهم صوت:

ـ ميتة لا تكون لنا يدٌ فيها؟ طيّب، تقدّم ومتْ أمامنا لنرى!

دنوت، وفي الكشكول كفن، رميته على الأرض، واستلقيت متوسِّدًا إياه.. ومتُّ!

واستيقظت... لأروي لكم.

دمشق الشام: ضحى الاثنين ٢٧-٢-٢٠١٧

هل ينقصك المال

حتى تَجْبيه من السوريين عندك

المقهورين حتى مُخِّ العظام؟

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٢٨-٢-٢٠١٧

الأساتذة الذين علمونا في الزمن الجميل

كان معلمو المرحلة الابتدائية، أيام دراستي في ثلاثينيّات القرن الماضي، على ثقافة ملحوظة ومقدرة في التعليم، حتى إنه عندما حدث في الأربعينيّات توسّعٌ في إنشاء المدارس الثانوية (وكانت تضمّ المرحلتين الإعدادية والثانوية) فإنّ وزارة المعارف (وزارة التربية) ندبت كثيرا منهم للتعليم فيها.

وعندما افتُتحت كلياتٌ للعلوم الإنسانية وللعلوم الأساسية، انتُدب كثير من مدرسي

الثانويات إلى الكليات الجامعية في دمشق وحلب، منهم على سبيل المثال، راتب النفاخ للآداب ونادر النابلسي للعلوم.

ألف رحمة لأرواحهم الزكيّة وهم في جنان النعيم.

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ٢٨-٢-٢٠١٧

المدلّل!

في يوم من بدايات القرن الحادي والعشرين، أمسك أمنيٌّ مخضرم بسماعة الهاتف يسأل رئيس التحرير:

ـ ما المكافأة التي تدفعون للكاتب "عاشق البحر المتوسط" على المقالة يكتبها في زاوية "أنوار التقدّم الوهّاجة"؟

بوغت الرجل بالسؤال، أجاب:

ـ ألفان وخمسمئة ليرة، سيدي.

ـ اجعلوها عشرة آلاف!

وأغلق.

وكان قلم "العاشق" يعاني السَّكَرات، فأخذ يقتطف من كتبه المنشورة ويبعث إلى الجريدة، فأغرقها بسيل كلماته، ما اضطرها إلى أن تُذيّل زاويتها يوم تنشر له بعبارة "البقية في الصفحة... ".

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ٢٨-٢-٢٠١٧

ونسيت الكتابة بالقلم

مع تراجع البصر... صرت بعد أن أكتب النصّ بالقلم أستصعب قراءةَ ما كتبت...

فعمدت إلى أن أُمَرّن النفس بالكتابة على الكمبيوتر مباشرة، ولم يكن ذا بالأمر اليسير بعد سبعين من الأعوام قضيتها وأنا أسكب بالمداد أفكاري، إلا أني استطعت، بتنقيلي الأصابع فوق لوحة الحروف، أن أستألف المعاني، وأستدعي الكلمات في حضرة الإلهام الجميل

أمس

تعطّل جهاز الكمبيوتر

وتأبّى عليّ القلم ومداده!

دمشق الشام: ليل الخميس ٢-٣-٢٠١٧

أعيش وحيدًا في بيتي

أعيش وحيدًا في بيتي

هل يخفّف عني:

أوراقي وأقلامي

وأني أتنفس رائحة الوطن؟

طيّب... والانكسار!

دمشق الشام: ليل الاثنين ٦-٣-٢٠١٧

نحن ما زلنا على قيد الحياه!

نحن ما زلنا على قيد الحياه!

فاعلاتن فاعلاتن فاعلان

دمشق الشام: ليل الأحد ٦-٣-٢٠١٧

الجمال الحلبي.. في شيخوخته!

في العام الأول من الوحدة بين سورية ومصر، وكنت يومذاك موظفا في "الشؤون الاجتماعية والعمل" بحلب، اتّفق أن جاء من مصر إلى عاصمتنا دمشق وفدٌ يضمّ وزراء، أذكر منهم - إن لم تخنّي الذاكرة - "حسين الشافعي" (الذي طال عمرُه فيما بعد منافحًا عن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعد رحيله).

وقَدِم الوفد إلى حلب، برفقة وزيرنا "مصطفى حمدون"، الذي بادر يطلب من مديرنا أن يدعو عددا من السيدات عضوات مجالس الإدارة في الجمعيات الخيريّة للقاء وزيرَي الشؤون الاجتماعية في الإقليمين.

وكنت في عملي المعنيَّ بالجمعيات (خيريّةً، وثقافيّة، وفنيّة...). وما أذكره أني أدركت أنّ الوزير حمدون يريد لنظيره المصري أن يتعرّف على "الجمال الحلبي" الممتزجِ الأعراق والإثنيّات، والمولِّدِ - كما يقال - لأجمل النساء في بلاد الشام.

فقمت أتّصل بالجمعيات الخيريّة الأكثر فاعليّة في المدينة، تلك التي تملك دورًا للعجزة ومدارس للأيتام ومستشفيات، أطلب أن تتقدّم ممثلاتٌ عنها إلى هذا اللقاء العروبي، الوحدوي، التاريخي.

ويوم حضرت السيدات ما كان للوزير حمدون أن يتباهى، ولا كحّل الوزير المصري عينيه بالجمال الموعود... ذلك أنّ أعمار السيدات كانت في الستين فما فوق... ووالله ما تقصّدت ذلك، ولكنه وضعٌ كان واقعًا!

بعد اللقاء عاتبني المدير (وهو "فوزي كيالي" الذي شغل في مطالع السبعينيّات منصب وزير الثقافة) على ما فعلت!

فأجبته:

-يا أستاذ فوزي! يعني هل تعمل في المجال الخيري إلا المتقدّمات في السنّ، يملأنَ أوقاتهن بخدمة الإنسانية؟ على حين تنصرف الشابات إلى مجالات عمل أخرى.

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ضحى السبت ٦-٣-٢٠١٧

مشاريعي.. التي لأجلها عدت للوطن

زارتني، ضحى اليوم، سيدة معنيّة بالثقافة والأدب، تُبدي استعدادها لمساعدتي في استخراج النصوص من مظانّها في الأضابير والملفات، والعُهدة بها إلى مَن يتولّى تنضيدها ضوئيًّا، ثمّ تنسيقها في مشاريع كتب، في القصة، والرواية، والدراسات، والبحوث، ومقالات شتّى، ومقابلات أدبية، وفصول من سيرة، ووووو...

واتفقنا على البدء في إعداد كتاب "الأندلس في الذاكرة العربيّة"، دراسات وبحوث في التاريخ والأدب والعلوم، من نحو ثلاثين ملزمة ويزيد، كنت قدّمتها في المؤتمرات القطرية والندوات الدولية!

أعددت، قبل مدة، مجموعة قصصية للفتيان ممّا كنت نقلت بقلمي عن الفرنسية، سمّيتها «حوريّات الغابة، قصص وأساطير صينيّة"، هي اليوم في المطبعة، وعسى أن أُتبعها مجموعةً من تأليفي للفتيان أيضا: "حكايات سيرين وسارة وسامر".

أقول: وأما الخواطر التي أقدّمها يوميًا في صفحتي، فقد أسعفني صديق سوري كريم يقيم في إحدى الدول العربية، بجمعها سنةً سنةً بروابط بعث بها إليّ، تمهيدًا لإخراجها فنيّا وطباعتها... وهذا مشروع آخر.

أتحدّث إليكم عن ذلك، أيها الأصدقاء، مشاركة وجدانية، وكسرًا للوحدة التي أعيش.

تحيتي.

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ٧-٣-٢٠١٧

السيارات السياحيّة.. في زمن البعث

اسمعوا ما أقول!

حُكْم البعث لنا مرّ بثلاث مراحل:

• الأولى: من آذار ١٩٦٣ حتى تصحيح ٢٣ شباط/ فبراير ١٩٦٦، هام بعده مؤسس الحزب على وجهه في العراق[١]، ودخل رئيسهم السجن، وأُطلق، عاش في العراق ومات بحلب[٢].

• الثانية: من شباط ٦٦ حتى ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٠، وهو "التصحيح الثاني" (ولكنهم أغفلوا التصحيح الأول، وأصبح الثاني هو الصحيح).

• المرحلة الثالثة: من تشرين ١٩٧٠ حتى يوم الناس هذا.

أقول: أجمل ما في المرحلتين الأُولَيَيْنِ أنهم منعوا استيراد السيارات السياحيّة، وإن ضُرب المثل بأنّ السيارة العتيقة في سورية أصبح ثمنها أغلى من الجديدة في دول الجوار!

دعوني أُكمل: هل أقول إنّ أسوأ ما في المرحلة الثالثة أنها فتحت باب استيراد السيارات على مصراعيه للرساميل[٣] التي فاضت بها جيوب بقدر ما زاد فقر الفقراء فينا؟ فملؤوا البلد بالسيارات حتى أمست تبيت على جانبَي الطرقات، وفوق الأرصفة، وتحتلّ شوارع تَسدّ أولها

---

(١) هو ميشيل عفلق

(٢) هو الرئيس السوري الأسبق أمين الحافظ

(٣) رؤوس الأموال

وآخرها فهي للميسورين مرائب[1] مجانيّة!

دمشق الشام: ضحى الاثنين ٧-٣-٢٠١٧

مَشْيُ المسؤول في حارته.. في الزمن الجميل

قلت لصاحبي:

ـ حدَّثني أحد أصدقائي يومًا بأنه رأى رأي العين رئيس البرلمان في زمنه "ناظم بيك القدسي"، وقد خرج من صلاة الجمعة في مسجد الحي، يمشي الهوينى وكفّاه معقودتان وراء ظهره على طريقة الناس الشعبيّين، فجأة توقّف أمام بناء يُشيَّد في حارته، تأمّله قليلاً، ثمّ استأنف سيره، وقال أيضًا: إنه لم يكن حوله حرسٌ ولا حشم! وأما اليوم...

قال صاحبي:

ـ اليوم يلزم وجود حرس للحماية، لأنّ هناك قتلة يغتالون المسؤولين.

قلت:

ـ صدقت. ولكن لِمَ لم يكن في ذلك الزمن الجميل من يغتال؟

ولم يدعني أروي له حكاية "عمر بن الخطاب"، الذي نام في ظلّ شجرة آمنًا... لأنّ صاحبي كان قد تركني ومضى.

دمشق الشام: عصر الثلاثاء ٧-٣-٢٠١٧

توظيف ٥٠ مدرسا للعربية بدمشق

قرأت الآن إعلانًا عن طلب وزارة التربية تعيين مدرسين ومدرسات للغة العربية، خمسين

---

(١) جمع مرآب

وظيفة لكل محافظة..

علقت "ديمة" وهي واحدة من المنتظرات لهذا الإعلان:

- ٥٠ بسسس! صار لي بستنّى عشر سنين.. راحت معي عشر سنين تانيات!

فردّت عليها "لينا":

-نعم.. ونصّهم من ذوي الشهداء، والـ٢٥ الباقي بالواسطة.. وعدد المتخرجين بالآلاف..

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ٧-٣-٢٠١٧

آخر ما كتبت من قصص: السؤال عن "أسامة أبو شامة"!

الفتى، المتخرّجُ حديثا من الجامعة والمحبُّ للثقافة والأدب، كان أول ما كتب مقالة يدرس فيها مضمون كتاب صدر حديثا يتناول بالنقد القهر والفساد... ونشرها.

في فرحة الأهل بابنهم، الذي يتوقعون أن يغدو كاتبا مرموقا، رنّ جرس الهاتف في البيت:

"المخابرات الجويّة" تطلبه!

تقرؤون القصة فجر غد في صفحتي.

لا تناموا على قلق... يطلبونه لخمس دقائق فقط!

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ٧-٣-٢٠١٧

وقال لي العسكري: بَلا غْلاكْ!

يومًا، وعلى وجه التحديد في صيف ١٩٧٧، كنت أمشي في المنطقة التي تسمّى "الحواكير"، نحو مبنى المستشارية الثقافية الفرنسية غربًا للمراجعة بأمر يتعلق بإيفادي إلى فرنسا. ولم أفطن إلى أنّ الرصيف الذي أسير عليه، الأيسر، يقود إلى بيت الرئيس في منعطف، وإذا بي أتلقى من بعيد أمرًا بأن أتحوّل إلى الرصيف الآخر.

ولكني تابعت السير لأنّ رتل السيارات كان يتلاحق، فلوّح لي العسكري بما في يده من سلاح، وأمرني أن أنزل فورا، فقلت له: «طيب طيب، بس السيارات لمّا تتوقف! ».

فلما صرت على الرصيف الآخر، خطر لي أن أقول: «شو بنا؟ الأرض أرضنا والرئيس رئيسنا! ».

فجاءتني منه كلمة: «بلا عْلاكْ! » [أي: بلا ثرثرة!].

دمشق الشام: ليل الأربعاء ٩-٣-٢٠١٧

باريس.. مربط خيلنا!

في العام الأخير من الحرب العالمية الثانية، وتباشير الاستقلال تلوح في الأفق، كنا نخرج - نحن طلاب "ثانوية المأمون" بحلب (التي كانت تضمّ الإعدادي والثانوي) - في مظاهرات تنزل إلى "شارع إسكندرون" منعطفة يسارًا في طريق سكة الترامواي، ونحن نرفع الأصوات بالهتافات المطالبة بالاستقلال والمندّدة بحكم الانتداب الفرنسي.

وكان مَن ينظّم فينا تلك المظاهرات اثنان من "كبار" طلاب المدرسة، "أحمد هلال زين الدين" (أصبح فيما بعد مدير المعارف بحلب/ مدير التربية) و"جلال ملاح" (غدا مديرًا لدار الكتب الوطنية، بعد مديرها الأول الشاعر "عمر أبو ريشة" ثمّ الكاتب الكبير "سامي الكيالي").

وما زلت أذكر كثيرا من الهتافات التي كنا نتحدّى فيها الفرنسيين، منها:

الله الله، يا مفرّج المصايب

اضرب رصاص في صدر العدو صايب

ومرة علا هتافٌ أولُه «باريس مربط خيلِنا... »، فأسرع أحد المنظّمَين، هلال أو جلال،

إلى إسكاته، فقد كان شديد الوطأة على الفرنسيين، وهو يعني أننا "احتللنا" باريس وجعلناها مربطًا للخيول التي حملتنا إلى هناك!

دمشق الشام: صباح الخميس ١٠-٣-٢٠١٧

واحترق "سوق المدينة" الأثري بحلب

واحترق "سوق المدينة" الأثري بحلب في أول أعوام الانتفاضة! أسواق يتصل بعضها ببعض، توازيًا وتقاطعًا بطول سبعة كيلو متر.

سوف نبنيه.

دمشق الشام: صباح الخميس ١٠-٣-٢٠١٧

الجلوس.. بجوار السائق

... وإنك لترى المسؤولَ يترك مقعده في صدر سيارته الفارهة، ليجلس بجوار سائقه، فليس هو - في الأبجديّة التي حفظها - بأفضل منه في مضمار الإنسانية.

ولكنه لا يعفّ عن أن يملأ جيوبه بأموال، يجعلها في قبضة البنوك، وهو يقول بحنان: هذه للأولاد حماية لهم من غدر الزمان!

ويفوته أنه يدحرج كلّ من يخالفه الرأي إلى الغَيابات المنسيّة، وأنه يضغط بيد من حديد على الحناجر التي بُحّت وهي تطالب بالحريّة وبالحياة.

دمشق الشام: ليل الجمعة ١٠-٣-٢٠١٧

رحلة العذاب.. رحلة الحنين

وأصبح الشباب الهاربون من الموت، والذين صارعوا الأمواج في رحلة العذاب نجاةً من الغرق في مياه البحر، يساقون إلى مدن السواحل، حيث تتكدّس أجسادهم، في أمكنة الحجز،

بعضها لصق بعض وفوقها وتحتها... إلى أن يأتي الفرج من عواصم الغرب بأن هاتوهم إلينا

وهناك يسعدون بأنهم يَصحُون صباح كلّ يوم أحياء، يأكلون، ويتحرّكون، ويعملون

وتبدأ فيهم رحلة الحنين إلى الوطن، وتذكُّر البيت والحارة والأصحاب، والتغنّي بعطر النارِنْج والياسمين، والبكاء على الأطلال... ثمّ يَنْداح[1] ذلك كله في ضمير الزمن، ويتلاشى، ويُمسي حكايات يرويها عنهم الأبناء والأحفاد

دمشق الشام صباح السبت ١١-٣-٢٠١٧

عدت لأعيش في وطن حزين

- - - - - - - - - - -

صديقي العزيز الأستاذ فاضل

كيف حالك؟

هل أنت على ما يرام وأنت في حضن الوطن؟

فجر الاثنين ١٣ مارس ١٢: ٥٢ ص

- - - - - - - - - - -

عدت لأعيش في وطن حزين.

ويزيدني حزنا خشيتي من أن أصبح عاجزًا عن تحرير أعمالي المودعة في رفوف مكتبتي، التي أقدّر أنها تملأ بضعة عشر كتابا، والعمر يغازل النهاية، والبصر يزداد كلالًا، والمسعفون في غيبوبة.

أشكر سؤالك عني.

---

(١) ينبسط ويتمدد

دمشق الشام: فجر الاثنين ١٣-٣-٢٠١٧ س ١: ٢٥

وفاة فاضلة

توفيت اليوم، في ولاية فلوريدا الأمريكية بعد مرض عضال، السيدة الفاضلة "فدوى عيروض"، من أوائل المتخرجات في كلية الحقوق بالجامعة السورية، وزوجة المرحوم "محمد شاهين طلس" (المدير الأول للمجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية في سورية)، وهي والدة صهرنا العزيز فرناس طلس وحماة حفيدتي ديمة سعود، وجدة الحفيدين الحبيبين "محمد شاهين" و"ياسمين"، وقد رأيت من بِرّهم بها وأنا في تلك الربوع ما أشرت إليه غير مرة في الخواطر التي أنشرها في صفحتي

تغمدها الله بواسع رحمته وأسكنها فسيح جناته.

دمشق الشام: مساء الثلاثاء ١٤-٣-٢٠١٧

الذين يشكرون الله.. على نعمة الغلاء!

وقفت في باب بيّاع في حارتي أطلب رؤوس الثوم للطبخ، فقال إنّ الكيلو بـ(٣٥٠٠ ل س)، فقلت شاكيًا:

ـ أرى البيّاعين في هذه الأيام أكثر الناس ربحًا!

لم يفطن إلى ما في كلمتي من شكوى، رفع إصبعيه إلى فمه يقبّلهما، ثمّ مسّ بهما رأسه، وهو يقول:

ـ الحمد لله ربّ العالمين، نشكره على نِعَمه!

ولم أستطع أن أبيّن له قصدي، فإنه سوف يستغرب، وقد يرى فيّ زبونا حسودًا!

دمشق الشام: صباح الثلاثاء ١٤-٣-٢٠١٧

يا سيدي النظام

لو أنك تنازلت قليلاً، يوم خرج الناس في ربيع آذار ٢٠١١ يهتفون بحناجر مجروحة: «نريد إصلاح النظام»، وغيّرت وبدّلت، وسمحت للمطالبين بالحرية سلميًّا - وأنا واحدٌ منهم - أن يشاركوا في الحكم كسرًا لما ساده من احتكار استمرّ نصف قرن من أعمارنا البائسة، وما كان قليلاً ما عانينا فيه من قهر وفقر وفساد...

أما كان هذا أربحَ للوطن من الدمار والتقتيل والتهجير الذي عمّ البلاد، فتقلّص عدد السكان إلى النصف حتى لم يبقَ شبابٌ يتزوجون من البنات، ليُنجبوا أجيالًا تقوم بالإعمار، يا سيدي النظام؟

اللهم اجعل كلامي خفيفًا على القلوب.

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ١٤-٣-٢٠١٧

[أصدقائي، لتكن تعليقاتكم موضوعية وليس خارج هذا النطاق

سبعون عامًا.. من الإبداع الأدبي

منذ بدأتُ الكتابة ونَظْمَ الشعر، في أربعينيّات القرن الماضي وأنا على مقاعد الدرس، وجدت نفسي في صفّ الفقراء وصديقا للعاشقين

في الخمسينيّات، ومذهبُ "الواقعيّة" باسط جناحيه على أدب القصة والرواية في الوطن العربي، استغرقني عالمُ الفقراء ومعاناتُهم اليومية، فكتبت القصص والروايات مندّدًا بالفقر وبالعوامل التي تُفضي إليه... ولأني لم أكن منضمًّا إلى صفوف ذوي الشعارات البرّاقة فإنهم أزرَوا بأدبي ووصفوه بـ"الرجعيّة".

في الستينيّات، وقد ساد الأقطارَ الحكمُ الشمولي، أخذتُ أتغنّى بالحرية الجريحة، في قصص

شفافة قد اتّخذتْ من "الفانتازيا" أسلوبا لها اتّقاءً، تُرجم بعضها إلى اللغات، وتُرجم لي في ذلك: كتاب بالإسبانية "بدر الزمان"، وآخر بالفرنسية "حزن حتى الموت".

ويوم أراد المستشرقون في الاتحاد السوفياتي اختيار قصص سورية يجعلونها في كتاب بلغتهم، أخذوا من مجلة "الآداب" اللبنانية قصتي "الصمت والموت" (شابّ يتّهمونه ظلمًا، وتحت التعذيب ليلا يموت، وبعد ساعة يكتشفون الفاعل!)، وجعلوها "القصةَ – الأمّ" في الكتاب، الذي سمّوه باسمها معدّلا "الصمت الذي لا يُقهر"، وخصّوها بلوحة الغلاف (نزلت فيما بعد في كتابي "الألم على نار هادئة" ١٩٨٥). ويوم زرت الاتحاد السوفياتي ونزلت ضيفًا على "اتحاد الكتّاب السوفيات" (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٣)، أكرمني البروفسور "فلاديمير شاغال" بأن دعاني لاجتماع في "معهد الدراسات الاستشراقية" بموسكو حضره أساتذة الأدب العربي (وذلك ما رويته في فصل بكتابي "قمر لا يغيب" المعدّ للنشر)... وما شفع لي ذلك كلّه عند الشانئين[١]، فظلوا يَحصُبونني[٢] بحُصيّات، أتّقيها باليد وبالردّ وأنا في الساحة وحيد.

اليوم... يدخلون صفحتي ليشتموني بأني "إقطاعي" وأني "داعشي"!

رثائي لهم يفوق الاحتقار.

وإني ماض في طريقي... إلى أن ترتفع روحي إلى السماء العالية

دمشق الشام: ليل الأربعاء ١٥-٣-٢٠١٧

---

(١) المبغضين

(٢) يرمونني بالحصى

ما زال البصر عندي في تراجع، أيها الأصدقاء

منذ عام وأنا أكتب لكم مباشرة على الشاشة المجسّمة، مستعينًا بمكبِّر أنقّله باليد بين الكلمات والسطور، بعد أن عزّت عليّ الكتابة بالقلم أكتب به ولا يُمْكنني قراءة ما كتبت وذلك لعلّةٍ في العين، سمّاها لي نِطاسيٌّ[١] العيون الدكتور ظافر وفائي "تهتُّك في الشبكيّة" [أو تنكس اللطخة الصفراء الشيخيّ، كما كتب لي اليوم]، ولا علاج لها، تظلّ تتزايد حتى...

لن أقول وداعًا، فما زال في العينين بقيةٌ من نور، يعزّزها نور يأتي من القلب

دمشق الشام: ضحى الخميس ١٦-٣-٢٠١٧

دموع فرح.. ودموع ألم

في فلوريدا، رأيت بعض ذرّيتي ينشطون في جمع التبرعات، من سوريين وعرب وأمريكيين، يشترون بها "حْرامات" تُشحن إلى منظمة إنسانية دولية في بلجيكا تؤمِّن الإرسال إلى اللاجئين السوريين في مخيماتهم

رافقتهم مرة إلى متجر في يوم أربعاء (فثمّة حسم ١٠٪ في هذا اليوم من كلّ أسبوع لمن هم في مثل سنّي)، لنشتري دفعة أخرى من هذه الحرامات.

لما عرفت أمينة الصندوق، السمراء الجميلة، أنّ هذه المشتريات معدّة لتزويد "اللاجئين السوريين"، أخذت من تلقاء نفسها سماعة الهاتف تُعلم مدير المحل، وسرعان ما جاء الردّ برفع الحسم إلى خمسين بالمئة.

دمعت عيناي من الفرح.

ودمعت، غير مرة، حزنًا وألمًا، كلما علمت أنّ بعض الصبايا في دمشق، اللواتي يقدّمنَ

---

(١) النَطَاسِيُّ: الطبيبُ الحاذِق.

بعيدًا عن الأعين المعونات المتواضعة إلى بعض الأسر النازحة من الريف والمبعثرة في حارات دمشق، قد أُلقي القبض عليهنّ، وتلقّين العقوبة حبسًا ثلاث سنين أو خمسًا، ومنهنّ طالبات جامعيات مثل أزهار الرياض.

دمشق الشام: فجر الخميس ١٦-٣-٢٠١٧

لؤي كيالي.. أوراق مطويّة

... وممّا عندي مخطوطة كتاب بعنوان:

«لؤي كيالي أوراق مطويّة».. فيه:

مسيرة حياته الفنية

ورسائل متبادلة

ومذكرات فتاة بادلته الحب في خريف ١٩٦٦ ولم ينته إلى زواج

والكشف عن زيف قصة احتراقه بفعل سيكارته وهو في سريره ليلاً

دمشق الشام: مساء الجمعة ١٧-٣-٢٠١٧

إلى السادة الناشرين العرب

ممّا عندي من مشاريع كتب معدة للنشر، كتابٌ يضمّ عشرة فصول في أدب الرحلات لبعض العواصم العربية والغربية (من نحو خمسمئة صفحة ومئة ألف كلمة)، منضّدًا ومخرجًا إخراجًا فنيًّا، عنوانه «قمر لا يغيب، فصول في أدب الرحلات»، وكنت في سبيلي إلى أن أصدره في الدار خاصتي بدمشق لولا الأحداث.

أسأل عن ناشر مقتدر يتولى نشره، وآخر في مثل حجمه هو الآن في مرحلة الإعداد والإخراج عنوانه «الأندلس في الذاكرة العربية» في الأدب والتاريخ وتاريخ الطبّ الأندلسي.

المراسلة على صفحتي في الخاص.

دمشق الشام: ضحى الجمعة ١٧-٣-٢٠١٧

شاعر.. يتحلّى بسخرية شفّافة!

في العام الدراسي ١٩٤٣-٤٤ (أو العام الذي تلاه) وأنا تلميذ في "ثانوية المأمون" بحلب (التجهيز الأولى)، كان بيننا تلاميذ من أرياف المحافظات الشمالية (حماه، اللاذقية، دير الزور، الحسكة، ولم تكن تولّدت منها محافظات أخرى)، يتلقّون التعليم معنا ويقيمون في مبنى المدرسة نفسه، بصفتهم "داخليين" (وكنا نتمازح وإيّاهم بأن نسمّيهم "طلاب ليليّين" ولهذه المفردة ما لها من معاني المزاح)، على حين اختصّت "ثانوية جودت الهاشمي" في دمشق بأبناء المحافظات الجنوبية (حمص، درعا، السويداء)... ذلك كله قبل أن تعمد حكومات الاستقلال المتعاقبة إلى التوسّع في إحداث المدارس الثانوية (والتي تضمّ آنذاك المرحلتين الإعدادية والثانوية) في المناطق والنواحي.

كان في شعبة "الكبار" في المدرسة طالب ليس بيني وبينه معرفة أو كلام، عرفنا أنه من مدينة "السَّلَميّة". ودارت الأيام، إلى أن بدأت أقرأ له في المجلات والصحف اللبنانية أشعارًا ومقالات، وتبيّنت أنه يعمل في صحافة بيروت ويقيم هناك. واتفق لي أن التقيته، في العام ١٩٦٠ بمدينة حمص، في مطعم دخلته في استراحة سفر في أثناء عودتي من دمشق إلى حلب. وتذكرنا أيام التجهيز بحلب، التي لم تَطُل إقامته فيها، فقد افتُتحت في مدينته مدرسة فانتقل إليها، وأشار إلى مقالة لي كانت ظهرت حينئذ في مجلة "الآداب" مقرونة بصورة لي، وأذكر أنه قال إنّ الصورة ضعيفة الشبه بي!

ومع ربيع آذار ٦٣ عاد إلى الوطن، أديبًا وصحفيّا، يتبوّأ الوظائف المرموقة، مسؤولا عن بعض الصفحات الأدبية وعضوا في أول مكتب تنفيذي لاتحاد الكتّاب العرب.

كان في كتاباته ما أراه مختلفا. مرة قرأت له حوارا أجراه "نبيل الصالح"، كان يرافقه في سيره من مكان إلى آخر يوجّه إليه الأسئلة "المحرّضة" ويتلقى منه إجابات متميّزة.

وكان يتحلى بالسخرية الشفافة، التي يلذّ للقارئ سماعها بقدر "ما لا تسيء" إلى المنقود.

يوم قدّمت له روايتي "رياح كانون" في مطلع العام ١٩٧٠، وأنا في زيارة لمقرّ الاتحاد الأول (شارع مرشد خاطر) وكان ذلك بحضور هاني الراهب، كتب في اليوم التالي بجريدة "البعث"، بأنها عمل يستحق "عناء" القراءة!

ومرة تلقّى، بصفته المحرر الثقافي بهذه الجريدة، رسالة بقلم من يَدّعي أنه يعمل ماسح أحذية في صالون(!)، يدافع فيها عن روائيّ يصفه بأنه كبير و"تقدمي" ويعيب على منتقده ذاك "الرجعي"، اسم صاحب الرسالة "إبراهيم رامز أبو السوس"(!)، وكان قد قَوي الظنّ عند بعضهم يومذاك بأنّ "الروائي الكبير" هو نفسه من كتبها... فنشرها بهذا الاسم المنحول وعلّق قائلا له: لاحظنا أنّ خطّك يوحي بأنك كتبتها "بيدك اليسرى"!

وقبيل ذلك، في العام ١٩٦٩، حين صدرت لـ"حنّا مينه" روايته "الثلج يأتي من النافذة"، تلك التي وجدها بعض الكتّاب في العاصمة "متهافتة" خلافًا لسابقتها "الشراع والعاصفة"، كتب زميلي (بلا زمالةٍ ممارَسة) ثمّ صديقي في الأدب، يقول ما معناه: إنّ حنا مينه جعل مسوّدة روايته هذه في حرز حريز، ضامًّا إليها قلم الستيلو[1] الذي به كتب هذا العمل، كعادته في كلّ رواية ينتهي منها، مثل "الكتّاب الخالدين"! (أو ما في هذا المعنى).

إنه الشاعر المرهف "علي الجندي"، المولود في العام ١٩٢٨، والراحل عن دنيانا عام ٢٠٠٩. وأضيف هنا أنّ في "الشعبة" التي كنت فيها كان في "الرَّحْلة" التي تتقدّمني ابنُ عمّ له هو "عبد الكريم الجندي"، الذي غدا فيما بعد من كبار ضباط آذار ٦٣، ولم يَطُل به العمر. رحم

---

(١) قلم الحبر السائل

الله الرجلين.

دمشق الشام: عصر الجمعة ١٧-٣-٢٠١٧

مشكلتي مع الفضائيات

في الوطن لا يرحّبون بي

وراء الحدود لا أرحّب بهم

دمشق الشام: ليل السبت ١٨-٣-٢٠١٧

فأجبته: «والله كان قصدُنا شريفًا! »

ذات مرة، كتبت في صفحتي أننا، نحن طلاب المدارس، خرجنا بُعَيد جلاء المستعمر عن بلدنا، في مسيرة طويلة نهتف بحناجرنا الغضّة: «نريد جيشًا للوطن».

فعلّق أحد الأصدقاء الظرفاء: «فـ جيلُكم مَن جاءنا بجيش الانقلابات! ».

فجاريته في ظرفه: «والله كان قصدُنا شريفًا! ».

دمشق الشام: ضحى السبت ١٨-٣-٢٠١٧

الوزير.. الذي طبّق على موظفيه "نظام منضمّ"[١]!

في ربيع ١٩٦٦، وأنا نزيل دمشق أنتظر صدور قرار بنقل وظيفتي من حلب إلى العاصمة، اتفق أن زرت جماعة من أصحابي كان بينهم زوجان من موظفي "وزارة الإصلاح الزراعي".

روى أحد هذين الزوجين، أنّ وزيرهم الجديد دعا – لحظة دخوله الوزارة – الموظفين إلى

---

(١) النظام المنضم: من مصطلحات الجيش السوري، وهي مجموعة التدريبات الأولية التي يتلقاها العسكري تعلمه المسير المنظم والانضباط وطاعة مرؤوسيه

اجتماع في البهو الرحيب، وأمرهم أن يصطفّوا في "نظام منضمّ" أربعة أربعة، وأخذ يصيح بهم: «استاااارِحْ... استاااعِدْ» يكرّرها، صنيع مدرّب يتعامل مع الملتحقين حديثا بالخدمة الإلزامية، وقد اختلطت "مراتب" الموظفين، من "آذن" يقدّم القهوة... إلى كبيرهم الذي كان يسمّى "أمين عام الوزارة" (استُبدل بالتسمية فيما بعد مصطلح "معاون وزير"). وبدا الوزير متخفّفًا في لبسه، ومنتعلا "الشاروخ"[١] الذي يمسك القدم العارية من إبهامها... وبعدئذ أخذ يعطيهم الأوامر بكيفية العمل!

لم يكن الزوج من روى، لكنها الزوجة التي استغرقتها التفاصيل الدقيقة... ونحن، السامعون، ما عرفنا أنضحك، أم نأسى!

وأما الوزير فقد كان من زملائي في "ثانوية المأمون" بحلب العام الدراسي ١٩٤٣-٤٤، قد جاء من بلدته طالبا "داخليا" قبل أن تعمّم حكوماتُ الاستقلال المدارس الإعدادية والثانوية في كل أنحاء البلاد.

دمشق الشام: عصر السبت ١٨-٣-٢٠١٧

أسفار رئيس الاتحاد.. في أرجاء المعمورة

كانت يد رئيس اتحادنا، كما أعلم، نظيفة لم نسمع عنه في ذلك ما يريب. ولكنه ابتزّ الاتحاد حين أتاح لنفسه أن يتحكّم فيه، على مدى ثمانية وعشرين من الأعوام سبقها عامان كان فيهما نائبا لرئيس الاتحاد الدكتور حافظ الجمالي، يتمرّن.

حصد التأييد الكاسح بما أمسك في يده من خيوط القيادة، فكان بعض أعضاء الاتحاد الطموحين يتفيّؤون ظلّه ينشدون نشر كتاب لهم أو بتمثيل الاتحاد في مؤتمرات في الخارج.

---

(١) نوع من الأحذية الخفيفة المكشوفة، ربما سمي بهذا الاسم للشرخ الذي بجانب الإصبع الكبير.

وأما أسفاره، التي ساح فيها المعمورة طولا وعرضا، فقد أشاع عنه زميلنا الظريف عبد الكريم ناصيف (رئيس تحرير مجلة "المعرفة"، عن وزارة الثقافة)... أنّ رئيسنا "ع.ع.ع" ربما عاد إلى دمشق من سفرة فلا يبارح مطار دمشق الدولي، انتظارًا ليمتطي الريح مسافرًا إلى دولة أخرى، والعيون ترقب متحسرة!

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ١٩-٣-٢٠١٧

دفاعًا عن الزملاء.. في المنظمات الشعبية

في انتخابات مجلس الاتحاد في خريف ١٩٨١ سأل زملاؤنا من الكتّاب اليساريين، على استحياء، عن حال زميلهم "ميشيل كيلو" الذي كان قد مضى عليه مدة وهو في الاعتقال، فوعد رئيس الاتحاد علي عقلة عرسان، بأن يسأل ويعلمنا في اجتماع المؤتمر السنوي القادم مطلع العام التالي ١٩٨٢.

في المؤتمر بيّن لنا علي أنه سأل عن اثنين من أعضاء الاتحاد المعتقلين.

فأما ميشيل كيلو فهو ينتمي إلى جبهة العمل الشيوعي، التي تعمل على الإطاحة بنظام الحكم، وكلّها - قال - «لعبة كراسي»!

وعن الآخر، الذي لم نكن نعلم عنه شيئا، عبد الودود يوسف، الإسلامي، قال إنه كان يجمع أولادًا في بيته ويدرّبهم على إلقاء القنابل!

وفي دهشة المجتمعين من هذه المعلومات، انطبقت شفاههم فلم ينطقوا بكلمة واحدة... إلّاي، وقفت أفنّد معترضًا، فأقول إننا عندما طلبنا منك، يا أستاذ علي، أن تسأل، توقعنا أن تأتينا بمعلومات دقيقة، ولكنك ذهبت تسأل من قام بالاعتقال، فجئتنا بهذه التهم! فردّ قائلا بأننا لم نقل له أن "يحقق" بل أن يسأل!

فيما بعد أطلق سراح ميشيل كيلو، وتبيّن أن لا مساعيَ للتخطيط لانقلاب مزعوم بدليل تسريحه، وأنّ عبد الودود يوسف، وهو موظف في مديرية الآثار، أطلق وهذا دليل على أنه لم يكن يقوم بتلك التدريبات الغريبة. وبَيْن قوسين، أيها الأصدقاء، أؤكد لنفسي أنّ واحدا من اليساريين لم يُخبر ميشيل بما قلته في حقه في ذلك اليوم، إنهم يخجلون!

وأذكر أنّ زملائي الكتّاب نظروا إليّ على أنني كنت جريئا في محاورتي رئيس الاتحاد، وما ظننت ذلك في نفسي، فإنما وقفت أدافع بالحق عن زميل لنا عضو في منظمتنا، وأنا لا أنتمي للشيوعية مثقال ذرة.

أتساءل: هل كان القياديون في المنظمات الشعبية همُّهم الدفاعُ عن أعضائها في مواجهة مَن ينال منهم؟ أم الدفاعُ عن النظام في مواجهة الأعضاء المفترى عليهم!

اليوم – كما نُمي إليّ – يعيش رئيس الاتحاد، الذي عُمِّر رئيسا له (٢٨) ثمانية وعشرين ربيعا متتالية، سعيدا في باريس، بعيدا عن الأحداث الداميات.

دمشق الشام: فجر الأحد ١٩-٣-٢٠١٧

من يكتب الافتتاحية!

أعترف بأنّ "علي عقلة عرسان"، طويل العمر في رئاسة الاتحاد (٢٨ عاما وزيادة)، كان معنيّا عناية بالغة في أن يُصدر الاتحاد المجلات الثقافية المرموقة، من "الموقف الأدبي" إلى "الفكر السياسي" وما بينهما "التراث العربي" و"الآداب الأجنبية" (فيما بعد "الأدب العالمي")، وغيرها ممّا لا أريد تعداده الآن. وقد شاء في عام ١٩٨٥ أن يُصدر بالضرورة جريدة سمّاها "الأسبوع الأدبي" عهد برئاستها لزميلنا "عبد النبي حجازي".

ما أودّ الإشارة إليه هنا أنه دأب على أن يكتب الافتتاحية بقلمه لكلّ عدد من أعداد "الأسبوع الأدبي" لقاء مكافأة مجزية. سألت يوما زميلتنا "قمر كيلاني" (عضو المكتب

التنفيذي): لماذا تكون الافتتاحيات في هذه الدورية حكرا على قلم رئيس الاتحاد؟

فأجابتني بصراحة:

ـ هو يقول لنا: "ليكتب الافتتاحية منكم من يريد". ولكن عندما تصل إليه مقالة من أحدنا، فإنّ اعتذارًا يأتي منه، بأنّ المقالة طويلة، أو قصيرة، أو لا تناسب اللحظة، أو أنها وصلت إليه متأخرة... فكفّ الجميع عن المبادرة، وأصبحت كلّ الافتتاحيات له!

وأضيف: إنه عمد إلى أن يجمع هذه الافتتاحيات في كتب تبلغ صفحات كلّ منها الخمسمئة يصدرها ضمن منشورات الاتحاد... وقد اتفق لي أن أخذتُ مرة نسختين من كلّ من العنوانين الأولين منها إلى المعرض الدولي للكتاب بالقاهرة، عرضتها في الجناح الخاص بدار إشبيلية، فما امتدّت – علم الله – إليها يد!

وسمعت فيما بعد أن حمولة ثلاثة كميونات[1] من منشورات الاتحاد قد توجّهت يومًا إلى معمل للكرتون.

الاتحاد، الذي أنا فيه عضو مؤسس، والذي لم أستطع أن أحوز على رضا منه بنشر أيّ من كتبي!

ويقولون: كنا عايشين وماشي الحال، ليش قمتوا!

دمشق الشام: مساء الأحد ١٩-٣-٢٠١٧

جعل يقول لي كالمعتذر:

ـ والله أنا أحبّك وأقدّرك، وعندما أستيقظ صباحًا، وقبل أن أغسل وجهي، أفتح وأقرأ كلماتك التي تفشّ الخُلق. ولكني لا أستطيع أن أضع "لايك" واحد، وأنت تعرف السبب!

---

(١) شاحنات

دمشق الشام: ليل الاثنين ٢٠-٣-٢٠١٧

إسباني.. من أصول أندلسية

عن أصول بعض الإسبان اليوم، الأندلسيّة، أولئك الذين كانوا تعرّضوا لمحاكم التفتيش، وللتهجير في أنحاء إسبانيا، وللتغريب عبر البحر إلى العُدْوة المغربية...

أقول: إنّ لي قريبًا، لا أذكر إن كان هو "منذر" أو شقيقه "بسام"، التقى في عام ١٩٦٠ أو ما حوله، في أثناء مروره بإسبانيا، رجلا من أهل البلاد، جعل يحدّثه عندما عرف أنه عربي، ويستفيض، في أنه موقن بأنه من أصول أندلسية... وكانت تدمع عيناه وهو يُفضي إليه بأنّ له ثلاث بنات كلهنّ راهبات يعملنَ في خدمة الكنيسة.

دمشق الشام: ليل الاثنين ٢٠-٣-٢٠١٧

في عيد الأمّ

كلما تذكّرتك، يا أمّي، وقد مضى اليوم على رحيلك خمسةٌ وثلاثون عامًا

تبيّنت أنّ شواغل الحياة منعتني من أن أُوفّيك ما تستحقّين من البِرّ والإحسان...

فيحزّ ذلك في نفسي كثيرًا!

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٢١-٣-٢٠١٧

في ظهيرة الحادي والعشرين من شهر تموز/ يوليو ٨٢

في ظهيرة الحادي والعشرين من شهر تموز/ يوليو ٨٢

اجتمعت ذرّيتُك لوداعك الأخير

دخلنا عليك واحدًا واحدًا وقد أغرقوك في البياض

وما دريت أني، أنا الأكبر سنّا، سأكون أغزرهم دمعًا، يا أمي!

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ٢١-٣-٢٠١٧

أعرف أنه ما كان في وُسعك أن تُفيديني من علم عندك

أعرف أنه ما كان في وُسعك أن تُفيديني من علم عندك، وأنت تنعطفين عليّ طفلاً صغيرًا يراك تقرئين بالجهد قِصَار السُّوَر

ولكني على يقين من أنّ معاناتك في الحياة، زوجةً وأمًّا لثمانية، قد مكّنتني من أن أصبح كاتبًا يُحسّ بأوجاع الناس ويُحسِن التعبير عنها، يا أمي!

دمشق الشام: عصر الثلاثاء ٢١-٣-٢٠١٧

الذكريات الأليمة!

ذات مرة، في أثناء عودتي من بيروت إلى دمشق في العام ١٩٧٠ (أو ما حوله)، اتفق أن تجاورنا في السيارة أنا والأستاذ "ربحي كمال" أستاذ "اللغة العبرية" في آداب دمشق. وبعد التعارف حدّثته عن إعجابي بمقالة له كنت قرأتها في مجلة تصدر عن وزارة السياحة، موضوعها أنّ اللغة التي يتكلمها سكان مدينة "معلولا" وما جاورها في الريف الشمالي لدمشق، والتي يقال إنها "اللغة الآرامية" التي كانت تُحكى في زمن السيد المسيح، هي بعيدة كلّ البُعد عن الآرامية الأدبية كما وردت في المخطوطات القديمة، ذلك أنها كانت تنتقل من جيل إلى جيل شفويا بعيدا عن الكتابة والقراءة، فظلت تنصرف إلى العامية على مدى قرون حتى بَعُد ما بين المحكي في معلولا ونصّ الإنجيل المدوّن بالآرامية الأدبية. ودلّل في مقالته الصغيرة والمعمّقة على أنّ دارسي الآرامية يتعذر، أو يستحيل، عليهم فهم ما ينطق به سكان هذه المدينة التاريخية. وأذكر أنه استحسن استيعابي لمضمون المقالة.

وكنت قرأت في الصحف قبل ذلك، أنّ الأستاذ ربحي كمال، وهو من أبناء فلسطين (مولود في القدس عام ١٩١٢) الذين نزلوا سورية في أيام النكبة وقد أفاد بمعرفته اللغات القديمة طلابَ كلية الآداب، أنه ترك العمل في التدريس بسبب بلوغ السنّ مُخلدًا للراحة... ولكنه أفضى إليّ بحميميّة أنه في توحّده بعيدًا عن التدريس، بدأت تهجم عليه الأفكار والذكريات عمّن «أساؤوا إليه في حياته العلمية والعملية»، وتخلّصًا من هذه الحالة عاد إلى التدريس!

أقول: إني تركت الوظيفة الرسمية عام ١٩٨٢ قبل أوان التقاعد وأنا مدير في وزارة التعليم العالي، لمضايقات عانيتها، وأعترف أني ظللت أتحلّل من تداعيات تلك المعاناة بكتابة القصص التي تنفّس عني وتخفّف الألم، ولما انتسبت إلى "الشبكة العنكبوتية" وأصبح لي فيها صفحة، اتّسع أمامي مجال التعبير بخواطر ومقالات تُزيح الهمّ عني، لكنْ بعضه لا كلّه، لتراكمِ جديد من الهموم!

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٢-٣-٢٠١٧

لم نقرأ في تواريخ الأمم الغابرة

لم نقرأ

في تواريخ الأمم الغابرة

أن مواطنين يفرحون حتى الشماتة

لقتل مواطنين من أبناء أمتهم

بأيدي غرباء

إلا في زمن الناس هذا

دمشق الشام: ضحى الخميس ٢٣-٣-٢٠١٧

كل الأطراف المتنازعة في الساحة السورية...

كل الأطراف المتنازعة في الساحة السورية...

كلما أراد أحدهم أن يضرب أعداءه قتل في طريقه المدنيين!

دمشق الشام: فجر الخميس ٢٣-٣-٢٠١٧

يا أصدقائي

أعترف لكم

بأني أذرف الدموع أحيانًا

وأنا أكتب لكم

وما أذكر مرة أني من فرح بكيت

دمشق الشام: صباح الجمعة ٢٤-٣-٢٠١٧

معزوفة الفجر

ظللت في سريري اليوم ساعة

وأنا أصغي إلى معزوفة

يتساقط فيها الموت على مدينتي

وما أعرف

هل يصيب من يَبْرعون في لعبة الهرب والتواري؟

أم الذين باتوا يُحسنون تلقّي ضربات الموت؟

دمشق الشام: صباح الجمعة ٢٤-٣-٢٠١٧

حبّ الشقيقات

كم ذا أحبّ شقيقاتي.

الكبرى "سعاد" (أم منار)، كنت أزورها في بيتها في "زقاق الزهراوي" بحلب قبل انتقالها إلى "حي السبيل"، و"ملك" (أم ماجد) التي تصغرني بسنتين، أزورها في بيتها في "حيّ الفرافرة" قبل الانتقال إلى "حي سيف الدولة"، وأما الأصغر قليلا "سهام" (أم خالد)، التي تزوجت إلى مدينة "إدلب"، فقد كنت كلما قدمت إلى حلب، أسافر إليها أقضي بين أطفالها يومًا على الأقلّ، إلى أن انتقلت إلى حلب لتمكين أولادها من الدراسة بالجامعة، و"ضحوك" (أم فريد)، مدرّسة اللغة الإنكليزية في مدارس حلب، نزلت عندي بدمشق هي وزوجها مكرّمين في أيام صحية صعبة، وكتبتُ يومًا عن مدى تفانيها في العناية بشريك عمرها الذي اختطفته المنيّة باكرًا.

وماذا أكتب عن شقيقاتي، وأُعدّد؟ إنهنّ ثمانٍ بين أحدَ عشرَ من الأشقاء... نعم كان أبي "أبو السعود" - القادمُ من حمص مع ذويه إلى حلب عام ١٩١٥ وهو في الثامنة من عمره - منجبًا، وأحفاده اليوم قبيلة، شتّتتها الأحداث في كلّ اتجاه.

دمشق الشام: صباح السبت ٢٥-٣-٢٠١٧

إلى بلاد الهجرة، صقيع وشمس حارقة!

يوم كتبت إليّ إحدى شقيقاتي أنّ الشمس، حيث كانت تقيم في شتاء ذلك العام على ضفاف بحر البلطيق (دولة إستونيا الصغيرة)، لا تظهر إلا نصف ساعة في اليوم، أوشكت ألا أصدق ما تقرأ عيناي...

اليوم بعض ذرّيتي يسعون للهجرة إلى الشرق الأقصى (ماليزيا)!

أي "نكبة" تحلّ بنا، نحن معشر السوريين؟

دمشق الشام: ظهيرة السبت ٢٥-٣-٢٠١٧

غِناء الماء

في فلوريدا قبل عامين، عالجوا ضعف السمع عندي بسماعتَين على مستوى من التقنيّة، تولّت اصطحابي إلى "الوكالة" هناك حفيدتي العزيزة "ديمة"، ثمّ كان أن غادرتُ بُعيد ذلك تلك الديار، آخذًا بعض قطع الغيار المحتاجة، دون "الصيانة" التي قالوا إنّ ماركة السمّاعتين عالمية، مفترِضين أنّ لها في كلّ عاصمة في الدنيا "وكالة".

في الوطن... انتاب السماعتين وَهَنٌ بدأ ينال من رهافتهما عندي، فتوجّهت إلى وكالة بجوار "مشفى الطلياني" قريبا من بيتي، قلّبهما الرجل بين يديه، وأشاد بالماركة التي تنتميان إليها، ولكن مع الأسف ليس لها في البلد وكالة، وأشار عليّ بأن أنزل إلى بيروت حيث تتيسّر الصيانة، وإلا فإنّ عنده ماركة توازيها، والثمن هو كذا وكذا... فتعذّر عليّ الاختيار.

كانت بشائر الربيع تَهلّ، فأصبح صعبًا عليّ أن أستمع، أن أصغي، إلى قطرات الماء – وقد عادت المياه إلى مجاريها في حارتنا – وهي تتساقط على سطح البِركة، تثرثر، تُغنّي، وأنا أطرب!

عرفت أنّ أحدهم مسافرٌ في غده إلى هناك، فكان عليّ أن أتحمّل افتقاد السمّاعتين مدة... صرت خلالها أُكثِر من أن أقول، "متل الختايرة"، لمن يحدّثني: «شو قلت؟ ما سمعت! علّي صوتك شوَي! ».

فجر هذا اليوم عاد ابني من هناك، وأسرع يُركّب لي في الأذنين سماعتين جديدتين، فكفالة السنتين لمّا تنقضِ.

في باكر الصباح... خرجت إلى الحديقة، وأعملت النافورة، وجلست أقضم لُقيمات من صندويشة اللبنة، بجوارها الزيتون منزوع البزر، والجبنة القشقوان، وكأس الشاي، ووراء ذلك حبّة من الفاكهة... وأصغي إلى غناء الماء وشدو العنادل والطيور.

لكن... كان يطغى على ذلك، أحيانا، هديرُ الطائرات تجوب الفضاء!.

دمشق الشام: مساء الأحد ٢٦-٣-٢٠١٧

وصفوك فأكلوك!

كان أبي وعمّي الأكبر، المتشاركان في العمل وفي السكن المنزلي، يزورهما في بيتنا بحلب، مُساهرًا كلّ ليلة، ابن خال لهما هو "مراد، أبو أسعد"، وكان هو البلبل الغرّيد في سهراتنا العائلية التي تخصّ الرجال، وكان يستهويني - مذ كنت طفلا - بحكايات يرويها وذكريات يستحضرها، حتى ليُمكنني القول بأنه كان واحدًا من "المعلّمين" خارج نطاق المدرسة الذين أخذت عنهم منذ طفولتي الأولى.

مرة، وأنا فتى، تراءى لي أن أعرض في السهرة ما قرأت في مجلة، من أنّ الأوروبيين في تدريسهم أولادهم قواعد اللغة يأتون بمثال هو «قطف جان زهرة»، ونحن مثالنا المتكرر في النحو العربي «ضرب زيدٌ عَمْرًا»، وظننت أني قلت جميلاً، وإذا ابن الخال ينبري لي: «ما شاء الله عليهم ما ألطفهم! جان عندهم يقطف زهرة، ويأتون إلينا يحتلّون بلادنا ويقطفون رؤوس العباد! »، ومع أنّ ردّه أفحمني وأبطل كلامي أمام رجال الأسرة، فإني رأيت في قوله صوابًا كثيرًا، وصرت أمعن النظر في المقروء وفي مشاهد الحياة.

لكن ليس كلّ ما كان يقوله ابن الخال أبو أسعد صحيحًا أو سائغًا. لمّا شببتُ عن الطوق، وأنا أدرج في التعلّم وفي قراءة كتب الأدب، لاحظت أنه يُسرف في تناوله "أبا العلاء المعري" بالنقد والتشنيع، من ذلك يقول ويُضحك السامرين أنّ أبا العلاء كان يرفض أكل اللحم،

ويذكر "راويةُ العيلة" أنّ المعري قال يخاطب "الديك" مشفقا عليه من الذبح: وصفوك فأكلوك... والقوم يضحكون على أبي العلاء، الغائب عن مجلسنا!

فغاظني منه ذلك، وكنت قد أصبحت في صفّ البكالوريا، فاعترضت عليه، مقلّدًا إيّاه، مع التزيّد في المفردات، قلت بطريقة هزلية:

«ما زلت تشنّع على الرجل بقولك: وصفوك، وذبحوك، ونتفوك، وطبخوك، وأكلوك، وهضموك، وقهقهوك، وبغبغوك... خلَص بقى! حلّ عن طرف الزَّلَمَة!».

وإذا الجميع يضحكون ضحكًا لا مثيل له.

وكان أستاذنا قد روى لنا من شعر فيلسوف المعرة، ما أدار رؤوسنا:

في اللاذقية ضجّةٌ ما بين أحمد والمسيحْ

هذا بناقوس يدقّ وذا بمئذنة يصيحْ

كلٌّ يُعظّم دينَه يا ليت شعري ما الصحيح!

بعدئذ، وأنا أمضي في درب العلم والأدب، أصبح ابن الخال أبو أسعد يكفّ ويعفّ... وظللنا "صديقين"، إلى أن استأثرت رحمة الله بكلّ من كانت تضمّهم مجالس السمر تلك، وكان هو آخر الراحلين.

إنها الأيام والليالي.

دمشق الشام: فجر الأحد ٢٦-٣-٢٠١٧

وفي "مطار ألماظة".. حجزوا جواز السفر!

أعرف أنّ الاسم الشخصي المركب من جزأين يسبّب شيئًا من الإرباك عندما يُكتب بالحرف اللاتيني على جواز السفر، وأعرف أيضا أنّ ما يتّصف به اسمي من "الطول" كان

يربكني وأنا في بلاد الغرب، فاسمي الصغير - كما طاب لجدّي لأبي أن يطلقه على أول أحفاده الذكور - هو "محمد فاضل"، وزيادة على ذلك أنّ اسم أبي هو "أبو السعود" جزءان أيضا، فيكون اسمي الكامل "خماسيًّا" وليس ثلاثيًّا كما يُطلب من بعض الجهات عادة.

والسالفة[1] التي أرويها الآن في هذا الخصوص، تأتي طرافتها أو غرابتها ليس من "طول" الاسم بل من الجزأين الأولين فقط من اسمي، وقد وقعت لي عند أول سفرة لي خارج البلاد، وساعة نزولي في "مطار ألماظة" بالقاهرة، في مطلع شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٠.

فقد تشابه اسمي مع اسم واحد من الناس "مطلوب" للعدالة بقضية "مخدرات"، كان من أبناء المدينة التي أنتمي إليها، حلب، اسمه "محمد" وأسرته "فاضل"، ولأنّ "الاشتباه" لم يكن كاملا فقد اكتفوا بأن حجزوا جواز سفري، وطلبوا مني أن أراجع بعد يومين وزارة الداخلية، جهةً سمّوها لي "القسم المخصوص"، ولم تشفع لي "هيئتي"، ولا شبابي الغضّ، ولا تصريحي لهم بأني قَدمت إلى مصر للدراسة الجامعية وليس لأي غرض آخر.

في الوزارة بعد يومين، كنت في مكتب سكرتير "اللواء" الذي يدير القسم، ودخلت في حوار مع هذا السكرتير، وكان ممّا قلت له إنه واضح أني لست الرجل "المطلوب"، فذاك اسمه الكامل "محمد فاضل"، وهو اسم يشكّل اسمي الصغير الأول فقط... وكلام من هذا القبيل، أملته عليّ حماسة الشباب وكراهيتي للغباء!

الذي فطنت إليه فيما بعد، أنّ صوتي كان مرتفعا بعض الشيء في حضرة هذا الضابط الصغير، فرأيته يرفع صوته هو الآخر قائلا: «انت حَ تعلّمنا شغلنا والا إيه!».

فقلت: «أنا مش بعلّمك، لكن لو نظرتم إلى اسم الأب واسم الأمّ وسنة الميلاد...

---

(١) الحكاية

لانجلت الحقيقة».

ودخلت إلى رئيسه... فلما رآني غضّ بصره، وفتح درجًا في مكتبه، وناولني جواز السفر المحجوز، مع كلمة اعتذار.

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٢٨-٣-٢٠١٧

أبو العَيْران.. في حارتنا

كان يُجاور "زقاقَ الزهراوي" بحلب - الذي اكتحلت عيناي بالنور في أحد بيوته ذات الطراز العربي وما كان لي أن أنساه أبدا - ما يسمّى "السّويقة"، تباع فيها الخُضَر والفاكهة، والخبز نخبزه عند الفران "أواديس"، ولحم الضأن نشتريه من القصّابَين "محمد ياسين" و"الظاظا"، وكذلك كلّ ما يحتاج إليه الأولاد من اللوازم المدرسية أو ما تشتهيه نفوسهم من "الملبّس" المغشّى بالسكر أو القضامة المالحة، من عند "الحاج أحمد بلبل" الذي نرى إحدى أذنيه وكأنها "مأكولة" من جانبها!

أقول: كان في سويقة حارتنا بيّاع للّبن (ما يسمّى في مصر "لبن زبادي")، نأتي إليه بالصحن، فيضعه في كفّة الميزان ويعطينا لبنًا غير مغشوش، أكسَبه ثقة أهل الحيّ، وإنْ سمعت في السوق مرة مَن يُعرّض بهذا البيّاع، الذي كنا نطلق عليه "أبو العَيْران"، أنّ "علبة اللبن" (وكان اللبن يُعبّأ ويُنقل في عُلب من خشب مستديرة الشكل)، إنْ وجدها "محمّضة" دلقها في الإناء الزجاجي ذي الحنفية من أسفله، يخلط فيه اللبن بالماء والملح وقطع الثلج، ويبيعه "عَيْران"!

أستطيع اليوم، بعد مضيّ سبعين ثمانين سنة، أن أستعيد صورة "أبو العيران" الذي كان في سنّ الكهولة، سمينا، مورّد الوجه، يلبس "الصاية" والزنّار، ويتعتل قبقابا عاليا، دكانته صغيرة بعمق ّمتر لا أظنّه يزيد، وكنت أتساءل كيف تستوعب محتوياتها عند الإغلاق!

مرة وأنا أنتظر أن يزن لي طلبي من اللبن، رأيته يحمل علبة بما تبقى فيها من لبن ليدلقه في الإناء فوق، فتزلّ قدمه وينزل على الأرض المبلولة محتضنًا العلبة، فيُهرع إليه بعض "أقاربه"، الذين يبيعون الفول والحمّص للآكلين في دكان تواجهه، يُنهضونه سليمًا لكن مطروشًا باللبن، فكنت وأنا أشاهد لا أعرف: أزعل على أبو العيران لابس القبقاب العالي، أم أضحك!

استطرادًا أقول: إنّ واحدًا من أفراد أسرة أبو العيران، وهم من "بيت رضا مجوّز"، لمع اسمه في التعليم والثقافة، هو "الأستاذ علي رضا"، له كتابٌ اشتُهر أمره عند دارسي النحو عنوانه "المرجع في اللغة العربية" من ثلاثة أجزاء (حلب ١٩٦٢)، وهو على غرار كتاب "جامع دروس اللغة العربية" للغلاييني ولكنه أكثر منه تبسيطا وتسهيلا، وقد عاش الرجل ما بين ١٩١٠-١٩٧٠.

وعن العيران، الذي عرفتُه صغيرًا بحلب ومنتشرًا في بلاد الشام، لم أره بالقاهرة في أثناء دراستي هناك في الخمسينيّات. وهو مستحدَثٌ في بلادنا، أتى إلينا من تركيا أوائل القرن العشرين، يحمل معه اسمه بالتركية "آيران"، فكان «حديث الناس» بحلب، كما يروي العلامة "الأسدي م. خير الدين" في عمله الكبير "موسوعة حلب المقارنة"، ثمّ انتشر معبّأ بالقناني عند باعة الأشربة الغازية وكذلك عند بائعي الوجبات السريعة وفي المطاعم.

وعن الحاج أحمد بلبل، سألت أبي عن أذنه كيف "أكلت"؟ فحدّثني بأنه، بعد عودته من الغربة في أمريكا اللاتينية يحمل ما ادّخر هناك، طمع به أخ له يعمل حمّالًا في الأسواق، وطلب منه فامتنع عليه، وكانت بين الأخوين مشادّة انتهت بأن قضم الحمّال أذن أخيه! دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٩-٣-٢٠١٧

مسؤول ثقافي.. "يُغَيِّبني"!

أخذ على عاتقه أن يمنع اسمي من الظهور على صفحات المجلات التي تصدر عن

مؤسسة بات يرأسها منذ قريب (كنت قد شاركت في تأسيسها قبل أن تُبصر عيناه ضوء النهار)، فهو ونائبُه ما زالا يمدّان الأصابع تستبعد كلّ مقالة أو دراسة أكتبها أو تُكتب عن أدبي قد رُشّحت للنشر في هذه المجلات!

آخر ما هنالك – دعوني أروي لكم – أنّ دراسة موثّقة وضعتُها عن قاص وروائي متميّز هو "أديب نحوي" (وزير العدل في سبعينيّات القرن الماضي)، بعثت بها إلى واحدة من هذه المجلات، سألت عنها فيما بعد، فوعدت مديرة التحرير بقراءتها، وفي الاتصال الهاتفي الثاني فهمت منها ما يشبه الوعد بأنها سوف تُنشر في العدد القادم (بعد قريب)، هذا الذي افتقدتُ فيه دراستي، فتريّثت في السؤال إلى ما بعد البَعد، فكان أن أجابتني السيدة عفو الخاطر بأنها اللحظة كانت في حديث مع إحداهنّ عن الدراسة، ثمّ تعللت – مضطرة كما أظنّ – بأنّ هناك "هيئة تحرير" يؤخذ رأيها! ولأني ظللت أياما أحاول الاتصال بها عبر هاتف المؤسسة حتى ظفرت، فقد سألتها رقم جوالها، فاعتذرت... وهنا وجب عليّ أن أتأكد من أنّ "الأصابع" قد أدركت دراستي. وقع لي هذا عندهم للمرة الثالثة!

ولا أرى بأسا، أيها الأصدقاء، في أن أروي لكم سالفة وقعت لي في نهاية القرن الماضي.

قَدِم إليّ من حلب أخي "نادر السباعي" يصحبه طالب ماجستير في آداب جامعة حلب، بقصد أن أتولى نشر كتاب له في النقد الأدبي كان قد فرغ لتوّه من تأليفه، يتناول فيه باقتدار أعمالا قصصية لكتّاب حلب في تسعينيّات القرن العشرين! (وبين قوسين: لم يتناول فيه واحدة من مجموعتيّ "اعترافات ناس طيبين" و"آه، يا وطني! " اللتين صدرتا في ذلك العقد من السنين، ما جعل أخي نادر، وهو كاتب روائي، يلومه على هذا الإغفال الذي ينفي عنه فضيلة النزاهة، فاستدرك ذلك وجاءني بالكتاب فرحا!). وأذكر أني سألت في ذلك اللقاء "المؤلف" لو يتعهّد لي باقتناء قدر من النسخ يقوم بتوزيعها بمعرفته في حلب، ترويجًا وتخفيفًا للعبء، فإنّ

موضوعه من "ضِيق المساحة" حتى لا يُعنى به غير قلة من الدارسين: القصة في حلب، وخلال عشر سنين... أذكر ما نقله إليّ أخي بعد ذلك من غضب هذا الكاتب الشاب عليّ بسبب اقتراحي.

أسأل: أما آن لهذه العقلية "الإقصائية" أن تغيب من حياتنا العامة، فلا نُمكّنَها من أن تعمل على تغييب الآخرين؟

دمشق الشام: ضحى الخميس ٣٠-٣-٢٠١٧

أوقيّة "كباب".. عند القصاب "الظاظا"

على ذكر "أبو العَيْران" في "السويقة" المجاورة لبيت الطفولة في "زقاق الزهراوي" بحلب، وفيها القصابان "محمد ياسين" و"الظاظا"، رأيت بين المعلقين (الأربعاء ٢٩-٣-١٧) بنتَ حارتنا "الدكتورة سهام عدّاس"، تعرف السويقة وتتجاوز إلى تذكّر أجير الظاظا، يحمل الطلبات إلى المنازل، يقطع المسافات بخطواته الواسعة والقدمان منه حافيتان، و"الأنكَري"[1] على رأسه متوازنًا لا يميل!

استدعى ذلك عندي سالفة لطيفة تعود إلى الماضي الجميل.

كنا نحن ثلاثة فتيان من الأقارب، أكبرُنا "محمود" والتالي "عبد البديع" وأنا، والفارق بين الأعمار لا يعدو السنوات الثلاث.

اتفق أن عَهِدت الأسرة إلينا بأن نتسوّق غرضا ما، ثمنه ثلاثون ليرة (بعملة العام ١٩٤٦ زمان ولى فليرحمه الله!). فلما ذهبنا لتسلّمه تحصّل لنا في "الصفقة" وفرٌ مقداره ثلاث ليرات. ولم يَطُل تفكيرنا في أين ننفقه، فتوجّهنا – وقد أثار البرد فينا الجوع – إلى القصاب "الظاظا" في

---

(١) الصحن النحاسي الكبير

السويقة، التي كنا قد انتقلنا بسكننا من "الزهراوي" إلا أنّ الزهراوي ظلّ يسكن خواطرنا.

دخلنا محلّه، وكان ذا سعة، وطلبنا ثلاث أوقيّات من الكباب، والتمسنا منه أن "يتوصّى" فنحن "أولاد حارة"، فقَدّم لنا الكباب مع "البيواظ"[١]*، وما فاتنا أن نطلب "تقْلي"[٢] عيران من عند أبو العيران، وأكلنا، وضحكنا كثيرا، فالغداء جاءنا منحة من السماء... وكلّ هذا بثلاث ليرات سورية!

محمود، وهو أحد أعمامي من أمّ مصريّة، عاد من يومئذ إلى مصر، وفيها عمل وعاش وأنجب. سألته عام ٢٠٠٧ وأنا بالقاهرة عن هذه الواقعة، فإذا هو يذكرها بتفاصيلها، وهي بالنسبة إليه لمحة من ذكريات الوطن، وطن أبيه جدّي "الحاج سليم السباعي"، ذكرها لي وهو في حالة وجد وحنين.

قضى محمود بالقاهرة عام ٢٠٠٨، وتأخّر عنه عبد البديع إلى ٢٠١٤.... وإني أنتظر.

• الأنكري: عن التركية: "لنْكَري" (على أن تُلفظ الكاف جيما مصرية): الصحن النحاسي الكبير، وخاصة إن صُفّت فيه مثلثات الخبز وسُكب مرق الكرز- الوشنة، فوقها كرات اللحم والبقدونس ورُشّت القرفة!

• البيواظ: عن التركية: "بيفاز" (على أن تُلفظ الفاء على صورة V): أطلقوها على المشهّيات تقدّم خُضرةً مع الطعام، وخصّوا بها مفروم البقدونس والبصل يُرافق الكباب.

• التقْلي: من التركية "دوكْلي": أطلقوها في حلب على الإبريق الزجاجي يُصبّ منه الماء

---

(١) البيواظ الحلبي هو شبيه السلطة، يُقدَّم حصراً مع وجبات مشاوي اللحم كالكباب والمعلاق. ولا يعدله شيء من المقبلات مع الشواء. قِوامه البصل والبقدونس والليمون والملح والفليفلة الناعمة. ولعل أصلها فارسي بمعنى الاستحسان، أو من الكردية بمعنى البصل. والله أعلم.

(٢) إبريق.

للشرب، وفي دمشق إبريق، وعرفتُه في مصر "الشَّفْشَق".

والظاظا عشيرة كردية كبيرة تقيم في مدينة عين العرب (شمال سورية)، وفي حلب يقولون: شبٌّ ظاظا، يريدون مليح القوام وأنيق الملبس. وكان الكباب الذي قدّمه لنا القصاب الظاظا، طيّبا لحمًا وشواء!

دمشق الشام: فجر الجمعة ٣١-٣-٢٠١٧

وجاؤوا البيت يسألون عني في غيبتي

رأيت قبل قليل، فيما يرى النائم، أني خرجت من بيتي (وهو غير هذا الذي أسكن فيه) لأتسوّق أغراضًا للبيت.

فجاء رجال أمن يسألون عني، وكنت تركت في البيت أحفادًا لي وأسباطًا، فأعلموهم بغيابي، فجلسوا ينتظرون عودتي.

أحد الأحفاد تسلّل يخبرني، فأسرعت نحو البيت لا بعيدًا عنه... وفيما أنا أُوسع الخُطا استيقظت.

أروي لكم هذا، مؤكدًا أنّ مَن يضايقني في الوطن منذ عودتي إليه، ليس "رجال الأمن"، بل بعض "رجال الثقافة والأدب والإعلام"، في الداخل وكذلك المنتمون إليهم العاملون وراء الحدود... فهل هم "يدزّونهم"[1] عليّ غير مستحسنين مواجهتي؟ أم أنّ الأمر طبيعيّ هكذا!

دمشق الشام: ظهيرة السبت ١-٤-٢٠١٧

"سيخ كباب" ملفوفًا برغيف من "الخبز السوقي"

في صغري، وأنا في الخامسة أو ما حولها، كان الجدّان - لأبي ولأمي - يوليانني محبّتهما

---

(١) يطلقونهم علي.

الغامرة، فأنا أول الأحفاد أو الأسباط لهما، وأعني من الذكور فقد سبقتني إلى الوجود شقيقتي "سعاد".

كان جدي لأبي يصحبني من بيتنا في "الزهراوي" (بحلب)، نازلا "سوق المنجّدين" إلى "السويقة"، يقف في باب القصاب "محمد ياسين" ويطلب منه "سيخ كباب" معبّأ في رغيف من "الخبز السوقي" (الأبيض مرشوشا عليه حبّة البركة) مع ما تيسّر من البيواظ، وملفوفا على شكل "عروسة"[١]، أتسلى بقضمه، وأنا بصحبته متجولا في السويقة يشتري حاجات للبيت.

طعم ذلك الرغيف ما يزال تحت أضراسي منذ بضعة وثمانين عاما.

رحم الله الأجداد.

دمشق الشام: ضحى السبت ١-٤-٢٠١٧

«كنّتنا طالعة لأمّها!»

كانت جدّتي لأمي - "بهيجة" - جميلة من الجميلات، تزوجت من جدي وهي في الرابعة عشرة، وكان أول من أنجبت أمّي، تلتها ثلاث بنات لم تُقدّر لهن الحياة (كما كان يحدث في الماضي لقصور في الوعي الصحي)، بعدهنّ وضعت ثلاثًا أخريات كُتبت لهنّ الحياة، ثمّ ثلاثة صبيان سليم وأحمد ومحمود.

ما أريد قوله أنّ جدّتي عُرفت بين صويحباتها بأنها "تضع البنات"، وهذا أمر غير محمود في ذلك الزمان، حتى اليوم في بعض الأوساط.

تزوجت ابنتُها البكر، أمي، وهي في الرابعة عشرة أيضًا، من أبي وهو في العشرين.

هل كانت جدتي لأبي تخشى ألا تضع كنّتها غير البنات؟

---

(١) صندويشة

لما وضعت أمي حَملها الأول، وكان أنثى (هي اليوم أمّ للدكتور "منار" صاحب مجمع طبي شهير في الدوحة)، صرّحت الجدّة بأنّ «كنّتنا طالعة لأمّها!»... وطقّت[1] هذه الكلمة في أذن أمي وهي في النّفاس!

دمشق الشام: ضحى السبت ١-٤-٢٠١٧

المرأة.. التي علّمتني أن أكون في صفّ الإنسان المقهور

مقتطف من قصة:

«... كانت أمّنا تأوي بنا إلى النوم وقد هدّها التعب والعَياء بعد نهار مُجهد، في حين يكون أبي منصرفًا إلى شأنه خارج البيت. وساعة يعود في منتصف الليل، تكون أمي قد أوصدت باب غرفتنا بالمزلاج. هو يخبِط الباب من الخارج، وهي تقول له بعناد:

ـ عد من حيث أتيت!

وما كنّا نحن الصغار الخمسة، نعرف من أين يأتي أبونا متأخّرًا، ولا إلى أين يجب أن يعود! ولكنّا نعلم أنه يضطرّ، آخر الأمر، إلى المبيت في غرفة أمّه.

وفي الصباح نسمع أمي تدافع عن تصرّفها أمام حماتها:

ـ لا أريد بقية زوج!

وجدّتي تُحذّرها:

ـ إن ظللت على هذا العقل، هَهْ (وتُمسك بخُصلة من شعرها المحنّى) إذا ما طقك بضرّة!»

من قصة "صغير على الهمّ"

الكتابة: آب/ اغسطس ١٩٨٠

---

(١) دَوَتْ

مجلة "الفيصل " الرياض، العدد ٥٢، شوال ١٤٠١هـ/ آب ١٩٨١م

كتابي "الألم على نار هادئة" (طباعة: ١٩٨٥، ١٩٩٠، ٢٠٠٢)

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ليل السبت ١-٤-٢٠١٧

معطف لصَبيّة في بيت من سبعة أشقاء ذكور!

منذ خمسين عاما ويزيد كان بيننا، في الدائرة الرسمية التي أعمل فيها بحلب، زميلٌ نعرف أنه واحد من سبعة أشقّاء ليس بينهم بنت!

يحدّثنا، بمرح، أنه إذا اتفق أن زارت بيتهم صديقةٌ لأمّهم ترافقها ابنتها الصبيّة، فذلك يكون يومًا جميلاً في حياتهم، وإذا همّت البنت بأن تخلع معطفها والدنيا شتاء، هُرعوا لتناوله منها وتعليقه على المشجب بعناية، وربما قال إنهم يتملّون النظر من المعطف المعلق بعيدًا عن الأعين، و... قد يشمّونه!

دمشق الشام: عصر الأحد ٢-٤-٢٠١٧

أسماء "الآغا" و"البيك" و"الباشا" في ظلّ الحكومات التقدميّة

كانت أمي، يرحمها الله، تنتمي إلى أسرة صغيرة يحمل الأب - جدّي - اسم "فايق سليم آغا"، وربما كانت أصولها كردية أو تركية، على نحو ما تتعانق في بلدنا المكوّنات، الدينية والطائفية والإثنيّة، لتشكّل هذا النسيج الديمغرافي البديع.

وكان لي خالان يعملان موظفين في الحكومة، "سليم" الذي يكبرني بسنتين و"أحمد" يصغرني بمثلهما. وأذكر أنّ ما كان يُمتعني في طفولتي، أن نذهب مع أمّي إلى بيت أهلها، نقطع "سوق النحاسين" لنصل إلى تلك الحارة المسدودة المسمّاة "خَرَبْخان" (تسمية لا أرتاح لها،

سألت تاريخ حلب عنها، فأجابني بأنه مرّ على هذه الحارة زمنَ العثمانيين حريقٌ أتى عليها، فوُسِمت بهذا الاسم التركي الذي يعني المحلّ الخرب أو "الخَرَابة"، عَلِق بها حتى بعد أن جُدّدت عمارتها!)... وفي بيت الجدّ كنا نمارس "المصارعة"، الرياضة المتاحة لنا، على الفُرش الممدود، أنا وخالي أحمد ضدّ أكبرنا سليم، نغلبه أو يغلبنا.

عفوًا، طال التمهيد، لأقول: إنه، في عهد الوحدة، لوّح النظامُ التقدّمي بيده لأصحاب الألقاب الموروثة، حتى إنّ غوغاء نزلوا إلى الشوارع في مدينة حماه يهزجون: «ما في آغا ما في بيك * بدنا نشيلُنْ بالكْريك» (والكريك هو الأداة يُجرف بها التراب والقمامة)، وبدا أنّ خالي سليم مسّ قلبَه الخوف فذهب يرفع دعوى "يُعدّل" فيها الاسم إلى "سليم فايق"، واستبقى أحمد الاسم "سليم آغا"، واليوم أبناء العمومة يحملون اسمين مختلفين! وأضيف إنّ واحدا من إخوتي الصغار، كان كلما التقى بخاله سليم يسأله مازحًا: «شو بيقربك الممثل "حسن فايق"؟ ».

ويطيب لي، هنا، أن أذكر حبيبتنا "ستّ الشام الجديدة"، الأديبة "ألفة الإدلبي". كانت كُتبها الأولى في الخمسينيّات تحمل اسم "ألفة عمر باشا"، وإذا به يتحوّل إلى "ألفة الإدلبي". ولما جرى حديث بيني وبينها، في العام ١٩٩٥، لأنشر كتابين لها، سألتها عن هذا التغيير؟ فأفصحت – رحمها الله – بأنها أرادت في أيام الوحدة أن تتخلّى عن كلمة "باشا"، فتسمّت "ألفة عمر"، لكنها رأته اسمًا مبتورًا، فاتجهت إلى اسم زوجها فأصبحت "ألفة الإدلبي". إلا أني في الكتابين (اللذين تولّت نشرَهما "دارُ إشبيلية" التي تخصّني: "عادات وتقاليد الحارات الدمشقية القديمة" و"ما وراء الأشياء الجميلة")، كنت حريصًا على أن أُتوّجهما باسمها الكامل المُكمّل: «ألفة عمر باشا الإدلبي».

وما لا يفوتني ذكره أنه برزت، فيما بعد، كاتبةٌ حفيدةُ أخيها الشابة "رامة"، فنشرت دار

إشبيلية كتابين لها من قصص الأطفال البديعة، "حكايات النملة مبروكة" و"طبيبة الغابة" وكان أن اتفقنا هي وأنا على أن يكون الاسم "رامة عمر باشا الإدلبي"، فزوجها يحمل بالمصادفة اسم هذه الأسرة.

دمشق الشام: ضحى الأحد ٢-٤-٢٠١٧

ليس صعبًا إعدادي فَطوري الصباحي

ليس صعبًا إعدادي فَطوري الصباحي، صندويشة جبنة أو مرتديلا أو لبنة، بجانبها كأسُ شاي وقليلٌ من الزيتون تتبعها حبّة فاكهة...

لكني أشتهي، أحيانًا، لو تُقدِّمه إليّ يدٌ حنونة وأنا في الحديقة أستمع إلى ثرثرة الماء يتساقط على سطح البركة!

يقولون إني "صعب" لا يرضيني إلا ما تصنع يداي، وفي هذا القول كثير من الابتعاد عن الحقيقة.

دمشق الشام: صباح الاثنين ٣-٤-٢٠١٧

هل كُتب علينا أن نظلّ نعاني

هل كُتب علينا أن نظلّ نعاني من فئة من الناس تعمل على حرماننا من حقوقنا وإيقاع الأذى فينا... لا لشيء إلا لأننا غير موالين؟

وهم، عدا المتعة التي يجنونها من الإيقاع بنا، يتقرّبون بأذيّتنا من السلطان!

سوف أكتب عن "نماذج" من هؤلاء.

دمشق الشام: صباح الاثنين ٣-٤-٢٠١٧

لم نكد نتحرّر من "برد" الربيع... حتى دهمنا "حرّه".

الربيع في سورية هو الفصل الأقصر مدة بين فصول السنة!

دمشق الشام: مساء الثلاثاء ٤-٤-٢٠١٧

خرجوا من بيوتهم في مدينتهم المحاصرة

خرجوا من بيوتهم في مدينتهم المحاصرة... ليستمعوا إلى كلمة أملا في أن تلقي إليهم بطوق نجاة...

صورة خالدة... تبكي أناسا، وتجلّل بالعار العالم الذي يسمى بالمتمدن...

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٤-٤-٢٠١٧

وتحاول إسرائيل

وتحاول إسرائيل

أن تُداري ضحكتها...

دمشق الشام: ليل الأربعاء ٥-٤-٢٠١٧

بين الحين والحين

بين الحين والحين

نجمع أطفالنا

الذين أغمض السارين[١] عيونهم

نرتّبهم في مهادهم

---

(١) مادة كيماوية سامّة محظورة

نكشف الغطاء عن وجوههم الجميلة

وثغورهم الفاغرة

ويأتي المصورون يصوّرون

تُنشر الصور في كلّ وسائل الإعلام في العالم

استدرارًا لعطف العالم

ونحن ندري أنّ هذا "العالم" هو وراء كلّ ذلك!

دمشق الشام: ليل الأربعاء ٥-٤-٢٠١٧

عندما كنت تلميذًا في مدارس حلب

عندما كنت تلميذًا في مدارس حلب

كنا نُردّد نشيد "يا تراب الوطن"

لم تكن أصواتنا تصدر من الحناجر، بل كانت قلوبُنا التي تُغنّي، آمالُنا، أرواحُنا:

يا تراب الوطن

ومقام الجدود

ها نحن جينا

لمّا دُعينا

إلى الخلود

كانت الكلمات، واللحن، وإشارات الأستاذ مجدي العقيلي، تجعلنا نرتفع بمشاعرنا، في أثناء الغناء، إلى السماء العالية، نُزيح المستعمر، نُعيد مجد الأجداد...

اليوم

الذي يرتفع إلى السماء العالية، بفعل فاعل... هو أرواح الأطفال

دمشق الشام: ليل الأربعاء ٥-٤-٢٠١٧

وليمة.. على أكلة "سَفَرْجليّة"

ظللت أطري "السَّفَرْجليّة" وجنبها رز (أو برغل) وفليفلة حمرا، أمام أصدقائي الدماشقة، حتى أغريتهم بأن يسألوني تناولها عندي في الحديقة تحت ظلال النارنج والياسمين، وأن يروا رأي العين كيف تُعدّ وتُرفع على النار.

أمس عند العصر استكملت شراء الموادّ التي منها تُطبخ هذه الأكلة الحلبية الفاخرة: ثمار سفرجل، ولحمًا مقطّعا على حجم "رأس عصفور"، ورمانا حلوا وحامضا، وحبّات من البندورة حمراء ناضجة. نظّفنا السفرجل من "غَبْرته"، بأن نقعناه في الماء قليلا ومررنا عليه بالفرشاة حكًّا وتنظيفا، واللحم سلقناه على حدة، والرمان فرطناه، وبالخلاط عالجناه، وبالمصفاة صفّيناه استبعادًا لعَجَمه... و"المعازيم" في ذلك ينظرون، ويساعدون، ويُبدون الإعجاب وهم يتلمّظون.

أقول: وجئنا بالسكين – المنشار، وعلى المفرمة قطَعنا من أول سفرجلة شيئا من الأعلى ومن الأدنى... وكانت مفاجأة أنّ ما بدا لنا في قلبها من لون لم يكن شبيها بلبّ شقيقها التفاح، بل كان لونا ضاربا إلى الدُّكْنة، تقول بنّيًّا، ظننّاها الثمرة الوحيدة قد أدركها الفساد، وبمرور السكين على أخواتها تبيّنّا أنّ الكلّ فاسد!

فقام بعضنا وحملنا هذه الثمار وما قطعناه منها، وأسرعنا إلى الخضري البائع، وله محلّ قريب منّا، اعتاد المشترون أن يقفوا، بأكياسهم الطافحة بما انتخبوه من الخضرة والفاكهة، في صفّين للوزن وسداد الثمن. فلما أطلعناه على ثمار سفرجله، وعرف أنّ المعازيم كانوا في الحديقة، يتفرّجون على إعداد طبخة "السفرجليّة" ويتلمّظون... كاد هذا الخضري اللطيف يذوب من

الخجل، وهو يقول:

ـ من شان الله لا تواخذونا! الآن يذهب أحدنا يأتي لكم بأحسن سفرجل بالبلد. كم كيلو أخذتم؟ أبعث إليكم بصندوق هدية. البيت نعرفه. نصف ساعة أو أقلّ. وتحياتي للمعازيم واحدا واحدا مع تقبيل الشوارب!

أعترف بأني هنا استرددت كبريائي أمام أصدقائي، وعدنا إلى البيت مطمئنين ننتظر.

أصدقائي الأعزاء.

كلّ ما أوردته أعلاه صحيح، إلا الأخيرة.

فنحن عندما أطلعناه على الفاسد ممّا باعنا إياه، قال في نبرة بائع يهتمّ بجمع الفلوس في هذا الزمن المنحوس:

ـ أنا شو دَخَلْني بهالمقال؟ نحن هيك اشتريناه من "سوق الهال". إذا كان طلع لونه بنّي، تفضل خود مصريّاتك!

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٥-٤-٢٠١٧

قرأت اليوم:

إذا كانت المعارضة هي من تسبّب في القضاء على الناس بالسارين

طيّب، لماذا لا يعلن النظام الحداد؟

أقول: لماذا نظلّ نحن وحدنا الحزانى!

دمشق الشام: فجر الخمس ٦-٤-٢٠١٧

إلامَ نظلّ نتألم ونبكي؟

قد ملّ منّا البكاء!

دمشق الشام: ليل الخميس ٦-٤-٢٠١٧

أيها النظام

ألا تخبرنا بحقيقة ما حدث في "خان شيخون"؟

فنحن في ذهول!

دمشق الشام: ليل الخميس ٦-٤-٢٠١٧

لماذا تقتلون أطفالنا!

أليس لكم أطفال؟

دمشق الشام: عصر الجمعة ٧-٤-٢٠١٧

اشتدّ بي الحزنُ، في هذين اليومين، مرتين

وكان حزن صاحبي، ونحن مختلفان رأيًا، في الثانية فقط.

دمشق الشام: عصر الجمعة ٧-٤-٢٠١٧

ما وراء غضب أمريكا

أيها الناس

ليُعلمِ الحاضرُ الغائب

أنّ ما يعتري، اليوم، أمريكا من غضب

على ما وقع في مدينتنا المنكوبة

ليس حزنًا على عيون الأطفال التي أُغمضت إلى الأبد

لكنها مخاوف عاودتها

من أن تكون، هنا، بقية من مخزون الأسلحة الفتاكة...

لاحظوا... حتى إسرائيل غازلها الغضب!

دمشق الشام: ضحى الجمعة ٧-٤-٢٠١٧

يوميّة.. قليلة الإملال!

جاءني صديقي، الذي يعرف بمقتضيات الفيس أكثر مني و"يُباريني" في كتابة الرواية باقتدار ما، ليلة أمس متأخرا عن الموعد. سحبنا من "الوورد" ملفّات أرسلناها، عبر البريد الالكتروني، إلى أصدقاء أراسلهم.

وفي الأحاديث التي تناولنا فيها هَمومًا صغارا وكبارًا، وفي إطلالته كالقليل على صفحته مستطلعًا ما ورد إليه من رسائل، تبيّنت أنّ الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، فعبّر لي، بوضوح، عن أنه «مختلف اليوم مع أمّه» - وأعلم أنهما يعيشان معًا بعد رحيل الأب - ويرغب في أن يبيت الليلة عندي. ثمّ، بعد إبدائه هذه الرغبة، لم يرض أن يصعد إلى غرفة عندي، "نصّيّة"، فيها سرير مرتّب، قال - في عناد الشباب وكأنه يوفّر عليّ جهدا - إنه ينام هنا "قاعدا" على الديوانة! فزجرته: «وهل تريد أن تخرج من بيتي صباح غد متوعّكًا! »، وأحضرت له ما يُريحه في النوم متمدّدًا على الديوانة.

استيقظت في الصباح، وتجوّلت على عادتي في أرجاء الحديقة، أعاين ما تفتّح هنا من براعم وأزهار وما نما هناك من أغصان، يُقلقني شيئًا ما أنّ أشجار الليمون والكبّاد (الأُتْرُجّ) لمّا تُزهرْ!

أطلّ عليّ صديقي، فجلسنا هنيهة... إلى أن عرضت عليه القهوة، نحتسيها على أنغام نافورة الماء تتساقط قطراته على صفحة البركة، فقام هو متلطّفًا يُعدّها.

بعد ذلك ذهبنا معًا، نشتري من فوال نوري باشا، الفول محضّرًا بـ"البَدْوة" يُغشّيه حبّ

الحمّص المسلوق، واشترينا خبزًا طازجًا، وقرونًا من الفليفلة (الكيلو بألف ليرة، ما شاء الله!)، وحبّات بندورة، وشيئًا من البرتقال والموز والتفاح. وفي البيت تعاونّا في تحضير المائدة قرب البركة.

بعد تناول الطعام، الذي "مسحنا" فيه صحن الفول مسحًا، تطوّع صديقي بأن يتولّى "جَلْي" الصحون، غَسْلها وكلّ ما استعملناه من أشياء، تاركًا لي أن أنظّف الطاولة في الحديقة!

وفجأة عبّر لي عن شوقه لأمّه – فقد زال الزعل – ومضى مشيًا إلى بيته غير البعيد.

عسى ألا أكون في حديثي هذا أمللتكم، أيها الأصدقاء. شكرا لمودّتكم.

دمشق الشام: مساء السبت ٨-٤-٢٠١٧

مساء اليوم أحسست ارتفاعًا في حرارة الجسم مع انحطاط في البدن

هتفت إلى صديقي الدكتور خلدون، الذي بدا أنه كان مستغرقًا في قراءة التعليقات على تلك الأكلة اللذيذة، فقال لي: لتكون تقّلتْ في المقلوبة!

دمشق الشام: ليل الجمعة ٤-٨-٢٠١٧

«أريد... أن أقووول... »

(لطفًا، اقرأ هذه القصة بعناية)

لم يكن يخطر في بالي السفر إلى ما وراء الحدود، فإنّ عندي هنا ما يُملي عليّ البقاء حتى آخر العمر. ولكنّ هاتفًا، أحسسته ينبعث من داخلي لحظة دقّت ساعة الحائط العتيقة معلنةً الحادية عشرة قبيل منتصف الليل، يأمرني بأن أسحب حقيبة السفر من فوق الخزانة، أنفض عنها الغبار، وأُلملم أغراضي وأرميها في قاعها.

لست أدري كيف خطر لي، الآن، لحظةَ نزلتُ فيها من بيتي، فاستوقفني على الرصيف رجلُ

أمن طلب مني أن أكتب اسمي ورقم هاتفي على استمارة بدا أنها تضمّ أسماء أهل الحارة كلّهم، وأذكر أنه شاء لي عبثي أن أمازحه: «وهل تنوي أن تأخذني إلى...؟ »، فغضّ بصره كالخجلان وهو يغمغم: «سامحك الله! ».

وتذكرت يومًا مررت فيه بثلاثةٍ يقتعدون الكراسي على رصيفِ مسؤول في حارتي، يشربون كؤوسًا ويُقرقرون، وقد خطر لي أن أُلقي عليهم السلام، فما ردّ أيٌّ منهم على تحيتي، بل رأيت الوجوه تتجهّم، ويعلو صوت "شفط المتّة". أحد أولئك الثلاثة هو من كان سجّل اسمي في تلك الاستمارة، التي أُقدّر أنها ذهبت إلى حيث يُضرب على "فيش" كلّ واحد منّا.

كانت هذه الصور الكئيبة تمرّ في خاطري وأنا ألملم وأرمي. تناولت قميصا معلّقا، ثمّ تراءى لي أن أستبدل به آخر سحبته من الخزانة. استبعدت المعطف الشتوي، فإنّ المكان الذي أنوي السفر إليه، عند هذا الفجر، هو مشتًى يقصده سكان المناطق المجاورة، وهناك كثير من المحلات التي تعرض الفائض من نتاج المعامل الكبيرة بأرخص الأسعار.

وتذكرت أني قرأت، قبل مدة في الصحف المحلية، أنهم استحدثوا عندنا "جهازا" إداريا سمّوه "الأمن الثقافي"، نصّبوا عليه مؤلِّف كتاب كنت تمنّيت أن "تتكسّر أنامله" ولا يكتب هذه القصص الخائبة! هل كان أخفّ وقعًا لو أنّ التمنّي كان تكسير قلمه؟

في تحضيري للسفر، تذكرت – وما أكثر ما أتذكر الآن! – قصة كنت ألّفتها عن رجل تتمثّل فيه الصفات التي في هذا المُسمَّى حديثا "الأمين الثقافي". يأتي إليّ، قبيل منتصف ليل، وأنا في المقهى العتيق الذي يرتاده الكتّاب، ليقول لي متلطّفًا: «منذ الساعة نحن "صافي يا لبن"! »، ثمّ ماذا؟ يعرض عليّ الدخول في رهان: أن أؤلّف قصة، في موضوع أختارُه، أبدأ في كتابتها لحظةً يتنصّف الليل، على أن أفرغ منها لحظة طلوع الفجر، فإن أنجزت فإنّ لي جائزة مقدارها ألف ألف من عملتنا الوطنية، تُمكّنني من شراء بيت أنتقل إليه من بيتي المستأجَر، وإن لَمْ... فهو

خساري سمعتي الأدبية أمام جماهير قراء الأدب الرفيع. وتكون الكتابة الآن، في اللحظة التي نحن فيها، وفي أفخم الأمكنة: "قصر المرايا"... بدا لي "أمين الثقافة" متحدّيًا، وأملى عليّ عنادي قبول التحدّي، ووقّعت عقدا سلّه من جيبه.

سألته، وعقارب الساعة توشك أن تشير إلى الثانية عشرة:

ـ ولكن... أين هذا القصر الذي تُسمّيه، وكيف الوصول إليه؟

أجابني:

ـ لا تهتمّ!

فجأة ملأت الأسماع دقات ساعة، وتحوّل المقهى، هذا الذي يُغشّي جدرانَه السّخام الأسود، إلى... قصر تكسو جدرانه المرايا!

لم يعد ثمة كلام، وبدأت العمل.

لكن كانت تُكدّر عليّ أصواتٌ تقترب وتعلو حتى أصبحت ضجيجا. بعدئذ دخل عليّ أناس متنكّرون، يقتربون مني ويبتعدون وهم يأتون بحركات غريبة! وما حالت هذه المنغّصات من متابعتي الكتابة، ولحظة أطفؤوا الأنوار مع بزوغ الفجر، كنت قد أتممت كتابة القصة، إلا كلمتين كتبتهما في العتمة.

هنا برز لي رجل الأمن الثقافي، يطالبني بالقصة التي كتبت، فامتنعت عليه، أعلمه أني لست في حاجة إلى خبزهم المسموم! هدّدني بأني أخالف العقد وأتحمّل التبعة. قلت: «سوف أقدّم قصتي للنشر، تقرؤها الجماهير العريضة، وفيها أروي كلّ ما دار بيني وبينك من حوار، كنت أنت فيه الأعلى صوتا وكنت أنا الأثبت جَنانا».

أوقفت شريط الذكريات. أقفلت الحقيبة على آخر ما أودعتُها، كتابي المفضّل "حروف الحرية المقدّسة"، وأقلامي التي لا تُسعفني الكتابة إلا بمدادها. وكانت ساعة الحائط العتيقة

في بيتي تعلن الثانية عشرة، أيضًا!

فكرت مطمئنّا: سوف أجتاز الحدود دون مشاكل، فأنا - وإن كنت من المعارضين - معارضٌ "لطيف"!

على الرصيف رأيته، ذاك الذي سجّلت، بخطّ يدي على استمارته، اسمي وهاتفي.

ـ هل تتفضّل معي؟ خمس دقائق فقط!

إنها العبارة ذاتها.

كانوا جماعة. أدخلوني سيارتهم، ودون عُصابة على العينين، مضَوا بي في شوارع المدينة. هل أقول إني رأيت فيهم وجوه شاربي المتّة؟

ـ أنت قلت!

كان من يتولّى "استجوابي"، ذاك الذي تمنّيت يوما تكسير أنامله على قصص رديئة كتبها، المعيّن قيّمًا على الأمن الثقافي.

دافعت عن نفسي:

ـ أنا لم أقل!

ـ أنت فعلت.

ـ لم أفعل.

ـ أما تذكر "تكسير الأنامل"؟ أنت، أنت أخفيت في بيتك مطلوبين!

ـ أعيش في بيتي وحيدا.

ـ في التقارير أنك في سفرك تنوي التواصل مع الأعداء.

ـ مثلي لا يفعلها.

ـ الكتاب الذي في حقيبتك، "حروف الحرية المدنّسة" يُنبي.

ـ لا تعبث بالألفاظ، رجاء، "المقدّسة"!

ـ أنت... أنت... أنت...

ـ أنا... أنا... أنا...

رفعت صوتي عاليًا:

ـ أنت تستطيع أن تقول كلّ ما يخطر في بالك... وأنا لا أستطيع...

كان صوتي، الذي يعلو ويعلو، تترجّع أصداؤه في فضاء المكان الرحيب، فتوقِظ الجدرانَ، والأسقف، والأرض، وما تحت الثرى...

ـ أنت تستطيع... وأنا لا أستطيع... أريد... أريييد... أن أقووووول...

بُحّ صوتي، زَخّ العرق مني.....

واستيقظت، أيها الأصدقاء، لأجدني في فراشي، متجمّد الأطراف.

وأخذت القلم لأروي لكم ما راودني من حلم أليم.

نُشرت في مجلة "رؤية سورية"، العدد ٤٢ نيسان/ ابريل ٢٠١٧، تحت عنوان "ليلةَ نويت السفر"]

\- - - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ٩-٤-٢٠١٧

أيام "الملح الانكليزي"!

أخذنا نتحدّث، أنا وصديقي في مثل عمري، عن أننا كنّا نحمل، في الأيام الماضية، "الوصفة" من عند الطبيب إلى الصيدلاني، وفيها بيان بعناصر الدواء ومقاديرها، يُركّبها ونحن

ننتظر في صيدليته، أو يقول لنا: «عُد بعد نصف ساعة! »، يدخل إلى مثابة في صدر الدكان يحجبها عنّا ساتر، ويتناول من الرفوف أمامه أوعية زجاجية مرتّبة، يأخذ من كلٍّ ما يسكبه بعناية في كفة ميزانه الدقيق، يخلط، يضيف، يَغلي على نار هادئة، يصبّ في قارورة... ونمضي بها إلى البيت، وبملعقة المطبخ نشرب ونحن نسدّ أنوفنا...

وذكرنا "الملح الإنكليزي" المُسْهِل، و"اللزقة الإنكليزية" المُحْكمة على الظهر لمعالجة ما كان يُسمّى "الوتّاب"، وجع متنقل يَثِب من مكان إلى مكان...

كنا نتحدّث ونحن نضحك كثيرا...

وذكرنا دواء اليوم، أشربةٌ سائغة، وحبوبٌ مُغشّاة بما يروق للنظر ومعبّأةٌ بالعُلب الكرتونية زاهية الألوان...

ولكن... لم يكن، في الزمن الماضي، قتلٌ وهدم بيوت، ولا إبادةٌ جماعيّة، ولا نزوحٌ بالملايين...

وكدنا نبكي.

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ١١-٤-٢٠١٧

الحيوان يبكي على الحيوان عند الموت!

الحيوان يبكي على الحيوان عند الموت!

والإنسان...

دمشق الشام: ظهيرة الخميس ١٣-٤-٢٠١٧

فتاة.. سوريّةٌ بالإقبال، وسوريّةٌ بالحَذَر!

غادرتُ "سوق محيي الدين بن عربي" (المسمّى "سوق الجمعة" أيضا) وأنا أحمل مشترياتي

في كيسين من قماش ضمّا الأكياس السود الصغيرة، من خضرة وفاكهة ولحم فرّوج، ما تزوّدت به مؤونةً لأسبوع، وقد كان الحِمل ثقيلا على يدَي من هو في مثل سنّي من "الشباب"!

وكنت آخذ استراحة عند كلّ مرحلة من طريق العودة. وقفت عند منعطف "العفيف". ثمّ سرت في ذلك الشارع المستلقي أمام "رواق" الفنانين التشكيليين. حتى إذا غدوت في آخره عند منعطف ينحدر إلى "نوري باشا"، كان التعب قد أنهك الساعدين فتوقفت مرة ثانية، واضعًا على الأرضي حِملي.

هل كانت ورائي عينٌ تتابعني، ترصدني؟ ذلك إني ما إن وضعت الكيسين وانتصبتْ بعد ذلك قامتي التي حَنَتْها الأيام، حتى كانت صبيّة تسألني، في غير تردّد، ما إذا كنت في حاجة إلى مساعدة؟

قلت بأنّ البيت أصبح قريبا، يا بنيّتي.

فأعادت التماسها، ثمّ لم تدع لي فرصة للكلام. ناولتني ما في يدها، من دفتر وكتاب وهاتف محمول، وانحنت تحمل ما أرهقني، فتقبّلت أريحيّتها الجميلة، وسألتها - ونحن ننزل إلى شارع البيت - ما إذا كانت طالبة في الجامعة أو في الثانوي، فبادرت تجيب بأنها سنة رابعة علوم، وكان عليّ أن أعيد النظر إلى وجهها المنير أتملاه وأبتسم. ولا أكتم أنها سألتني عن أهلي أين هم، فأجبت بأنهم متوزّعون في الآفاق!

بيتي في سفح جبل قاسيون في طلوعه. فتحت الباب الحديدي، وصعدنا الدرجات العشر. استقبلتنا الحديقة، والبركة تُغنّي فيها ثرثرة الماء، فقد جاءت الكهرباء في غيبتي. وفي صدر الحديقة دخلنا البيت، لتضع حِملها على الطاولة هناك.

عرفت الفتاة أني أمارس الكتابة، مثلما عرفت أنّ اسمها "سارة"، تسكن في "سكة المهاجرين" عند "موقف شورى". قلت لها، وأنا جالس في الحديقة أستريح، أنّ بإمكانها أن

تختار كتابا لي من تلك التي في الشباك، فعادت بـ"حياة جديدة". وعرفتُ أنّ لها صفحة في شبكة التواصل، وأفرحها أنّ لي فيها صفحة.

ووعدت بالصداقة.

ولكن ها قد مضى يومان... وما وضعت لايكا.

نعم... إنها سوريةٌ أصيلة في "إقبالها" على العون والمساعدة، مثلما هي سوريةٌ في ما يتعيّن عليها أن تتحلّى به من التحفّظ والحّذَر، في هذا الزمن الصعب... وهل في وسعها أن تُبدي إعجابا بقصتي "أريد أن أقووول! "، وهي على عتبة التخرّج، طامحة إلى وظيفة تخفّف عن أهلها أعباء الحياة؟

دمشق الشام: ظهيرة الخميس ١٣-٤-٢٠١٧

ليش؟

ما أزال أنشر في صفحتي، منذ مطلع العام ٢٠١٢ ودون توقّف، الخواطر التي يقرؤها أصدقائي كلّ يوم ببلاش، ويُبدون الاستحسان والرضا

لـمّا أُلـمّح لبعضهم على الخاص

أنّ في مستودعي بدمشق كثيرا من أعمالي الأدبية، البديعة في مضمونها على نحو ما يريدون والأنيقة في شكلها أكثر ممّا يتصوّرون

والتي نشرتُها على نفقتي في دار نشر أسّستُها بدمشق، بسبب امتناع الجهتين الناشرتين الرسميتين في بلدي عن نشرها لجرأتها في المعالجة، وأيضا لتخوّف ناشري القطاع الخاص

متوقّعًا في تلميحي أن يبادر الأصدقاء، المنتشرون في أربع جهات الأرض، إلى أن يُخفّفوا منها بالشراء

ألاحظ أنهم يخفّفون من لايكاتهم...

ليش؟

دمشق الشام: ليل الجمعة ١٤-٤-٢٠١٧

التنقيب في خاطرة عن معان "نِسْويّة"!

بعد خاطرتي "فتاة.. سوريّةٌ بالإقبال، وسوريّة بالحَذَر! " (ظهيرة أمس الخميس ١٣-٤)، وقد نشرتها في بضع عشرة صفحة ومجموعة،

علّق أحدهم في إحدى المجموعات، بما يلي:

«أيوه يا عم... الظاهر يا أستاذي أنك تعبت من التسوق... ولكنك لم تتعب من حركات(!) الشباب... أمدّ الله بعمرك وزيّنك بالصحة».

الخميس ١٣-٤-٢٠١٧ الساعة ٠٤: ٢١ م

فكتبت أسأله: «وأي "حركات"؟ أنتظر الردّ! ».

فتلبّث يوما، ثمّ كتب:

يا أستاذي الكريم...

كنت أوثر أن لا أضع النقاط على الحروف... لمكانتك الغالية عندي... ولمقامك الرفيع وعلوّ شأنك في الأدب والقصة... ولكنّ الرجل يبقى رجلا مهما امتدّ به العمر... ويتصرف مثل الشباب تماما...

إليك النقاط التي لاحظتُها في خاطرتك:

- أولا... استطعت أن تفتح حديثا.. وتعرف أنها طالبة سنة رابعة علوم...
- ثانيا... أعدت النظر إلى وجهها المنير.. تتملاه وتبتسم...

• ثالثا... شعورك بأن الحديقة تستقبلكما.. والبركة تغنّي فيها ثرثرة المياه..

• رابعا... أوضحت للصبية بأنك أديب وكاتب وعرضت عليها هدية من إنتاجك.. وكان عنوانها.. حياة جديدة...

• خامسا.. سألتَها عن صفحتها على الفيس.. وسألتك وفرحت...

• سادسا... وعدتْك بالصداقة..

• وسابعا... وهنا بيت القصيد... أنت حاليا تعدّ الساعات في انتظار لايك...

أقسم بالله أنت تصف مشاعر شاب في الثانية والعشرين من عمره...

وأعتذر عن أي كلمة صدرت مني ولم تستسغها... فهي بغير قصد حتما...

تقبّل تحياتي أستاذي الكريم

س ١٢: ٣٥ م الجمعة ١٤-٤

\- - - - - - - - - -

تعليقي الآن:

إنّ الرجل ذهب بأفكاره بعيدًا عما قصدتْه الخاطرة، من التنويه بأريحيّة مبادرةٍ إنسانية من فتاة سورية في عمر الورود لمساعدة شيخ ينوء بحمل مشترياته.

وأما أني سألتها عن دراستها، فهذا ليس "فتح حديث"، بل هي مجاملة لو لم أفعلها لوُصفت بأني من المتزمّتين.

وكان طبيعيا أن أعرّفها بنفسي كاتبا، لأني أدرك أنّ ذلك يزيدها ابتهاجا، فمعروفها الذي أصرّت على أدائه تلقّاه مواطن يتجاوز وضعُه أن يكون من غِمار الناس، مع الاحترام لكلّ الناس.

وأما قولي بأنّ الحديقة استقبلتنا والماء يُغنّي... فهذا من بديع الكلام الذي أوحي إليّ.

وكان كتاب "حياة جديدة" هو ما اختارته الفتاة من عديد الكتب بين يديها، كتبا ما زلت أهديها إلى الأصدقاء، وفاءً لمعروف أو تعريفًا بأدبي الذي يجهله كثير من القراء لتعتيم مورس بحقي طويلا وطويلا جدا.

ولست أَعُدّ الساعات بانتظار لايك منها، وقد بيّنت أنه الحذر يُملي عليها أن تنأى بالنفس فلا تُحسب من "جمهور كاتب" مازال يرفع الصوت معارضًا، وإن كانت "معارضته لطيفة! "، والفتاة صوّرتُها تنتظر التخرّج وأن تحظى بوظيفة!

لقد ترك صديقي، الذي لا أعرفه معرفة شخصية (وهو مهندس من حلب)، المغازي البديعة، من مبادرة فتاة تتوافر فيها هذه الجرأة الأدبية وتتحلّى بقدر من الحَذر يُبعدها عن شبهةٍ ممّا تفرضه أيامنا الراهنة... وأخذ يُنقّب في الخاطرة عن شبهاتِ "نَّسوَنة" يتصيّدها ويُعدّدها، ولا بأس في هذا.

وشكرا له... لأنه حرّضني على تأكيد المعاني الجميلة في خاطرتي، ولولا ذلك ما كنت كتبت هذا!

دمشق الشام: مساء الجمعة ١٤-٤-٢٠١٧

لماذا يراودني، أو ينتابني في أحيان، وهمٌ في أني

وأنا في بيتي وحيد

وراء الطاولة أكتب، أو في سريري يُرنّق النعاس في عينيّ...

أنّ رجلا غير ملثّم يدخل عليّ بغتة وفي يده سكين

ويفعل في عنقي ما لا أريد الاستزادة في بيانه؟

لماذا!

دمشق الشام: ليل السبت ١٥-٤-٢٠١٧

حدث هذا.. في الزمن الجميل!

يوم وقع في يدي العدد الأول من مجلة "العربي"، وأنا أجتاز "شارع رامي" المنصبّ على "ساحة المرجة بدمشق"، في أول أيام شهر كانون الأول/ ديسمبر من العام ١٩٥٨ (يا للزمن، ما أقربه!)،

بادرتُ أكتب لرئيس المجلة "الدكتور أحمد زكي" بأني آنس في نفسي الكفاءة – وأنا في تلك السن – لأن أعدّ "استطلاعا" أُغْنيه بأجمل المعلومات عن مدينتي الحبيبة حلب، فجاءني الردّ متحفّظا بأن أفعل دون أن تتحمّل المجلة "التبعة" إن لم يُعجبها النص المزمع كتابته.

لما كتبت وبعثت في العام الجديد (١٩٥٩)، لم يكتفِ رئيس التحرير، العالم الأديب، بالموافقة على النص، بل أوفد "بعثة" إلى حلب من محرر ومصور، فالتُقطت الصور للاستطلاع، ونشر ذلك كله في عدد تال بعنوان «حلب الشهباء مدينة سيف الدولة والمتنبي»... وهي ذي الصور.

أقول: وقام الرجلان بإعداد ثلاثة موضوعات عن حلب:

- عبد الرحمن الكواكبي،
- وقلعة حلب،
- ورقصة السماح...

وأصبحنا، أنا والعربي "أصحاب". والرسائل المتبادلة تظلّ محفوظة عندي.

حدث هذا... في الزمن الجميل.

دمشق الشام: صباح السبت ١٥-٤-٢٠١٧

أول احتفال بعيد الجلاء بحلب

أول احتفال بعيد الجلاء بحلب... ظِماء إلى الحرية... لم تأت بهم "سيارات النظام"...

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: عصر الاثنين ١٧-٤-٢٠١٧

المحافظ.. الذي فتح بابه على مصراعيه

في يوم من أيام العام ١٩٦٥، ربما في تشرين الأول/ أكتوبر، تولى منصب محافظ حلب مَن كان رئيسًا لبلديّتها.

في أول أيامه فتح باب مكتبه على مصراعيه، للمهنّئين ولأصحاب الشكاوى القديمة والمستجدة، فتدفّق الناس يملؤون المقاعد في تلك القاعة الكبيرة حتى جيء بكراسي إضافية. وأما أنا فقد أومأ إليّ على مرأى من الجميع لآتي إليه وأجلس على كرسي بقربه، ولست أشكّ في أنّ بعضهم تعجّبوا من أن يقرّب المحافظ "البعثيّ" رجلا ممّن لا يؤيّدون.

وظلّ هذا المحافظ،، الذي لم يُبطره النفوذ والجاه، صديقا للجميع. وأذكر ممّا ابتدع، وهو المغرم بالثقافة، أنه خصّص يوما، هو "عيد الشجرة"، حملت فيه الباصات كلّ من يريد من الموظفين أن يزرع، وذهبنا إلى قلعة جبل سمعان، زرعنا، وزرع هو أمام أبصارنا، وفي استراحتنا بين أطلال الكنيسة الأثرية العظيمة قُدّمت لنا صندويشات الدجاج والماء المبرد.

ثمّ دارت الأيام وانتقل من إلى... ودخل الاعتقال، ولم يطلَق سراحه إلا بعد أن تعهّد بألا يقترب من... السياسة!

بعد سنين سألته، وأنا في زيارة له في بيته، بين الساعات الأثرية المختلفة الأحجام والدقّات، المثبتة على كلّ الجدران، عن رأيه فيما وقع ويقع، فأجابني بكلمتين: «كنا أحجار شطرنج في

أيدي لاعبين! ».

رحمك الله، يا أخي بالرضاعة، عبد الغني السعداوي.

دمشق الشام: عصر الاثنين ١٧-٤-٢٠١٧

"معن السعداوي".. وهو يبدأ رحلة المطالعة طفلًا

في صيف ١٩٧٥ زرت أخي بالرضاعة "عبد الغني السعداوي" في مكتبه الهندسي الخاص بحلب؟ والتقيت هناك لأول مرة بولده الصغير "معن"، وما لاحظته أنه في مرافقته أباه إلى مكتبه كان متأبّطا كتابي "حياة جديدة" (في طبعته الثانية ١٩٦٤)، جاء به ليقرأ أدب "عمّه" فاضل... وفي فرحة الابن بلقاء المؤلف، واعتزاز الأب بابنه القارئ الصغير بقدر اعتزازه بأخيه الكاتب، طبعت قبلة على جبين معن... أظنّه لا ينساها.

المهندس عبد الغني السعداوي شغل من المناصب: رئيس بلدية حلب (أهمّ البلديات في سورية)، ثم محافظا لحلب، وأخيرا المدير العام لاستثمار حوض الفرات.

رحم الله أخي عبد الغني (١٩٣٠-٢٠٠٩)، ومرة ثانية أطبع القبلات على جبين ابنه الوحيد "معن" ولكلّ واحد من أفراد الأسرة التي بناها بعرق الجبين.

دمشق الشام: صباح الاثنين ١٧-٤-٢٠١٧

أَصيص فُلّ

دخلت بيتي يومًا شابة مثل الفلّ، أعجبتها حديقة البيت إلا خلوُّها من زهر الفلّ.

أخذنا - أو أخذت - نعمل في عمل أدبي لي، فحدّثتني بأنهم في البيت "يُوَلّدون" الفلّ من الفلّ، ووعدت بأن تُهدي إليّ أصيص فلّ من صنع الأمّ، ففرحت بهذا الوعد... بقدر ما أحزنني إغفال تحقيقه.

هل أقول كم مضى على هذا الوعد؟

كان لها من العمر سبعة وعشرون، وهي اليوم في الخامسة والأربعين، تزوجت، وأنجبت، وغدت كاتبة معروفة... وما كان لهذا الأصيص أن تكتحل عيني بمرآه أو أن يغيب عن بالي!

هي من أصدقائي في عصر الفيس، وإن كانت لا تضع اللايك إلا إذا تأكدت من أنّ الموضوع "تامّ البراءة"!

هذه رسالة مني إليها... أذكّرها، تنتظر حديقتي، وأنتظر.

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ١٨-٤-٢٠١٧

قلت يومًا:

إنّ أعظم ثلاثة زعماء في دول العالم الثالث هم: مانديلا، ومهاتير محمد، وأردوغان.

أخرجوا بلادهم من حال إلى حال... وذلك كله عبر المسيرة الديمقراطية.

دمشق الشام: فجر الأربعاء ١٩-٤-٢٠١٧

وقلت كذلك:

إنّ أشرف الضباط في الجيوش العربية، هم:

العميد سامي الحناوي، الذي أطاح بـ حسني الزعيم، وسلم الحكم للمدنيين

واللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية بمصر، الذي اعتقله رئيس وزرائه البكباشي جمال عبد الناصر، لأنه ذكّر بتنفيذ وعد حركة الضباط الأحرار بالأخذ بالديمقراطية، والمشير عبد الرحمن سوار الذهب، الذي قلب النميري، وسلم الحكم إلى المدنيين، ومحمد ولد فال في موريتانيا، الذي قلب وسلّم، وأما أخلص ضباط المخابرات العرب، فهو وسام الحسن، صيّاد المتخابرين مع إسرائيل، الذي اغتالته يد حزب الله.

دمشق الشام: فجر الأربعاء ١٩-٤-٢٠١٧

حبّة قمح تتحدّث عن نفسها!

من ذكريات تلميذ في الابتدائية

في أوائل أربعينيّات القرن الماضي، كنت بحلب في الصف الخامس (ما كانوا يسمّونه صفّ شهادة السرتفيكا وبه ختام مرحلة الدراسة الابتدائية)، وكان معلمنا للغة العربية "الأستاذ سامي الرزّ" من أحسن من رأيت تفانيًا في تعليمنا.

وممّا درج عليه من طريقة في سماعه وظيفة "الإنشاء" (المسمّى لاحقا "التعبير")، أن يستمع إلى بعضنا يتخيّرهم من متفوّقين وغيرهم، بأن يقرأ أحدنا على التلاميذ ما كتب من وظيفة الإنشاء المقررة في الدرس الماضي وهو يصحّح الأخطاء، ثمّ يسألنا عن أحسن ما سمعنا، فكنا نُجمع على أنه "منير"، وكنت من ناحيتي أتحرّق شوقًا لأن أكون الأول، مع إقراري بأنّ منير أفضل مني.

مرة أعطانا معلمنا وظيفة، أن نكتب عن حبّة قمح تتحدث عن نفسها، من يوم أن كانت سنبلة خضراء تتمايل مع النسمات العليلة... ثمّ يباسًا، وحصادًا، ودرسًا، وطحنًا، وخَبْزًا، وأخيرًا رغيفًا على مائدة.

أذكر أنّ الموضوع راق لي. فكتابته، من ناحية ما، كانت أشبه بكتابة قصة. هل كانت تتكوّن عندي منذئذ "مَلَكة القصّ"؟ اجتهدت في ليلتي وكتبت.

في اليوم التالي بدوت أمام المعلم حريصا على أن يمنحني فرصة أن أقرأ ما كتبت. وفي "الاستفتاء" في آخر الدرس كان موضوعي هو الأول، فسبقت في هذا زميلي منير.

فيما بعد التقينا أنا ومنير في جامعة القاهرة، أدرس أنا الحقوق ويدرس هو التجارة. وكنت

قد شرعت في كتابة القصص الأدبية واتجهت إلى نشر بواكيري في مجلة "الحديث" الحلبية و"الأديب" اللبنانية. وبدا أني أسرفت يوما في الاعتداد بمسيرتي الأدبية التي نويت خوضها، فلوّح لي مازحًا بمقدرته التي كانت باللغة العربية ونحن في الصف الخامس الابتدائي، وأنه إن نزل إلى الساحة سبقني، فأشرت إلى السنوات التي قطعتُها في القراءة والاطلاع وهو لم يفعل... وضحكنا.

رحم الله صديقي "منير حمّامي" وأستاذنا المتفاني في تعليمنا وتربيتنا "سامي الرزّ".

[نُشرت في جريدة "تشرين" عدد اليوم ١٢٩١٧ في زاويتي الأسبوعية "أيام وليال"]

دمشق الشام: الاثنين ٢٤-٤-٢٠١٧

اتحاد الكتّاب في وطني لا يستقبل أدبي في دوريّاته!

في الماضي، كان اتحاد الكتّاب بدمشق يعتذر، بإصرار، عن نشر أيّ من "مخطوطاتي" ضمن منشوراته، على حين يُرحّب بأن ينشر لمن هم في مثل قامتي، أو بالجهد يصلون إلى كتفي... فانتهيت إلى أن أنشئ دارا للنشر خاصة بي، وحللت المشكلة.

اليوم، الاتحاد يرفض نشر "مقالات" لي أو عنّي في المجلات التي يصدرها ("الأسبوع الأدبي"، "الموقف الأدبي"...)، والموعِز بذلك فيه رجلٌ... يوم كنا نجلس - نحن "مؤسّسي" الاتحاد في المركز الثقافي العربي بـ أبو رُمّانة صيف ١٩٦٨ نضع قانون الاتحاد - لم يكن هو قد وُلد بعد، ربّما...

هل أُخبره بأنّ بعض قصصي قد تُرجم إلى بضع عشرة لغة، وأنّ كتبا لي قد صدرت مترجمة، وأطروحاتِ ماجستير ودكتوراه أُعدّت في تلك اللغات؟

يا عيب الشوم!

سوف أكتب في ذلك، بكلّ الاحترام، إلى القيادة القطرية، وأنا موقنٌ بأنها ستُعزّره.

دمشق الشام: فجر السبت ٢٩-٤-٢٠١٧

قبلة.. على خصلة شعر

يوم غادرت الوطن في خريف ٢٠١٣ إلى تلك القارة البعيدة، كنت أعلم أنّ ذَيْنِكَ الزوجين الطيّبين صديقَي ابني، "وليد" و"ولادة"، لم يكن قد قُدّر لهما أن ينعما بالإنجاب، وهنالك بلغني الخبر الجميل، وإني لأمحَضُهما المحبّة مثل أبنائي.

أمس، وابني فراس قادمًا إليّ من فلوريدا لأيام، وأنا متّخذ جلستي أمام الكمبيوتر أتواصل مع العالم، تبيّنت أنّ إلى يميني هنا، في العتمة النسبية، سيدةُ تتقدّمها طفلة. إنها ولادة، جاءتني تزهو بابنتها التي تناهز اليوم العامين وزيادة.

كانت الطفلة، ترسل إليّ نظرات مستطلعة وكأنها تخاطب نفسها: ومن يكون هذا الرجل الذي صحبتني أمي إليه؟

أخذت أُطريها: «يا عيني عليك! شو هـ الشعرات الحلوة؟ ومنزّلة خصلة ع الجبين كمان! شو اسمك؟ ».

قالت: «ياسمين! ».

قلت: «ومين سمّاك بهالاسم الحلو؟ ».

قالت: «ماما»...

وهي تُمعن النظر إليّ، تحاول أن تتعرّف المزيد عني. ولم أرد أن أثقِل عليها بقبلة، وأنا أعرف معاناة الصغار من تقبيل الكبار، مكتفيًا بإصبع مني لامستُ بها الخدّ ثمّ رفعتها إلى الشفتين. ولحظة شرعت الأمّ تحدّثني عن ظروف الحمل ومتاعب الحياة، انسلّت الطفلة من بيننا... هل

اكتفت بهذه "الجرعة" من الحبّ تلقّتها من هذا الرجل الغريب؟

خرجت ياسمين إلى الحديقة، حيث الرجلان يتحادثان. تصوّرتها دارت حول البركة التي يُغرّد ماؤها تغريدا، دورة أو دورتين، قبل أن ترتمي في حضن أبيها تأخذ منه جرعة حبّ أخرى، ثمّ... تعود إلى ذاك "الرجل الغريب" الذي أغدق عليها قدرا من الحب.

جاءتني من الجانب الأيسر كالمتسلّلة. اقتربت، وقد تجلّى في عينيها الاطمئنان. لمستني بيدها تتحرّش بي، ثمّ ألقت رأسها في حضني. استجبت بأن سمحت لنفسي بأن ألثم وجنتيها الورديّتين، وما نسيت خصلة الشعر على الجبين.

دمشق الشام: عصر الاثنين ١-٥-٢٠١٧

المرأة التي تبكي وجع زوجها

في عام ١٩٦٢ أو ما حوله، تعرّفت وأنا في حلب على جار موظف في الحكومة، وعلمت من بعض معارفه أنه مصاب بذلك المرض يعاني منه آلامًا مبرّحة في الرأس وهو لا يعرف حقيقتها.

التقيت به مرة على رصيف حارتنا قريبًا من ثانوية المأمون، فجعل يحدثني، بكلّ البراءة، عن أنه كان يعاني في البيت أمس من صداع شديد جعله يصدر أنينًا خافتًا وزوجته إلى جانبه. خرجت الزوجة من الغرفة وتركته وحيدًا. بعد قليل ذهب إلى حيث رآها تبكي في صمت، قال: «فسألتها عما يبكيها؟ قالت: إنك تتوجّع، فقال: إنه مجرد صداع شديد عابر!».

بعد مُدَيدة وافاه الأجل الذي بدا محتومًا.

دمشق الشام: صباح الأربعاء ٣-٥-٢٠١٧

كم ظلموك!

أستاذنا الفاضل

منذ بضعة أيام وصلتني بعض مؤلفاتكم الأدبية التي كنت طلبتها منكم وعددها ستة عشر عملاً إبداعيًا، استقبلتها في حلتها القشيبة، وأعترف لكم أني حينما بدأت بقراءة أول مجموعة قصص وعنوانها "الألم على نار هادئة" شدني الأسلوب الهادئ اللطيف وبهرتني الحبكة وأمتعني قراءة ما خلف السطور من إبداع وذوق ومعاني.

حقاً ظلموك في بلدنا وهضموا حقوقك الأدبية أنت الجدير لأن تكون في مصاف كبار الأدباء والقصاصين العرب.

اسمح لي أن أقول إنّ هذه المجموعة التي بدأت بقراءتها تنبئ بقدرات أدبية متميزة فهي تجمع الكثير من الإبداع والمتعة وتسطر تاريخاً لبلدنا في المراحل التي تؤرخ لها بأدبك الرصين.

حقًا إن حظي كبير أن تعرفت بكم ولو عبر النت، ويوم تسنح لي الظروف بأن أعود لبلدي الحبيب ولدمشق الغالية فسوف أسعى للتعرف إليكم بشكل شخصي وأزوركم في بيتكم الذي أحببته من خلال كلماتكم الرائعة في وصفه في بعض ما نشرتم على صفحتكم.

كم أنت مظلوم أيها الأستاذ الفاضل.

وكم هم ظالمون أن حرموا الناس من إبداعاتكم.

فأنت ولا شك واحد من كبار الكتّاب العرب.

دمتم بخير

الجمعة ٥-٥-٢٠١٧ ٠٢:٣٤م

- - - - - - - - - -

صحّ قولك، يا صديقي عامر. هذا الكتاب "الألم على نار هادئة" رُفض نشره من قبل اتحاد الكتاب، وقال قارئه المحكّم خوفا من أن يتورط بالموافقة: «السباعي بدّو يحبسني! »،

فالتمست من رئيس الاتحاد أن يقرأه بنفسه وأنا راض على بياض، فلبثت المخطوطة في دروج مكتبه عاما واستردتها وقد علاها الغبار.

المفارقة أن وزارة الثقافة وافقت من ناحيتها على نشر الكتاب (المنظمة الشعبية تعتذر والحكومة توافق!)، وصدر عنها عام ١٩٨٥، قال لي مدير المطبوعات سميح العيسى إن نسخه نفدت خلال ستة أشهر، وهي مدة قياسية. ثم نشرتُه في الدار التي أنشأتها (١٩٩٠ و٢٠٠٢).

وللعلم إن إحدى قصصه اختارها المستعربون السوفيات ضمن مختارات من القصص السوري، صدرت في موسكو عام ١٩٧٧ بعنوان القصة التي اختاروها "الصمت والموت" (طالب جامعي بريء يموت تحت التعذيب)، وجعلوا لوحة الغلاف خاصة بهذه القصة.

نهضنا سلميًّا نطالب بالحرية، وقال الهاجعون في الأحضان: وليش قمتوا؟ كنا عايشين وماشي الحال!

اليوم يتولى مسؤول في الاتحاد منع ظهور اسمي في دورياته، انتقامًا لمواقفي: الحرية تعني الحياة!

شكرا لرسالتك، أخي عامر الدروبي، المفعمة بالوعي والمعرفة. أتمنى لك قراءة ممتعة.

دمشق الشام: فجر السبت ٦-٥-٢٠١٧

منعني صديقي الحميم

منعني صديقي الحميم "أبو أحمد" من أن أقترب من شاشة الفيس بوك... تحت طائلة "الزعَل"..

أعتذر لكم.

ولكني سأحاول استراق ذلك بين الحين والحين!

دمشق الشام: مساء السبت ٦-٥-٢٠١٧.

في ليالي السمَر!

يعمل، هو وهي، في سلك التدريس بمرحلته الثانوية، ومن عادتهما أن يقضيا ليلة الخميس من كلّ أسبوع في بيت أهلها، مبنى صغير من ثلاثة طوابق يسكنها حَمَواه ومن يلوذ بهما من الأهل الأقربين، يتسامرون ولا يملّون من الأحاديث.

هل كان يرى نفسه غريبًا، وهو "الصِّهْر" (النسيب)، بين من يتبادلون الحديث عن ذكريات الطفولة والزمن الجميل وما لا علاقة له به من ذاكرة الأسرة الجَمَعية... حتى تطلب منه، على شيء من استحياء أو بصراحة، أن يغادر المكان؟ هل كان ذلك حرصًا منها على ألا تتلقّط أذناه ما لا تريد أن يسمع من أخبار أهلها؟ وإنها لتسأله أين يذهب، وكم من الوقت يغيب، فيمضي بسيارتهما يبحث عن جليس!

وما إن يستقرّ هناك حتى ينبه صوتها عبر الهاتف يقول أن تعال!

في الأمسيّة التالية، الجُمعة، ودَوْر السَّمر عند أهله، يجتهد في ألا يدعها تشعر بالملل، ولا يقول لها أن تَمضي بالسيارة إلى حيث تشاء ليطلب منها بعدئذ المجيء!

دمشق الشام: فجر الخميس ١١-٥-٢٠١٧

ما بين مقتول، ومحبوس، ومهجّر...

أُفرغ وطني من شبابه...

دمشق الشام: مساء الاثنين ١٥-٥-٢٠١٧

يسألني صاحبي

يسألني صاحبي: هل على الرجل إذا أسنّ، أن يلتجئ إلى "أهله" مستعيدًا بينهم عهد

الطفولة الريّان، بدلًا من الذرية التي أنجبها!

قلت: ولكنّ أهله كلٌّ مشغول بمن أسنّ من والديه!

فرأيته يزداد حزنًا.

دمشق الشام: عصر الاثنين ١٥-٥-٢٠١٧

في الدائرة الرسمية التي بدأت فيها حياتي الوظيفية

في الدائرة الرسمية التي بدأت فيها حياتي الوظيفية

صعد، في زمن ما، ثلاثة منّا ليسوا بأفضلنا:

واحد صار سفيرًا، والثاني معاون وزير، والثالث نائب رئيس وزراء لسنوات...

ولم يترك أيّ منهم في سمع الزمان ذكرا!

دمشق الشام: ليل الاثنين ١٥-٥-٢٠١٧

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم...

غادرت، فجر اليوم، ابنتي "خلود" وابنها "ماجد هنانو" الفنانان التشكيليان، إلى... إلى... ماليزيا... بحثًا عن العيش... وبقيت في دمشق وحيدًا، لا أهل ولا سند، أُعاني أمراض الشيخوخة...

وسلامي لنظام استطاع أن يُمزّق... وأنصاره يرسلون المواويل الشجيّة!

دمشق الشام: عصر الأربعاء ١٧-٥-٢٠١٧

في إسرافه بحبّ "العروبة"

في إسرافه بحبّ "العروبة" سمّى ابنه الأول "عدنان"، عازمًا على أن يسمي الثاني إن جاء

"قحطان"، ولكنه سمّاه "عَرَب" مرة واحدة.

اعتزّ عرب باسمه، ولكنه بعد أن شبّ عن الطوق جاء أباه يوما يشكو ويبكي: يا أبي ما أزال أرى الناس يسبّون العرب الذين ضيّعوا "فلسطين" ثم "الجولان"... لماذا سمّيتني بهذا الاسم!

دمشق الشام: فجر الجمعة ١٩-٥-٢٠١٧=

قال لي، بكل استهانة

قال لي، بكل استهانة بقيم الفكر والإنسانية وأنا أسيرٌ بين أيديهم:

- يعني هلّق إذا دحشناك في دولاب سيارة ودرنا بك على الأرض... شو بصير فيك!

وهو اليوم نادم وخجلان وحزين.

دمشق الشام: فجر السبت ٢٠-٥-٢٠١٧

وممّا استغرَبَه

وممّا استغرَبَه، وهو يتابع الفراشات تجوب فضاء الحديقة، أن رأى إحداها تقترب منه وتقترب، حتى لامست صفحة خدّه، لحظةً، ثمّ مضت في سبيلها.

فأنشأ يحدّث نفسه: أيتها الفراشة اللطيفة، ما اخترت إلا هذا الشايب تأتين "تُقبّلينه"؟

وكأنه سمع منها جوابًا: لا، لا... أنا أشمّ عطر الكلمات!

دمشق الشام: فجر السبت ٢٠-٥-٢٠١٧

حذارِ من.. العَدُوّ!

طويلة، نعم، لكنك لن تضيّع وقتك إن قرأتها!

ممّا تعيه الذاكرة ولا تنساه، أني أَرسلت، في بحر العام ١٩٧٠، قصة بعنوان "حذارِ من

العدوى" إلى مجلة "العربي" الكويتية في عهد رئيس تحريرها العالم الأديب الدكتور أحمد زكي.

ويقتضيني البيانُ أن أشير إلى أنّ ممّا يعانيه الكتّاب الذين ينشرون نتاجهم الفكري في الدوريات الثقافية، أن يكون في المجلة المتعامَل معها كثيرٌ ممّا تتلقّاه من الرسائل وتقصيرٌ ما في إعلام الكاتب بوصول المادة إليها، أو بترشيحها للنشر، وإن كانت المجلة تبادر إلى موافاته بالمكافأة المادية المستحَقّة، وهذا التقصير قد يسبّب لصاحب المادة المرسلة قلقًا ربما بلغ حدّ الحرج، كما سأروي في حكايتي هنا.

أقول: انتظرت وقتًا دون أن أتلقّى جوابًا، لا ولا اكتحلت عيناي بمرأى القصة منشورة، وقد سألت المجلة في ذلك، إلى أن أيقنت أنّ القصة لم تحُز الرضا، ومع أسفي لذلك فقد بادرت إلى توجيهها لمجلة عزيزة أخرى، هذه التي سرعان ما بادرت إلى الكتابة لي بالموافقة، وضمّت الرسالة شيكًا بالمكافأة، على ما اعتمدته هذه المجلة من "عادة مستحسنة".

الذي وقع لي أني، بعد هذا التلقّي الأريحيّ، وصلت إليّ - يا للمفاجأة! - من المجلة الأولى رسالة متضمّنة شيكًا بمكافأة على هذه القصة! هنا فتحتّم عليّ أن أكتب لهم بطيّ القصة والامتناع عن نشرها فإني - وقد طال انتظاري - وجّهتها لمجلة أخرى وتلقيت منهم المكافأة فأصبح لهم وحدهم الحقّ في نشرها، وتوخّيًا للسرعة فقد "أبرقت" لهم بعبارة موجزة «أوقفوا نشر قصتي "حذار من العدوى" التفاصيل بالبريد»! وأذكر أني استفدت من خدمة هاتفية مستحدَثة مكّنتني من أن أمسك بسماعة الهاتف اتّصل بـ"البرقيات المهتوفة" أُملي عليهم نصّها، ثم... أخذت أحرّر "الرسالة المفصلة".

كان ذلك في أواخر أيام ذلك الشهر الشتوي. وعندما أهلّ الشهر الجديد نزل عدد "العربي" إلى المكتبات، وفيه رأت عيناي "حذار من العدوى" متمدّدة فوق ثلاث صفحات من هذه المجلة الشهيرة!

وأُسقط في يدي من جديد، فعدت أكتب للمجلة الأخرى، برقية مهتوفة مماثلة: «أوقفوا نشر قصتي "حذار من العدوى" التفاصيل بالبريد»، عازمًا على كتابة رسالة تفصيلية ثانية!

ذلك كله "مقدمة" لما سوف أحدّثكم به.

لأننا نعيش في ظلّ نظام حريص على أن يعرف كلّ ما يجري في الوطن من دقائق الأمور، في الشوارع يعمّها ضوء النهار وفي البيوت المغلقة أبوابها، فإنّ ثمّة "رقابة" بريدية – هاتفية.

لمّا اطّلعوا، هناك، على البرقية الأولى، ارتابوا في مضمونها: طلبٌ برقيّ للتوقف عن نشر شيء، وأنّ في البريد تفاصيل! وزاد في الريبة ظهور البرقية التي تلتها... واعتقدوا أنهم وضعوا اليد على "تخابُر" في مراحله الأولى!

احتجزوا البرقيتين، وبقي عليهم أن يبادروا إلى إلقاء القبض على صاحبهما. فتحوا "دليل الهاتف" وأخذوا رقمي، وكُلّف "عنصر" بالاتصال بي.

في ذلك اليوم، تلقيت – وأنا في بيتي وحيدًا فأسرتي في العطلة الانتصافية بحلب – مكالمة هاتفية يسألني صاحبها بصوت غير مألوف لي عن عنوان بيتي! استنكرت الطلب، وظننت المتكلم "عابثًا" يتسلّى، فطَبَشتُ[١] التلفون في وجهه... وعدت إلى طاولتي أكتب.

بعد ربع ساعة جاءتني مكالمة أخرى، يغمغم فيها رجل بمثل تلك الكلمات، فزجرته: «يعني العبث الذي بدأه صاحبك تريد أن تتابعه أنت! »، وأغلقت!

صباح اليوم التالي غادرت البيت متوجّها إلى عملي (وكنت مديرًا لدائرة حكومية مقرها في أول شارع الفردوس قرب "بوّابة الصالحيّة")، أسير الهوينى عبر الجادة الرئيسية مدة نصف ساعة، وعند وصولي أخذ صندويشة جبنة مسقسقة[٢] من بيّاع العصير في زاوية الشارع. وفوق

---

(١) أغلقتُه بعنف.

(٢) مضاف إليها زيت الزيتون، ومسخَّنة. وأصلُها في العربية: سغسَغَ الطعام: روّاه بالدسم.

أطلب تحضير كأس شاي من يد "أبو محمد".

وفيما أنا أمضغ لُقيماتي وأحتسي، قُرع باب مكتبي. دخل رجل سلّم بأدب وقدّم نفسه بغمغمة. طلبت منه أن يستريح، فجلس مطرقا لا ينظر إليّ تأدبا. وفي ذلك استحضرت في ذاكرتي السمعية صوت صاحب المكالمة "العابثة" الأولى، فرأيت أنّ الصوت واحد. قلت له: «أنت اتصلت بي أمس؟ »، فانتعش وقال نعم، مقدّمًا إليّ بطاقته بصفته رجل أمن، مدلّلا على صدقيّة شخصه، فقلت: «يا رجل! الآن أعرف أنك رجل أمن، لكن كيف لي أن أعرف هذا على الهاتف؟ ».

وقد سألته كيف وصل الساعة إليّ؟ فقال بأنه عاد إلى دليل الهاتف، وأخذ عنوان البيت، فتوجّه إليه، قرع الباب، لا أحد. سأل "بقال" الحارة، فأجابه بأنه رآني قبل قليل أخرج من بيتي إلى عملي. ما العمل؟ دلّه، فأتى إليّ.

وأبلغني دعوةَ أن أذهب إلى فرع الأمن الخاص به، في "شارع الباكستان"، أوله قريبا من "ساحة السبع بحرات". وهمّ بالانصراف، فاستبقيته لأذهب وإياه.

قبل مغادرتي الدائرة همست في أذن "معاون المدير" (حيدر ب.) أني ذاهب الآن إلى جهة أمنية موقعها في... فليُعلم بهذا المديرَ العام صديقَنا "الدكتور أحمد رجائي".

في الجهة الأمنية استقبلني ضابط بلباس مدني، في غرفة تحتوي على سرير متواضع، وطاولة صغيرة، وسخّان كهربائي وإبريق شاي وكؤوس. طلب مني أن أجلس على طرف السرير.

وبدأ الاستجواب بسؤالي عن "حكايتي" عن "العدوّ"، الحكاية التي أطلب وقف نشرها، في برقيتين متتاليتين؟

هل أضحك... أم أبكي على أمّة ضحكت من جهلها الأمم!

قلت:

ـ وأوقفتم إرسال البرقيتين؟

وأدركت أنهم قرؤوا كلمة "العدوى" من غير الألف المقصورة.

ولم يعسر عليّ أن أشرح لهم أنّ القصة – وإني مؤلفها – تدور حول تلميذات مدرسة أصيبت إحداهنّ بمرض ما فكان تحذيرٌ من العدوى! وأني أرسلتها إلى مجلة، لم أعرف قبولهم لها، فأرسلتها مرة ثانية إلى مجلة أخرى.

وتوالت عليّ بعدئذ الأسئلة اللطيفة: من أين أستوحي قصصي، وما هي "طقوس" الكتابة؟ ولم أستغرب أنهم لم يسمعوا باسمي كاتبًا، مع انّ فرعهم معنيّ بالصحافة والثقافة والأدب. كانوا ودودين، وبدا أنهم منحوني ودّهم، ولم ألتق بهم بعد ذلك اليوم.

في هذه الأثناء تلقى الرجل مكالمة ممّن تبيّن لي أنهم يسألون عني؟ قال لهم: «لا لا، المسألة بسيطة، محلولة».

أصدقائي الأعزاء.

فأما المجلة الأخرى، فقد ساءهم أني زوّدتهم بقصة سبق أن أرسلتها إلى سواهم، طالبوني، فكتبت لهم ما سمّيته "هدية للصديقة سعاد"، تلك القصة التي ضمّها فيما بعد و"حذار من العدوى" وغيرهما، كتابٌ سمّيته "رحلة حنان" (رحلة حنونة يقوم بها المؤلف برفقتكم في عالم الصغار)، وقد اعتذرتْ في حينه عن قبول مخطوطته وزارة الثقافة "لعدم الجدارة"، فتولت نشره "دار المعارف بمصر" عام ١٩٧٥ وأصدرته في سلسلتها الشهيرة "اقرأ"، ثمّ إني أعدت إصداره بطبعة جديدة عام ٢٠٠٢ في الدار التي أسّستها بدمشق تحت اسم "إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع"، نشرت فيها بضعة عشر من أعمالي وأكثر من ذلك كتبًا لأصدقائي الأدباء.

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ٢٣-٥-٢٠١٧

صديق قديم.. من الساحل

عام ١٩٦٧، وكنت موظفا في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، عهدوا إليّ بإدارة مرفق صغير سمّوه "مكتب التخديم والتوظيف"، يتقدّم إلينا طالبو العمل فنحيلهم إلى حيث قلّما يجدون عملاً!

بُعيد حرب حزيران، جاءني فتى من الساحل، فزوّدناه بكتاب إلى معمل، انتظم بين صفوف العاملين فيه على غير ارتياح لنوعية العمل وللجوّ فيه، وهو القادم من ريف الساحل، وفي ودّه الملحوظ - وإني أعمل دائما على أن أقيم صداقات مع من ينتمون إلى قاع المجتمع هؤلاء الذين وقفت نصف أدبي عليهم والنصف الآخر على مثقفي النخبة المقهورين! - كان يحدثني عما يلاقي من زملائه في المعمل ما جعله يهجر العمل، ويغيب عن عينيّ.

كنت في ذلك الحين أدنو من الأربعين عمرًا، وبعد عشرين عامًا التقيته قريبًا من "حديقة الجاحظ" في منطقتنا. تبادلنا التحية الودية. رأيته، وقد أصبح في نحو الأربعين، رجلا ذا شأن، حتى خُيّل إليّ أنه من أهل الأمن الذين يحرسون الوطن.

وكان آخر ما التقيت به أوائل أيام الأحداث، في حارتي، على الناصية التي تقابل ما كان يسمّى "فرن نوري باشا" الشهير، يقدّم "الخبز المشروح" مرشوشة عليه "حبّة البَرَكة". أمسى الرجل في الستين، وكان الجديد فيه أنه يصحبه شاب يحمل في يده ما يطيب لي أن أسمّيه "حقيبة الأوراق"، وقد رأيته يلاحظ بعينين مفتّحتين حرارة اللقاء بين واحد من سكان الحارة وبين "معلمه" الأمني.

ولأني رجل يهتمّ بالصداقات الجميلة ويهوى المزاح، فقد تراءى لي أن أسأل صديقي القديم، عما إذا كان تردّده على منطقتنا يعني أنه موكلةٌ إليه "رعاية" سكانها، ورجوته بقلب مخلص أن "يتوصّى" بهم، وخاصة... أنا!

اللافت أنه على حين استغرق صديقي ضحكٌ نابع من الأعماق، فإنّ "مُرافقه" جعل ينقّل بصره بين معلمه وبين واحد من سكان هذه المنطقة "البرجوازية" يراه يسرف في ممازحة يبدو فيها أنه يعرف مهنة المعلم!

دمشق الشام: ظهيرة الخميس ٢٥-٥-٢٠١٧

الصفّ بالدور.. عند الحنفيّة العامة.. في ثلاثينيّات القرن الماضي

جاءني اليوم صديقي كالعاتب عليّ، لأني ذكرت في "العودة إلى الآبار المهجورة" (فلوريدا: ٢٥-٥-٢٠١٥)، لفظة "النظام" بعين الرضا، وقرأ عليّ العبارة التي أوردتها فيها:

«... أذكر، وكان لي من العمر خمس سنوات أو ستّ، أنّا كنا نقف أمام الحنفيّة العامة، نصفّ الأباريق والسطول الفارغة منتظرين الدور، لا خلاف ولا جدال... هل أقول إننا تلقّينا، عند عتبة تلك الحنفيّة، الدروس الأولى في النظام وفي الصبر معًا، إلى أن أدخل أهلُنا إلى البيت "ماء الشركة" الممدّد بالأنابيب؟... ».

ولم أستطع إقناعه بأن لا ضير في أن نورد هذه "المفردة" في غير المعنى الذي في باله!

دمشق الشام: مساء الخميس ٢٥-٥-٢٠١٧

أصدقائي

سامحوني عن الصمت أمام كلماتكم الطيبة، فإني أدّخر طاقتي لكتابة بعض الخواطر.

دمشق الشام: مساء الجمعة ٢٦-٥-٢٠١٧

في وحدتي

في وحدتي

أخاطب في الصباحات أبنائي في "فلوريدا"، فأرى أنهم لـمّا يستيقظوا!

في الليل أخاطب أبنائي في "ماليزيا"، فأعرف أنهم قد ذهبوا إلى النوم!

فأزداد شعورًا بالوحدة.

عزائي أني يوم أموت أَجد قبرًا لي في ثرى وطني.

دمشق الشام: ليل الجمعة ٢٦-٥-٢٠١٧

لعبة الموز اللبنانية

في أواخر العام الماضي (٢٠١٦)، كان من جملة معاناتنا ارتفاع سعر الموز الصومالي، دنا السعر من ألف ليرة وتجاوزها... إلى أن رأينا موزًا جميلاً صغيرًا وذو طعم، هو الموز القادم من لبنان الشقيق، وكان السعر: (٣٥٠)... وأكل الموز الفقراء مع الأغنياء.

لكن ما إن دخل الشتاء واشتدّ البرد حتى رأينا هذا الموز الشعبي يرتفع سعره إلى (٤٥٠ ل). ظننا - لطيبة قلوبنا - أنها الثلوج، قطعت الطريق ما بين دمشق وبيروت عند "ضهر البيدر"، فتوقف التوريد!

لكن الثلج ذاب، وسعر الموز اللبناني في ارتفاع... ويمكننا القول إن بعض ما رأينا منه عند الباعة كان متعفن الطرفين، في العنق وفي النهاية.

وانجلت الحقيقة: مخازن الموز في لبنان كانت قد اكتظّت بما حوت، فصرفوه إلى السوريين داخل وطنهم.

هل أسمّيها "لعبة الموز اللبنانية"، على مثال عنوان تلك المسرحية التي كتبها في القرن العشرين الألماني، الملتبسةُ أموره في التأليف، "برتولد بريخبت": "دائرة الطباشير القوقازية"؟

هل أحدثكم عنها؟

أمٌّ في الصين فقدت في الحرب طفلها. أخذته امرأة غيرها. تكتشف الأمّ الأمر فتشكو.

القاضي - ولعله الإمبراطور - رسم في قضائه بالطباشير على الأرض دائرة، جعل الولد في مركزها، وطلب من المرأتين أن تشدّ كلّ منهما الولد لناحيتها، من تنجح يكون الولد لها.

لدى الشدّ أرخت الأمّ ذراع طفلها خوفًا عليه، فعَلا صوت المرأة الأخرى بالفوز. ولكن القاضي قال: أنت لست أمّه، لو كنت لِما شددته لناحيتك. وقضى بأن الولد للمرأة التي أرخت الذراع.

أشقاؤنا اللبنانيون ما زالوا يشدّون أذرعتنا، على أرصفة بيروت وداخل حدودنا في الروابي والسهول، حتى تخلّعت الأكتاف... وليس الموز إلا أبسط الأشياء!

ذكرت رائعة بريخت، ولم أذكر قصتي "لعبة الأرقام المتوافقة" (١٩٧٢، في كتابي "الابتسام في الأيام الصعبة"، تونس ١٩٨٣). أشير هنا فقط إلى أنّ الأديبة الإعلامية السورية المتميّزة "ماري عيسى"، نسجت مقالة عنها جاعلة من بطلها "محسن المقدادي" إرهاصًا اجتماعيًا وأدبيًا لـ"بوعزيزي - تونس"، قد سبقه بأربعين من السنين.

دمشق الشام: ضحى الجمعة ٢٦-٥-٢٠١٧

وأنا ملازم بيتي لا أفارقه

وأنا ملازم بيتي لا أفارقه

من الحجرات إلى فضاء الحديقة

دقّ بابي مَن ناولني عبوة تغمرها فاكهة الغوطة

قال إنها من "أبو بديع"

فعرفت أن موسم المشمش جاء!

دمشق الشام: ليل الأحد ٢٨-٥-٢٠١٧

أيها الأبناء، أعيدوا أباكم إليكم!

تحت الخاطرة "في وحدتي، أخاطب في الصباحات... "، التي نشرتها أمس السبت في صفحتي، علّقت صديقة في شبكة التواصل تقول:

الوطن هو الأبناء والأحبّة، أسألك بالله أن تغادر آلامك التي تعيش، وتشدّ رحالك وتسافر إليهم.

يكفيك ألماً، كلما قرأت كلماتك تمزّق قلبي، فكيف هو قلبك أنت!

فلتعيدوه أيها الأبناء إليكم، أنتم أولى به من وطن يُثقِله بالأوجاع

سوزان جوبي، السعودية، السبت ٢٧-٥-٢٠١٧ الساعة ٠١:٠٣ م

- - - - - - - - - - -

شكرا لك، سوزان، على سموّ العاطفة البنويّة وعلى بلاغة الكلمات.

عدت إلى الوطن لأبقى فيه، أعاني ما يعانون.

دمشق الشام: مساء الأحد ٢٨-٥-٢٠١٧

أليس في العالم اليوم "جنرال سبيرز" جديد؟

يوم ٢٩ أيار/ مايو ١٩٤٥ قصف الفرنسيون المحتلّون بلدنا مبنى البرلمان وقتلوا حراسًا فيه، فأصدر قائد قوات الحلفاء في سورية، الجنرال الانكليزي "سبيرز" (Edward Spears) أمرا بوقف القصف و... أُلزمت القوات الفرنسية بعدم مغادرة ثكناتها!

وسوف أظلّ أذكر وأنا فتى، أنّا كنا نرى، في أول شارع إسكندرون بحلب عند التقائه بسكّة الترامواي، وحداتٍ عسكرية صغيرة من المتطوعين السوريين في القوات الفرنسية، تنشقّ كلما أتيح لها منضمّةً بآليّاتها إلى الجبهة الوطنية، مغادرة الثكنة التي سُمّيت فيها بعد "ثكنة طارق بن

زياد"، يطلق رجالهم النار في الهواء ابتهاجًا، ونحن نصفق لهم فرحا... حصارًا انتهى برحيل الفرنسيين عن بلدنا رحيلا توّجناه بـ١٧ نيسان ١٩٤٦.

أقول: اليوم بعد سبعين عامًا من ذلك التاريخ، يُقتل الناس في بلدي ويُهجّرون فيهيمون على وجوههم في كلّ الأصقاع... ولا نجد في العالم "جنرال سبيرز" جديدا يرفع الصوت بكلمة: لا!

نحن نعرف أنّ تصرّف ذلك الجنرال (١٨٨٦-١٩٧٤) له غايات ملتبسة، هي العمل على تجريد فرنسا من ممتلكاتها وراء البحار وتقليص نفوذها في أعقاب الحرب العالمية الثانية... ولكن هذا الرجل فعل ما يوافق مطامح الشعب السوري.

وقد كافأته حكومتنا الوطنية بأن غيّرت في زمن الاستقلال اسم الشارع الذي أسكنه، "نوري باشا"، إلى "شارع الجزال سبيرز"، قبل أن تسمّيه في عقد التسعينيات "شارع الظاهر بيبرس"... ثمّ تعود إلى اسم ذلك الوالي العثماني الصالح نوري باشا.

دمشق الشام: فجر الاثنين ٢٩-٥-٢٠١٧

[كتبتُ الخاطرة من الذاكرة، أرحّب بكلّ تصحيح]

إلى مكتب "دفن الموتى"

بعد آذار ١٩٦٣ سعى قريبُه، الذي انقادت له السلطة والنفوذ، لتعيينه في منزلة مدير لمؤسسة استيراد وتصدير من تلك المؤسسات المؤممة أو المصادرة، وأشهد أنه نجح في عمله.

بعد حين ساءت أحوال القريب المتنفّذ، فرحل من السلطة ومن الحياة معا!

وهو... أصدروا أمرا بنقله موظفا إلى مكتب دفن الموتى... وهناك من القهر مات!

دمشق الشام: صباح الجمعة ٢-٦-٢٠١٧

«سلّم لي على ابنك!»

في مطلع التسعينيّات أسّستُ في دمشق منشأة (سمّيتها "دار إشبيلية" لهوًى عندي للأندلس) لنشر كتبي، هذه التي دأبت المؤسّستان الثقافيتان (الحكوميّة وزارة الثقافة والشعبيّة اتحاد الكتّاب) على رفض نشرها... وكان أن أصدرنا، أنا وابني الوحيد فراس، طبعة ثانية من روايتي "ثمّ أزهر الحزن" (كانت الأولى في بيروت ١٩٦٣) وطبعة ثانية لـ"الألم على نار هادئة" (الأولى ١٩٨٥) وطبعة جديدة لـ"اعترافات ناس طيبين")، وكانت طباعة هذه الكتب متقنة على نحو يستلفت النظر. ومع فرحتنا بذلك كان ابني (وهو في نحو العشرين ويزيد) يحمل نسخا من هذه العناوين الجميلة، يودعها برسم الأمانة عند المكتبات الشهيرة، ثمّ يأتينا منهم هاتف يقول: هاتوا نسخا أخرى!

في ذلك زرت "مكتبة العائلة" الشهيرة (في ساحة النجمة) تُديرها في تلك الآونة زميلتنا في اتحاد الكتّاب الأديبة "مهاة فرح خوري"، والتقيت عندها فتاة هي ابنة شقيقها، خريجة أدب فرنسي، جميلة ورقيقة الحاشية، عرفت منها أنها "مخطوبة" لطبيب شاب مهاجر حديثا إلى كندا، وهي تنتظر أن تُمنح التأشيرة للسفر إليه.

ولست أدري كيف قادنا الحديث عن النشر وتسويق الكتب إلى أن أحدّثها عما نباشره أنا وابني من توزيع بواكير دارنا الصغيرة. وفي الاسترسال في الحديث، رويت لها أننا جرينا على أن نودع كتبنا الثلاثة العزيزة في المكتبات، ثمّ نتلقى طلبات... هل أسهبت فحدّثتها عن أن مكتبة في شارع عام، دخلها ابني أول مرة فرأى المسؤول عنها فتاة في مثل سنّه هي سنة أولى أدب عربي، رحّبت به وأعطته أملاً في أن تبيع كثيرًا من هذه الكتب التي رأتها جديرة بالاقتناء والقراءة!

الذي وقع أنّ الكتب الثلاثة (مضروبة بنسختين من كل عنوان) لم يمض سوى أسبوع واحد

حتى هتفت الفتاة لابني تطلب منه جديدا منها. فذهب إليها يحمل الثلاثة مضروبة بثلاثة، وخلال أسبوع تمّ التسويق... وهكذا. وفي ابتهاجه بذلك سألها عن هذا الترويج الاستثنائي؟ فقالت بأنه يدخل المكتبة أحيانًا قارئ متلهّف يريد كتابا يقرؤه أو يُهديه إلى عزيز وهو لا يعرف ما يختار، فتبادر إلى أن تضع "ثلاثيّتنا" أمام عينيه، وتتشاغل، وإذا هو يقتنيها ويذهب بها شاكرا.

أحبّ ابني أن يعبّر لها عن امتنانه، فدعاها يوما لتناول وجبة سريعة في أحد المطاعم الشبابيّة، هناك تبادلا – وهما يأكلان الفروج البروستد – أحاديث عن التأليف والنشر والتسويق. وقد لاحظنا في ذلك أنّ وتيرة البيع ارتفعت... إلى أن عبّرت الفتاة لابني عن عواطف جميلة تُكنّها له، ثمّ كررت التعبير وألحت إلى ما هو أبعد، فكان عليه أن يبيّن لها أنه ما زال صغيرا ولا عمل له بعد!

منذ ذلك التصريح، أيها الأصدقاء، ما عادت تباع لنا في مكتبتها نسخة أي نسخة!

هل نمّقتُ حديثي لخريجة الأدب الفرنسي وأنا لا أدري؟ عندما هممت بالانصراف، صافحتني بحرارة، وقالت لي والمحيّا مشرق والثغر باسم: "سلّم لي على ابنك"!

دمشق الشام: عصر الجمعة ٢-٦-٢٠١٧

إنّ الأهل الذين ربّوك أحنُّ عليك من الذرية التي ربّيتها

عرفت هذا في آخر العمر، والأهل قد ذهبوا

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ٦-٦-٢٠١٧.

إذا كان بعض أصدقائي يخشون وضع لايك في صفحتي

فإن بعضهم الآخر يخافون أن يطؤوا عتبة بيتي!

دمشق الشام: مساء الثلاثاء ٦-٦-٢٠١٧

يا أحفادي، يا أسباطي[1] المغتربين بعيدا بعيدا...

لا أريد منكم أن تسألوني: "لازمك شي؟ "، فهي مستورة والحمد لله.

لكن أريد أن أسمع منكم كلمة: "كيف صحتك، يا جدّو؟ ".

دمشق الشام: عصر الثلاثاء ٦-٦-٢٠١٧

وأنا في حديقة بيتي

أرى القمر... نعم أراه، في السماء العالية، وقد استدار بدرًا...

دمشق الشام: ليل الخميس: ٨-٦-٢٠١٧

في ربيع ٢٠٠٩ قال لي طبيب العيون، بصراحة تقبلتها:

"تهتّك بالشبكية. درجة الرؤية عندك أربعة من عشرة. سوف تتناقص إلى حدّ الـ... لا حول ولا قوة إلا بالله".

دمشق الشام: عصر الخميس ٨-٦-٢٠١٧

بماذا تريدين أن تُبشّريني؟

أنّ بصري عاد إليّ، والسمعَ والصوت والتمتّع بالذكريات؟

وأنّ الظهر استقام، و"الدوخة" راحت؟

أنّ السلم حلّ، وأنّ رايات الحرية ارتفعت في كلّ مكان؟

---

(١) يفرِّق السباعي في كل كتاباته بين الأحفاد والأسباط على أن الأولى لأولاد الأبناء والثانية لأولاد البنات. لكن الصواب في اللغة أن كلاً منهما تطلَق على أولاد الأولاد عموماً. ولذلك نرى السباعي دائماً يكرر متوهما، عند ذكر ذريته، الكلمتين. وكان يكفيه إحداهما.

وظلّتّ الفراشة تُحوّم حولي وأنا أمشي تحت ظلال الياسمين!

دمشق الشام: أصيل الجمعة ٩-٦-٢٠١٧

بعض الناس

لا يفهمون معنى أن يفقد الإنسان نعمة البصر

ابتدأت أعرفهم

دمشق الشام: ليل السبت ١٠-٦-٢٠١٧

أما آن لحلب، المنكوبة، أن تنعم بالماء والكهرباء!

دمشق الشام: ليل السبت ١٠-٦-٢٠١٧

مع أني أذيّل خواطري دائمًا بعاصمة الأمويين، فإنّ بعضهم يسألني للتأكد: أين أقيم!

دمشق الشام: مساء الأحد ١١-٦-٢٠١٧

رجل.. نسيتُ اسمه!

كان يقرع بابي، كلّ عام، مرة أو مرتين. إنْ كان صيفٌ جلسنا تحت ظلال الياسمين، ودخلنا البيت إن كان شتاء.

كنت في أربعينيّات العمر، وكان في الستين أو ما حولها. رَبْع القامة، أبيض الشعر، مورّد البَشرة. مرة رأى ساعة الضحى طاقات الورد وأصص الزهر مصفوفة على حافة البِركة (البحرة) ومتناثرة في الأرجاء؛ كنا غداة عَقد قران ابنتي التي تتهيّأ للالتحاق بالولايات المتحدة. هنّأ بدماثته وبارك. كان دمشقيًّا بامتياز.

في البدء، جاءني يُزيّن لي أن أسجّل لنفسي "اشتراكًا" في الجريدة التي يعمل فيها "جابيًا" (إحدى الجريدتين، قبل أن تنضاف إليهما الثالثة "تشرين"). ولما لاحظ عُزوفي أخذ يُحاسنني القول: "طيّب، ليكن اشتراك نصف سنة، ما قيمته؟ تقرأ، وتعطي الورق لربّة البيت تمسح به زجاج الشبابيك! ". ومع أني لم أكن أستطيب قراءة "إعلام النظام"، فقد قبلت. أي إخلاص عند هذا الرجل لوظيفته! صرت مدمنًا على الاشتراك، وأدمن هو على زيارتي السنوية.

في أمانته لما يتجمّع عنده من بدلات الاشتراك، كان بعض "المحتاجين" من العاملين في مؤسسته، أو المسرفين، يطمعون فيما لديه، فيطلبون منه أن يقرضهم مبلغا صَغُر أو كبُر وله على ذلك "مكافأة"، فيأبى، فماذا يقول للمحاسب إن هو سأله أين الحصيلة؟ وكانوا يُلحّون، وتَحُولُ أمانته دون أن يستجيب، فيذهبون إلى كبيرهم يتّهمونه بأنه يقرض الآخرين "بفائدة" لنفسه، وهم المفترون!

يؤسفني أنّ غاب اسمه عن ذاكرتي، ولو ذُكر أمامي اللحظة لقلت: هو ذا! ولكني لم أنس شخصه. مثله من يأخذ بيدي إلى قاع الناس، مَنْجمي الذهبي، أو الماسي!

دمشق الشام: عصر الأحد ١١-٦-٢٠١٧

ويقع في بلدنا كلّ يوم انقلابٌ أو محاولة انقلاب فاشلة!

مهووس يعلن في جمع من الناس:

- لماذا تتقاتلون ونحن أرقى شعوب العالم!

فيقولون:

- وكيف نكون أرقى شعوب العالم وليس عندنا مسرح رفيع؟

- ولا موسيقى سنفونية!

- ويقع في بلدنا كلّ يوم انقلابٌ أو محاولة انقلاب فاشلة!

فأحسّ الرجل وجهه يمتلئ خجلاً. كيف جاز له أن يعلن هذا الرأي؟ إنه، هو نفسه، غير مقتنع به. وفضّل أن يتوارى.....

- - - - - - - - - - -

من قصتي "يقظة بعد سبات طويل"!

الكتابة: ربيع ١٩٦٧

النشر: في مجلة "المجلة" القاهرة (١٩٦٩!)

كتابي "حزن حتى الموت" (بيروت ١٩٧٥، ٨٠، ٨٣، ط٤ دمشق ٢٠٠٢، الإصدار الخامس بالفرنسية باريس خريف ٢٠٠٢)

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: فجر الأحد ١١-٦-٢٠١٧

كتبت لي:

- - - - - - - - - - -

يا ابن خالتي!

والله عم أقرا كل شي بتكتبه... بس ما بقدر أحطّ لايك!

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ليل الاثنين ١٢-٦-٢٠١٧

مقتل بائع الورد الصغير

كانت أسرة "أحمد جاويش" تسكن منطقة "الجزماتي" شرقي حلب، نزحت في الأحداث إلى قريب من "باب الفرج"، ولكن الطفل كان يفضّل أن تكون مدرسته في منطقة "الموجامبو" (وهو في الصف الخامس منتقلا إلى السادس)، يحتضنه الجدان، ويخرج في غير أوقات المدرسة يبيع الورد، أو البالونات، أو العلكة، يُعين بذلك أهله.

أمس، الأحد سويعة الإفطار، كان الطفل أحمد يتناول، على رصيف "مطعم فراريج[1]" في كتف ملعب "الاتحاد"، وجبة برّ وإحسان من صاحب هذا المطعم. رأى رجلاً يشتري الفَرّوج، فتوسّم فيه شاريًا للورد الذي بين يديه. تقدّم منه يعرض. قال الشهود إنه لم يُظهر إلحاحًا، ولكنّ الرجل صرخ به أن "ينقلع من قدّامه". استغرب أحمد هذه اللهجة، قال بأدب: "أنا ماشي، بس لا تغلط معي! "، واستدار. أخرج الرجل مسدسه. صديق للطفل هتف به: "أحمد انتبه! "، ولكنّ الرصاصة كانت قد اخترقت الرأس ونفذت من الجبين. والقاتل استقلّ سيارته المغيَّبة فيها "النمرة"، ومضى. قالوا إنّ الكاميرا في المطعم رصدت وصوّرت!

في اللقاء التلفزيوني الذي أُجري مع الأمّ، اليوم، تصدقون أنها عبّرت عن استنكارها أن يكون سلاحٌ في أيدي الداخلين إلى المطاعم، والحدائق العامة، وملاعب الأطفال!

أحمد أضاف نقطة في بحر دماء السوريين.

وأمه... لمّا تحدّثت عن ألمها، لم تنسَ الوطن... حيّوها معي.

دمشق الشام: ليل الاثنين ١٢-٦-٢٠١٧

---

(١) دجاج

الراقدون على جنب واحد

ومن "تواضع" الأنظمة الاشتراكيّة التي سادت بعض أقطارنا العربية، أن تهمّموا إلى أن يُلغوا وظيفة "الآذِن" (الفرّاش) من دوائر الدولة، ذاك الذي تقرع الجرس وأنت في عملك، وتطلب منه أن يحمل هذا "البريد" الذي أنجزتَه إلى مكتب السيد المدير، أو إلى "الآلة الكاتبة"، أو إلى أيّ من مسؤولي الدائرة التي تعمل فيها... فيكون عليك أنت أن تحملها إلى حيث ينبغي، وذلك تحريرًا للنفس البشرية من ذلّ تلقّي الأمر وحمل الورق.

ولكنهم لم يفطنوا إلى أنهم جعلوا "المعتقلين"، في اكتظاظ الأقبية المعتِمة بهم، ينامون على وضع "سيف"، يرقد الجميع على جنب واحد يمينًا ثمّ ينقلبون معًا نحو اليسار.

وأما أنا، فإني يوم اعتُقلت، في عزّ البرد (أول أربعينية الشتاء)، فقد أفردوني بزنزانة "مستقلة" تمدّدت على مصطبتها بطولي، وكان الوِطاء تحتي حْرامًا[1] طويتُه طولًا عدة طيّات، ومثله غِطاء، وهما في غاية القذارة لم يعرفا الغسل منذ دخلا حيّز الاستعمال، ما جعلني أصرّح فيما بعد لإحدى الإذاعات الناطقة بالعربية: "فكأنهم يريدون لسجين الرأي أن يموت من القهر والبرد والجراثيم!".

دمشق الشام: فجر الاثنين ١٢-٦-٢٠١٧

أشار عليّ طبيب عيون بحلب

أمس أشار عليّ طبيب عيون بحلب متخصص بالشبكية كان قرأ أوجاعي، بأن أصور ما سماه لي "فلورسين وOCT مع تسجيل القدرة البصرية بعد التصحيح"...

ومع أنّ الصديق الحميم الدكتور عمّار النعساني في مركز الوفائي لطب العيون بدمشق

---

(١) لِحافاً

متخصص بالشبكية، فقد ذهبت إليه وصورت وأرسلت...

والغريق يتعلق...

دمشق الشام: ليل الاثنين ١٣-٦-٢٠١٧

ما قبل الكلمات الأخيرة

لا العُنُقُ بات يستطيع أن يحمل الرأس

ولا العمود الفقري والساقان تقوى على حمل الجسد

ولا العينان بقادرتين أن تقرأا الكلمات

ولكن الذكريات ما زالت في الصدر تموج ويستجيب لها العقل... فإن جاء الزهايمر فذاك هو الموت في الحياة.

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ١٣-٦-٢٠١٧

الولد الذي يبيع الأحلام

قصة للصغار والكبار. ستُمتعك إن بذلت شيئا من وقتك بقراءتها. كتبتها عام ٢٠٠٣، نُشرت أخيرًا في مجلة "قوس قزح" في حلقات أربع (من شباط/ فبراير حتى الشهر الماضي أيار/ مايو ٢٠١٧). اقرأها اسمع مني!

(حمزة يروي:)

أخذ حمزة يروي حكايته الجديدة لرفاقه وهم في باحة المدرسة:

.عندما رَسَا بي القارب على شاطئ الجزيرة، ووضعت قدمي على الأرض، جاءت وحوش الغابة لتستقبلني، الفيل "أبو الفلّ"، والزرافات الطويلة الأعناق، وحُمُر الوحش المخططة

الجلود، والقردة تتدلّى من الأغصان وتتقافز، و...

قاطعه أحدهم:

.بالقارب رسوت على شاطئ الجزيرة؟ ولكن ما الواسطة التي حملتك إلى ساحل البحر هناكَ؟

أسرع حمزة يقول:

.الهوندايه، التي تقف في فناء بيتنا، يا رفيقي!

اعترض آخر:

. تسأله عن وصوله إلى البحر ثمّ إلى الجزيرة، فلنسأله كيف يمكن أن تأتي وحوش الغابة لاستقباله! هل صافحتَهم يا حمزة؟ هل مدّوا لك عند المصافحة قائمة أمامية أم خلفية؟

وضجّ الأولاد بالضحك.

. لا تسخر، يا صديقي! كانوا في انتظاري كي نؤدّي معاً مهمّة جليلة!

. مهمّة جليلة؟!

.نعم

.وما هي؟

.حِفظ الكنز، الذي حاول "القراصنة" سرقته، وهو ثروة وطنية غالية!

فغر الأولاد أفواههم من الدهشة: كنز! قراصنة! ثروة وطنية! عمّاذا يحدثهم رفيقهم هذه المرة؟

رفع حمزة صوته:

.إني أروي ما وقع لي في يوم العطلة بالأمس. قمت بجمع الكنز الذي بعثره اللصوص في

الجزيرة.

تعالت الأصوات:

. أنت تحلم كعادتك، يا حمزة، وتبيعنا أحلامك. أنت "حمزة بيّاع الأحلام": أنت تضحك على عقولنا عندما تقول إنّ هذا وقع لك فعلاً!

رفع صوته أكثر فأكثر:

. لا تقولوا خيال وأحلام، كان برفقتي اثنان من رفاقنا.

. رافقك في رحلتك هذه اثنان منّا؟ من هما؟

نقَّل حمزة ناظريه بين الوجوه:

. "سليم" و"سالم".

. سليم وسالم، رفيقانا في الصفّ، ما غيبهما؟ أين هما، هذان الشاهدان؟

تلفّتوا، تساءلت عيونهم، ارتفعت أصواتهم بالنداء:

. سليم؟ وأين أنت يا سالم؟

وجاءتهم الردود والتعليقات:

. لم يأتيا اليوم. كان أولى بهما ألا يغيبا عن المدرسة في هذا اليوم، ليكونا شاهدين صادقين.

قال حمزة معللاً:

. أنهكهما التعب، من فرط ما بذلنا من جهد، مع أنهما تناولا من العشبة الزرقاء مقدار ما تناولتُ وأكثر!

جاءه سؤال من آخر الأولاد:

. وما اسم الجزيرة التي زرتها؟

. جزيرة الشحارير البيضاء!

.... بيضاء! الشحارير، كما درَّسونا، لا تكون إلا سوداء بمناقير حمراء!

. إلا شحارير هذه الجزيرة فإنها بيضاء، لذلك نسبت الجزيرة إلى هذه الشحارير.

. والقراصنة، ألم تخف منهم؟

. كانت، ووحوش الغابة... قد حملتهم على الفرار!

. والكنز المبعثر، الذي جمعته أنت ورفيقا المدرسة، هل حملتموه معكم؟ أين هو الكنز؟ دعنا نراه.

وسؤال أخير جاء من ولد في آخر الجمع:

. و... العشبة الزرقاء، ما هي؟

(بياع الأحلام:)

كان مدرّس العربية قد سمّى زميلهم حمزة "بياع الأحلام"، وذلك بعد أن تواردت إلى سمعه قصصه وحكاياته، هذه التي كان حمزة يتحرّج من روايتها أمام أستاذه، بينما هو يسترسل في قصّها على زملائه كلما سنحت له الفرصة، في باحة المدرسة أو في قاعة الصفّ ما بين الدروس.

وقد شاء هذا المعلم أن يعرض قضية حمزة أمام زملائه المعلمين، معرباً عن إعجابه بخيال هذا التلميذ، المتقن للغة العربية تعبيراً، وإن كان ينقصه التمكّن من قواعدها، ولم يكن يشاطره إعجابه هذا إلا أستاذ علم النفس، الذي تنبّأ أن يكون لهذا الولد شأن في عالم الرواية المكتوبة. هكذا قال. إن لم تصرفه مصاعب الحياة عن الدراسة. ولكنّ سائر المعلمين في المدرسة لا يرون في بياع الأحلام إلا تلميذاً خائباً، كثيراً ما يأتيهم وقد أهمل كتابة الوظيفة المقررة، وأحياناً ينسى أن يحمل حقيبة كتبه على كتفيه فيعمد إلى مشاركة زملائه كتبهم وأوراقهم، ويَغيب في بعض

الأيام عن المدرسة، وبالسؤال يتأكدون أنه كان يعاون أباه "العربجي" في نقل الأحمال على "الهوندابة" من مكان إلى مكان آخر بعيد، ما يحمل زملاءه الذين يعيشون رغداً على الاستغراب، ولكن يُعجب بهمّته من يكون آباؤهم من ذوي الدخل المحدود فيتمنّون مساعدة ذويهم.

(استقبال حافل:)

كان في استقبال حمزة، على شاطئ الجزيرة، أصناف من وحوش الغابة... هل كانوا معه على موعد؟ حمزة يؤكد أنه ما توجّه إلى جزيرة الشحارير البيضاء إلا بدعوة من هذه الحيوانات الصديقة، كي يمنع الأشرار من أن يسرقوا الكنز، وأنّ سكان الجزيرة، سوف يبذلون أقصى جهدهم في معاونته لإنجاز هذه المهمّة الخطيرة!

كانت الزرافة أول من استقبله، هو ورفيقيه سليم وسالم، لمحت عن بعد، بقامتها المديدة، القاربَ وهو يهتزّ على سطح الماء مقترباً من الشاطئ.

سألها:

.كيف حالك، أيتها الزرافة "لطافة"؟

أجابت، وهي تلعق بلسانها ما جاور فمها:

.منذ الفجر ونحن ننتظر قدومك!

وكان الفيل يقف بحذاء قائمتيها الأماميتين العاليتين.

.وأنت، يا "أبو الفلّ"؟

إنه يناديهم بأسمائهم!

رفع أبو الفلّ خرطومه محيّياً، ثم خفضه وهو يزعق متسائلاً:

. اثنان فقط من أصحابك أتيت بهما؟

أجاب حمزة:

. يكفيكم واحد هو أنا! جئت بهما ليتفرّجا على أحراج الجزيرة!

فمال الفَتَيان يهمسان في أذن صديقهما:

. لماذا تقول هذا مصغِّراً من شأننا؟ نحن جئنا للعمل!

وبرز، من خلف دغل كثيف، حمار الوحش، سأله:

. هل أنت جاهز للشغل، يا "صابر"؟

أطلق الحمار نهقة تردّد صداها في أرجاء الغابة، مجيباً بها أن نعم، فسايره حمزة: أخذ يحدثه عن أنّ أباه هو، قبل أن يتعلم قيادة الهوندا ية:

. ظلّ يعمل سنين طويلة على عربة "طُنْبُر" يجرّها حمار شبيه بك، يا صابر، ولكن ليس في جلده مثل هذه الخطوط، وكان حماراً ضعيفاً خوّارا، فسمّاه أبي: الفَطْسان، فلما منعت الحكومة هذه العربات من أن تتجوّل في شوارع المدينة، تخلى أبي عن... الجارّ والمجرور!

في هذه الأثناء، هبط من دوحة الكستناء الضخمة قرد كبير، وتساقطت بعده قرود كثيرة العدد، فبادر حمزة يقول لكبيرهم:

. أراك جئت بالأسرة كلها، يا هلوب! [١]

ولكن القرد قال معاتباً:

. أما ترى أنك تأخرت في قدومك إلى الجزيرة كثيراً، أيها "المنقذ"؟

أجاب حمزة:

---

(١) مَنْ يقوم بأي عمل يعمله بسرعة وشطارة.

. كان علي أن أنتظر العطلة الأسبوعية.

. كسر اللصوص باب الكهف، وأخذوا ينقلون الكنز.

. ولكنكم أعلمتوني أنهم لم يفرّوا بشيء منه.

. منعناهم.

. ولِمَ لم تُلقوا القبض عليهم؟

. خبؤوها في أماكن لم تخفَ علينا.

. هيا نتعرّف على مخابئها... لنتوجّهْ أولاً إلى الكهف.

وصدرت أصوات تملأ أسماع الغابة، منها اللطيف ومنها المُنْكر، ولكن يوحّدها أنها تعبّر عن الاستعداد للبدء في العمل.

همَّ حمزة بأن يعتلي ظهر أبو الفلّ، الذي برك تلقاءه، بعد أن أوعز إلى رفيقيه أن يمتطيا صابر ولطافة، ولكن سليم خاف أن يركب حمار الوحش، وهو الذي لم يسبق له أن ركب حمارَ المدينة المستأنس، وأما سالم فقد قال بملء فيه:

. وكيف يمكنني أن أثبت على ظهر لطافة، الشديد الانحدار؟! أنزلقُ، وأهوي إلى الأرض، وتُدقّ عنقي، وتغادران أنتما الجزيرة وتتركاني مدفوناً فيها!

فأقرّهما حمزة على مخاوفهما، وأردفهما خلفه على متن أبو الفلّ، الذي نهض بالثلاثة، وكأن لا شيء على ظهره ألبتة.. وساروا جميعاً إلى حيث الكهف، المكسورِ بابُه والمبعثرة محتوياته.

(فراشات مضيئة:)

تقدّمت الموكب الزرافة لطافة تمشي الهُوَينى بخطواتها الواسعة، وراءها أبو الفلّ يدبّ بخطواته الثقيلة، يتبعهم حمار الوحش صابر، وأما هلوب وأسرته من اللهاليب المتقافزة، فإنهم

أسرعوا يتسلقون الشجر، ويتأرجحون بين الأغصان، منتقلين عبر فضاء الغابة وكأنهم يسيرون في طريق واضحة المعالم.

لم يحزن حمزة كثيراً من نزول القراصنة الجزيرة، وتعرّفهم على الكهف، ومباشرتهم بتفريغه تحت جنح الليل، ما دام أصدقاؤه من حيوانات الغابة قد منعوهم من الخروج بالكنز... ولكنه أشفق على مكوّنات الكنز أن يكون قد أصابها من جراء ذلك عطب أو تلف.

كانت العتمة تخيم على الكهف، ولكن تبددها أسرابٌ من الفراشات المضيئة رافقتهم في تلك اللحظة سابحة في فضاء الكهف منيرة أرجاءه، فاستطاعوا أن يتبيّنوا ما أخذ السارقون من هنا فثمة فراغ، وما أبقَوا هناك مما لم تسنح لهم الفرصة بأخذه.

وخرجوا من الكهف.

سأل أبو الفلّ، بصوته الأجش:

ـ ومن أين تريدنا أن نبدأ، أيها الفتى القادم إلى جزيرتنا من أرض الوطن؟

هنا نزل عليهم صوت من عل، هو صوت لطافة، التي لم ترافقهم في دخول الكهف لعلوّ قامتها:

ـ أرى أن نبدأ من أبعد مكان خبؤوا فيه المسروقات، من طرف الجزيرة هناك حيث تشرق الشمس.

وفرح حمزة لروح التعاون التي يُبديها أهل الغابة، وعندنا همّ بأن يعتلي ظهر أبو الفلّ، نهق صابر محتجاً، ومعبراً عن رغبته في أن يعتلي حمزة ظهرَه هو هذه المرة، بعد أن كان أحد صاحبيه أعلن عن خوفه من ركوبه ساعة التوجّه إلى الكهف، فما كان من حمزة إلا أن وثب إلى ظهره، وامتطى سليم وسالم ظهر أبو الفلّ، وساروا، تتقدّمهم لطافة بخطواتها الواسعة في اتجاه مشرق الشمس.

(تمثال تغطّيه الأغصان:)

لم تكن المسافة بعيدة بين الكهف وبين أول المخابئ التي دلّتهم عليها لطافة، فالجزيرة صغيرة والمسافات فيها قريبة، وخطوات هذه الحيوانات واسعة وسريعة.

واكتشفوا أن ما خبّأه اللصوص، في هذا المكان، هو تمثالٌ ضخم يعود تاريخه إلى ألفي سنة مضت، ذلك أنهم، ساعة فوجئوا بحيوانات الغابة تتصدّى لهم، تركوه جانباً واكتفوا بأن غطّوه بما تيسّر من أغصان الشجر أملاً في عودتهم إليه.

قال سليم:

.وكيف يمكن حمل هذا التمثال الثقيل الوزن! إنّا إذا وضعناه في قاع القارب، غصنا معه إلى قاع البحر!

صحّح له حمزة قوله:

. ولكننا لن نأخذ شيئاً من هذه الكنوز، سنعمل على إعادتها إلى أماكنها في الكهف، وفي المدينة، غداً، نُعلم المسؤولين، فيأتون إلى الجزيرة بوسائطهم، ويحملون كل شيء.

ثم فكر: إنّ أبو الفلّ، القوي البنية، قادر على حمل هذا التمثال ونقله إلى الكهف، ولكن كيف يمكننا أن نرفعه ونثبّته على ظهره!

هنا مالت الزرافة الفهيمة على لهلوب الغابة، تطلب منه أن يذهب وصغاره فيأتوا بشيء من لحاء الشجر، ليربطوا به التمثال على ظهر الفيل.

وما هو إلا قليل حتى رأى حمزة اللهاليب كلهم يقومون بنقل ما انتزعوه من لحاء من جذوع الأشجار القريبة، حتى جعلوا منه حبالاً طويلة وغليظة، وتعاون الجميع، بمن فيهم أبو الفلّ، الذي استعمل خرطومه، فرفعوا التمثال إلى ظهره المتين، وثبّتوه بالربط والحزم بالحبال المجدولة... ثمّ ساروا نحو الكهف في موكب مهيب، تتقدمهم الزرافة لطافة، ممهّدة لهم

الطريق، حريصة على ألا تلامس أغصانُ الشجر جسد التمثال فتصيبه بخدوش.

وإلى الكهف أدخلوه، ووسّدوه في الموضع الذي كان فيه.

قال لهلوب:

. أنا الآن أدلّكم على الكنوز التي دفنوها تحت التراب.

وأقبلت اللهاليب على العمل، فنبشوا بأظفارهم التراب بلمح البصر، واستخرجوا كثيراً من التماثيل الصغيرة، وعثروا كذلك على صناديق، تحتوي على جرار وأساور وأقراط وخواتم، من ذهب وفضة ومن ماس، تزينها الأحجار الكريمة من مختلف الأشكال والألوان، أخذت تلتمع تحت أشعة الشمس وكأنها خرجت تواً من عند الصائغ!

وانتشلوا من تحت التراب هذه الصناديق كلها، وأودعوها في مواضع في الكهف.

(فوق الرابية بجوار النبع:)

لمّا توسّطت الشمس كبد السماء، شعر الجميع بالتعب، وأفصح الرفيقان عن أنهما يحسّان بالجوع ينهش أمعاءهما، ثم عبّرا عن فرحهما عندما أعلمهما حمزة بأنه قد حمل معه زاداً هو ثلاثة أرغفة ملتوتة بالزيت والزعتر.

وقادهم لهلوب إلى رابية فيها نبع تتدفّق منه المياه العذبة، وتنساب رقراقة في جداول تنحدر متفرعة إلى أنحاء الجزيرة، واحتضنتهم أشعة الشمس الدافئة، وهم يلتهمون أرغفتهم وتشنف آذانَهم أغاريد الشحارير، التي رأوها بيضاً حقيقة بمناقير سود! ولكن انتابتهم الغُصَصُ وهم يأكلون الخبز بالزعتر، فشربوا من النبع بأكفّهم حتى ارتووا، ولكنهم لم يحسّوا بالشبع، وقبل أن يُفصحوا عن ذلك، كان لهلوب الغابة قد وضع أمامهم "قرط موز" حرص على أن تكون الأصابع فيه صُفراً ناضجة لا خُضراً، فانهالوا على القرط، يقطعون، ويقشرون، ويلتهمون.

وبينما ذهبت حيوانات الغابة ترعى وتستريح، فإنّ القرد لهلوب ظلّ يلازم الضيوف، ويقوم

على خدمتهم، فقد أتاهم بجوز الهند، فكان يكسر الجوزة على مرأى منهم ويفتحها، ويقدمها إليهم واحداً واحداً، فيشربون رحيقها بتلذّذ ويأكلون من ثمرها الدسم.

ولكنهم سرعان ما تبيّنوا أنهم أفرطوا في تناول الطعام، فقد أحسّوا بالامتلاء والكظّة مع ضيق في التنفس، وكان هلوب يراقبهم بعين ساهرة، وما أسرع ما قدم لهم عشبة قال إنها تشفي مما وقعوا فيه من أمر، وأنها أيضاً تمنح البدن قوة عجيبة والذهن صفاء خارقاً، اسمها عندهم "العشبة الزرقاء"... فأخذوا يلوكون منها بألسنتهم، وما قصّروا في ذلك!

ولكن، مرة ثانية، أفرطوا، وكان أكثرهم إفراطاً سليم. هذا الذي كان قد أبدى مخاوف من ركوب حمار الوحش صابر. فإنه أسرف بما أخذ من هذه العشبة، رغبة منه في أن يبدّد الخوف في نفسه ويزيد جسمَه قوة! فجاء المفعول غير ما تمنّى، خارت قواه، وجحظت عيناه، وانطرح أرضاً حتى ظنّ زميلاه أنه فارق الحياة، فصرخا معاً:

. ما هذا، يا هلوب؟ أنت قتلت رفيقنا، وسوف تقتلنا لا محالة!

فما كان من القرد، الطيب، إلّا أنْ أطلق ضحكة عالية:

. لا تخافا، أيها الصديقان. نحن حيوانات جزيرة الشحارير البيضاء، لا نخون ولا نقتل أحداً بغير ذنب، رفيقكما تناول كمية زائدة من هذه العشبة السحرية، وهي الآن تفعل فعلها في جسمه وعقله، وسوف ينهض بعد قليل معافى وقوياً، فيبدو لكم مثل طرزان! انتظروا قليلاً.

وأخذا يراقبان رفيقهما... حتى رأيا جفونه ترمش، وأدار طرفه فيما حوله، فرأى الأشجار الظليلة، وسمع خرير المياه العذبة وتغريد العصافير الجميلة، فسأل:

. أين أنا؟

أجابه سالم مازحاً!

. في الجنة!

فصدق سليم، وقال:

.وأنتما معي؟ متى متنا؟ والمدرسة؟!

قال حمزة:

.سوف نعود إليها غدا!

فجلس سليم، ثمّ انتصب واقفاً، وأخذ يتلمّس ساعديه، ويقول في فرح:

.أصبح لي عضلات قوية!

سأله حمزة:

.وهل تخاف بعد الآن ركوب صابر؟

.أنا مستعدّ منذ اليوم أن... أركب الغيم وأسابق الريح.

بعد هذه الاستراحة، التي تخللها الأكل والشرب والفزع، استأنف الرفاق الثلاثة العمل بمعونة أصدقائهم من سكان الغابة، فلم يتركوا شيئاً مما خبّأه القراصنة من الكنوز بين الأغصان وتحت التراب، إلا كشفوا عنه ونقلوه إلى الكهف.

(الوطن الحبيب:)

وفي صفاء الذهن، الذي اعترى حمزة بعد تناوله العشبة الزرقاء، أخذ يفكر ويفكر:

لو أن الأشقياء تمكنوا من الهرب بالكنوز، التي أعدناها إلى الكهف، ثمّ ذهبوا يبيعونها في بلاد العالم، يَغْتَنون هم ويُفقِرون وطننا مما فيه من الآثار، على وجه الأرض وفي باطنها!

ثم حلق به التفكير بعيداً.

وهذه الجزيرة الغنّاء ذات المناظر الخلابة، العامرة بالكنوز والآثار، لو أن الحكومة تفطن إليها، فتعمل على إقامة المنشآت السياحيّة في ربوعها، فتكون مصيفاً ومشتى لكل من يؤمّها

من أبناء الوطن أو يقصدها من السياح المغرمين بالمناظر والآثار!!

ولم يفصح لرفيقه عن هذه الأفكار التي راودته، ولكنه عزم على أن يخبر المسؤولين بذلك فور عودته إلى المدينة، ويحدّث رفاق المدرسة، والمعلمين... وسوف يتداولون الأحاديث فيما بينهم فيقولون: حمزة، هذا الولد البسيط، ابن العربجي الذي كان يعمل على الطنبر ثم على الهوندايه، هو الذي قام بهذا الاكتشاف العظيم، فخدم الوطن خدمة ثقافية واقتصادية!

الوطن؟

آه! كم يحب وطنه!

بعد أن أودعوا الكنوز كلها في الكهف، مرصوفة بعناية، أوعز حمزة إلى أصدقاء الغابة بأن يأتوا بصخرة كبيرة، أخذوا يدحرجونها على الأرض، وسدّوا بها مدخل الكهف... فكيف يستطيع اللصوص، الذين لم يعرفوا تلك العشبة السحرية، إزاحتها والدخول ثانية إلى الكهف؟!

ثم أخذ قطعة خشبية هي مقطع من شجرة، وخط عليها بالحوّار الأبيض، خطاً عريضاً:

حمزة المتيّم بحبّ الوطن

مرّ من هنا

مرّ حقيقة وليس في الحلم

(العودة إلى النبع الصافي:)

بعد إنجاز المهمّة، رأى حمزة أن يعودوا إلى الرابية كي يستحمّوا بماء النبع الصافي.

والعجيب أنهم لم يشعروا ببرودة الماء مع أنه كان بارداً عندما شربوا منه على الغداء! ولعبوا، وهم يسبحون في النبع، وتراشقوا بالماء، وتعالت أصواتهم حتى طغت على الضحكات التي

كانت تطلقها لطافة وأبو الفلّ وصابر ولهاليب الجزيرة، وسائر

الحيوانات التي جاءت تشهد هذا الحدث السعيد، ثلاثة من البشر، هم أول من وطئت أقدامهم أرض الجزيرة، بعد أولئك اللصوص الذين لاذوا بالفرار.

قبل المغادرة، طلب حمزة من لهلوب الطيب أن يزوّدوه بشيء من العشبة الزرقاء، وسرعان ما قدّم له منها سلة طافحة بما لذّ وطاب.

واعتلى حمزة ظهر أبو الفلّ، ولم يتردّد سليم هذه المرة في ركوب حمار الوحش، وبلغت القوة والثقة بالنفس عند سالم، أن يعلن عن رغبته في تسلق ظهر لطافة الشديد الانحدار، مؤكداً أنه قادر على أن يتسلق عنقها أيضاً حتى الرأس!

وساروا في موكب نحو الشاطئ.

وهناك، كان القارب حيث تركوه في الصباح، فأبحروا به، ولم ينس حمزة سلة الأعشاب.

وكانت الهوندايه على ساحل البحر تنتظرهم، فساقها حمزة، حتى وصلوا إلى المدينة قبل مغيب الشمس.

وختم حمزة حكايته قائلاً:

. وفي فِناء البيت ركنت الهوندايه، ولم يعلم أحد برحلتي إلى جزيرة الشحارير البيضاء إلا أنتم! هذا ما وقع لي يوم عطلتنا الأسبوعية أيها الأصدقاء!

(كأنه حلم جميل مَرّ:)

لم يكد حمزة ينتهي من قصّ حكايته الجديدة، حتى كان خبرها قد انتشر بين تلاميذ المدرسة، وقد وجدوا فيها شيئاً مختلفاً عما رواه لهم مما يقع له في البيت والحارة والحيّ، وفي شوارع المدينة حين يكون على الهوندايه بجوار أبيه أو يسوقها في غفلة منه... وباتوا ينتظرون، بفارغ الصبر،

أن تبزغ شمس جديدة، ليسألوا سليم وسالم عن صحة ما حكى زميلهم بيّاع الأحلام.

فلما كان اليوم التالي، طرحوا السؤال على زميليهم، فكان ما لاحظوه فيهما أنّ الدهشة ظهرت على الزميلين، ولكنهما لم يُنكرا ما سمعا، بل التمسا مهلة... كي... يتذكرا!!!

فعادوا إلى حمزة، هذا الذي لم يفاجأ بالأمر كثيراً، وقال بهدوء:

. وإذن، فقد نسيا!

ومع تداول هذه الحكاية بين التلاميذ، بدأ سليم وسالم يشعران كما لو أنّ ما رواه زميلهما حمزة قد وقع لهما، أو أنه مرّ بهما مثل حلم جميل!

(لو يصبح ابني شرطيّ مرور!)

وفي البيت، سئل الأب عن رحلة ابنه بالهونداية إلى ساحل البحر، وإبحاره بالقارب إلى جزيرة الشحارير البيضاء، وعن الكنز الذي استنقذه بمعونة أصدقاء الغابة، لطافة وأبو الفلّ وصابر وجماعة اللهاليب... فارتفع صوت العربجي يقول بلهجته البلدية الممطوطة:

. أنا تركت الهونداية عند المساء وراء الباب، ودخلت أنام، وكان اليوم التالي جمعة، يوم راحة، أعمل فقط إذا طلبوني، وصباح السبت كانت الهونداية في مطرحها... فمن أين جئتموني بأنّ الولد سافر بها إلى البحر، ومن البحر إلى الجزيرة التي اسمها "الشحارير السوداء"؟! أنا أعرف ابني سحِّيب، يهرُش، يتخيّل، هو تشّاش كبير، أتمنى لو يطلع لي طبيب، مهندس، معلم مدرسة، شرطي مرور حتى إذا أوقفتني "دوريّة" أقول للشرطي: ابني حمزة العربجي من زمايلكم! من أجل أن يعفيني من كتابة الضبط، والمخالفات هذه الأيام غراماتها صارت تقيلة. تقولون: أستاذه يتنبّأ بأن يصبح ولدي "كاتب روائي"، يعني يكتب مسلسلات للتلفزيون؟ يا ليت، ويُريحني من هذه الهونداية التي أكلت جنابي!

(العدوى تُصيب الأستاذ!)

ومدرس العربية، طرب طرباً عظيماً لمّا بلغتْه هذه الحكاية بما فيها من خيال جميل، والغريب أنه جعل يحدّث زملاءه المعلمين، عن أنه رأى، فيما يرى النائم، أنه قام يتتبع خطوات حمزة في رحلته، فنزل إلى تلك الجزيرة، وأنّ الحيوانات الصديقة استقبلته، وأنه جعل ينادي كلا منها باسمه، لطافة وأبو الفلّ وصابر وهلوب، وكان طيباً منهم أنهم قادوه إلى الكهف، فرأى الصخرة المنيعة تسدّ الباب، وقرأ ما خطّته يد حمزة على اللافتة.

حمزة المتيّم بحب الوطن

مرّ من هنا

مرّ حقيقة وليس في الحلم

فقال له زملاؤه المعلمون:

. أصابتك العدوى!

(الجزيرة تغرق في البحر:)

ولكن الأعجب من ذلك، كان ما انتشر في المدينة من إشاعة تقول: إنّ مسؤولي الآثار، المحبّين لوطنهم مثل حمزة العربجي، لمّا سمعوا بخبر كنوز الجزيرة، خشي كبيرهم من أن يتّهم بالتقصير في حماية آثار الوطن، المطمورة والظاهرة، فأوعز فوراً بأن تتوجّه إلى هناك آليات النقل والرفع والحفر والردم... فذهبوا يبحثون عن تلك الجزيرة المجهولة قريباً من الساحل، ولمّا لم يجدوها أَبْعدوا في بحثهم، وأخذوا يذرعون المياه الإقليمية طولاً وعرضاً... وعادوا خائبين!

. إذن غاصت الجزيرة في الماء، غرقت في البحر!

وأظهر حمزة أسفه على ضياع الكنز، وعلى نفوق الحيوانات الصديقة العزيزة!

ثمّ إنّ مدرّس العربية استدعى حمزة، ونصحه بأن يوضّح للناس أنّ ما يرويه لهم إنْ هو إلا

من نسج الخيال، أنه أحلام يقظة.

. هل تعدني؟

وقبل أن يَعِدَ حمزة أستاذه، سأله بأدب:

. أستاذ، كلماتك الودّية هذه تجعلني أتجرّأ فأطلب منك السماح لي بأن أروي ما وقع لي في عطلة أمس!

. وماذا وقع لك أيضاً؟

. سافرت في رحلة إلى الفضاء!

ابتسم الأستاذ:

. وعدت سالماً؟

. كما تراني، أستاذ.

. وكان بصحبتك بعض الزملاء؟

. كنا سبعة هذه المرة.

أمره أستاذه:

. اذهب إلى بيتك، بأمان الله!

. حاضر أستاذ.

(روائي كبير:)

وأستاذ علم النفس في المدرسة، قال:

. هذا "الكذّاب الصغير"، إن تابع دراسته فأرى أنه سيكون منه روائيٌّ كبير!

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: فجر الخميس ١٥-٦-٢٠١٧

الدكتور محمود شاهين

عميد كلية الفنون الجميلة بجامعة دمشق الدكتور محمود شاهين... يكتب عن لوحة لابنتي التشكيلية خلود، في مجلة "المعرفة" (عن وزارة الثقافة)

عرفتُ محمود منذ أربعين سنة، وهو يتهيأ للإيفاد إلى الغرب، ولمست فيه خصلتين: الدماثة والنزاهة.

تستحقين، يا ابنتي، كلماته المعطرة بياسمين المعرفة والذوق الرهيف.

دمشق الشام: ليل الخميس ١٥-٦-٢٠١٧

ويسمع مني هديل اليمام * وأسمع منه زئير الأسد

(أبو العلاء المعري)

دمشق الشام: مساء الجمعة ١٦-٦-٢٠١٧

ويحدّثني كيف تصل إليه المئة دولار

سألت صديقي، الذي ما زال يقيم في حدود الوطن، كيف يكفيه معاشه التقاعديّ الذي لم يعد يتمتّع بما كان له من قوة شرائية؟

فطفق يُحدّثني عن أنه يكتب، وينشر كلّ شهر، مقالة في مجلة وراء الحدود، مكافأتها المستحقة مئة دولار، ولما كان "الحصار الاقتصادي" العالمي مضروبًا على الوطن، فإنهم يرسلونها في شيك بنكي إلى صديق له في عاصمة ما، هذا الذي يبعث بها إلى عاصمة أخرى، وذاك يجعلها في جيب صديق عائد إلى الوطن.... والمكافأة تتآكل في ذلك عند كلّ "محطة"، ويوم تصل إليه هذه الدولارات فإنه يخشى بيعها في "السوق السوداء"، يحبسونه ويعاقبونه، فيذهب بها إلى

المصرف المركزي... وهناك لا يبقى له منها إلا النصف!

أحسست، وأنا أصغي إليه، سخونة تترقرق في العين، وما عرفت: أهي دموع فرح لأنه قبض، أم دموع ألم على ما يعاني!

دمشق الشام: ظهيرة الجمعة ١٦-٦-٢٠١٧

السجّانون لا يحبّون مزاح المعتقلين!

طرق الباب أحدهم عليّ في الزنزانة المنفردة، قلت لعله الفرج - فكلّ مشكلتي أني قرأت نصّا قصصيا "مسيّسا" في مدرّج بكلية الآداب بجامعة حلب - ليقتادني معصوب العينين في درج لا درابزين له، فكدت أتعثّر، فأشفق ورفع العُصابة عن عينيّ.

في الفِناء رأيت شابّا طلْق المحيّا في يده آلة تصوير. اقعدْ هنا، وجهك إلى أمام، وصورة ثانية جانبيّة.

أذكر أني كنت عابس الوجه، فأنا سجين، ولكنّ بسمة المصور أعادت إليّ مرحي،

سألته: بالملوّن؟

قال: نعم.

قلت: من فضلك خبّي لي صورة! (دمي خفيف، ما بيدي!)

فصرخ السجّان بي: «فزْ فزْ! » [فعل أمر يرادف كلمة انهض!]، وأعادني إلى زنزانتي... معصوبَ العينين.

لو كانوا استجابوا لي لنشرت الصورة هنا!

كان ذلك ضحى السبت ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٠.

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: ليل الجمعة ١٦-٦-٢٠١٧

عندما يُمنح رجل شبه أمي الحق في أن "يتولى" أمر "سجين رأي" في معتقل...

فإنّ من المتوقع أن يمارس في حقه أفانين من الإذلال والتعذيب!

دمشق الشام: فجر السبت ١٧-٦-٢٠١٧

عن لغة الأحفاد.. هناك!

أحفادنا في المهاجر، وقد عجَزوا عن تعلّم "اللغة - الأم" فهم ينطقونها مثل "الخواجات"، باتوا يصحّحون لوالدِيهم أخطاءهم في لغة الوطن الثاني.

من حرقة قلوب الأهل فإنهم يبعثونهم إلى المسجد يوم الجمعة ليستمعوا إلى خطبة الإمام، المتخرّج في الكليات الشرعية في الوطن... وهناك يستمعون ولا يفقهون، فيُرنِّق النعاس في أجفانهم.

دمشق الشام: ظهيرة السبت ١٧-٦-٢٠١٧

ولا رُبع لايك!

في العشيّة تعارفنا. موظف في الدولة ذو مرتبة. رأيت منه ودًّا حميا. وقال:

ـ أنا صديقك في الفيس بوك من سنوات. أقرأ بمتعة كلّ ما تكتب، لا يفوتني منه شيء... ولكن اعذرني لأني لا أستطيع أن أضع لك ولا رُبع لايك!.

دمشق الشام: ظهيرة السبت ١٧-٦-٢٠١٧

في العدوان الثلاثي على مصر

في العدوان الثلاثي على مصر خريف ١٩٥٦، كنا نلصق آذاننا بالراديو لنسمع الأخبار عبر

خشخشة "البرازيت"، وما كانت أمريكا - قالوا - راضية عن العدوان

في "الحرب السورية" اليوم... الإعلام مفتوح، مفتوح، مفتوح... وأمريكا الراضية تتفرّج...

دمشق الشام: فجر الأحد ١٨-٦-٢٠١٧

لا تجعلوا مدينة حلب مفتوحة للشبيحة

ظهر أخيرًا في مدينة حلب أناس بلباس خاكي أو غيره، قد استهانوا بأهل البلد، فهم يدخلون الأماكن العامة مدجّجين، ويقودون السيارات (المغيّبة "النمر" من أمام ووراء)، إن كلمهم أحد أشهروا، وليس تسديد الرصاص إلى رأس الطفل "أحمد جاويش" إلا حالة من هذه الحالات.

في كل يوم نسمع، نقرأ:

سيارة من هذه دعست امرأة متحجبة فقتلتها يتبيّن بعد أنها طبيبة، ويُطلق أحد هؤلاء النار على سائق "سوزوكي" فيرديه لأنه لم يقف له يحمله إلى حيث يريد... وكثير كثير من هذه الحوادث التي يستيقظ أهل حلب عليها صباح كل يوم.

قائد شرطة محافظة حلب يقول:

واجبنا الحفاظ على أمن وأمان المواطن، ونرجو من الإخوة المواطنين الاتصال على الأرقام التالية عند حدوث أي طارئ أو وجود أي مخالفة: الرقم ١٠٨ خط ساخن ومجاني مباشرة مع قيادة شرطة محافظة حلب والرقم ١٣٠ والرقم ١٥٠ فرع الأمن الجنائي

جميل هذا، يا قائد شرطتنا، ومع ذلك نتساءل:

هل يردّ من يجلس وراء هذه الهواتف على المواطن مجروح الفؤاد؟

فإن ردّ هل يسمع ويستجيب؟

وإن استجاب هل يعاقَب الفاعل بما يستحقّ؟

فإن صدر حكم عليه... هل يُحبس، أم يقضي "المدة" بين الأهل والخلان؟

نشكر هذا المسؤول على ما أعلن، ويكون شكرنا أكبر إذا علمنا بالحكم وبالتنفيذ.

حلب تموت، أيها المسؤولون!

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ليل الأحد ١٨-٦-٢٠١٧

المسلمون يصلون التراويح في كنيسة في أمريكا

في كل ليلة من ليالي شهر الصيام، يصل مسلمون أميركيون إلى مقر الكنيسة الموحدة في مقاطعة أرلينغتون بولاية فيرجينيا لأداء صلواتهم بناء على اتفاق بين الجالية المسلمة ومسؤولي الكنيسة.

ويقضي الاتفاق بإقامة المسلمين صلوات الجمعة طيلة أيام السنة وصلاة التراويح خلال رمضان في مقر الكنيسة.

ويجد الجانبان في هذا الاتفاق عنوانا للمحبة القائمة بينهما وتحقيقا لمبادئ التسامح والتعايش بين أتباع جميع الديانات.

وتعتبر إدارة الكنيسة أن مبادرتها تحقق مبدئها القائل بأنها "كنيسة بلا جدران"، وبأنها بخدمة الجميع دون استثناء.

وتستضيف الكنيسة أيضا أتباع الديانة اليهودية والبوذية لإقامة طقوسهم والاحتفال بمناسباتهم.

المصدر: "الحرة"

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: فجر الأحد ١٨-٦-٢٠١٧

أحبك يا حلب

ليس لأنك المدينة التي ولدت فيها وعشت شبابي فأنت موئل الذكريات، ولكن لأنك عظيمة في كل شيء، حتى في تضميد جراحك النازفة..

سأظل أكتب عنك كل جميل.

دمشق الشام: ليل الاثنين ١٩-٦-٢٠١٧

كلّ الشعوب في العالم يملك المواطنون فيها حقّ الحياة

إلا السوريين!

دمشق الشام: ظهيرة الاثنين ١٩-٦-٢٠١٧

السَّحْل.. الذي كان في بغداد

يوم انقلاب ١٤ تموز عام ١٩٥٨ في العراق، وبينما كانت المارشات العسكرية تصدح من راديو "صوت العرب" يُحييها البوق "أحمد سعيد"، والأسرة المالكة أبيدت، والملك الفتى - الخارج إليهم مستسلما والمصحف الشريف على صدره - رشّوه هو وما على الصدر، وجثث حكام العراق المجرّدة من ملابسها تُربط في مؤخرات السيارات، تدور بها في الشوارع، فيما سمّوه "السَّحْل" كلمة تطرق أسماعنا لأول مرة... وذلك كلّه ما لم نشهد مثيلا له من قبل.

نعم، كنا في أيام الوحدة مع مصر، وكان يسكن قلوب الناس خوف... ومن عجبٍ أني رأيت بعض المرائين يهنّئ بعضهم بعضًا على هذا النصر العظيم، وما استطاعت شفتاي أن تنطقا

بمثل ذلك، وأنا أرى الخناجر تحزّ الحناجر... فنظروا إليّ شزرًا!

والزعيم الأسمر بالقاهرة، الفاقد للإحساس الإستراتيجي العربي، يُغرّد فرحًا، وما درى أنّ العراق سوف يدخل في متاهات التاريخ... حتى وصل ووصلنا إلى ما نحن فيه.

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٢٠-٦-٢٠١٧

هل أشكو إلى القيادة القُطريّة؟

منذ تأسيس "اتحاد الكتّاب العرب" في بلدي (وأنا فيه عضو مؤسّس عام ١٩٦٩)، ورئيسُه ومكتبه التنفيذي والمحكّمون في لجان القراءة، جَرَوا على الاعتذار عن أن ينشروا في كتب ما أقدمه لهم من مخطوطاتي!

في هذا العهد... يستبعد رئيسُ الاتحاد نشر مقالاتي في مجلات الاتحاد.

وللتسرية عن النفس أقول: رفض الاتحاد قديمًا نشر كتابي "حزن حتى الموت"، فكان أن نُشر في بيروت بثلاث طبعات متوالية، والرابعة في الدار التي أنشأتها بدمشق، والإصدار الخامس تولّت نشره دار فرنسية مترجمًا إلى لغتهم.

وللنكتة أيضا: قدّمتْ بالأمس كاتبةٌ دراسةً عن مؤلَّف لي، رشّحها رئيس التحرير للنشر، واستبعدها رئيس الاتحاد بإصرار، فنشرتها مجلة "المعرفة" العريقة. ثمّ قدّمت أنا دراسة متميّزة عن الروائي أديب نحوي (وزير العدل في عقد السبعينيات) رشّحتها المجلة للنشر، واستبعدها رئيس الاتحاد! حتى ليُخيّل إليّ أنّ الرجل قد وعد نفسه بألا يدع اسمي يظهر في مصنفات الاتحاد ما دام هو فيه رئيسًا!

هل أشكو أمري إلى عضو القيادة القطرية المشرف على المنظمات الشعبية؟

فقط لو يترفّع ذوو المنصب الفاعلة فلا ينقادوا لعواطفهم الصغيرة. وللعلم، إني يوم كنا

نجتمع في المركز الثقافي بأبو رمّانة بدمشق صيف ١٩٦٨ ونعمل على وضع مشروع قانون لإنشاء هذا الاتحاد، لم يكن قد ولد بحلب بعد، ربما!

دمشق الشام: فجر الخميس ٢٢-٦-٢٠١٧

وجاء التغبيش.. بداية النهاية..

دمشق الشام: عصر الجمعة ٢٣-٦-٢٠١٧

النزول إلى القاع: سيد درويش، لؤي كيالي

استمعت إلى أغنية "سيّد درويش":

طلعتْ، يا محلى نورها شمس الشمّوسه

يالّلا بنا نملا ونحلب لبن الجاموسه

فقلت في نفسي: كم هو جميلٌ أن يُعبّر الفنان، وهو في حالة الإبداع، عن الناس المتعَبين، يستيقظون، مع طلوع الشمس البهيّة، يعملون، يقدمون اللبن الحليب للصغار والكبار ولكلّ البشر!

وخطر لي الفنان الراحل "لؤي كيالي"، الذي نزل، فور عودته من دراسة الفن في روما، إلى قاع المجتمع، يرسم الصغارَ الذين ألجأتهم الحاجة للنداء على الجرائد يحملونها، وعلى أوراق اليانصيب.

إنها أصالة الفنان، بها يتماهى مع الفلاح متوجّهًا إلى الحقل ليحلب الجاموسة، ومع صبيّ ينتظر، وراء صندوقه، مارًّا يريد أن "يمسح حذاءه" وهو في طريقه إلى لقاء المحبوبة!

ولكني لن أُغفل الإشارة إلى موسيقار الجيل محمد عبد الوهاب، الذي تسامى في "أغنيته - السنفونية" قصيدة "الجُندول"، التي ورد فيها هذا الشِّعر الترِف لـ علي محمود طه:

ذهبيُّ الشَّعر، شَرْقيُّ السماتِ مَرِحُ الأعطافِ، حلوُ اللفَتاتِ
كلما قلت له: خذ، قال: هاتِ يا حبيب الروح، يا أُنْسَ الحياةِ

وعلى ذكر عبد الوهاب أستحضر ما وقع له، وقد كان لحّن وأدّى أغنيته المعروفة "محلاها عيشة الفلاح"، من أنه تلقّى، بعد ثورة يوليو ٥٢، قدرًا من النقد "الإيديولوجي" من كتّاب كانوا يستظلّون جريدة "المصري" (لسان حال حزب الوفد يومذاك) ويملؤون صفحتها الأخيرة بإبداعاتهم الصحفية والأدبية، على رأسهم "محمود أمين العالم"، متّهمين الموسيقار عبد الوهاب برقّة هذا اللحن ورخاوته وبقصور الكلمات في التعبير عن حالة الفلاح في الريف المصري. وأذكر – وكنت يومئذ طالبًا بجامعة القاهرة – أنهم قَسَوا عليه في النقد، وهو الذي كان في خشية وقلق من النظام الجديد، ومثله كانت "أمّ كلثوم"، لِما سلف منهما من الغناء والإشادة بالملك الذاهبِ حكمُه!

دمشق الشام: فجر الأحد ٢٦-٦-٢٠١٧

في حلب.. قَتْل مواطن لمخالفة سير

في حيّ الجميلية، وعند "جسر الإنشاءات" قرب أمن الدولة، نزل المواطن "قاسم جليلاتي" يوم وقفة العيد (السبت) بسيارته، ترافقه أمّه، ليتبضّع من البسطات هناك أغراضًا للبيت (ريتها كانت باطلة ومحوّلة هنّزلة!)، وبسبب الزحام صفّ سيارته "رتل تاني"، فجاءه رجل أمن يعترض لأنه عمل "أزمة سير"، وبالملاسنة هجم عليه وكان عراك، قام الناس بتخليصه، ثم سمعهم يقولون: "اجت الدورية هْروب! "، فركب سيارته وإلى جواره أمه، ومضى.

شكا الأمنيّ الحريص على النظام إلى رجال الدورية أن هذا المواطن خالف أنظمة السير واعتدى عليه وهرب، فما كان من أحدهم إلا أن سدّد وأطلق، ليس على دواليب السيارة لتعطيلها عن السير بل على سائقها، ثلاث رصاصات جاءت في ظهره وذهب قتيلاً.

بحث رجال الدورية عن الشبيح المحب للنظام... كان قد اختفى.

ما أرخص أرواحكم، يا أبناء بلدي!

دمشق الشام: مساء الثلاثاء ٢٧-٦-٢٠١٧

الرحيل إلى ديار الحقّ

اثنان وأربعون من الأعوام، في حلوها ومرّها

تلتها خمسة وعشرون فراقًا

عزائي لأبنائي والأحفاد والأسباط ولمن أنجبوا

في رحيل الأمّ والجدّة

مساء هذا اليوم

وهي في ديار الغربة... إلى ديار الحقّ

وليرحمنا الله ربّ العالمين في الحياة وبعد الممات

دمشق الشام: مساء الأربعاء ٢٨-٦-٢٠١٧

إلى متى يظل أهل حلب يتحمّلون

إلى متى يظل أهل حلبَ يتحمّلون الأذى ويتمسّكون بالحياة؟

أليس على عيون الدولة أن ترى؟

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٨-٦-٢٠١٧

خمسة وخمسون عامًا من "الحكم الفردي"

خمسة وخمسون عاما من "الحكم الفردي" ما كان لها إلّا أن تعمّق عاهات تأصّلت في نفوس

بعضهم، هؤلاء الذين يحسبون أنفسهم أحرارًا! [١]

دمشق الشام: الأربعاء ٢٨-٦-٢٠١٧

ابنتي تودع أمها على ما بينهما من مسافات

إليك يا أمي يسافر قلبي إلى فلوريدا

مثل حمامة بيضاء

ينام فوق مياه يديك

يصغي للنقش في صوتك

أصابعي.. تداعب الياسمين على وجهك

تضيق العبارة.. بما أعاني

أفتش عن مفردات

بحجم حنيني إليك

دعيني أتغرغر باسمك.. يا أمي

حضارة الكون في عينيك

كوالا لامبور، ماليزيا

الثلاثاء ٢٧-٦-٢٠١٧

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: ظهيرة الأربعاء ٢٨-٦-٢٠١٧

---

(١) جاء ذلك في رده على كلام مسيء موجه للدكتور منذر عياشي قريب السباعي، لأن عياشي مؤيد للثورة.

ووقف شيخ.. يخطب فينا

أذكر أننا خرجنا، نحن طلاب ثانوية المأمون بحلب عام ١٩٤٤ أو ٤٥، في إحدى مظاهراتنا ضد الانتداب الفرنسي، ووقف يخطب فينا طلاب من الصفوف العليا في المدرسة يؤججون حماستنا الوطنية.

وأذكر أنّا فوجئنا بشيخ بجبّة وعمامة، رأيناه وكأنه يأتينا من "خارج السرب"، يصعد ليخطب، فتزيد كلماته من حماستنا، وقد سألنا فقيل لنا إنه "الشيخ محمد راغب الطباخ"، وكنت قد سمعت على صغر سني باسمه مؤلفًا، فلما شببت قليلاً عرفت أن له كتابًا من أجزاء عدة عنوانُه "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء". كان الشيخ الطباخ من قادة الفكر والرأي في المدينة (١٨٧٧-. ١٩٥١).

وظللت، بعد أن غدوت كاتبًا، أتمنى أن أحظى بهذا الكتاب الذي غدا نادرًا... إلى أن عمدت دار القلم العربي بحلب إلى إعادة طباعته بعناية من الشاعر الأديب "محمد كمال" سبعة مجلدات، في العام ١٩٨٨ (وكانت الأولى في العام ١٩٢٣).

رحم الله محمد راغب الطباخ..

\- - - - - - - - - - - -

دمشق الشام: مساء الخميس ٢٩-٦-٢٠١٧

البيوت في حلب القديمة.. تُشترى بأسعار خيالية..

قرأت هذه اللحظة:

البيوت ذات الطراز العربي في حلب القديمة، وخصوصا القريبة من القلعة، تُشترى بأسعار خيالية، وأكثر من مصدر يؤكد أن المشترين غرباء!

هكذا فعل اليهود في فلسطين.

حلب، الجمعة ٣٠-٦-٢٠١٧، س ٨: ٤٥ م

- - - - - - - - - -

أقول لكم، يا أهلي يا أبناء حلب

هذه البيوت، وسُكناها من قبلكم، أمانة في أعناقكم... يحاسبكم عليها التاريخ.

دمشق الشام: ليل الجمعة ٣٠-٦-٢٠١٧

عندما يبلغ الفساد الدرك الأسفل

في مطلع الثمانينيات

حدّثني صديق حميم، شيوعي قد هجر هذه الإيديولوجيا التي تربّى عليها منذ عهد الشباب الأول، أنه علم أنّ بعض المعامل في الاتحاد السوفياتي، وضرب مثلا على معمل لصنع الأحذية... أنّ المتنفذين فيه يقومون بالاستئثار بأحسن ما يدخل المعمل من الجلود، يصنعون منها أجمل الأحذية، بآلات المعمل وبالأيدي العاملة فيه، ويبيعونها من "تحت الطاولة" بالأسعار العالية... ويُلجمون الأفواه ببعض ما يجنون.

هذا ما لم نصل إليه...

دمشق الشام: فجر الجمعة ٣٠-٦-٢٠١٧

نريد جيشًا للوطن

قبل مدة كتبت أننا في بداية عهد الاستقلال خرجنا طلاب ثانوية المأمون بحلب في تظاهرة نهتف: "نريد جيشا للوطن".

فعلق صديقي خيري الذهبي: إذن أنتم كنتم وراء ما حلّ بنا!

طبعا هو يمزح.

دمشق الشام: فجر الجمعة ٣٠-٦-٢٠١٧

أواخر العهد العثماني عانى مسيحيو البلاد

أواخر العهد العثماني عانى مسيحيو البلاد وطأة ظلم من قِبَل المتعصبين المتزمّتين.

لما وقعت البلاد تحت حكم الفرنسيين، لم ينجرّ المواطنون المسيحيون إلى "التحالف" مع "المسيحيين الفرنسيين" (إلّا الدهماء منهم)، وظلّ رجالهم مع الأكثرية المسلمة، لا أقول "فارس الخوري" وحده بل جميع زعمائهم ونُخَبهم وأهل الوعي منهم، وأسفر الاستقلال عام ١٩٤٦ عن أنّ السوريين كلّ واحد لا يتجزأ....

إلى أن أُعلن عام ٢٠١١، زورًا وبهتانًا، أنّ الأكثرية تريد في الأقليات شرًا! (١)

دمشق الشام: س ٧: ٤٥ فجر الجمعة ٣٠-٦-٢٠١٧

---

(١) جاء ذلك تعقيباً على منشور يقول: قرأت اليوم ما سمي بـ " بيان الأقليات " الذي تم التوافق عليه في استنبول أواخر شهر أيار الفائت، وسيكون لي فيه رأي قانوني قريبا. لكنني، وقبل الخوض في التفاصيل، رغبت في إيصال الرسالة التالية إلى أبناء وبنات ما يسمى بالأقليات، وإلى ممثليهم ونخبهم:

- لا شيء يحمي ويعزز مكانة (الأقليات) في سوريا ويضمن حقوقهم بقدر وقوفهم وقفة حق وضمير وإنسانية مع الأكثرية السنية التي تتعرض للتعنيف والإهانة بأبشع وأقسى أشكالها، طبعا دون التفريط بأي مبادئ أو قيم أو حقوق، فلا شيء أخطر على حقوق الأقليات من أكثرية جريحة ومحطمة ومُهانة ومتروكة من الجميع.
- لو اقتصر بيانكم على بضع كلمات تقولون فيها: "نحن أبناء الأقليات في سوريا إذ نرفض وندين هذه الحرب المجنونة التي تحصل في بلدنا، فإننا ندين بشكل خاص ما يتعرض له أهلنا السنة في سوريا من قتل وتهجير، وما تتعرض له بيئاتهم وحواضنهم من تدمير، ونعلن تضامننا الكامل معهم في محنتهم ...... إلخ " ألا يكون من شأن ذلك أن يترك أثرا طيبا لدى الأكثرية ينعكس إيجابا على الثقة والعلاقات والحقوق أكثر بألف مرة من بيانات ومواقف تعمق إحساسهم بالاستهداف والعزلة والنبذ والمظلومية؟؟؟ مجرد سؤال لأولي الألباب

حذاء مدير معمل الأحذية..

قبل نحو ثلاثين عاما كنت مديرًا لإحدى دوائر الدولة، وكان بين العاملين فيها موظف يحمل "الثانوية" ويتابع الدراسة في الجامعة بنجاح، وهو من أحد الأرياف القريبة، ويتمتّع بسلوك لا غبار عليه.

بعد عام أو اثنين، التقيت به على ضفة "نهر بانياس" على كتف المتحف، وكنت تركت تلك الدائرة وغدوت مديرًا للشؤون الثقافية بجامعة دمشق، وعلمت منه – وقد تخرّج في الجامعة – أنه أضحى مديرًا لأحد المعامل، ذاك الذي يصنع الأحذية للمواطنين، فخطر لي أن أسأله ما إذا كان يلبس حذاء مما ينتجه معمله؟ فأشار إلى أنّ حذاءه هذا مستورد من إيطاليا.

دمشق الشام: فجر الجمعة ٣٠-٦-٢٠١٧

بيصير، بيصير!

قبل ثلاثين سنة أو يزيد، اضطررت لحضور "محاضرة" لمن يعمل موظفا في وزارة التربية، دخيل على الأدب ما زال يقدّم "أطباقًا" من الكتابة يعهد بها إلى بعضهم للتصحيح والتنقيح، ويمرّرها على المسؤولين في مركز ثقافي أبو رمانة، وما حضرت – علم الله – إلّا لأنه جار لي وألحّ عليّ بالحضور إلحاحًا!

واتفق أن جاءت جلستي في القاعة إلى جوار الشاعر سليمان العيسى، الذي كان يومئذ "الموجّه الأول للغة العربية" في هذه الوزارة، وأدركت أنه مثل كثير من الحاضرين "ضحية" إلحاح من زميله في الوزارة!

لاحظت، عند سماعي ما يقرؤه "المحاضر" من الورق، كثيرًا من الأخطاء النحوية الفاحشة، المجرور يرفعه والفاعل ينصبه والمفعول المطلق يكسره... فملت على جاري الموجه

الأول للغة العربية أسأله: إلى متى يظل هذا الرجل في وزارتكم ينصب الفاعل ويكسر المفعول؟ فأجابني الشاعر الكبير بسخرية ناعمة هي من خصاله الجميلة، هازّا رأسه كالمطمئنّ: "بيصير، بيصير! ".

ولم تزل هذه الكلمة تتردّد في خاطري منذ خمسة وثلاثين سنة.

دمشق الشام: فجر الجمعة ٣٠-٦-٢٠١٧

لعلهم يطالبون بحقوق مهدرة "للأكثرية" المدمّرة المهجّرة!!! [١]

دمشق الشام: عصر الجمعة ٣٠-٦-٢٠١٧

حديث عن فروع الشيعة.. في حديقة السبكي

حدّثني، يومًا، جاري وصديقي الكاتب سعد صائب، نقلاً عن صديقه الحميم الشاعر عبد

---

(١) جاء ذلك تعقيباً على منشور يقول: بين ٢٧ و٣٠ أيار الماضي، اجتمع في إستنبول عدد من إخوتنا السوريين، عرّفوا عن أنفسهم كما يلي:

عن الإخوة الدروز (٤ أشخاص)

عن الإخوة الآشوريين والسريان (٥ أشخاص)

عن الإخوة التركمان (٣ أشخاص)

عن الإخوة الأكراد (٥ أشخاص)

عن الإخوة الأيزيديين (شخص واحد)

عن الإخوة الإسماعليين (شخص واحد)

وبالإضافة لانتمائه (الطائفي)، قام كل شخص بوضع عبارات تحت اسمه تتضمن لمحة عن ماضيه، أو عمله.

اتفق المجتمعون على وثيقة تتضمن حقوق أو مطالب "الأقليات في سوريا" [كذا] !!!

بمعزل عن رأينا من الناحية القانونية أو الدستورية في هذه الوثيقة، ولا أعتقد أنها تستحق إبداء الرأي فيها أصلاً...

أريد أن أقول لهؤلاء الذين وقعوا عليها وتبنوها أنكم مصابون:

إما بتضخم الذات، أو قلة الفهم، أو قلة الحياء.

المعين الملوحي، بما يلي.

قال الملوحي:

كنت في ذلك الربيع المشمس أجلس، أنا وصديقي المحقق الكبير "محمد أحمد دهمان"، في "حديقة السبكي" بدمشق، أسعى إليها سيرًا على الأقدام لقربها من بيتي، ويأتي إليها صديقي ضحى كلّ يوم تُقلّه ابنته بسيارتها وتعود عند الظهيرة لاصطحابه إلى البيت.

وعندما أزف موعد مجيء الابنة، نهضنا نتهيّأ للانصراف، وما مشينا إلا خطوات حتى أطبق علينا "شاب" يُنذرنا بأننا منذ اللحظة في "قبضة الأمن"! وإذن كان الرجل "بصّاصًا" من المنبثّين في الأمكنة، يتنصّتون، وينقلون ما يفهمون وما لا يفهمون، وكان ما استوعبه، وهو يجلس غير بعيد عنّا، أنّا "تحدّثنا في الطائفية" ولا نظنّه يحمل من المؤهّلات إلا "شهادة محو الأميّة"! والسائل يستمع.

مشينا حتى باب الحديقة وهو يرافقنا، واستقبلتنا الابنة ونحن "ملقى القبض علينا"، وأشار أن نتوجّه جميعًا إلى الجهة الأمنية التي يعمل لها، فمضت بنا السيارة، ونحن منحشرون فيها، في الاتجاه الذي طلب، وفي أثناء ذلك، كنّا نبيّن له أنّ الحديث تاريخي، توثيقي، ولا علاقة له لا بالطائفية ولا بالسياسة، وأنّ الأستاذ مُقدّر من قبل الدولة بدليل أنه مُنح واثنان من أنداده العلماء، قبل مدة، الأوسمة الرفيعة... وبدا أنه فهم، واستحيا، وعزم على أن يفارقنا، والتمس منّا في اللحظة الأخيرة ألا نخبر أحدًا بما كان لأنّ رؤساءه قد يعاقبونه لأنه أطلقنا!

كان ذلك في النصف الأول من ثمانينيّات القرن الماضي، وقد رحل الأساتذة، دهمان والملوحي وسعد صائب، وبقيت لأروي! رحمهم الله تعالى، وألهم نظامنا إلغاءَ هذا السلك، أو حُسْنَ اختيار عيونه وأرصاده.

دمشق الشام: ليل السبت ١-٧-٢٠١٧

كان حسيب الحلوي ممتلئا علمًا وثقافة

ومن المؤسف أنه لم يُكتب له أن ينجز عمله الأدبي عن الرسول الكريم، وكان حدثني بأن العمل سيكون مسرحية. رحمه الله.

دمشق الشام: فجر السبت ١-٧-٢٠١٧

تمدين الريف.. أم ترييف المدينة!

في أوائل خمسينيّات القرن الماضي، وأنا طالب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة فيما بعد)، كنت أزور مدينتي حلب كلّ صيف أقضّيه بين الأهل والأصحاب.

ذات صيف حدّثني أخي "عادل" - الذي لم يكن قد بلغ العشرين من عمره - أنه دُعي يومًا إلى مركز البريد في المدينة، ولما قابل الموظف المسؤول، أخرج هذا مظروفًا وسحب منه "رسالة ممزّقة نصفين"، وبيّن له أنها موجّهة إليه من القاهرة، وأنهم عثروا عليها من يومين ساقطة بين خزانتين، ولما أراد أحدهم انتزاعها تمزّقت هكذا، وخاتم بريد القاهرة يشير إلى أن تاريخها يعود إلى ما قبل شهرين... أبدى الموظف أسفه، واعتذر لأخي الصغير حتى - يقول لي - إنه خجل من أن يرى موظف حكومة يعتذر له عن مسألة صغيرة مثل هذه، ولم تكن الرسالة من المضمون المسجل!

هذا في سنة ١٩٥١.

بعد خمسين سنة من تلك الحادثة (في عام ٢٠٠١ ربما)، دخلت يوما فناء المبنى الذي تشغله "المؤسسة السورية العامة لتوزيع المطبوعات" في حي البرامكة بدمشق، لأراجع في أمر مجلة أروم الحصول على عدد منها، كان الوقت شتاء، والباب الواسع، الذي تمرّ عبره السيارات الكبيرة ناقلة المطبوعات، مفتوحا على مصراعيه. وإذ مضيت فيه ارتفع في إثري صوتٌ لا أدري

من أين أتى، يصرخ "أستاذ... أستاااااذ! " بطريقة فجّة فظّة، فكان عليّ أن أعرف أني المقصود، توقفت والتفتّ، فرأيت رجلاً، يبدو أنه "البوّاب"، يسألني بخشونة: "شلون بتدخل هيك! "، قلت: "وكيف لا أدخل والباب مُشرع ولا حارس له! "، فقال: "الدنيا برد، بدك أضلّ واقف برّه الغرفة! ".

أتساءل: كيف استبدلنا بسلوك موظف البريد المرهف ذاك، صرخاتٍ يطلقها خلفنا حارس على باب مؤسسة قد التجأ إلى حيث لا يراه الداخلون؟

دمشق الشام: ضحى الأحد ٢-٧-٢٠١٧

بعد الرحيل إلى ديار الحقّ

أشكر الأصدقاء الذين تلطفوا فواسوني بكلمات التعزية بفقدان أم أولادي في فلوريدا مساء الأربعاء ٢٨-٦-٢٠١٧، مجدّدا اعتذاري لعدم المقدرة على توجيه الشكر لهم في حينه. لا فجعهم الله بعزيز.

دمشق الشام: فجر الاثنين ٣-٧-٢٠١٧

تجاوُزُ النظام للحريات العامة جعلني أتفانى في الدفاع عنها

هل أوجّه له الشكر!

دمشق الشام: مساء الاثنين ٣-٧-٢٠١٧

يا ليتهم يكونون من خارج السّرب!

نعم، لمشروع الإصلاح الإداري، الواعد الموعود

لكن من هم المحظوظون بإدارته والإقلاع فيه؟

من داخل "السِّرب"، أم من خارجه؟

دمشق الشام: مساء الخميس ٦-٧-٢٠١٧

نساء ونساء

الصفحة الأخيرة من إحدى الصحف

رأيتها تغصّ بصور نساء...

ليس فيها من الرجال إلا صورة تقليدية لكاتب زاوية متعَب، وأخرى لزوجين تعلن فيها المرأة انفصالها عن زوجها.

دمشق الشام: ظهيرة الخميس ٦-٧-٢٠١٧

الطفلة.. التي لا تُجيب بـ"لا"!

عند الصباح تراءى للأب أن يسأل طفلته الصغيرة ما إذا رأت في الليل مناما جميلا؟ أسرعت تجيب بنعم، فسألها أن تقصّه عليهم، فأنشأت تفكر... وتروي:

- رأيتُ... رأيتُ أننا نحتفل بعيد ميلادك، يا أبي... واشترينا المآكل اللذيذة، الفول الذي تحبّه من عند فوّال الحارة، مع البصل الأخضر والنعناع والطرخون...

وسكتت.

قال: فول بس؟!

تذكّرتْ:

- وقالب كاتو، مكتوب عليه "كل عام وأنت بخير يا بابا" بالعربي والإنكليزي، ومرشوش عليه الشوكولاتة والسكر الملون متل الخرز، أمسكت أنت السكين، ووضعت أنا يدي على يدك، وقسمنا القالب، وقدّمنا أول قطعة لماما... وبعدين شغّلنا الموسيقى وصرنا نرقص...

- وأنا رقصت؟

-رقصت مع ماما.

وقامت تُغرقه بالقبلات.

دمشق الشام: عصر الخميس ٦-٧-٢٠١٧

المرأة العربية "ملكة" في بيتها

أستاذ فاضل

إشارة لخاطرتك صباح اليوم بعنوان "أكره المساواة بين الرجل والمرأة"،

أقولها علنًا لجميع الأشخاص الذين ألتقيهم هنا في بوتقة الشعوب استراليا، من نيوزيلانديين وهنود وعرب وإنكليز وطليان وأوربيين:

إنّ المرأة العربية ملكة، والله العظيم ملكة، وإنّ نساء العالم المتحضّر ماكينات، والحياة هنا للمرأة وللرجل تعني أن يتحوّلا لماكينة!

ما عدنا شفنا أولادنا، ولا حسّينا على وقت، ولا استمتعنا بحياة!

تعبنا تعبنا تعبنا...

والذي يقول لكم: عايشين ومبسوطين والحياة حلوة، كذاب كذاب!

إنها حياة ماكينة، في طبيعة خلابة، نظيفة، منظمة، فقط لا غير.

أستراليا، لينا الشهابي، من ساعة واحدة [٧: ٣٠ ص الجمعة بتوقيت دمشق]

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: صباح الجمعة ٧-٧-٢٠١٧

الزعيم.. الذي أحبّته الجماهير

أحبّه الفلاحون.. لأنه وزّع عليهم الأراضي

أحبّه العمّال.. لأنه أمّم المعامل

أحبّه الفلسطينيون.. لأنه وعد بتحرير بلدهم

أحبّه الصغار.. من ترداد الأغاني التي تُمجّده

أحبّته النساء.. على شكله

أحبّه إسلاميون.. لأنهم رأوا صوره في العمرة

أحبّه يساريون.. لأنه أول زعيم حكى في "الاشتراكية"

أحبّته الجماهير الطيّبة.. من صوت أحمد سعيد في "صوت العرب"

أحبّته الجماهير العربية.. لأنه أمّم القناة

وفي الأخير

عمل لنا نكسة حزيران.. وطقّ من القهر ومات

دمشق الشام: مساء السبت ٨-٧-٢٠١٧

ولا ربع لايك!

زارني في العشية. قال:

ـ وينك أستاذ! أنا لا أُفوِّت على نفسي قراءة كلمة واحدة ممّا تُنزّل في صفحتك، وأعيد القراءة، وأدلّ زوجتي لتقرأ، الأولاد لا... ولكن لا تتوقعّ منّي أن أضع لك لايك واحد... حتى ولا ربع لايك!

دمشق الشام: ظهيرة السبت ٨-٧-٢٠١٧

يمشي في بريّة.. تحتها أسواق ودكاكين!

في مطلع الخمسينيّات، وأنا طالب بجامعة القاهرة، التقيت هناك بشاب فرنسي يسوح في العالم بطريقة "الأوتوستوب".

وفي منزل الزميل الصديق وحيد جلبي، حدّثَنا هذا الشاب، مبهورًا، عن أنهم صعدوا به – وهو في مدينة حلب – درجا، ثمّ سار وإياهم في أرض تَنبت فيها الحشائش والأزهار البرية، وجد فيها فتحات تطلّ إلى تحت، فرأى هناك أناسا يمشون ودكاكينَ وبيعا وشراء، فتعجّب... إلى أن عرف أنه يعتلي سطح ما يسمّى "سوق المدينة"!

دمشق الشام: صباح السبت ٨-٧-٢٠١٧

عندما يقترن الغِنى بالكرم الروحي

كنت في صغري فقيرًا... لدرجة أنني عجزت عن دفع الاشتراك في رحلة للمدرسة قيمته ريال سعودي واحد، على الرغم من بكائي الشديد أمام أسرتي (التي لم تكن تملك الريال)..

لكن قبل يوم واحد من الرحلة أجبت في المدرسة إجابة صحيحة، فما كان من معلم الفصل (فلسطيني الجنسية) إلا أن أعطاني ريالًا مكافأة مع تصفيق الطلبة... حينها لم أفكر وذهبت مسرعًا واشتركت في الرحلة، وتحوّل بكائي الشديد.. إلى سعادة غامرة استمرت أشهرًا.

كبرت، وذهبت الأيام، وغادرت المدرسة إلى الحياة الواسعة... وبعد سنوات من العمل وبفضل الله، عرفت "العمل الخيري".. وتذكرت ذلك المدرس الذي أعطاني الريال...

وبدأت أسأل نفسي: هل أعطاني الريال صدقة أم مكافأة؟ قلت في نفسي أيًّا كانت النيّة فقد حلّ لي مشكلة كبيرة وقتها ودون أن أشعر أنا أو غيري بشيء!

هذا جعلني أعود إلى المدرسة بحثًا عن هذا المدرس الفلسطيني.. حتى عرفت طريقه...

فخططت للقائه والتعرّف على أحواله..

والتقيت هذا المدرس الفاضل... وجدته في حال صعبة بلا عمل ويستعدّ للرحيل... فلم يكن إلا أن قلت له بعد التعارف: "يا أستاذي الفاضل، لك في ذمتي دين كبيير جدًا منذ سنوات... "، قال وبشدة: "لكن ليس لي دين على أحد! "... وهنا سألته: "هل تذكر طالبا أعطيتَه ريالًا.. لأنه أجاب كذا وكذا؟ "،

بعد تذكّر وتأمّل قال المدرس ضاحكًا: "نعم... نعم... وهل أنت تبحث عني لترد لي ريالًا؟ "، قلت: "نعم! "...

وبعد نقاش أركبته السيارة معي، وذهبنا، ووقفنا أمام فيلا جميلة، ونزلنا، ودخلنا...

قلت له: "يا أستاذي الفاضل، هذا هو سداد دينك مع تلك السيارة وراتب تطلبه مدى الحياة! ".. ذهل المدرس وقال: "لكن هذا كثيير جدًا! ".. قلت له: "صدقني، إن فرحتي بريالك وقتها أكبر بكثيييير من فرحتك بالفيلا والسيارة.. ما زلت لا أنسى تلك الفرحة".

ويقول "الملياردير" في الأخير: "أدخِل فرحة وفرّج كربة وانتظر الجزاء من الكريم".

أتعلم من هو؟ إنه المصرفي السعودي سليمان بن عبد العزيز الراجحي، الذي توفي قبل عشرة أيام من يوم الناس هذا.

وللتذكير: سجّلت موسوعة جنيس للأرقام القياسية أكبر وقف خيري على كوكب الارض، هو أكبر مزرعة نخيل في العالم والتي يبلغ عدد الأشجار فيها ٢٠٠ ألف نخلة (مزرعة الراجحي بمنطقة القصيم).. هذي المزرعة كلها وقف لله تعالى يوزّع إنتاجها على الجمعيات الخيرية وعلى الحرمين الشريفين للإفطار في شهر رمضان المبارك

انتهى النقل.

أقول: هذا الرجل نهض من أحضان الفقر وأغناه الله تعالى، وامتلأ قلبه حبًّا للخير

والإحسان.

في بلادنا أغنياء جُدد، كُثر... كيف استطاعوا أن ينسوا أصدقاءهم الفقراء!

دمشق الشام: فجر السبت ٨-٧-٢٠١٧

"وأنا ما زلت أتعلم!"

قبل عامين سألتها: "أنت سهرانة حتى هـ الساعة من الليل؟ "، قالت: "أعلّم هؤلاء البغال الثلاثة لغتهم العربية! ". كانت تنتظر، في تركيا، أن تلتحق وأولادها بزوجها الذي سبقها إلى بلاد الشمال!

بعد أن وصلت إلى القطب، حدّثتني عن السرعة التي تعلّم فيها أولادها لغة البلد، وهم يرتادون الأمكنة برفقة أصدقائهم وصديقاتهم، ويتمازحون بلغتهم الصعبة وكأنهم رضعوها منذ الصغر... "وأما أنا فما زلت أتعلّم! ".

دمشق الشام: فجر الأحد ٩-٧-٢٠١٧

ضرب الزوجة.. وضرب الشعب

"محمد" لاجئ سوري أدين في المحاكم الكندية بتهمة ضرب زوجته بعصا الهوكي لمدة نصف ساعة.

دخل محمد المحكمة وهو مبتسم، وعندما بدأ بالتكلم أمام القاضي قال: " لم أكن أعرف أن ضرب الزوجة ممنوع في كندا. كان عليهم إخبارنا عندما أتينا إلى هذه البلد".

أسلوب اللاجئ السوري أثار ردة فعل في الإعلام الكندي خصوصاً المحافظ منه.

"كيلي ليتش" وهي من قادة الحزب المحافظ، غردت عبر تويتر: "زوجة تعرضت للضرب وعصا هوكي ودماء. هذا هو إرث برنامج ترودو للاجئين السوريين".

"أحمد حسين"، وزير الهجرة الكندي، الذي جاء بنفسه إلى كندا كلاجئ من الصومال، وصف بيانها بأنه يستحق الشجب كالزوج ذي العصا. وطالبها بعدم شمل جميع اللاجئين السورين بسبب ما قام به اللاجئ محمد.

ودافعت الزوجة التي تعرضت للضرب عن زوجها المسيء، وفقا لبيان شرطة فريدريكتون: "إن الاعتداء من قبل زوجها مقبول ثقافيا (في) البلد الذي ينتمون إليه".

محمد حكم بالسجن لمدة ثمانية أيام مع وضعه سنة تحت الإشراف.

واشنطن: من ٤ س [س ١٠ م الاثنين ١٠-٧-٢٠١٧]

- - - - - - - - - - -

تعليقي: بس المخجل أكتر بكثير قتل نظام لشعبه بالبراميل والسارين، والعالم يتفرج... شو يعني أن يضرب رجل زوجته بعصا الهوكي وقد كان يرى أباه يضرب أمه بالخيزرانة!

ليخجل العالم "المتمدن"!

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ١١-٧-٢٠١٧

في الماضي كانوا يخاطبون - مثلا - "آل العلواني في حماه"

اليوم: "آل العلواني في بقاع الأرض"

ليس لأن آل العلواني توسّعت أسرتهم، بل لأنهم تفرّقوا في أقطار العالم.

دمشق الشام: عصر الأربعاء ١٢-٧-٢٠١٧

أليس عجيبًا

أن تشكو الأقليّاتُ من ظلم الأكثريّة

وهي ترى، بأمّ العين، كيف أنّ هذه "الأكثريّة" الوهميّة

تُقتَّل،

وتُدمَّر،

وتُهجَّر إلى كلّ مكان؟

أليس هذا عجيبًا، وألفَ ألفِ عجيب!

دمشق الشام: فجر الخميس ١٣-٧-٢٠١٧

حديث مستطرَد.. عن المعاجم

بعد أن اقتنيت "منجد الطلاب" وأنا في الصف الخامس الابتدائي، جلسنا أنا وزميلي "محمد غزال" نجرّب الوصول إلى بعض المفردات، خاصة الغريبة، وكنا كلما قرأنا، أحسسنا أنّ ما بين أيدينا منجم لغة!

حملت هذا المعجم في سفري إلى فرنسا، بعد بضعة وثلاثين عامًا، تخفيفًا للوزن... وأعترف بأنه ما زال في حوزتي إلى اليوم بجوار بضعة عشر من المعاجم العربية، ابتداءً من "القاموس المحيط" للفيروز آبادي، وليس انتهاءَ بمعجم "العين" للفراهيدي أول ما وُضع من المعاجم العربية (طبعة طهران عام ١٤١٤هـ ق)، ومرورا بمعجم "الرائد" لـ جبران مسعود (١٩٨٤)، ولا أغفِل "موسوعة العاميّة السورية" لـ ياسين عبد الرحيم (٢٠٠٣)، وكذلك "معجم المعاجم" التعريفي لـ أحمد الشرقاوي إقبال (١٩٨٧)... هذا فضلاً عن عديد من المعاجم باللغات التي أعرفها أو أُلمّ بها أو أجهلها.

دمشق الشام: صباح الخميس ١٣-٧-٢٠١٧

تَروحُ إلى العطار...

بالله عليكم

كيف يستطيع نظام - بدا أخيرًا متهمّمًا لإصلاح نفسه - أن يجتثّ أدران الفساد من بعض أعضائه، وكلّ خليّةٍ من خلاياه، حتى النّسْغ والنخاع، تشكو ممّا فيها؟

يوم رفعنا، نحن الغَيَارى على الوطن، هتافَنا: "الشعب يريد إصلاح النظام"، كنا نحلُم - وبعض الأحلام أضغاث - بأن نُسهِم في الإصلاح والتصليح، فاتُّهمنا بأننا نتربّص بـ"الأقليّات" شرّا، وبأنّ فينا ميولًا "داعشيّة"، وبأننا نتواطأ مع الأجنبي... وضُرب بيد من حديد على أكفّنا والأفواه!

اليوم - ونصف البلد مدمّر ونصف الشعب مهجّر - يتطلّع النظام إلى تحرير "مِرفق التجنيد" من الذين تكالبوا فيه عبر الزمن... فذكّرنا بالقول القديم:

تَروحُ إلى العطار تبغي شبابَها

وهل يُصلح العطارُ ما أفسد الدهرُ!

و"العطار"، في التراث العربي، يعني "الصيدلاني" فيما بعد، الذي يقدّم الأعشاب دواءً، وقد يشخّص الداء أيضا.

دمشق الشام: عصر الجمعة ١٤ -٧-٢٠١٧

وأمريكا

احتفظتْ بـ"غولن"، مدبّر الانقلاب

تدّخره... لمحاولة أخرى

دمشق الشام: فجر السبت ١٥-٧-٢٠١٧

قبل عام، وفي مثل هذا اليوم

شعبٌ أعزل، ينزل إلى الشوارع، يُحبط انقلاب العسكر

شعبٌ يستحقّ

الحرية،

والحياة،

وقبلاتٍ يطبعها على الجبين كلّ مقهور على وجه الأرض

دمشق الشام: فجر السبت ١٥-٧-٢٠١٧

النقل الداخلي بدمشق.. منذ الخمسينيّات

في خمسينيّات القرن الماضي، تنبّه الغيورون من المواطنين بدمشق إلى أنّ "الترامواي" (وكانوا يسمّونها "ترين")، لم تعد وافيةً بالحاجة، فقام نفرٌ طيّب بالاكتتاب لشراء سيارة باص جعلوها في خدمة الأهالي، سرعان ما شاع ذلك فكثرت الباصات المشتراة من أموال الناس، ميسورين وأوساط وفقراء يشدّون الحزام على البطون كسبًا لذُريهمات. كنت، في ذلك الزمن الجميل، أقرأ، عندما أزور العاصمة، في جدران الباصات الداخلية: "ممنوع التفّ والنفّ من الشباك"! والحكومة تقوم بدور المنظّم، حتى إنها أصدرت تعليمات بألا يصعد راكبٌ إلى الباص إلا إذا كان ثمة مقعد خال ينتظره!

ثمّ جاء الثامن من آذار، ولأنه كان ثورة مع الشعب، فقد بادروا إلى "تأميم" هذا المرفق. يا أولاد الحلال، الظنّ أنكم تؤمّمون ما يملكه "الإقطاعيون"، لا ما باعت الأمهات المصونات من "دهباتهنّ[1]" لشراء باص ينقل الناس بأمان!

ومن يومئذ ما عرفت دمشق الهناءة في هذا المرفق. من ذلك إفساح المجال، منذ ١٩٩٢، "للميكرو باص" تتزاحم في الشوارع وتتسابق مثل جرذان شاردة! وآخر ما هنالك تلك

---

(١) ذهَبِهنّ

الحافلات الكبيرة الخضراء اللون لمتموّلين ذوي صلات، تمتلئ كلّ منها بالركاب في أول الخط حتى ليصبحوا مثل الجبن في القطرميز! [١]

دمشق الشام: فجر السبت ١٥-٧-٢٠١٧

التجاوزات، في أمور التجنيد، قديمة

ألم يتأخر النظام في الالتفات إليها؟

وليته يلتفت إلى ما يعانيه أبناؤنا الشباب عند أدائهم خدمة العلم من القيّمين عليهم... وفي هذا قصص وحكايا.

دمشق الشام: عصر السبت ١٥-٧-٢٠١٧

مجنّد.. أبوه بيّاع حلويات!

جلس اثنان من المُدرِّبين في القطعة، يتسامران تحت ضوء القمر... أحدهما يعرض على الآخر أن ينقل لقطعته المجنّد فلان لأنه "مشكلجي"، والآخر يعرض أن يتخلّى عن فلان لأنه... لأنه... فقير الحال!

أحدهما قال فجأة: شو رأيك تعطيني المجنّد فلان؟

فأجابه زميله: لا خيِّي، هادا ما بتخلّى عنه، أبوه عنده مصنع حلويّات!

دمشق الشام: مساء السبت ١٥-٧-٢٠١٧

نسمع إعفاءات

نسمع كفّ يد، تنحية، إقالات...

---

(١) وعاء زجاجي ذو غطاء.

ولكنا لا نسمع استقالات

لَكْ كلّ واحد ماسك المنصب بأسنانه!

دمشق الشام: ليل الأحد ١٦-٧-٢٠١٧

قُرع جرس الباب

قُرع جرس الباب، وفي حديقة بيتي التقيت جاري وبصحبته أحد المهنيّين.

أخذ الجار يُعرّف بي قائلا: "الأستاذ... الأستاذ... بيكتب... "، وكوّر كفّه اليمنى كما لو أنه يمسك قلمًا يكتب به على راحته اليسرى.

فارتفع مني الصوت: "قل، يا جار، إني "كاتب"، يكتب الأدب، حتى لا تذهب به الظنون بعيدًا! ".

دمشق الشام: عصر الأحد ١٦-٧-٢٠١٧

يا قوم.. لا تتكلّموا!

عثرتُ يومًا، وأنا فتى مولعٌ بالأدب حتى ليُقرزم الشعر، على قصيدة متميّزة، حفظتها عن ظهر قلب، ثمّ فاجأت صديقي المحبّ للأدب، أروي له المطلع وما يليه:

يا قومُ، لا تتكلّموا إنّ الكلام مُحرّمُ
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النُّوَّمُ

فبهت صديقي "ناصح"، وقال: "العمى! هذا شاعر خائن! ".

قلت: "لا تستعجل. الشاعر نظم القصيدة ساخرًا على لسان الإنكليز محتلّي بلده العراق. إنه معروف الرصافي العظيم".

فحفظ القصيدة عن ظهر قلب.

أجل، كنّا هكذا نتبارى في الشعر والأدب... في ذلك الزمن الجميل.

دمشق الشام: ليل الأحد ١٦-٧-٢٠١٧

سوف أظلّ تحت سمائك

سوف أظلّ تحت سمائك

شاهدَ عصر

إلى أن أموت

ولن تموت أحلامي

دمشق الشام: مساء الاثنين ١٧-٧-٢٠١٧

بعد أن تتراكم الأخطاء

بعد أن تتراكم الأخطاء

نسمع بأنه نُحّي،

أُعفي،

أُقيل...

ولكنّا لا نسمع بأنه أُفرِد في زنزانة

في عزّ صيف أو شتاء

ينام، متوسِّدًا حذاءه

على أرض بلاط

يتغطّى ببطانيّة لم تعرف الماء

ومثلها تحته وِطاء

فهذا يخصّ سجناء الرأي وحدهم

دمشق الشام: عصر الاثنين ١٧-٧-٢٠١٧

في إيفاد لي إلى باريس

في إيفاد لي إلى باريس، عام ١٩٧٨، لمؤسسة "محفوظات فرنسا"، علّمونا أنّ "أعداء الكتاب" ثلاثة، هي:

أشعّة الشمس،

والغبار،

وأيادي اللصوص.

أنا أحفظ كتبي في مكتبات تقيها من الشمس والغبار، ولكني لا أدري كيف تمتدّ إليها الأيادي!

دمشق الشام: فجر الاثنين ١٧-٧-٢٠١٧

حمل الكتب.. ومضى بها!

كنت أوصيت صديقة موظفة تعمل في إحدى وزارات الدولة أن تُعرّفني على مَن يمكن أن تقوم بعمل السكرتاريا عندي، استخراجًا لفصول الأدب والتاريخ الغارقة في الكلاسورات[1] والأضابير، ثمّ إحالتها بمعرفتها إلى مَن ينضّدها ضوئيًّا، ثمّ تصنيفها في كتب تمهيدًا لطباعتها. وفي التهاسي منها أن تكون هذه المساعِدة ممّن يسكنون غير بعيد عن بيتي أمانا للتنقل، أكّدتُ

(١) جمع كلاسّور، وهو حافظ الأوراق والأضابير.

لها رغبتي في أن تكون أنثى لا رجلا.

بعد مدة جاءتني برجل طويل عريض كلّ ما فيه يوحي بأنه "شبّيح" عريق، عرفت أنه زوج زميلة لها في العمل، فاعتذرت لها وله، مذكّرًا بما كنت أودعت في سمعها من أن يكون مَن يساعدني أنثى! ومع الاعتذار قدّمت له – تطييبًا للخاطر – واحدا من كتبي مهرتُه بعبارة إهداء مناسبة، وأطلعته كذلك على بعض نتاج "دار إشبيلية" التي تخصّني من كتب في التاريخ والأدب.

بعد أن غادر افتقدت ما أطلعته عليه من تلك الكتب، فكان لي أن أظنّ أنه حملها معه في غفلة مني، وخجلت أن أهتف إلى الصديقة أسألها... ثمّ إنّ أسابيع تقضّت قرأ هذا الرجل في صباح يوم بإحدى الدوريّات ما ذكّره بي، فقام يهتف لي يسألني عن "موعد بدء العمل"! فكررت له اعتذاري الذي كان، وأغراني اتصاله بأن أسأله عن تلك الكتب، فأجاب بأني قدّمتها له هدية، وليس هذا بصحيح بدليل أني لم أمهرها بتوقيع!

دمشق الشام: ضحى الاثنين ١٧-٧-٢٠١٧!

حدّثني صديقي الشاعر اللاذقيّ محمود ياسين

حدّثني صديقي الشاعر اللاذقيّ محمود ياسين، أنه أتيح له أن يلتقي بوفد رياضي صيني يزور بلدنا، وقال لي إنه خطر له أن يعبّر لكبيرهم عن أننا نرى الصينيين "متشابهين في الخِلقة!"، لولا أن منعه من السؤال أن يكون محرجا.

ولكنه فوجئ بأنّ كبيرهم يقول له: أنتم متشابهون!

دمشق الشام: صباح الثلاثاء ١٨-٧-٢٠١٧

ودفعوه إلى زنزانة

ودفعوه إلى زنزانة، فيها مصطبة حجريّة ينام عليها، ومرحاضٌ ذو غطاء غير مُحكم، وأغلقوا عليه بابًا من حديد.

كان يسمع خربشات توحي له بأن كائنًا بغيضًا قد يخرج إليه في ظلمة الليل، فجعل فردة من حذائه في متناول يده.

ذلك... لأنه كان قد وقف أمام ملأ من الطلاب في مدرّج بالجامعة، وروى نصًّا له لم يرق للجميلة خطوطُهم!

دمشق الشام: عصر الثلاثاء ١٨-٧-٢٠١٧

أيها النظام

كيف يَغمض لك جفن

وأنت ترى نصف شعبك قد غادر

لم يصحبوا معهم

سوى الذكريات الأليمة!

دمشق الشام: فجر الأربعاء ١٩-٧-٢٠١٧

الخليفة "المأمون".. وأعرابي من الكوفة!

سمع المأمون أن في الكوفة أعرابيًّا يُشبهه تمامًا، فدعاه إليه، وسأله: يا هذا، هل زارت أمّك بغداد؟ فأجاب الأعرابي: بل زار بغداد أبي!

أرويها من الذاكرة.

دمشق الشام: ظهيرة الخميس ٢٠-٧-٢٠١٧

هل لنا أن نحلم

بأن يُصدِر المسؤول الذي عَلَت مرتبته

بيانًا يُعمَّم

بألا تستجيب مؤسسات الدولة

خاصة تلك التابعة له

لوساطة يتولاها أحد أبنائه أو أيّ من أقاربه الأكرمين

والمستجيب يُعاقب عقوبة الوسيط!!

دمشق الشام: عصر الخميس ٢٠-٧-٢٠١٧

"أيتها القطة، اسمعي! "

قصة بقلمي

ربّة البيت تخاطب قطّتها، تُملي عليها أمرا، القطة تتنبّه، تسمع بكلّ حواسّها، ترفض الاستجابة، ثمّ.....

قصة كتبتها للصغار. أمسِ علمت أنها نُشرت في مجلة "العربي الصغير" الكويتية (الشهر الماضي يونيو/ حزيران ٢٠١٧)، وما أتيح لي – مع الحصار المفروض علينا – أن أقرأها منشورةً على الورق!

لا تتجاوزها، صديقي، اقرأها، فهي للكبار أيضا، ممتعة، صدّقني!

- - - - - - - - - - -

بينما كانت عائدةً من السوق، وقع نظرها على قطّ صغير أسود اللون، يمشي على رصيف الشارع مترنِّحًا، فانحنت تلتقطه وتجعله فوق محتويات الكيس الذي تحمله... ثمّ سمحت

لنفسها بأن تُحسِن الظنّ بأنّ قطّة الدار سوف تحنو عليه وتضمّه إلى صغارها اللواتي تُرضِعهنّ.

وبينما هي تهمّ بالدخول إلى باب بيتها، خطر لها اسمٌ لهذا القطّ: "عنتر"، وهي التي كانت قد أطلقت على قطّتها، يوم حملتْها من بيت إحدى صُوَيحباتها، اسم "ياسمين"، لبياض وَبَرها، الذي ازداد نصاعةً بعد اعتنائها به غسلاً وتنظيفًا.

في اجتيازها الباب، نادت وهي تدلف إلى الحديقة:

ـ ياسمين!

أسرعت القطّة البيضاء إلى سيدتها تموء مرحّبةً، ولكنها سرعان ما توقّفت عن موائها، لحظةَ رأت سيدتها تُخرج من كيسها قُطَيْطًا، رأته أسود اللون، هزيلاً، وغير نظيف!

خُيِّل إلى ربّة البيت أنّ قطّتها تتساءل: ومن أين جئتِ لنا بهذا القطّ، يا سيدتي؟

أجابتها:

. رأيته يمشي في الطريق هائمًا، فخِفتُ أن يُصيبه مكروه. سأتعهّده بالغسل والتنظيف والتجفيف قبل أن تضمّيه إلى صغارك الثلاثة، يا ياسمين!

قالت ذلك، ثمّ مضت إلى داخل البيت، دون أن تلاحظ أن قطّتها المدلّلة قد أشاحت بوجهها في امتعاض.

وقبل أن تشرع ربة البيت في عملها المنزلي، دخلت بالقطّ إلى الحمّام، وأخذت تغسله فَرْكًا وَدعْكًا، بالماء الدافئ، وهو لا يكاد يقوى من شدة ضعفه على المُواء، والمياه الوسخة تسيل من جسده الهزيل، ومن وبره الأسود، هذا الذي سوف يصبح بعد قليل نظيفًا ولمّاعا.

كانت ربّة البيت قد أحبّت منذ عهد الطفولة القطط، بِيضًا وسُودًا وشُقْرًا ومرَقَّشةً. فلما كبِرتْ، وتزوجت، وأصبح لها البنون والبنات، لم تعد تجد لديها متّسعًا من الوقت لتمارس

هوايتها في العناية بالقطط. ثمّ إنّ الأولاد كبِروا، وآن لهم أن يتزوجوا، ويتفرّقوا واحدًا بعد آخر في البلدان. وعندئذ وجدت نفسها وحيدةً: «رَبُّوا واتعَبوا، ثمّ عيشوا وحيدين! ».

وحيدة، أجل، في بيت ذي حديقة يمرّ بها الشتاء فيذهب بوَرَقها ورَوْنَقها، ثمَّ يأتي الربيع، فتنبعث البراعم في الأغصان، وتَعْبَق في الحديقة روائح الورد والياسمين، فتاقت نفسها إلى أن تستعيد أُلفتَها لهذا الحيوان الوديع، الذي يُسلّي بقفزاتِه النشِطة، وتمدُّده فوق الأرائك، وتفرُّجِه على التلفاز، ولَعْقِه قوائمَه بلسانه الخشن، وتثاؤبِه الكسول، وإغماضِهِ عينَيه العسليّتين إذا ما استبدّ به النعاس!

عندما أخذت تُطلق الهواء الساخن من المُجَفِّف الكهربائي على الجسد المستسلم، كانت تفكر فيما إذا امتنعت ياسمين المدلّلة عن إعطاء ثديها لهذا القطّ الذي لم تحمله لا ولم تَلِدْه؟

وخرجت بـ"عنتر"، الذي تفوح منه رائحة النظافة، إلى الحديقة.

كانت هناك ياسمين، تحضن صغارها الثلاثة، اللواتي التصقنَ بها معلنين لربّة البيت أنْ لا مكان بينهنّ لصغيرٍ غريب!

تجاهلت السيدة ما رأت، قالت:

ـ هو ذا عنتر، نظيفًا لامعًا، وجائعًا أيضًا، يا ياسمين!

فازداد الصغار التصاقًا بأمّهنّ وارتضاعًا من أثدائها، وكأنهنّ أحسسنَ خوفًا من مزاحَمَةٍ قادمة.

طمأنتْهنّ ربّة البيت:

ـ لا تخفنّ، سوف أُضاعف لأمّكنّ مقادير الغذاء!

ولكنهنّ رمقنَها بنظراتٍ مريبة، وهنّ يرينها تضع القطّ بجوارهنّ، فازداد، بلونه الأسود

بينهنّ، قتامةً وغرابة.

- هيّا، امنحيه مكانًا بين صغارك، يا ياسمين!

والقطّ الأسود، المسكين، لا يعرف ما يفعل، سوى أن يتوجّه إلى الأمّ المرضعة بنظراتٍ مستعطفة، مرسلاً مُواءً خافتًا ينِمّ على جوع وحاجة إلى الحنان.

أدركت السيدة أنها تخوض معركةً، هي تطويع غريزة الأمومة في قطّتها، أملاً في أن تَقبَل ما يتنافى وطبيعتَها الحيوانيّة.

قالت متوعّدة:

- ياسمين! إنْ لم تُرضِعي عنتر، فسوف يقع بيني وبينك "زعل" لا نهاية له! أستودعه الآن عندك، وأمضي إلى شغلي. إنْ عدتُ، ورأيت منك الصدود ما يزال، فإنه سيكون لي معك شأنٌ آخر!

وفي داخل المنزل، أخذت تتذكّر: لقد استطاعت، منذ أتت بالقطّة البيضاء صغيرةً، أن تعلّمها أمورًا وأن تنهاها عن أمور: أَلاّ تقترب من العصافير التي تحطّ في الحديقة بحثًا عن قوتها، حتى أَكسبتْها عادةَ أن تكتفي بالفرجة على هذه الحيوانات الطائرة وهي ترتشف قطراتٍ ممّا يتساقط من النافورة... فهل يكون صعبًا عليها أن "تقنعها" اليوم بإرضاع هذا القط الصغير الضالّ؟

اقتربت من نافذة المطبخ تسترق النظر، فرأت عنتر منبوذًا يعاني ذلّ الحرمان، وياسمين تزداد حُنُوًّا على صغارها بضمّهنّ إلى حضنها، هؤلاء اللواتي بَدَونَ الآن وكأنهنّ أكثر جوعًا من كلّ وقت مضى.

فأسرعت إلى الخروج إليهنّ.

تناولت القطَّ الأسود واقتربت من ياسمين، هذه التي لاحظت ما اعترى سيدتها من

انفعال، فاشرأبّت ناحيتها تنتظر ما سوف يكون.

أخذت السيدة تتكلّم، وكأنها تخاطب "إنسانًا":

ـ أيتها القطّة، اسمعي! اذكري أني جئت بك يومًا من خارج البيت كما جئتُ اليوم بعنتر. ولا فرق بين أنْ آتي بك من بيتٍ كانت أمّك فيه تنعم بالعزّ، وبين أنْ أَلتقط هذا القطّ البائس من على قارعة الطريق! وتذكّري أني كنت شفيقةً بك، فلم أفعل ما يفعله كثيرٌ من المولعين باقتناء القطط، يأخذونهنّ إلى "الطبيب البيطري"، لإجراء تلك العملية الجراحية البغيضة، "نَزْع المخالب"، حرصًا على أرائكهم المخمليّة وستائرهم الحريريّة! وأما أنا، فقد اكتفيت بأن أُحذِّرك من أن تَشْحذي مخالبَك ممّا يُؤدّي إلى التلف. وكنتِ "فهيمةً" فامتنعتِ! وعلّمتُك أن "تقضي حاجتك" حيث هيّأتُ لك! والماءُ تنهلينه نظيفًا جاريًا، عبر ذلك الجهاز الذي أحضرتُه لك! فاعلمي، إذن، أنّ مِن حقّي عليك أن يأخذ هذا القطّ الجائع ثديَك رضيعًا، فإني أريد له أن يعيش في كَنَفي، فأنا أتفاءل بأن يكون في بيتي قطٌّ أسود! تأكّدي، يا ياسمين، أنك إنْ لم تستجيبي لي فسوف أعاقبك، ليس بالحرمان من الأكل والشرب، ولا بالطرد إلى خارج البيت، فإني أمقت هذه العقوبات البشرية الفظّة، ولكنْ بأن أمنعك من أن تشاركيني الجلوسَ في غرفتي، والتمدُّد على الأرائك، والتمطّي والتثاؤب، والفرجة على التلفاز، وإغماضةِ العينَين نصف إغماضة... أتفهمين؟! (ولوّحت بسبّابتها) لسوف أكون قاسيةً في معاملتي لك بمقدار قسوتك في الامتناع عن إرضاع عنتر (وأشارت إليه)! ومن ناحية أخرى أعدك بأنّ صغارك البيض، الحلوين، متى كبروا، سأمنح صديقاتي فرصة أن تختار كلُّ منهنّ واحدًا تأخذه إلى بيت عزٍّ ودلال!

كانت ياسمين، الفهيمة، تتلقّى خطاب سيدتها باهتمام، متابعةً بنظرها حركاتها وسكناتها، ولحظةَ رأت السبّابة تقترب من وجهها، تراجعت برأسها إلى الوراء...

هل فهمتْ ياسمين الخطاب؟

وغادرت السيدة الحديقة. ولدى دخولها البيت، تعمَّدت أن تغلق الباب وراءها بجَلَبةٍ تنِمّ على الغضب!

ثمّ تساءلت، وهي تتناول طعام الغداء، عمّا إذا كانت قد بالغت في توعُّدها لقطّة الدار... وضحكت... وتساءلت أيضًا عمّا إذا كانت قد أفلحت في شرح الأمور على نحو أثار مشاعرها الحيوانيّة!

عند المساء، خرجت إلى الحديقة.

وكم أسعدها أن ترى القطّ الأسود، البائس في ساعات النهار، يُزاحم بلطفٍ "إخوته" البيض في الرضاعة... على حين كانت ياسمين، الحنونة، تُغمِض عينيها نصف إغماضة، لعلّها تتلذّذ بإرضاع صغيرها "الرابع"، حائزةً بذلك رضا سيدتها ربّة البيت، ومتمتِّعةً براحة الضمير أيضا!

مجلة "العربي الصغير"، عدد يونيو/ حزيران ٢٠١٧

دمشق الشام: ضحى الخميس ٢٠-٧-٢٠١٧

محلّ لصرافة العملة.. آمنٌ جدًّا!

في شهر كانون الأول/ ديسمبر من العام ١٩٨٣، وأتاني الحظّ بأن أسافر إلى "بلاد السوفيات" (تلك التي كان كاتبنا "ابن فضلان" قد زارها زمن العباسيين المتقدّم وألف فيها كتابا، وسمّاها "بلاد البلغار")، ونزلنا - أنا ورفيقي - ضيفين على اتحاد الكتّاب السوفيات موفدين من قبل اتحاد الكتّاب العرب بدمشق. وكنا، حسب تعليمات العارفين، قد حملنا

"الهدايا" الخفيفة، من "أقلام الحبر الناشف" إلى كروزات سجاير الكنت[1]، فضلاً عن قليل من الدولارات الأمريكية التي أعلمونا أنها - رغم التشديد في المنع - نصرفها في مكان دلّونا عليه، وكانت عملتنا مرتفعة وليست كذلك عملة أصدقائنا السوفيات.

كان المكان في سفارة، يقع إلى يمين الداخل، يسألنا الموظف الصغير: كم؟ ثمّ يمّد يده إلى درج عن يساره، ويناولنا رزمة من الروبلات أو أكثر، يمسك كلاً منها خيطُ ماكينة خياطة أسود اللون.

رفيق الرحلة، نديم مرعشلي رحمه الله وهو من الماركسيين القدامى الذين فترت همّتهم، أبدى استعجابه وقال: ما شاء الله، محلّ صرافة في منتهى الأمان في بلاد السوفيات!

دمشق الشام: فجر الجمعة ٢١-٧-٢٠١٧

"جمال سالم" رئيس "لجنة المصادرة".. يطلب يد "الملكة فريدة"

ذات عام قالت البنات الثلاث لأمهنّ: لو أنك ما تركت أبانا الملك وظللت إلى جانبه تسدّدين خطاه، فربما لم يقع انقلاب ٢٣ يوليو!

وما نعرف بما أجابت الأمّ الملكة السابقة "فريدة"، ولكنّا عرفنا أنّ الانقلابيين طالبوها بما كان تأدّى لها من مجوهرات من أيام زواجها بالملك فاروق على أنها من "أموال الشعب"، وعرفنا أيضا أنّ "جمال سالم" (عضو مجلس قيادة الثورة رئيس "لجنة المصادرة")، لما جاءها يبلغها قرار المصادرة عرض عليها الزواج، فثارت عليه وطردته من بيتها!

تقول الدكتورة لوتس عبد الكريم، صديقة الملكة السابقة، في كتاب ألّفته بعنوان "الملكة فريدة وأنا"، إنها أعطتهم كامل ما عندها من مجوهرات، ولكنهم انتزعوا منها أيضًا ميراث أبيها

(١) الكنت: ماركة سجائر

(فيلا في طريق الهرم).

كانت "صافيناز يوسف ذو الفقار" (وهو اسمها الحقيقي)، تتحلّى بحسّ مرهف، وثقافة عالية، وتمارس الرسم باعتبارها فنانة تشكيلية. ولدت عام ١٩٢١ وتوفيت بالقاهرة عام ١٩٨٨ وفيها دُفنت.

دمشق الشام: ليل السبت ٢٢-٧-٢٠١٧

أسأل: لماذا يتركنا الله في أدنى دركات الضعف والذلّ؟

وأستغفر الله على هذا السؤال.

دمشق الشام: عصر الأحد ٢٣-٧-٢٠١٧

"الشعب السوري ما بينذلّ! "

لم يكن مصادفة أن تصدح حناجر الناس في "ساحة الحريقة" في يوم من أيام شباط ٢٠١١ بهذا الهتاف:

"الشعب السوري ما بينذلّ! "

ردًّا على إهانة شرطي لشاب جاء ساعة الظهيرة بسيارته ليصحب أباه الشيخ إلى الغداء.

ولم يكن وراء ذاك لا قطر، ولا السعودية، ولا أردوغان!

فقط كانت النفوس معبّأة بالألم!

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ٢٥-٧-٢٠١٧

خارج السِّرب، دراسة لفنّ الفانتازيا في قصص فاضل السباعي

للمستعرب السويدي: فيليب سايار

- - - - - - - - - -

في مطلع العام ٢٠٠٢ تلقيت مكالمة هاتفية من أستاذ بجامعة استوكهولم بالسويد، يُعلمني أنّ طالبًا عندهم يتهمّم لوضع أطروحة عن جانب من أدبي القصصي بعد أن قرأ قصتي "الكلام المباح"، وأخواتها في كتابي "آه، يا وطني! " (١٩٩٦) مستكملا قراءة كلّ ما في مكتبة الجامعة من أعمالي الأدبية، وأنه يعتزم زيارة دمشق للاجتماع بي وطرح أسئلة تَعنّ له تساعده في وضع أطروحته.

ثمّ كان أن قَدِم إلى دمشق هذا المستعرب الشاب الطموح (الذي يُتقن عددا من اللغات، منها الفرنسية والإنكليزية والعربية والعبرية...)، وأجرى حوارا، كان يُقدّم لي في الصباح سؤالًا ليتلقّى الإجابة عنه في المساء. وإذ مضى بالإجابات المستفيضة عائدا إلى بلده، كانت قد وُجّهت إلى مجلة "سطور" المصرية، التي أراها مجلة المثقفين والسياسيين، لتُنشر في العدد ٦٩، اغسطس ٢٠٠٢، بعنوان مختلف: "ضدّ الغباء، فاضل السباعي كاتب في ظلّ السلطة".

فأما الأطروحة فقد أُعدّت في استوكهولم باللغة الإنكليزية (وليس السويدية)، وحازت النجاح، والنسخة التي تلقّيتها وضعتها بين يدَي مَن نقلها إلى العربية، هذا الذي رأيته يحرص، وهو يقدّم لي نصّه الذي ترجمه بعناية، على أن يهمس في أذني: "أرجو ألا تذكر في الكتاب أني مترجمُه! "... هل همسته هذه - إن كنت من "المتشائمين"! - أدّت إلى أن يبقى مشروع الكتاب مغيّبًا في درج في مكتبي لا تكتحل عيناه بالنور! وهو اليوم واحد من بضعة عشر مخطوطة، تنتظر الإعداد للنشر وما عدت بقادر أن أنجز وأنا في وضعي الراهن!

وجدتني اليوم أنتزع من الأطروحة، الغنيّة بتجليّاتها النقدية، الصفحة الأولى، أقدّمها لكم. هذا وسوف تسبق عنوانَ الكتاب، يوم يقُدّر له أن يُنشر، كلمتان صغيرتان: "خارج السِّرْب"!

يقول المستعرب السويدي فيليب سايار مبتدئًا نصّه:

- - - - - - - - - -

إنّ أول ما يمكن قوله عن فاضل السباعي أنه لا يتمتّع حتى اليوم بالشهرة التي تتناسب ومنزلته كاتباً معاصراً في العالم العربي. بعض القرّاء العرب يقولون إذا ما سُئلوا عنه أنهم "سمعوا" باسمه، ولكن يبدو أنّ قلّة قرؤوا أعماله الأدبية. غير أنه معروف - وبشكل جيد - في أوساط الجامعيّين والدوائر الأدبية في العالم العربي، ويعرفه كذلك المثقّفون السوريّون، إلّا أنه لم ينل كثيراً من التقدير. وقد يبدو هذا غريباً إذا ما أخذنا في الحسبان أنه واحد من الأعضاء المؤسّسين لاتحاد الكتّاب العرب بدمشق في العام ١٩٦٨- ١٩٦٩، وأنّ عدداً من أعماله (روايات وقصصاً قصيرة) قد تُرجمت إلى بعض اللغات الغربيّة والشرقيّة.

وما أودّ تأكيده أنّ فاضل السباعي كاتب شديدُ الالتزام، يجمع بين ولع حقيقيّ بالكتابة وبين لهفة لأن يُضمّن كتاباته نقدَه الاجتماعيّ وآراءه السياسيّة الأساسيّة. غير أنه في سياق ما بدأ يسود المنطقة العربية منذ أواسط القرن العشرين (حين بدأ هو الكتابة)، من أنّ كثيراً من المثقفين والكتّاب العرب قد أصبحوا عُرضةً للاضطهاد والسجن أحياناً من قبل بعض السلطات العربيّة، فإنّ السباعي أدرك أنّ عليه أن يتّخذ الحيطة والحذر في تعامله مع هذه السلطات. هذا إلى أنّ كثيراً من أعماله القصصية لم يفتقر إلى الجرأة السياسيّة، ذلك أنه يملك من المهارة ما يُجنّبه المجازفة بموقفه كمؤلف. وهكذا تفادى العواقب السيّئة، ولم يمكث في الاعتقال إلّا قليلاً بسبب حادثة وقعت له في العام ١٩٨٠. وقد تدبّر في الآونة الأخيرة أمر نشر كتبه في سورية (مع الإشارة إلى أنّ عنده مخطوطات تنتظر النشر يوم يصبح المناخ السياسي أفضل، وهي في الوقت ذاته تُنشر في الخارج)، كما أنه لم يجد أنّ هناك ما يضطره إلى الهجرة والعيش خارجاً وراء حدود الوطن.

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: عصر الاثنين ٢٥-٧-٢٠١٧

لم تكن "ثورةً" ما قمنا به، كان مطالبة "بإصلاح".

مثالا: أنا عضو مؤسس في اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام ١٩٦٩، وما رضي الاتحاد أن ينشر لي كتابًا واحدًا ضمن منشوراته. وكتابٌ لي "حزن حتى الموت" رفضه قُيِّض له أن يصدر في بيروت... وإصداره الخامس كان في باريس مترجمًا إلى الفرنسية.

لم يرشّحني الاتحاد يومًا لأكون عضوًا في مؤتمراته الأدبية (الخارجية والداخلية)، والذين كانوا يشاركون فيها لهم قامات بطول قامتي نعم، وبعضهم أقصر، أو أقصر وأقصر...

وما كان بيننا، نحن المطالبين بالإصلاح، لحًى سودٌ ولا بيض. داعش ليست منّا، كيف تمدّدت هكذا في السهول وعلى رمال الصحراء؟

لا مسامحة لمن يؤيّد تهميشي أنا ومن هم في مثل حالي، من حملة الأقلام ومن حملة البؤس والآلام!

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٦-٧-٢٠١٧

نعم، كان الملك فاروق خليعًا، ولكن خلاعته لم تتجاوز أسوار قصره.

كان يطبق الدستور ولا يتدخل في الحكم إلا قليلاً. ويوم أقال وزارة "النحاس باشا"، المؤيَّد من الشعب (وفيها طه حسين وزيرا للمعارف)، وجاء برجل القصر القوي "الهلالي باشا"، فإنما كان ذلك بسبب "حريق القاهرة" مطلع ١٩٥٢، ذلك الحريق الذي أشعله الماركسيون أملاً في إحداث خلخلة في النظام يستفيدون منها.

وأما "التقدمي" جمال عبد الناصر..... فهو سالب الحريات ومؤسس الديكتاتوريات في الأرض العربية!

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٦-٧-٢٠١٧

يا يوم يوليو!

يوم أعلن "الضباط الأحرار" بيانهم رقم واحد صبيحة الثالث والعشرين من يوليو/ تموز ١٩٥٢، فرحنا - وأنا طالبٌ طيّب القلب بالجامعة هناك - أنّ "النظام الملكي الظالم" باد... وفي عصر السادس والعشرين من ذلك الشهر، إثر إذاعة الخبر عن ترحيل الملك فاروق من قصر "رأس التين" بالإسكندرية، خرجنا إلى شرفات المنازل يُحيّي بعضنا بعضا على غير معرفة، فرحين برحيل الملك الخليع.

إنّ هذا الحلم الجميل، أو الوهم الكاذب، لم يستغرق طلابَ "جامعة فؤاد الأول" (التي أضحى اسمها جامعة القاهرة) طويلا، فقد خرجنا في ربيع ١٩٥٤ بهتافنا: "يسقط حكم البَكْباشيّة"[١]، بعد أن تبيّن لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود: لم يكن الضباط أحرارا، بل عبيدا لمطامعهم،

فقد اقترفوا:

- إشاعة حكم المخابرات في مصر والأقطار،
- حرب اليمن الكارثيّة،
- نكسة الـ٦٧،
- تضييع ثلاث وحدات (مع السودان ٥٥، مع سورية ٦١، ومع اليمن الشمالي، سيف الإسلام ابن حميد الدين ٦٢)...

---

(١) أي يسقط حكم العسكر. والبكباشية: الضباط. أصلها رتبة عسكرية في الجيش العثماني يُعنى متقلدها بالأمور اللوجستية للجيوش.

وعاد زعيم "الثورة – الانقلاب" مجاريًا للأمريكيين كما كان بدأ، لكنْ منزوع الأظفار والأنياب، راضيًا بما سُمّي بـ"مبادرة روجرز"... ويا ليت عمره طال، فحققها... قبل أن تستهين إسرائيل بنا، فتأخذ الضفة بمستوطنات وبطُرق التفافيّة حولها، انتزع ذلك معظم أراضي الضفة حتى لم يبقَ لنا منها إلا الفتات!

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٦-٧-٢٠١٧

يوم وفاة جمال عبد الناصر (٢٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠)

يوم وفاة جمال عبد الناصر (٢٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠) رأيت بعض أفراد حاشيته يبكون عليه وهم يقولون حزانى مشفقين:

ـ كان الريّس متحمّل كلّ حاجة، شايل همّ الشعب على دماغه، يا عيني عليه!

فكنت أكاد أردّ عليهم وأنا أمام التلفاز: ومين اللي خلاه يحتكر الحكم، ويشيل هموم الشعب على رأسه ودماغه وكتفيه!

دمشق الشام: عصر الخميس ٢٧-٧-٢٠١٧

إني لأعجب من قوم يؤمنون بالحكم الفردي

حتى إذا أخطأ الحاكم، وجلب للأمة الانكسارات والنكسات والكوارث والمحن، أسرعوا يُبررون ويُسوّغون بأنّ هناك أيد خفية كانت تعمل ضدّه في الداخل وفي الخارج...

طيب، لو أنّ الحكم كان يستظلّ سماء ديمقراطية ما، وكان الإعلام طليقا، لطفت الحقائق على السطح تلقائيّا وعرفنا كلّ شيء...

يستأثر، ويُكمّم، ويقع في الهاوية... ثمّ يدّعي أن مؤامرات استهدفته... ولولاها لكان نجح!

دمشق الشام: ظهيرة الخميس ٢٧-٧-٢٠١٧

أنا لست من أنصار السادات

لكني أنظر فأرى أنّ طائرات مصر تحطّمت عند الفجر، فقد كان الزعيم الملهم يتوقّع أن يأتوا مصر من الشرق ولكنهم غرّبوا، فضاعت سيناء والكرامة

والسادات اجتاز "خط بارليف" الذي لا يُقهر، واستردّ سيناء، وأدع الحديث عن الكرامة

إن قلتم مؤامرة، أقول: كانت على السادات، جسرٌ جوّي لإسرائيل فور الاجتياز يُمدّها بالسلاح، وإعاقةٌ للتقدم، وتغلغلٌ منهم حتى "الكيلو ١٠١"!

المفارقة: أنّ الذي ضيّع مات محزونًا عليه، وأنّ الذي استردّ اغتيل ونُبِز بالخيانة!

كيف؟

دمشق الشام: عصر الجمعة ٢٨-٧-٢٠١٧

وتستعين الديكتاتوريّة.. بالغوغاء!

في العام الدراسي الأول لي في "جامعة فؤاد الأول" بالقاهرة (١٩٥٠-٥١)، لست أدري لماذا توجّهنا، أنا وصديقان من وطني، إلى طريق الهرم، نزور مزرعة أقامها ويديرها ضابط مسرّح من القوات المسلحة في عهد الملك.

كنّا نحن الثلاثة، أنا و"فؤاد جوبي" و"بديع سليمان"، طلابا بكلية الحقوق، واستمعنا إلى هذا الرجل يحدثنا عن أسباب تسريحه من الجيش (وكان برتبة صاغ/ نقيب)، وعن أنه - بعد إنشاء "مجلس الدولة" في مصر - أُعطي المتظلمون من تعسّف الإدارة مهلة زمنية ليقدّموا خلالها إلى هذه المحكمة الإدارية طعونًا بقرارات كانت قد صدرت بحقهم، ففعل الرجل، وكان من إنصاف هذه الهيئة القضائية، التي عمل على إنشائها باقتدار "عبد الرزاق السنهوري

باشا" (أكبر ذهنية قانونية في الوطن العربي)، أنهم ألغوا قرار التسريح، وأعادوه إلى الخدمة في الجيش - إن أراد - بالرتبة التي وصل إليها أندادُه، مع الحكم له بكامل الرواتب كما لو أنه قضى سنوات التسريح في عمله... وأوضح لنا أنه فضّل عدم العودة، وأنه برواتبه المتراكمة أنشأ مشروعه الزراعي الناجح هذا... ولله كم شعرت بالفخار بهذا القضاء الرفيع، وتمنّيت أن يُنشأ نظير له في وطني، وأكون بعد تخرّجي من العاملين فيه!

وأقول: إنّ هذه الهيئة ألغت فيما بعد العديد من القرارات الصادرة من "حكومة الثورة"، هذا إلى أنّ خلافًا قام بين السنهوري وبين حكومة الثورة مردّه إلى مطلب السنهوري أن تحقق الثورة مبادئها، ومن ذلك أن تكون هناك سلطة قضائية هي الحَكم بين الدولة الجديدة وبين الجماهير.

ما حدث ظهيرة يوم ٢٩-٣-١٩٥٤ (هذا اليوم المشهود في تاريخ مصر)، أنّ متظاهرين خرجوا يجوبون الشوارع، يهتفون تارة بحياة الجيش والثورة وعبد الناصر، وتارة بسقوط الأحزاب والنقابات والرجعيّة، وما إن وصلت إحدى هذه المجموعات إلى مقرّ مجلس الدولة بالجيزة، حتى علا الهتاف ليشمل الدكتور عبد الرزاق السنهوري رئيس مجلس الدولة، يصفه هؤلاء الرعاع بالجاهل والخائن، ويطالبون بسقوطه!

هنا دخل ضابط إلى مكتب رئيس المجلس يستدرجه ليخرج إلى حديقة المبنى يخطب في المتظاهرين "ليهدّئهم! "، فلما استجاب اقتحمت جموع المتظاهرين فناء المجلس، وانقضّ بعضهم عليه يسبّونه ويضربونه، وقيل إنهم كادوا يفتكون به لولا أن الضربة التي سُدّدت إليه أخطأته وتلقاها أحد العاملين في المجلس.

وجاء عبد الناصر (رئيس مجلس الوزراء يومذاك) إلى المستشفى... ليعود القانوني الكبير، الجريح... ولكنّ السنهوري طلب من زوجته ألا تدعه يدخل عليه!

وفي اليوم التالي أدلى السنهوري بأقواله إلى النيابة العامة من على فراشه بالمستشفى، موجّهًا الاتهام صراحة إلى البكباشي جمال عبد الناصر بتدبير الاعتداء عليه.

كنت يومذاك (العام الدراسي ١٩٥٣-٥٤) في آخر سنواتي الجامعية، وكانت الكلية قد جرت على أن تستعين بكبار رجال القانون لتدريسنا بعض مواد التخصص، وقد حدثنا أستاذ لنا، هو مستشار في مجلس الدولة، عن تفاصيل ما حدث، فكان ما انتابني من مشاعر الألم يضاهي، من حيث الشدّة، ذلك الافتخار الذي تملّكني وأنا أستمع إلى حديث الضابط المسرّح في مزرعته على طريق الهرم.

أضيف: مع أني لم أتلقّ محاضرات على يد الدكتور السنهوري، فإنّ إعجابي به جعلني أقتني من كتابه في شرح القانون المدني الجزء الصادر "الالتزامات"، وما زال يُزيّن مكتبتي متوسطًا الكتب القانونية التي درستها في سنواتي الجامعية!

دمشق الشام: فجر الجمعة ٢٨-٧-٢٠١٧

أول أيام "الروضة"

قصة للأطفال، تحكي ذهاب الطفل "سامر" في أول أيامه إلى روضة الأطفال، وكيف "انفصل" عن أمّه وما عانى من هذا الانفصال. نُشرت في عدد أيار/ مايو الماضي في مجلة "قوس قزح".

وهذه القصة واحدة من ثماني، عنوان المجموعة "حكايات سيرين وسارة وسامر"، كلّ قصة منها مستقلةٌ في حوادثها عن سائر القصص، لكن يجمعها وإياها أنّ الشخوص هم هم في كلّ قصة.

حكايات تُمتع الكبار بقدر ما تشدّ الصغار إليها.

- - - - - - - - - -

استيقظ "سامر" باكرًا على وقع الأصوات المنبعثة من أُختَيه وهما تستعدّان للذهاب إلى مدرستهما، دون أن تمتدّ إليه يدٌ توقظه، أو صوتٌ يُناديه: «استيقظْ، يا سامر، نمتَ طويلاً، يا حبيبي! ».

استيقظ متنشِّطًا، فأُمُّه - كما ردّدوا أمامه كثيرا - ستذهب به إلى «الروضة».

تناول فَطورَه مع أُختَيه سيرين وسارة. ورآهما تُسرعان في ارتداء ملابسهما، ثمّ علّقت كلٌّ منهما محفظتَها على كتفَيها، وخرجتا معًا إلى الحديقة، يُتابِعُهما بنظراته، فإلى الباب، والمدرسة.

حرصت أمُّه على أن تُلبِسه ثيابًا جديدة، وهي تُحدِّثه وتُناغيه:

- سنذهب معًا إلى الروضة يا سامر، وسوف يكون لك فيها أصدقاء.

وهو لا يدري كيف يكون له أصدقاء في الروضة دون أن يعرفهم! ويظنّ ذهابه إلى الروضة ليس إلاّ «زيارة» يعود منها برفقة أمّه!

مَشَطت أمّه شعرَه بعناية، ورشّتْ عليه شيئًا من العطر، فخُيّل إليه أنه يتحوّل إلى «ولد» آخر!

جلس في السيارة بجوار أمّه، شارع، شارعان، ثلاثة... وتوقّفتْ السيارة بهما أمام مبنى جميل. تذكّر أنه زار هذا المكان قبل اليوم، وأنّ أمّه قابلت فيه امرأةً ذات هيبة، وأنهما تحدَّثتا عنه وأشارتا إليه كثيرًا.

استقبلتْه وأمَّه شابّةٌ رحّبتْ به:

- أهلين، «سَمُّور»! سنكون أنا وأنت منذ اليوم «أصدقاء»!

رآها جميلة ولطيفة. أحبَّها. ولكنه لم يكد ينعم بهذا الحبّ حتى كانت أمّه تقول له وكأنها

تُودّعه:

- ابقَ هنا مع «الآنسة»، والعبْ مع الأولاد، وعند الظهيرة آتي إليك لنعود معًا إلى البيت!

واتَّجهت لتُغادر المكان.

ولكن... كيف يبقى مع أُناس غرباء! صرخ:

- ماما! لا تتركيني! أذهبُ معك!

احتضنتْه الآنسة، التي لم يعد يراها جميلةً ولا لطيفة، لأنها منعته من اللحاق بأمّه... يسمعها تقول له:

- هيَّا نلعب مع الأطفال.

رأى ولدًا، هنا، يبكي. وجاءه من هناك، بكاءُ ولدٍ آخر. الأولاد ترتفع أصواتُهم بالبكاء، والدموع تَسُحّ من أعينهم. وما خطر له أنه سينضمّ إليهم، يبكي وينادي:

- أريد أمي!

قالت المعلمة:

- سيكون لك رفاق تلعب معهم، يا سامر.

دقّ سامر الأرضَ بقدمه:

- ليسوا رفاقي. لا أعرفهم. لا أُحبُّهم!

قالت المعلمة:

- طيّب، ما رأيك في أن نبني بيتًا من... المُكَعّبات؟

استرعت انتباهَه كلمةُ «مُكَعّبات». ولكنه ازداد بكاءً عندما أخذتْه من يده إلى مكانٍ، وجد فيه أولادًا غرباء، كان بعضهم ما يزال يبكي.

انحنتْ المعلمةُ على طاولة، تقول:

- الآن، يا سامر، نبني بيتًا من هذه المكعّبات الملوّنة.

منعتْه الدموعُ من أن يرى ما تفعله المعلمةُ على الطاولة أمامه، وهو يُردِّد باكيًا:

- أريد أمي!

لكنه رأى، من خلال دموعه، بيتًا جميلاً، يتكوَّن أمامه وهو على المقعد يشهد. ولم يكد يستمتع بما يرى، حتى كانت يدُ المعلمة، تُسرع إلى البيت فتَخْرُبه وتُبَعْثر المكعّبات على الطاولة، فاشتدَّ بكاؤه استياءً من فِعل المعلمة، وسمعها تقول:

- تعالَ نبني، أنا وأنت، بيتًا يكون أجمل!

وأخذت يدَه لتلامَس بها المكعّبات.

- حُطّ هذا المكعّب هنا، وهذا فوقه.

ثمَّ... رأى البيتَ الجديد، بعينَين جفّتْ فيهما الدموع، أجملَ من الأول.

- هل نَخْرُبُه، لتَبني أنت وحدَك بيتًا أجملَ وأجمل؟

هزَّ رأسَه أَنْ نعم.

وضعتْ له المعلمةُ قاعدةً، أساسًا، وتركتْهُ يبني... فرأى البيتَ، الذي بناه وحدَه، أجملَ من كلِّ البيوت، وتَلَفَّتْ، فرأى الأولادَ يبنون بيوتًا، ولم يَعُدْ بينهم من يبكي.

وتعرّف على «بديع» و«وديع»، وعلى «ليلى» و«سلوى»، فأصبحوا أصدقاء، وكَفَّ لسانُه عن أن يُردِّد: أُريد أمّي!

خرجتْ بهم المعلمةُ إلى الباحة... هناك أخذوا يبنون بيوتًا، لكنْ من رملٍ نظيف، ثمَّ يُخَرِّبونها.

صَعِدوا سُلَّمًا، ونزلوا من جانبه الآخر متزحلقين، أدخلوهم إلى مكانٍ اسمُه «المطعم»، فأكلوا وشربوا، وغَنَّوا، ورقصوا، وضحكوا كثيرا.

ساعةَ الانصراف، نَظَّموهم في صفوف، وصَعِد كلُّ صفٍّ منهم إلى حافلة.

على الرصيف لمح أمَّه. اندفع نحوها يعانقها، وهي تغمره بالحنان:

- صرت تلميذ روضة، يا حبيبي!

فرحت به أختاه، سيرين وسارة، أخذ يُحَدِّثُهما عن البيوت التي بناها، وعن التي سيبنيها غدًا.

- ونحن بَنَيْنا بيوتًا كثيرةً في هذه الروضة عندما كنا صغارا.

في المساء قال له أبوه على شاشة الانترنت:

- اليوم نزلتَ إلى «معتركِ الحياة»، يا سامر!

لم يفهمْ سامر معنى الكلمة، ولا أراد أن يسأل عنها.

اهتمَّ بأنْ وَضَعَ لباسَ المدرسة في موضع أمين، واطمأنّ على أن حذاءه هناك، في الزاوية، ينتظرُ منه أن يلبَسَه في الصباح.

وقبلَ أن يذهبَ إلى النوم، قال:

- أمّي! لا تنسَيْ أن توقظيني باكرًا، حتى أذهب إلى الروضة!

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: فجر الجمعة ٢٨-٧-٢٠١٧

تعرفون؟

لو أنّ ذلك الزعيم كان ملهَمًا

لوجد أنّ الأمّة في أمسّ الحاجة إليه

وأمسى فيها - بالمحبّة - أميرا!

دمشق الشام: ليل الأحد ٣٠-٧-٢٠١٧

بعد كلّ ما تمخّضت عنه الأيام والليالي

ما زال المعجبون بمؤسّس الديكتاتوريّة العربية

يُعربون عن تمنّيهم

لو أنه طال عمره... فتابع انتصاراته المجيدة.

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ٣٠-٧-٢٠١٧

جلس أمامي، يتمزّق ألمًا:

قُتل أبناؤنا والنساء والشيوخ

شُرّد أبناؤنا تحت كلّ شمس وصقيع

دُمّرت منازلنا والحارات والمدن والأرياف

أُبيدت البُنى التحتيّة والفوقيّة

هُدمت الصُّروح، ونُهبت الآثار فوق الأرض وفي باطن الثرى

والتاريخ...

وغُصّ بدمعه

وأما أنا فلم أجد في مآقيّ دمعة واحدة!

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ٣٠-٧-٢٠١٧

حامي القطط!

لا أحبّ القطط، لم آلفها منذ الصغر، وظللت أحول بين أبنائي وبين اقتنائها. ولكنها ما زالت، منذ سكنتُ بيتًا ذا حديقة، تتسلّل إليها قطط الحارة، ربيباتُ "الحاويات"، كلما سنحت لهنّ الفرص وكثيرًا ما تكون، حتى ليدخلنَ البيت ويُفسدنَ فيه أشياء وأشياء.

وقد تلقّيت يومًا نصيحة من عارف بطباع القطط، أنّ خير وسيلة لإبعادهنّ رشُّهنّ بالماء، فالقطة يضايقها البلل، وعلى هذا جريت: إن رأيتهنّ في أرض الدار أسرعت إلى الخرطوم، ولكنهنّ ما إن يسمعنَ وشيش الماء في جريانه بالأنابيب حتى يهربنَ غير مبلولات!

اليوم سويعة الضحى... سمعتُ، وسمعنَ، طلقات نارية متلاحقة تشقّ فضاء الحارة، فما كان من مجموعة منهنّ إلا أن اندفعنَ إلى حديقتي يحتمينَ فيها! وما خفنَ مني إذ رأينَني، فالبلل أخفّ وطأةً من الموت!

بدا لي أنهنّ يعرفنَ أني أقف في صفّ المقموعين والمقهورين، والهاربين من الموت واللاجئين، بَشَرًا كانوا أو قططًا!

دمشق الشام: ليل الاثنين ٣١-٧-٢٠١٧

الأب.. المنحاز إلى صهره!

نزل الأب ضيفًا، طوال صيف كامل، عند ابنته وزوجها المقيمَين في تلك العاصمة البعيدة.

كان يشهد أحيانًا "نقارا" بين الزوجين، فيتحرّى الأسباب، ويعطي الرأي العادل، أو المتحيّز شيئًا ما إلى الزوج.

يوم ودّع عائدًا إلى الوطن، شكرته ابنته، وبيّنت أنّ أمّها كانت، في مثل هذه الحالات، تنحاز إليها هي دائمًا، ما يُسبّب ضيقًا لزوجها.

دمشق الشام: ليل الاثنين ٣١-٧-٢٠١٧

يا جاري العزيز

تعرف أنّ ابني عاد أمس إلى فلوريدا، صرت وحيداً في البيت

اليوم غسل الشغّيل "أبو تمّام" السجادة في الحديقة. تعبت.

راح أدخل الحمّام بعد شوية، أعمل دوش وأغسل "الغيار" وتحتانيّة البيجامة

أتصلُ بك بعد نصف ساعة، أو تتصل أنت، مفتاح البيت معك.

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ١-٨-٢٠١٧

"الصّرْماية" الحلبيّة

في العام الدراسي ١٩٥٣- ٥٤، التقينا، أنا وصديقي الطالب "وحيد جلبي" بالقاهرة، سائحًا فرنسيّا شابًّا يتنقّل في سفره بطريقة "الأوتوستوب"، وكان قد مرّ في رحلته هذه بمدينتنا حلب.

في الحديث الذي دار، قال إنه رأى بحلب، في "سوق المدينة" الشعبي (طوله نحو سبعة كيلومترات أسواقًا متوازية ومتقاطعة) في سوق منها يعرفه أهل حلب باسم "سوق الصرماياتيّة"، كثيرا من الأحذية الحُمْر (لونًا واحدًا، إلا ما ندر) المعلقة كالقناديل داخل المحلّ وعلى بابه وفوق رؤوس الباعة والمشترين.

ما أثار عجبه أنّ فردتَيْ هذا الحذاء متشابهتان ليس فيهما يمين وشمال، وسمّوه له "صُرْمايَة Sourmayah"، ولكنهما عند الاستعمال تتّخذان شكل فردتين مختلفتين. واشترى واحدا للذكرى!

هذه الأحذية يلبسها الشعبيّون بحلب وأبناء الريف، لرخصها وحُسن أدائها... ويستمدّ

منها الناس في بلدي سُبّة مشهورة: "ابن الصرماية"! وقد يضيفون "العتيقة"!

وفي مصر رأيت شتيمة مماثلة لكنّ اللفظ محوَّر قليلاً: "ابن الصِّرْمة"، ما أدري إن كان هناك حذاء شعبيّ قريب الشبه من مثيله في بلدي، أو أنهم استمدّوا الشتيمة من عندنا.

لا تؤاخذونا... مو كلّ مرة منحكي في الأدب. أنا أستكمل رسم الصورة!

دمشق الشام: ليل الأربعاء ٢-٨-٢٠١٧

وددتُ يومًا أن أكون بين العاملين في وزارة الثقافة!

أُسست وزارة الثقافة في سورية عام ١٩٥٩ في ظلّ الوحدة، فوددت - وقد ادّعيتُ أمام نفسي الجدارة - أن أكون في عداد موظفيها. عَيّنت حكومة الجمهورية العربية المتحدة، السفيرَ السوري "ثابت العريس"، وهو من وجوه حلب المسيحيّة الراقية، [أولَ] وزير لها، وكنت صديقا شابًا لأحد وجهاء حلب الكبار المحامي "فتح الله الصقال" (رئيس مشاريع "جمعية الكلمة الخيرية" وفي طليعتها "مستشفى الكلمة" المتميّز)، فمنحني مشكورًا "بطاقة توصية" لصديقه ثابت العريس، سافرت بها إلى دمشق.

كانت الوزارة في مرحلة التأسيس، تستقدم الأكفاء من الموظفين (هكذا ظننت)، المثقفين والأدباء. في لقائي الوزير رحّب بي أحسن ترحيب، وأخذ الهاتف يكلم مَن كان منصبُه يسمّى "أمين عام الوزارة" (بعدئذ سمّي "معاون وزير") يوصيه بي خيرا، وكان اسمه "..... شقير" (من أبناء لواء الإسكندرون الذين أحبّهم الشعب)، وتمّت المقابلة الجميلة على أن أراجع بعد أيام.

لدى مراجعتي أحالني الأمين العام إلى الوزير، الذي سألني بلطف متناه: ما رأيك في أن تعمل عندنا "ندبًا" على سبيل التجربة؟! (يعني أن أظلّ في إطار وزارتي، وأعمل عندهم كالضيف)، وأُسقط في يدي، فهذا يعني اعتذاره عن قبولي موظفا أصيلا! ثم إنهم كتبوا إلى

وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل التي أعمل فيها، فردّت بما معناه: النقل أو فلا!

فيما بعد علمت أنّ الأمين العام ينتمي إلى حزب البعث - المنحلّ رسميًا مع بداية الوحدة والذي ظلّ يعمل في السرّ - وأنه لا يرحّب بمن هم على شاكلتي!

بعد الثامن من آذار عُينّ "..... شقير" سفيرًا لسورية في الصين. والأمر المُفارِق أنه حين توفي عام ١٩٧٧، وأرادوا أن يقيموا له حفل تأبين، وكنت يومذاك "مديرا للشؤون الثقافية بجامعة دمشق"، كلفني بودّ جميل رئيسُ الجامعة الدكتور محمد الفاضل - وهو يعلم أني كاتب ويقرأ لي - أن أقترح عليه أفكارا يضمّنها الكلمة التي سيلقيها في الحفل، وزوّدني بنصوص مطبوعة وأوراق عن الراحل، ومنحني يومين إجازة مجانية لإنجاز هذه المهمة الصعبة عليّ، عانيت خلالهما "العذاب" لأكتب عن الرجل الذي "رفض" نقلي إلى وزارة الثقافة، شيئا طيّبا جديرا بأن أقدّمه لرئيسي الذي أكنّ له كلّ الاحترام... وما استطعت! دمشق الشام: صباح الخميس ٣-٨-٢٠١٧

مساء اليوم أحسست ارتفاعا في حرارة الجسم مع انحطاط في البدن

هتفت إلى صديقي الدكتور خلدون، الذي بدا أنه كان مستغرقًا في قراءة التعليقات على تلك الأكلة اللذيذة، فقال لي: لتكون تقّلتْ في المقلوبة!

دمشق الشام: ليل الجمعة ٤-٨-٢٠١٧

أكلة "مقلوبة".. في بيتي!

أمس سويعة المساء دخلت بيتي إحدى "الحناين" تحمل وجبتين من أكلة دمشقية مشهورة اسمها "مقلوبة الباذنجان".

وبالذاكرة أعود إلى خمسينيّات القرن الماضي، لم نكن نعرف هذه الأكلة في حلب، فكانت

ربّة الأسرة تستضيف إحدى قريباتنا التي اتفق لها أن أقامت مدة في دمشق، فتتولّى التوجيه، والصبايا حولها يتلقّين أسرار الطبخ إلى أن أتقنّها، شرائح الباذنجان تُقلى، وتُصفّ في قاع القِدر وعلى جوانبها (وما أجمل إن كانت من بلور البيركس!)، ورزّ قصير، ولحمٌ ناعم يُخلط مع الرز دعمًا وقطعٌ منه توضع في القاع ذلك بعد القلي مع "المكسّرات"، بعد النضج "تُقلب" القدر في صينيّة، فيصبح التحت فوق، ومن هنا جاءت التسمية... وهات يا أكل!

ثمّ إنّ هذه الأكلة شاعت في حلب، ولكنّ الحلبيين لم يُفلحوا في أن يُشيعوا بدمشق الأكلة الحلبية الفاخرة "اللحمة بالكرز"، إمّا لافتقاد "كرز الوَشنة" الذي يَرِد إلى حلب من مرتفعات أريحا الخيّرة، أو لعدم استساغة الدماشقة أن يُطبخ الكرز ذو المزّة مع اللحم مضافًا إليهما شيء من سكّر!

أعود: بعد تناول "المقلوبة" أمس، قامت اليد الحنونة "تَقْلط" المطبخ، غسلاً ومسحًا وترتيبًا، ومع أنّ ذلك غيّر "مواضع" الأشياء، حتى صرت أهتف لصاحبة اليد الكريمة في بيتها أسألها: وين صار الملح، يا "آلاء" العزيزة؟ السكر، البنّ، النعنع؟... إلا أنني أتمنى أن "تُعيدها"، وأقوم بإعداد اللبن بالخيار أفرمه، مضافًا إليه الملح والنعنع والتوم!

أمس كتبت لي صديقة: "الله يبعت لك حناين! "، ولهذه الحنون أقول: موجودات، يا سالمة، بس الله يكتّرهن!

دمشق الشام: مساء الجمعة ٤-٨-٢٠١٧

صديقي يعيش شيخوخةً.. بخمس نجوم!

لم ألتقِ به منذ خمسة وثلاثين عامًا على وجه التحديد. لم يغب اسمه عن بالي لودٍّ عنده يغمر به كلّ مِن حوله. هتف لي، وزارني أمس يقول: "عندما سألت عن بيتك طلعوا كلّ أهل الحارة بيعرفوك! "، وصحبه إليّ صبيّ ظلّ في الحديقة يطارد القطط!

رافقت الحديثَ شجون. شكا لي أنه صحيًّا أصبح مثل "السيارة المستعملة"، مهما أصلح فيها وبدّل "قطع غيار" تظلّ قديمة! تذكّرنا أياما مضت، وضحكنا مثل طفلين.

عمّن يرعاه اليوم، قال إنّ له بنتين وابنًا.

فأمّا الابن، فقد تزوج، واستقلّ بحاله، يهتف له كلّ حين: "أبي، لازمك شي؟ "، فيشكره كثيرا.

وأمّا البنتان، فهما متزوجتان وذاتا أولاد. مالت زوجتُه إلى العيش مع صغراهما، إلى أن التحقت البنت بزوجها الذاهب بعيدًا إلى ألمانيا، فعادت الأمّ إليه. وتسكن الأخرى في "دوما"، فلما أرهقها الحصار وجثم فوقها الخراب التجأت إليه طلبًا للأمان.

واختصر القول إنه يعيش شيخوخة "خمس نجوم"! إن قال: "عطشان" جاءته كؤوس من الماء الزلال، وإن قال: "جوعان" وُضعت أمامه سُفرة طعام، وإن قال: "مرْضان" جاؤوه بطبيب متخصص!

وسألني عمّن يعتني بي، يطبخ وينفخ ويُدبّر الأمور؟ ورأى السجاد مغسولا منشورا، فسأل عن الغاسل؟ ولماذا لم يلفّه ويرفعه وقد جفّفته شمس آب اللهّاب؟

ووعد بأن يُطلطل عليّ، فهو يصغرني بسنوات ستّ!

دمشق الشام: فجر الجمعة ٤-٨-٢٠١٧

الشيعة العرب...

هل أفرغوا شرايين قلوبهم من آخر قطرة من الدم اليعربي؟

دمشق الشام: ليل السبت ٥-٨-٢٠١٧

رأيت في الفيس بوك أمس صورة بديعة لعناقيد عنب

فقمت أطلب بالهاتف من خضريّ حارتنا عنبا

فبعث إليّ بعنب حامض

كرهت من أجله أكل العنب... حتى آخر الموسم! دمشق الشام: فجر الأحد ٦-٨-٢٠١٧

هناك بلادٌ تشجّع النابهين

هناك بلادٌ تشجّع النابهين

حتى يصبحوا نابغين

وبلادٌ أخرى

تُحبِطهم

وترميهم في الزوايا المُعْتمة

أو...

فليرحلوا عنّا تخلُّصًا من ظلّهم الثقيل!

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٨-٨-٢٠١٧

أهل الشعر

في ستينيّات القرن الماضي

أحيانًا أكون وأصدقاء لي في بيروت في جلسة حميمة مع شاعرنا الملهم، فجأة يأخذ القلم ويدوّن، ويقول: هذه تكون في قصيدة خطرت لي الآن!

كان فؤاد الخشن (١٩٢٤-٢٠٠٦) مسكونا بالشعر حتى رؤوس أنامله.

دمشق الشام: عصر الثلاثاء ٨-٨-٢٠١٧

وكثيرًا ما يتمتّع الأدباء بقلوب أطفال!

عام ١٩٦٣ أو ما حوله، كنت في بيروت أتابع طباعة بعض أعمالي الأدبية، وأنزل ضيفًا على صديقي الحميم "زكريا توما كايا"، ابن القامشلي السورية القصيّة الجميلة، المقيم في لبنان، يُبدع الرسم لوحاتٍ، وأغلفةَ كتبٍ، ورسومَ أطفال.

ذات يوم صحبني إلى محلّ كبير لبيع الأثاث من أنواعه يقع في اوتوستراد المزرعة، عنوانه "ألموندو أليغانتي" (العالم الأنيق، بالإسبانية)، رحّب بنا صاحب المحلّ، وأمتعنا بالجلوس على مقاعد وثيرة في رصيف محله الفاخر، تستجلي عيونُنا حركةَ الشارع والمباني التي تنتظم على جانبيه. وقد بدا لي صديقي زكريا حريصًا على أن يكتم عني اسم "المرحِّب" بنا راغبًا في أن يجعله مفاجأة... فلما عرفت أنه الشاعر الرومانسي الرقيق "فؤاد الخشن"، انهمرت في الذاكرة ما كنت قرأت له في المجلتين اللبنانيتين الشهيرتين: "الأديب" (لـ البير أديب) و"الآداب" (لـ سهيل إدريس)، ذاكرًا له أني كنت قرأت في "الأديب" قبل أعوام، أنه يودّع لبنان إلى أمريكا الجنوبية سعيًا وراء الرزق... "فمتى عدت إلى الوطن، يا شاعرنا الجميل؟ ".

من يومئذ توثّقت عرى الصداقة بيني وبينه، يدعوني إلى دارته (الفيلا التي ابتناها بعد عودته قرب مطار خلدة)، ومرة صحبني إلى بيت له في مصيف "قرنايل"، وعرّفني هناك على الشاعر العراقي الطاعن في السنّ "محمد الصافي النجفي" (الذي قام يُعدّ لنا الشايفي غرفته)، كما أنّ الشاعر فؤاد زار مدينتي حلب مرة ومرة...

لسوف أظلّ أقول إننا، نحن الأدباء والشعراء، نفرح عندما يحدّثنا أحدهم بكلّ الصدق عن معرفته الافتراضية بنا، وعمّا قرأ ممّا تخطّه أناملنا من حروف في ليالي السهر؟ أجل، نفرح مثل أطفال صغار!

دمشق الشام: فجر الخميس ٩-٨-٢٠١٧

أخذ سماعة الهاتف

أخذ سماعة الهاتف

يقول لجاره الحميم الأقربِ بيتُه إليه

إنه داخلٌ لتوّه ليستحمّ

وسوف يتّصل به ثانية بُعيد ساعة!

دمشق الشام: ليل الخميس ١٠-٨-٢٠١٧

الزواج الأول

عندما يفتقد الرجل، أو المرأة، السعادة في الزواج الأول

فنادرًا، نادرًا جدًّا، أن يلتقيا بها في زواج لاحق!

دمشق الشام: ليل الخميس ١٠-٨-٢٠١٧

ثلاثة.. فنان وشاعر وروائي

كثيرًا ما سمعت صديقي الشاعر "فؤاد" يُعبّر عن شوقه لأن يقوم صديقنا الفنان التشكيلي "زكريا" برسم صورة شخصية له (بورتريه)... إلى أن كنت يومًا ثالثَهما ونحن في بيت الصديق.

أشار الفنان على الشاعرِ ألا يأتي بحركة.

كان ذلك في بيروت عام ١٩٦٣ وقد صدرت حديثا رواية لي، اقترح الصديقان أن أقرأ عليهما فصلاً منها في أثناء الرسم.

لمّا أخذت في القراءة، والصديقان غارقان في الصمت: أولهما منهمكٌ في الإبداع، والآخر

يُداعب خياله أملٌ في أن تأتي الصورة بديعة... أحسست أني أفتقد شيئًا هامّاً، هل أسمّيه ألق الانطباع؟ كان أمامي وجهٌ يُرسَم، ويدٌ تُغمِّس الريشة في الألوان ثم تجري على اللوحة... بدوت لنفسي كمن يُغرّد في فراغ!

فأمسكت عن القراءة... ولم أستجب للإلحاح.

دمشق الشام: فجر الخميس ١٠-٨-٢٠١٧

في تلك العلاقة الأزليّة.. بين الرجل والمرأة!

عند منتصف الليل...

كنت في حوار على الخاص مع صديق سوري يقيم في السويد، حول السعادة في الزواج الأول وفي الذي يليه إن كان.

ولست أدري كيف حلّت صفحةٌ أخرى محلّ صفحته، وأنا أتابع حواري وإرسال أفكاري، والصفحة الثانية تتلقّى مني و"تتجاوب" معي محاورةً بموضوعيّة!

ثمّ إنه تعيّن عليّ أن أغادر هذا الحوار لحظات أُطلّ فيها على جدار صفحتي... فلما عدت إلى "صفحة الصديق" لم أجد فيها حواري المسترسَل، وظهرت لي ثانية الصفحة الأخرى، وهي لصديقة تقيم في حلب، فتبيّنتُ حقيقة ما وقع... واعتذرت لها بأنّ ما وردها مني كان حقّه أن يذهب إلى صديق في السويد.

فكان من لطف الصديقة أن قالت: "مو مشكلة، أنا أهتمّ بكلّ ما تكتب، موجَّهًا إليّ شخصيّا... أو وصلني بالخطأ! "، والتمست مني الإجابة عن سؤال همست به في أذنها ابنةُ صديقة لها: "كيف يمكن لصبيّة تتلقّى من شابّ المودّة والحبّ، أن تتأكد من أنه صادق أو غير ذلك؟ ".

وهكذا، في الصحّ وفي الغلط، نظلّ في دائرة العلاقة الأزلية بين الرجل والمرأة!

وكونوا، أيها الأصدقاء، في حبّ سعيد وصادق.

دمشق الشام: فجر الجمعة ١١-٨-٢٠١٧

أن يقول لي "السيسي" هذا!

عندما يقع حاملُ مؤهّل جامعي في قبضتهم، يبادر المحقق إلى تقريعه بقوله:

ـ لَكْ أنت أنت، تقول كذا وكذا في حق النظام، وهو اللي علّمك في جامعات الوطن، وصرف عليك، وتعب وشقي؟!

أقول: بصرف النظر عمّا في هذا القول من "مماهاة" بين النظام والوطن، إذا وقعت أنا في القبضة، فسوف أردّ على المحقق:

ـ وينك! أنا ما درست بالجامعة السورية، بجامعة القاهرة درست على حساب مصر... ممكن "السيسي" يقول لي هـ الكلام، أي نعم!

دمشق الشام: فجر السبت ١٢-٨-٢٠١٧

كلّ العالم يطعن السوريين... في الظهر والخاصرتين

وكأنما لم يشفِ غليلهم أنّ نصف الشعب تشرّد[١]

دمشق الشام: فجر السبت ١٢-٨-٢٠١٧

---

(١) تعليقاً على استشهاد ثلاثة أطباء بمدينة الرقّة الدكتور قيس السيد أحمد، والدكتور فؤاد العجيلي، والدكتور إبراهيم الشواخ

عندما يموت طالب جامعي تحت التعذيب

يوم فكّر "معهد الدراسات الاستشراقية" بموسكو، في سبعينيّات القرن الماضي، في إصدار مجموعة من القصص السوري مترجمًا إلى اللغة الروسية، لم يلجأ إلى "شيوعيّي" سوريّة في اختيار القصص، بل كان القائم بذلك كبير أساتذة الأدب العربي في المعهد "فلاديمير شاغال"، وكتبوا إلى كلّ واحد من كتّاب القصص الأربعة عشر يستأذنونه في الترجمة والنشر.

لما زرت الاتحاد السوفياتي، ضيفًا على اتحاد الكتّاب هناك، في عزّ برد شهر كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٣، قدّم لي "ايغور يرمكوف" من الاتحاد، نسخة من الكتاب ممهورة بتوقيعه.

ولم أَعجب كثيرا لأنّ القصة التي اختاروها من قصصي كانت "الصمت والموت" (مجلة "الآداب" اللبنانية، ربيع ١٩٧٣)، تلك التي تروي حكاية طالب جامعيّ يُلقى القبض عليه في عصر يوم مشتبهًا به، وعند الفجر تحت التعذيب يموت، وبعد ساعتين يكتشفون "الفاعل"، ويُحمل جثمانه إلى أهله مع رقيق الاعتذار!

لم أَعجب... لأني كنت أدرك أحزان المثقفين هناك وهم يعيشون تحت وطأة الشيوعيّة البائسة، التي كانت ترى في الذي يرفض الشيوعيّة مذهبَ حياة "مجنونًا" يُحكم عليه بأن يقضي مدّته، لا في سجن بل في مصحّ للأمراض العقليّة!.

وأضيف: إنّ المشرفين على عمل هذا الكتاب وجدوا في معاني القصة ما جعلهم يعتبرونها "القصة - الأمّ" في كتابهم المتميّز، ويستعيرون اسمها - وقد عدّلوه إلى "الصمت الذي لا يقهر" - عنوانًا للكتاب ككلّ، وتأتي لوحة الغلاف لأب طاعن في السنّ، يتلمّس بيديه وجه ابنه القتيل!

ليلة قرأت هذه القصة في فرع اتحاد الكتّاب العرب بحلب، همس لي رئيس الفرع "خليل الهنداوي" وأمين السر "جورج سالم"... بأنّ قصة بهذه الجرأة لم يسبِق أن قُدّمت في صالة

الاتحاد.

نزلت القصة في كتابي "الألم على نار هادئة" (وزارة الثقافة بدمشق ١٩٨٥)، وأَعَدتُ نشر الكتاب في الدار التي أنشأتها بدمشق، "إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع"، في ١٩٩٠ و٢٠٠٢.

دمشق الشام: صباح السبت ١٢-٨-٢٠١٧

أنامل.. تحجبها خواتم وهّاجة!

وأنا موظف في سنّ الشباب، دُعينا إلى حفل افتتاح واحد من المشاريع الكبرى التابعة لوزارتنا.

قادونا إلى قاعة رأيت فيها طاولات مصفوفة قريبا من الجدران، وثمّة في الوسط مائدة فاخرة عرفنا أنها خاصة بالسيد "المدير العام". وبدا لنا أنه لن تكون هناك كلمات تُلقى حسب المعتاد، فهي حفلة عشاء فقط.

لمّا دخل السيد المدير العام يخطر مثل طاووس، نهضنا نصفّق له، وهو يُحيّينا بكفّين لم نتبيّن فيهما الأنامل، فهي محجوبة بخواتم عريضة ووهّاجة.

ثمّ جاءت صحون الطعام، التي لم تكن إلا "الفول النابت"، ذلك المسلوق، متبّلا بالملح والحمض والكمّون، يباع على الأرصفة من حلل كبيرة موضوعة على عربة، يَؤمّه العابرون، يتناولون من البيّاع ما يقدّمه لهم من هذا الفول في صحن وكأس فيها مرق، يأكلون ويَمُجّون القشر على الأرض ويشرُقون من الكأس.

زاد في استغرابنا أن رأيناهم يأتون بصينيّة عليها سمكة كبيرة، وضعوها على الطاولة الفاخرة. شمّر ذو الخواتم الوهّاجة كُمَّيه عن زنديه... ولكن قبل أن تدخل كفُّه في بطن

السمكة، رميتُه أنا – أو رماه غيري لم أعد أذكر! – بحبّات فول مما أمامنا، أصابته... ثمّ انهال عليه الفول مثل زخّ المطر.

وخلال أصوات الابتهاج التي تعالت من صفوفنا، رأينا الرجل يدلق صينية السمك على الأرض، ثمّ يلتقط ما تساقط على طاولته من حبّات الفول، ويأكلها مجاريًا لنا وعيناه تتجوّلان بيننا.

هنا قام منّا نفرٌ يرفعونه على الأعناق، ويهتفون بحياة رجل الشعب.

وسرى بيننا قولُه: وأما الخواتم فهي حقّ مكتسب له!

واستيقظت، لأروي لكم المنام.

دمشق الشام: فجر الأحد ١٣-٨-٢٠١٧

آه، يا وطني!

ذات صباح، من صيف العام ١٩٧٢...

عندما وصلتُ إلى مكتبي في الإدارة المركزية بجامعة دمشق، كان خبرٌ قد انتشر بين الموظفين، نسمع "نوعه" للمرة الأولى:

سيارة نقل عسكرية تدخل، في عتمة الليل، إلى حيث تُشيّد مباني كلية الآداب في أول أوتستراد المزة، ينزل منها رجالٌ أشدّاء، ويَرفعون إلى سيارتهم حديدًا وإسمنتًا وما "يلزمهم" من مواد بناء... ويذهبون بها بعيدًا!

رئيس الجامعة يومذاك "الدكتور شاكر الفحام"، تناول سماعة الهاتف، واتّصل... ولم تمضِ إلا سويعات حتى كانت "المنهوبات" قد عادت إلى مواضعها!

ثمّ عرفنا أنّ (مَن شكّل فيما بعد ما سُمّي "سرايا الدفاع")، هو "حراميها"، أخفق في هذه،

لكنه نجح في كلّ ما حاوله لاحقًا.

وأستعير هنا عنوان كتابي... "آه، يا وطني! ".

دمشق الشام: فجر الاثنين ١٤-٨-٢٠١٧

المحبّ.. بين الجِدّ واللعب!

كتبت لي صديقة أنّ ابنة صديقة لها همست في أذنها بهذا السؤال: «كيف يمكن، يا خالتي، لصبيّة تتلقّى من شابّ المودّة والحبّ، أن تتأكد من أنه صادق وليس كلام أفلام!». وتقول: «للأسف ما عرفت الإجابة.. قلتلها رح أسال شخص أكبر مني عمرًا وتجربة.. والأفضل أن يكون رجلاً.. يمكن شعرت أنه حضرتك صريح.. وقد تملك الإجابة».

أجيب، بحسب ما أدّعيه من معرفة، بأنّ المحبّين من الشباب يُسرعون إلى تصديق ما يُعبّر عنه الحبيب من "معسول الكلام"، وإن كان هذا "المعسول" ممّا يَظهر صدقُه أو زيفُه عند الملاحظين، وما ذلك إلا لحاجة المحبّ الشابّ أو الشابة للحبّ ولتَوْقه إلى ممارسة "لعبة الحياة الجميلة".

وعلى هذا فإنه كلما تقدّمت السنّ بالمحبّين انخفضت وتيرة التصديق عندهم، لما يكتسبه الإنسان من خبرة في الحياة. وبقدر الاندفاع في سنّ الشباب يكون التريّث فيما تبقى للإنسان من العمر، حتى إنك لترى امرأة "متريّثة" تعزف عن الزواج، خاصة إن كانت مكتفيةً ماديّا، ولعلها تقول في ذات نفسها: «وليش أعلّق زوج على كتفي! ».

وربما أتيح للشابة – وهذا جواب على لبّ السؤال – أن تتبيّن الصدق في الشاب من عدمه، في رقيق الغزل الذي يسكبه المتقرّب في أذنيها، إذا قُيّض لها أن تستمع إلى حكايا الصديقات

وتُمعن النظر فيها، وإن كان هذا لا يُجدي إلا قليلاً. وقد يكون معسول الكلمات ولطافة الحركات من الأنثى أكثر تأثيرًا في الرجل، فالمرأة إن كانت لا تبادر فإنّ الله منحها المقدرة، أو البراعة، في نسج الشِّباك لتصيُّد الرجل وهو يظنّ أنه الصيّاد! ورحم الله زمانًا كانت فيه المرأة النبيلة، في قمّة القبيلة العربية، يحقّ لها أن تختار لنفسها رجلاً وتطلبه في العلن زوجًا لها.

وضَعْف الأنثى أمام تسلّط الرجل، في كلّ زمان ومكان، معروفٌ في المجالات، حتى إنّ الأنظمة تميل إلى أخذ شكوى المرأة ضدّ الرجل على "محمل الصدق"، وأخصّ المحاكم الشرعية في بلادنا، ويُشبه ذلك ما في الأنظمة القضائية في بلاد الغرب، وذلك حفاظًا على كيان الأسرة من أن تصدّعه نزواتُ الرجل وزَيْغُ عينيه، ولا بأس في أن يُقصَى عن الأسرة فتستقلّ المرأة بتربية الأطفال، مع ما في هذا التوجّه من حيف يقع على الزوج أحيانا. قرأت قبل مدة أنّ زوجًا من اللاجئين السوريين في ألمانيا، أمر القاضي بخروجه من حياة أسرته، ثمّ زادت الزوجة في شكواها خوفًا على أطفالها من "أبيهم"، فأمر القاضي بأن يغادر الزوج المدينة فلا تراه عينٌ فيها، والله أعلم.

ولن أُغفِل القول بأنّ من النساء من استبدّ بهنّ "حبّ العرض" (صِنْو "حبّ المشاهدة" عند الرجل)، فهنّ يمارسنَ الإغواء حتى عن بُعد. قرأت أنّ مِن هؤلاء مَن تعمد إلى "استلفات" نظر رجل لا على التعيين، عابر، فتأتي من الحركات ما يُغريه بأن يسعى وهي تتهرّب، فقصدُها التمتّعُ بلذّة الاستثارة وحسب، حتى إذا اقترب منها وهمّ، صرخت تستغيث... وهذا من الأمراض النفسية عند بعض النساء.

دمشق الشام: مساء الثلاثاء ١٥-٨-٢٠١٧

اثنان.. يُؤرِّقاني

لأني جَريت على أن أُذيّل خواطري بالتحوّلات الفلكيّة اليوميّة: فجر، صباح، ضحى،

ظهيرة، عصر، أصيل، مساء، ليل.....

فإنّ طالبًا في الدراسات العليا بالجزائر، انشغل بالُه، فكتب يسألني:

فاضل السباعي

أنت لا تنام؟

وهل ينام عميقًا، يا صديقي، إنسانٌ يُؤرّقه اثنان: الوطن والحرية!

دمشق الشام: عصر الأربعاء ١٦-٨-٢٠١٧

لا تقطع الكهرباء!

في اجتماع لوزير، بدا صالحا، مع الجماهير الكادحة في ظلمة الليل والنهار، شكا من أنه ما زال يُصدر الأوامر بالتعامل مع الكهرباء، قطعًا ووصلا، حسب مواقيت معيّنة، ولكنّ القيّمين هناك يتصرّفون من عنديّاتهم!

كنت كتبت قبل حين خاطرة صغيرة... أنّ مسؤولًا يأخذ الهاتف مرة ويطلب من أحد هؤلاء أن يدع الكهرباء موصولة، في "حارة ضَرّاب السُّخن" بحيّ الشاغور طَوال هذا اليوم، لأنّ ولده سوف يقضي نهاره يلعب في النت مع صديق طفولته الذي ما زال يسكن في تلك الحارة...

وكنت تردّدت في نشرها استحياءً!

أقول: هل يستطيع مسؤول كبير، إن صدقت نيّتُه في الإصلاح، أن يجتثّ فسادًا قد سرى في أوردة المجتمع وشرايينه... حتى مسّ شغاف القلب؟

دمشق الشام: عصر الأربعاء ١٦-٨-٢٠١٧

من كوالا لامبور.. إلى كمبوديا!

كتبت لي ابنتي خلود على الخاص، قبيل ساعات، أنها ستغادر بعد قليل هي وابنها التشكيلي "ماجد هنانو" عاصمة ماليزيا كوالا لامبور إلى... كمبوديا!

صرخت من ألم: يعني الاشتغال بالفنّ التشكيلي في كمبوديا أحسن من ماليزيا!

أجابتني: طوّل بالك أبي، نسافر ونعود غدًا، لأنّ فيزا الإقامة ثلاثة أشهر في ماليزيا انتهت، علينا أن نغادر ونعود ليُمكننا تجديدها!

آه، أيها السوريون، ما صنع العالم، الوحشيّ، بنا!

دمشق الشام: فجر الخميس ١٧-٨-٢٠١٧

أولاده يتعلّمون.. اللطم

صديقي فنيّ الكهرباء، ما زال يحدثني، في تردّده على بيتي، عن أنّ أباه الراحل كان سنّيًا وأمّه من شيعة دمشق

إلى أن أعلن لي أخيرًا أنه أصبح شيعيًّا، وأنّ أطفاله دخلوا مدارسهم معتنى بهم وهم يعلمونهم المذهب... وعبّر لي عن سروره وهو يراهم يلطمون

قلت في نفسي مازحًا: أعمالي الأدبية في بيته، فلعلهم إن قرؤوا اعتدلوا!

دمشق الشام: ضحى الخميس ١٧-٨-٢٠١٧

هل تعلمون؟

أنّ دول الغرب

لا تتغنّى كثيرًا بحبّ الوطن، لأنه هناك معافى ولا يشكو من أورام سرطانية

وهي لا تُطلق المواويل الشجيّة في طلب الحريّة، لأنها متاحة ومصونة وممتدّة الآفاق

يَشغَل الناس هناك البناء والإعمار، وتوليدُ المخترعات النافعة لهم وللإنسانيّة...

وأما نحن

فما نزال نتهجّى الحروف الأولى في فنّ الحياة، ونتلعثم

نخاف أن يَطرق أبوابَنا زوّارُ الفجر

وأن يجد أولادُنا، عند الصباح، مدارسهم وقد دمّرتها الطائرات الآتية من قريب ومن بعيد

وأن تهبّ علينا رياح مسمومة، لا نعرف... أو نعرف... من أين!

دمشق الشام: فجر الخميس ١٧-٨-٢٠١٧

المسلمون من غير أبناء الأمة العربية

هل تلاحظون أنّ من اعتنق الإسلام من غير العرب هم أشدّ إيمانًا بديننا من أبناء الأمة العربية؟

وقد لاحظت، في قراءاتي الأندلسيّة، أنه كان يفوق العربَ في التديّن هناك مَن جاؤوا من المغرب (البربر)، ويفوق الطرفين الذين دخلوا الإسلام من ذوي الأصول الإسبانيّة، وهم الأكثريّة الساحقة من أبناء "الأمة الأندلسية"، وهؤلاء مَن أخذوا على عاتقهم الدفاع عن الإسلام في مواجهة الممالك الإسبانية المسيحية عبر ثمانية قرون من عمر الإسلام في شبه الجزيرة الإيبيريّة.

وحين سقطت غرناطة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)... كان أسقف قرطبة المُهيمن "سيسنيروس خيمينيس"، يُهيب بالمسلمين هناك أن عودوا لديانة أجدادكم، ليس من أجلنا بل كي تدخلوا الجنة!

دمشق الشام: ليل الخميس ١٧-٨-٢٠١٧

رحيل الفنانة الشجاعة في زمن القهر

قد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، يا فدوى. أنت في قلب الأحداث وفي قلب كلّ حرّ.

دمشق الشام: ليل الخميس ١٧-٨-٢٠١٧

أمس مساء

فاجأني أحباب يتناولون العشاء عندي

كان كل شيء موجودًا في البيت... إلا الخبز فقليل، والبقال أغلق، في هذه الساعة من الليل، دكانه

هتفت إلى جيراني "آل العمادي"، فأسعفونا بنعمة الله

ما زلنا، أنا وهم، نعيش... على القديم الجميل!

بعد العشاء...

وضع الأحباب الأركيلة[1] على طرف البركة وأخذوا "يؤركلون"!

دمشق الشام: صباح الجمعة ١٨-٨-٢٠١٧

«السرد القصصي عند فاضل السباعي»

رسالة ماجستير لطالبة في تركيا

مساء الخير أستاذي الجليل...

كيف حالكم... أرجو الله أن تكونوا على ما يرام...

أحببت أن أخبركم أنه تمّت مناقشة رسالة الماجستير التي اخترتُ لها عنوان «السرد

---

(١) النّرجيلة

القصصي عند فاضل السباعي» ونلت عليها درجة الشرف... وكان أهمّ ما لفت انتباه اللجنة جمالُ اللغة التركيّة التي كتبتُ بها أطروحتي، والذي أعتقد أنه امتداد لجمال لغتكم العربيّة -كما قلت لهم- فالترجمة لم تُفقدها شيئا من رونقها...

وأريد أن أعرف فيما إذا كانت هناك قصص معيّنة ترغبون في ترجمتها إلى التركيّة... فأنا على وشك البدء بترجمة عدد من القصص التي نالت إعجابي وطباعتها إلى جانب نصها العربي وتدريسها لطلاب كلية الالهيات واللغة العربية في مختلف الجامعات التركية... (طبعًا هذا إذا أذنتم لي بذلك).

وآمل أن يوفقني الله في اشتغالي في أطروحة الدكتوراه التي سيكون عنوانها "السرد الروائي عند فاضل السباعي".

والسلام عليكم.

إسطنبول: الجمعة ١٨-٨-٢٠١٧ س ٩: ٢٢ م

- - - - - - - - - -

وفي المنافي وديار الشتات يزدان العلم بجواهر المعرفة التي تبدعها السوريات والسوريون.

أهنئك أكثر مما أشعر به من السعادة. نجاحك العالي أضاف إلى نتاجي الأدبي مسكا وعنبرا.

أوافق على الترجمة وكيف لا، شاكرًا مساعيك في خدمة الأدب العربي حيثما تكونين.

دمشق الشام: ليل الجمعة ١٨-٨-٢٠١٧

جدّي.. زوج الثلاث نسوان!

ما ظننت يومًا أنّ جدّي "الحاج سليم المفتي السباعي"، القادمَ من حمص إلى حلب عام "السفر بَرْلِك ١٩١٥"، ظالمًا أحدًا بزيجاته الثلاث، من حمويّة وحمصيّة ومصريّة.

الحمويّة، تعرّف على "آل مراد آغا" الذين كانوا يملكون أراضيّ في الميماس الحمصي، تزوّجها وأنجب. ثمّ إنه، في ثلاثينيّات القرن الماضي، أخذ يُقضّي الأشهر الباردة في مصر تاجرًا قبل أن يعود إلى أسرته بحلب، كلّ عام، فتزوج هناك من امرأة مصريّة وأنجب. وفي مستهل الحرب العالمية الثانية حيل بينه وبين السفر إلى مصر، وظلّ مدةً يتطلع للسفر، متاجرًا ومشتاقًا لزوجته وأولاده الخمسة على شطّ النيل دون جدوى، فتزوج - وكانت جدّتي "العجوز" قد أخرجتْه من حياتها - من إحدى بنات عمومته بحمص وأتى بها إلى حلب.

الذي وقع أنّ الزوجة المصريّة، عندما علمت بزواجه الثالث، تقدّمت إلى الجهات الرسميّة هناك بما مكّن جدّى من السفر إليها، ليعود وفي صحبته أكبر أولاده يناهزني سنًّا "محمود السباعي"، رغبةً منه في أن يُلحقه بالفرع "السوري" من أسرته، وأملاً في أن يستقدم بعدئذ سائر أفراد الفرع "المصري" إلى حلب.

ولكن "عمّي" محمود ابن الخمسة عشر ربيعًا، لم يحتمل العيش بعيدًا عن أمه وإخوته، فجعل يشاغب على أبيه وعلى "ضرّة" أمّه السوريّة، ويحدثنا جدّي في ذلك الأحاديث، ويبالغ رغبةً في إشاعة السرور فينا، ولأنه فُطر على المرح... وسوف أظلّ أذكر أنه مرة قال ما أبهجنا وضحكنا له حتى وهو يعيدها: إنّ محمود كان يتعبه وهو نطفة في ظهره، فلما أودعها هناك استراح!

أعترف بأني أحببت جدّي أكثر من "أبنائه"! وكان يُغدق عليّ محبّته بصفتي أول أحفاده من الذكور! وإنّ لي معه حكايا. توفي يوم الإعلان عن انتهاء الحرب العالمية الثانية (أيار/ مايو ١٩٤٥)، عن ثلاثة وسبعين عامًا، وحزنت عليه كثيرًا.

جدّي... لم يظلم في ذا أحدًا، ولكنه تفادى ما توجّه إليه من ظلم، على نحو يُريحه.

رحم الله الآباء والأمهات والأجداد. دمشق الشام: فجر الجمعة ١٨-٨-٢٠١٧

الله يحمينا!

قبل أيام زارني الصديق "إيهاب" وزوجته "شذى"... قدّمت لهما كتابي "بدر الزمان".

علمت أنّ الكتاب ما إن دخل البيت حتى تناوله والد إيهاب المحبّ للمطالعة، وقرأه في ساعات، فكان إعجابه بما قرأ لا يضاهيه إلا استغرابُه من الجرأة التي تحلّى بها الكاتب، وطلب من ابنه أن يأتيه بما يستطيع من كتب فاضل السباعي.

الله يحمينا!

دمشق الشام: فجر السبت ١٩-٨-٢٠١٧

السؤال عن الأبناء.. السؤال عن الأحفاد

في عهد الشباب الأول، واستمر ذلك في الكهولة، كنّا إذا التقينا بالأصدقاء نسألهم ونتلقى منهم السؤال، عن الأولاد: هذا نجح من الرابع إلى الخامس، ثمّ هذا دخل الآداب، أو لم يصل مجموعه إلى الطبّ فقبل بالصيدلة على مضض هذه التي يسمّيها "بقّال إفرنجي"!

اليوم، ونحن في الشيخوخة البيضاء، نسأل فنعلم أنّ الحفيد أصبح طبيبا، وأنّ الابنة تُلقي محاضرة في قاعة وفي الصفّ الأول أمامها أبناؤها والأحفاد... أو... أو أنّ بعض الأحفاد هاجروا إلى السويد أو التجؤوا إلى ألمانيا وهولندا، بعد أن قسى عليهم لبنان، ورفضت دخولهم إليها السعودية والإمارات... دمشق الشام: ليل الأحد ٢٠-٨-٢٠١٧

استراحة المحارب، يا أمّ حَنَان وحَنُون وحِنّيّة

تحيّة... من بُعدٍ هو أقرب ما يكون إلى القلب.

هل أحدّثك عن أبنائي الغوالي. أحبّهم كما يحبّ كلّ أب عطوف وكلّ أمّ رؤوم أبناءهم. كنت أقطع من لحم كتفي لأحقق لهم ما يجعلهم فوق أندادهم، نعم، وهكذا كلّ الآباء

والأمّهات الطيبين.

ولكن هل تعلمين أننا عوّدناهم على التلقّي منّا أكثر مما يقدمون لنا من الأيادي البيضاء، ليس من الناحية المادية بل المعنوية أيضا.

إنّ حبّنا لهم وتفانينا في الحنوّ والحنان، كأنما تُحرّك هذه كلّها عندهم غريزة أخجل من تسميتها "الطمع والابتزاز"، فلأنهم اعتادوا التلقّي منّا يتابعون الطلب والتطلّب حتى ونحن في أواخر العمر: «خود هـ الولد ربّيه عندك! »، «تعالي حفّضي هـ الوليد! »، ونحن - بما يملأ جوانحنا من عواطف الأبوّة والأمومة - نستجيب.

أليس لنا أن نستمتع بـ"استراحة المحارب"، يا أختاه!

دمشق الشام: ليل الأحد ٢٠-٨-٢٠١٧

فتاة لا تهوى.. المطالعة

منذ تفتّحت عيني على الحياة وأنا معجبة بخالي كاتب القصص والأديب الروائي من خلال ما أسمع من مديح له، ويؤسفني أنّ إعجابي به أكثر بكثير من قراءتي له!

بعد أن تحدّثوا كثيرا في الفيس بوك عن أدبه وأشادوا خاصة بروايته "ثمّ أزهر الحزن" طلبت نسخة منها وأنا بعيدة جدا عن وطني، وصلتني وقرأتها في يومين على طولها... ويا ألله كم أعجبت بها!

دخل خالي فاضل السباعي بشفافيّة إلى صميم العائلة العربية، السورية، الحلبية، "هالة" منذ كانت طفلة هي وأخواتها وأمهنّ "كوثر"، رواية يقرأها الناس بإعجاب حتى اليوم (بعد ٥٤ سنة من صدور طبعتها الأولى يعني قبل ولادتي بسنين طويلة)، وإلى ما بعد ذلك بسنين طويلة، هي تاريخ أسرة وتاريخ مجتمع.

أسمع خالي الآن يقول: أزهد الناس بالعالِمِ أهلُه! والله صحيح. وإني أعتذر.

(..........) الولايات المتحدة

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: مساء الأحد ٢٠-٨-٢٠١٧

مولود بحلب.. والأب وُلد في حمص!

ذات عام، وفي أمسيّة أدبيّة لي في المركز الثقافي بحلب، ورد على لساني جوابًا عن سؤال، أنّ جدّي جاء من حمص إلى حلب أيام السَّفَرْبَرْلِك مصحوبًا بأبنائه الأربعة ومنهم والدي "أبو السعود" الذي كان في الثامنة من عمره، وفي "حيّ وراء الجامع، زقاق الزهراوي" استوطنت الأسرة.

كان بين الحاضرين صديقتُنا الأديبة العزيزة "ضياء قصبجي"، التي تعتزّ بـ"حلبيّتي"، فهمست بين مَن حولها: «يعني كان بلا يقول جدّي من حمص، خلّيه حلبي بس! »... فما رأيها اليوم وأنا في دمشق منذ واحد وخمسين عامًا!

دمشق الشام: فجر الاثنين ٢١-٨-٢٠١٧

من آل "الجابري".. واسمه "أبو بكر"!

في ستينيّات القرن الماضي أراد أحد أقاربي بالمصاهرة، أن يدرس خارج البلاد... وقد أحكم "البعث" بعد آذار ٦٣ قبضته على مفاصل الدولة... ولله كم عانى من العراقيل في معاملات السفر... حتى إنه جاء أباه يشكو:

- يعني كان لازم تسمّيني "أبو بكر"؟ فحيثما أذهب لدوائر الدولة، ينظر إليّ بعضهم بعين حمراء: الأسرة "جابري" (إقطاعيّة! مع أنّ منها أول رئيس وزراء في عهد الاستقلال)، والاسم

"أبو بكر" يذكّرهم بأول الخلفاء الراشدين"!

هو اليوم يعمل ناجحًا، بمؤهّلاته الجامعيّة، مستعينًا بأحد أحفاده، في عاصمةٍ... لا ينظرون إليه بتلك العين الحمراء!

دمشق الشام: ليل الاثنين ٢١-٨-٢٠١٧

هل يبقى "المنفّذون" للإصلاح.. هم هم؟

لا يحسبنّ أحدٌ أنّ ما ينشده النظام، من اعتزامه الإصلاحَ والترميم، يمكن تحقيقه بسهولة.

ذلك أنّ "المنفّذين" للإصلاح اليوم هم هم، أولئك المتمرّسون في "مِن أين تؤكل الكتف"، والخط الكهربائي إلى حلب اليوم دليل!

ونحن، مَن نظنّ بأنفسنا الخير، موصومون، إمّا بأننا مِن:

المعارضة الهدّامة،

أو رجعيون،

أو متواطئون مع الخارج،

أو من... الدواعش!

دمشق الشام: عصر الاثنين ٢١-٨-٢٠١٧

هل يقرأ لي حاملُ جائزة نوبل!

ذات يوم علّق الإعلامي وصاحب مجلة "بانوراما"، الأستاذ "منير جبّان" على خاطرة لي عنوانها "ما زلتُ.. أُكتَشف! "... كتب:

– – – – – – – – – –

أذكر في حوار إذاعي من إذاعة دمشق أجريتُه مع نجيب محفوظ، وأذكر اسمه بدون ألقاب

لأنه تجاوزها، ذكر لي أنه يقرأ لفاضل السباعي، وقد أعدتُ عليه اسم الأستاذ فاضل للتأكّد، فعاد وأكّد اسم فاضل السباعي وذكر بعض ما قرأ له.

يكفيك أستاذ فاضل هذا الاعتراف من حامل جائزة نوبل في الأدب.

منير جبان، دمشق: ٢١ أغسطس، ٢٠١٣، الساعة ٠١: ٤٢ م •

فكتبت له:

شكرًا لك، منير جبّان، المثقف الكبير...

وأذكر أنك أبلغتني بهذه المعلومة الجميلة، قبل بضع وعشرين سنة ونحن في مكتبة الأسد في حفل تكريم الشاعر راعي الأدباء مدحة عكاش، أنّ روائيّ العرب نجيب محفوظ، في مقابلتك الإذاعيّة المطوّلة معه على الهواء، عبّر عن أنه قرأ لاثنين من كتّاب سورية أحدهما فاضل السباعي...

تلك قلادة حرصتَ، أيها الإعلامي المتميّز، على أن تعلّقها في ذلك اليوم على صدري.

أحيّيك.

دمشق الشام: فجر الاثنين ٢١-٨-٢٠١٧

عندما يعدل الحاكم..

يوم شيّد الأندلسيون حضارتهم الباذخة، التي كانت تُغري طالبي العلم من الأوروبيّين بأن يأتوا إلى جامعات قرطبة... كان الشماليون، النورمان، وحوشا أو كالوحوش.

ولما دخل هؤلاء المسيحيّة متأخرين (في نحو القرن العاشر الميلادي)، طُلب منهم، برهانًا على مسيحيّتهم، أن يحاربوا المسلمين ويُثخنوا فيهم، فنزلوا بسفنهم، وهم البحارة الأشدّاء، إلى الأندلس في الجنوب، وتسلّلوا في غفلة عابرين النهر إلى مدينة إشبيلية، ودمّروا وقتلوا وأخذوا

الفتيان والفتيات سبايا.

ليست المسألة عِرقًا أفضل من عرق... ولكنهم الحكّام، إمّا أن يَعدِلوا فيزدهر العباد والبلاد، وإما أن يكونوا غير ذلك فيكون العكس.

دمشق الشام: فجر الاثنين ٢١-٨-٢٠١٧

«أن أضمّ طفلا رضيعًا إلى صدري!»

حدّثني يومًا بحلب صديق ينتمي إلى إحدى الطوائف المسيحيّة، عن أنّ قريبة له قد تواضع حظّها من الجمال، التقت من حسن حظّها شابّا من طائفة مسيحيّة أخرى، فكان بينهما حبّ وتواعد على الزواج.

استدعاها راعي كنيستها، وعاتبها لأنها تنوي الزواج من ابن طائفة أخرى، فقالت له «يا أبونا، ألا يرضي السيد المسيح أن أتزوج من مسيحي وأن أضمّ طفلا رضيعا إلى صدري!».

دمشق الشام: عصر الثلاثاء ٢٢-٨-٢٠١٧

وعكة ألمّت بي

وعكة ألمّت بي منذ أربع وعشرين ساعة، على ما فيّ من "الدوخة"، أترنّح وأنا أمشي في البيت.

دمشق الشام: ليل الأربعاء ٢٣-٨-٢٠١٧

كأس الحليب صباحًا

أشتهي لو أنّ يدًا حنونة تقدّم لي كأس الحليب صباحا، وأتوكّأ عليها في تنقلي في أنحاء البيت.

ولكن ما أتلقّاه أشياء أخرى.

دمشق الشام: مساء الأربعاء ٢٣-٨-٢٠١٧

هل وقع لأحد منكم

هل وقع لأحد منكم، وهو يملأ كأسا من زجاجة في يده، أن كَبْكب الماء حولها؟

دمشق الشام: ليل الأربعاء ٢٣-٨-٢٠١٧

هناك فئة من الناس

هناك فئة من الناس إن خاصموا أحدًا أنشبوا أظفارهم وبثّوا الكراهية له بين مَن حولهم، وأسرفوا حتى التمنّي بأن يسوقوه إلى ساحة الإعدام!

متخلّفون نفسيًّا وعقليّا.

دمشق الشام: ليل الأربعاء ٢٣-٨-٢٠١٧

سقوط الكأس

اختصارًا للمسافات

وتجنّبًا للمشي المترنّح آناء الليل

جاء بعبوة الماء وبالكأس إلى غرفة النوم

لما عطش تناول الكأس

في ردّها جاء وضعُها قلقًا

فسقطت على الأرض

فقام يأتي بالأدوات

يكنس الحطام

في منتصف الليل

دمشق الشام: مساء الخميس ٢٤-٨-٢٠١٧

قد أدخل المستشفى... فأنقطع عن التواصل معكم

دمشق الشام: فجر الخميس ٢٤-٨-٢٠١٧ س ١: ٠٥

الانقراص في الفقرات الرقبيّة والقطنيّة

تبيّن في الفحص الطبّي أنّ الحالة الصحيّة عندي طبيعيّة... لولا الانقراص في الفقرات الرقبيّة والقطنيّة، الذي قد يكون المسبّب للدوخة. أنتظر العرض على طبيب العصبيّة.

وهم لم يصعدوا إلى العينين والأذنين!

وشكرًا لأصدقائي الذين سألوا عني.

دمشق الشام: مساء السبت ٢٦-٨-٢٠١٧

مظهري يَنِمّ على أني "برجوازي

يهمس بعض الأصدقاء في أذني أحيانًا بأنّ مظهري يَنِمّ على أني "برجوازي"!

فأدرك أنّ ذلك يسبّب لي في ظلّ حكم البروليتاريا:

الاضطهادَ (انتقامًا لـ"ثاراتٍ قديمة"!)

والابتزازَ (استيفاءً لـ"دُيونٍ قديمة"!)

طيّب... ألا يَنِمّ مظهري على أني كاتب أديب؟

دمشق الشام: فجر الأحد ٢٧-٨-٢٠١٧

أمس زارني من حلب بعض شقيقاتي

أمس زارني من حلب بعض شقيقاتي، متزوّداتٍ بالعزم على أن يُمكّنّني من فُرصة التحدّث - صوتًا وصورة - مع أهلنا المنتشرين في بقاع الأرض.

عبّرتُ، وعبّروا: كيف الصحة كيف الحال؟ والله اشتقنالكن! امتى بدنا نلتقي في الوطن؟

ما لاحظته أنّ مَن تواصلنا معهم، معهنّ، كانت وجوههم جميعًا مكتنزة والخدود مورّدة، على حين أني ومَن هم إلى جواري بدونا شاحبي الوجوه نزداد نحافة وهزالًا!

دمشق الشام: عصر الاثنين ٢٨-٨-٢٠١٧

ذات مرة خرجت، وأنا في ألمانيا

ذات مرة خرجت، وأنا في ألمانيا، من بيت أخي "مالك" في ضاحية "بورنهايم" إلى محطة القطار الذي يُقلّني إلى العاصمة "بون" حيث يقيم أخي "طارق".

وأنا في المحطة أنتظر، رأيت "عامل نظافة" أسمر، يلبس قفّازين، وفي يده اليسرى "كريك" ممتدّ الساعد وفي اليمنى ملقاط طويل... ماذا كان العمل المنوط به؟ أن يلتقط أعقاب السجائر الثاوية بين الحجارة التي تغطّي سكة القطار!

اليوم، وقد حلّ الدمار في بلدي، أستحضر في خاطري هذا المشهد الذي وقع في شهر حزيران ١٩٧٤!

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ٢٨-٨-٢٠١٧

مفردات نساء "باب الحارة"

أُعجب بها وأُعجبت به. أحبّها وأحبّته.

فرح الأهل في الطرفين، فكلّ منهما جديرٌ بالآخر، خريجا كلية الفنون الجميلة... وتوقّعوا

الزواج.

ولكنه كان يتحفّظ، ويُماطل.

وأخيرًا بقّها[1]:

كلّ ما فيها جميل، إلا أنّ كلماتها، مفرداتها، عباراتها: «تقبرني»، «تشكل آسي! »، تذكّرني بنساء "باب الحارة"! ومضى بعيدًا...

تُرى لو أنهما كانا خَرِيجَي آداب، هل كان يتغيّر الحال؟

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٢٩-٨-٢٠١٧

في حلب...

الناس يمشون هنا مشيتهم العادية ولكن الكاميرة، القديمة، كانت تسرع

اليوم يمشون سريعا ليرتفعوا إلى السماء...[2]

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ٢٩-٨-٢٠١٧

الغشّ.. في كلّ العبوات!

حدّثني صديقي على الهاتف أنه اشتهى أن يتناول، مساء اليوم، فنجانًا من قهوة "النسكافيه" مع حبّتَي كعك من القمح الصافي.

لدى شرائه النسكافيه أكّد للبائع أنه يريدها حصرًا خشنة، فقد خَبِر أنّ الدقيق منها، الناعم، يُغَشّ بأن يُخلط بمواد دخيلة. في البيت، عند فتح العبوة، تبيّن أنّ المحتوى دقيق مطحون طحنا. هتف للبائع، وهو محلّ معروف، فأجابه بأنّ النسكافيه من هزّ الباخرة، وهي في طريقها من

---

(١) لفَظَها

(٢) وكان قد شارك فيديو قديماً لحلب.

أمريكا الجنوبيّة إلى بلادنا، تَنْعَم وتصبح كالدقيق!

واشترى عبوة من كعك القمح على شكل أصابع، فوجد الكيس ناقصا، ذلك أنّ البائع يوعز إلى أجيره بأن يفكّ السلكَ الذي يربط فم العبوة، ويسلّ – في زاوية معتمة من الدكان – ما يعادل خُمس الكعكات، ثمّ يعيد الربط وكأنّ شيئا لم يكن!

فكانت متعة صاحبي، بتناول فنجان قهوته المسائيّة مع الكعك المصنوع من القمح الصافي، لا يعادلها إلا امتعاضُه من الغشّ الذي استباح كلّ شيء، حتى دخل عبوة القهوة، وعبوة الكعك، وكلّ العبوات في الوطن.

دمشق الشام: ليل الأربعاء ٣٠-٨-٢٠١٧

وجاءني.. يُبرّئ نفسه..

عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل أويت إلى فراشي، وغبت في نوم عميق.

بعد ساعتين استيقظت على منام غريب، فقد رأيت أني كنت، وبعض أفراد أسرتي من رجال ونساء وأطفال، ساهرين في مقهى، أو مطعم، أو مقصف.

فجأة سمعنا دُوِيَّ انفجار بدا لنا قريبا منّا جدا، فالتمّ الأطفال حولنا وشعر الجميع بالفزع، ولم يغادر أيّ منّا مكانه. وما لبثنا أن رأينا الباب المُفضي إلى الخارج يُقرع، ثمّ يُخبط خبطًا شديدا، ولم ينهض أحد منّا لفتحه، ولكنه ما لبث أن انفتح بعنف، وظهرت من ورائه – يا للعجب! – شخصيةٌ مرموقة في المجتمع الثقافي في البلد، وهو يجتاز الباب زحفًا، وإحدى قدميه تبدو كالمعلّقة برجله توشك أن تنفصل عنها!

وبعد أن جالت عيناه بين الوجوه اختارني أنا مستعطِفًا لحالته الاستثنائيّة، فسعيت إليه عند الباب، واستطاع هناك أن يُلجئني إلى الانحناء ويعانقني بحرارة، فاستجبت متعاطفًا، حتى إني

جلست بجواره، وقد بدا عاجزًا عن التقدّم والحركة، يحدثني عن أنهم تصدّوا له بهذا التفجير، ومؤكّدًا لي أنه بريء من كلّ ما نُسب إليه من اتهامات...

كنت أُصغي إليه بجوارحي... وشيئا فشيئا وجدتني أنقاد له مصدّقًا مقولاته، وهو في حالة نزف لم يطلب فيها إسعافًا، بل أن يشرح لي، أنا مَن عانى منه وتلقّى الإهمال والتهميش، طَوال سِنِي ولاياته المتتابعة التي بلغت ثمانية وعشرين من الأعوام دون أن يتسنّى له أن يُكملها إلى الثلاثين!

وفجأة، أيها الأصدقاء، غاب الرجل عن عينيّ، ووجدت نفسي في سريري أُرجّع كلّ ما سمعت منه... فتبيّنت أنه إنما جاء إليّ في المنام، وأنا برفقة الأهل في ليلة سمر جميل، ليروي لي، ويُبرّئ نفسه من اتهامات في حقه... فوددت لو أعود إليه متحلّلا ممّا أودع في صدري من براءة وهميّة، أناقشه فيما أدلى، وأكّد، ونفى... لولا أني كنت أعرف يقينًا أنّ المنام إن انقطع لا يعاود الاتصال.

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٣٠-٨-٢٠١٧، س ٥: ٠٠ ص

أؤكّد لأصدقائي الكرام

أن لا طاقة عندي في أن أسمع التبريكات لي بالعيد

ورائحةُ الدم تزكم الأنوف، وأخبارُ النازحين واللاجئين تُقطّع نياط القلوب

لا ولا النفس بقادرة على المجاملة بأن أردّ على التهاني بمثلها

ولا السنُّ باتت تسمح...

فاعذروني!

دمشق الشام: الخميس وقفة عيد الأضحى ١٤٣٧، ٣١-٨-٢٠١٧

يا رايحَهْ ع الحديقهْ»!

قرأت، وأنا بحلب في سنة البكالوريا (١٩٤٩-٥٠)، أنّ لـ"بشار بن بُرْد" بيتين من الشعر نظمهما أيام الصبا أو أنهما ممّا يتبذّل فيه الشعراء هزلا بعيدًا عن الجِدّ، هما:

ربابــةُ ربّــةُ الــبـيــتِ تصــبّ الخـلَّ في الــزيــتِ
لهــا عشـــرُ دجــاجــاتٍ وديــكٌ حَسَــنُ الصـــوتِ

وكان يرويهما لنا، وغير ذلك، أستاذُنا المحبوب الشاعر "عمر يحيى"، على سبيل التفكّه.

وأذكر ما حدّثني به صديقي "زكريا توما كايا" (فنان تشكيلي من القامشلي، أقام وعمل تشكيليّا ببيروت)، أنّ الشاعر السوري ابن حلب "مصطفى بدوي"، كان يترنّم بأبياتٍ من الزَّجَل الخفيف باللهجة الحلبيّة، من ذلك مخاطبًا المرأة الحلبيّة:

يا رايحــه ع الأنصـــاري مــا في مــعــك مصـــاري!

و"الأنصاري" ضاحية من ضواحي جنوب شرق حلب، كانت تُعتبر بعيدة عن المدينة زمن الخمسينيّات. و"المصاري" (أو المصريّات) هي النقود، سادت الكلمة في بلاد الشام منذ أيام إبراهيم باشا.

وأيضا:

يا رايحــهْ ع الحــديــقَــهْ ليش "البــاتشـــايــهْ" رقيـقَــهْ!

و"الباتشايه" هي المنديل الأسود الذي تُسدله المسلمة على وجهها. والكلمة من التركية، مستمدّةٌ من الإيطالية facciaia، وتعني، كما ورد في "موسوعة حلب المقارنه" للأسدي: "القناع الحربي"! وعنده أيضا أنّ من أغاني حلب:

يا رايحــهْ ع الحــديــقــهْ خـلّي البــاتشـــايــهْ رقـيـقــهْ!

ومصطفى بدوي (١٩١٢-١٩٩١) شاعر غلب على شعره الطابع الوجداني، فيه مسحة رومانسية إذا أنشد للحب والحياة ووصف الطبيعة. وأذكر أنّ "جمعية الشعر" في اتحاد الكتّاب بدمشق، أقامت له، في منتصف الثمانينيّات أيام رئاسة الجمعية من قبل الشاعر "شوقي بغدادي"، حفل تكريم، صعدنا بعده نحن ثلة من الكتّاب إلى مطعم الاتحاد، وظلّ الشاعر البدوي يغرّد بأشعاره وأزجاله، ويطربنا، حتى ساعات من الليل.

دمشق الشام: فجر الخميس ٣١-٨-٢٠١٧

.. وتعلّمت اللغة الفرنسيّة

نشأت وأبناء جيلي في زمن الانتداب الفرنسي، وكانت اللغة الأجنبية التي نتعلّمها في المدارس الرسمية هي الفرنسية، يبدأ تعليمها من الصفّ الثاني الابتدائي، ولم ألحق ذلك النظام بل تلقّيتها ابتداءً من الصف الرابع على يد "توفيق يموت" (من أسرة معروفة في بيروت)، وفي الخامس (صف شهادة السرتفيكا) على يد "فؤاد ديكران" (من الطائفة الأرمنية بحلب).

في الأول الثانوي (سُمّي فيما بعد الأول إعدادي) كان أستاذنا "كميل عَرَقْتَنْجي" (من مسيحيّي حلب)، يحرص على إسماعنا النطق بهذه اللغة وكأنه تغريد بلابل، حتى إنه يلثغ بحرف (R) على الطريقة الباريسيّة (بل على نطق أهل مدينة "تور Tours" التي علّمت الباريسيّين فصاحة اللغة الفرنسية).

أحسست قصورًا في تعلم هذه اللغة الجميلة. وتراءى لي، في الصيف الذي سبق سنة البكالوريا، أن أجعل من الإنكليزية (التي أُخِذ بها لغةً ثانية بعد جلاء الفرنسيين ١٩٤٦) اللغةَ الأجنبية الأولى لي والفرنسية لغة ثانية. اتفقنا، أنا وزميلي جاري في حيّ الجميلية صديق العمر "ناصح كيالي" (اليوم محام بدمشق)، على أن نتلقّى دروسا مكثفة بالإنكليزية في المعهد الأمريكي بالجميلية ذلك الصيف (١٩٤٩)، وقضينا أشهره الثلاثة ونحن نتعلم، حتى إني تمكّنت من أن

أترجم إلى العربية نصوص القراءة في المنهج، ولكن ما إن انقضى الصيف حتى أعلنت وزارة المعارف (التربية) عن الاكتفاء بلغة أجنبية واحدة للطلاب، هذه أو تلك، فعدت إلى فرنسيّتي لغةً وحيدة.

ظللت أحبّ الفرنسية وأستمتع بسماعها، وإن أخفقت في أن أجد من ينطقها على طريقة الأستاذ الذي أحببناه "كميل عرقتنجي". ولا بأس في أن أذكر أنّ هذا الأستاذ كانت تنتظره على باب مدرستنا (التجهيز الأولى، ثانوية المأمون بحلب) ساعة الانصراف كلّ يوم، عربةُ "حنتور" (يملكها أو يستأجرها)، تمضي به الهوينى إلى البيت، في زمن كانت السيارات نادرة في البلد وسيارات التكسي أقلّ وأقلّ.

تقوّيت بالفرنسية، وسافرت إلى فرنسا مرة زائرًا ابنتي وزوجها صيف ١٩٧٤، وتوجّهت إليها ثانية "موفَدا" من قبل جامعة دمشق بفضل رئيسها الشهيد "الدكتور محمد الفاضل" ووزير التعليم العالي "الدكتور محمد علي هاشم"، من خريف ١٩٧٧ حتى صيف السنة التالية. وقد كتبت هناك قصصًا من وحي باريس ورحلاتي إلى المدن الفرنسية الأخرى والأرياف، نزلتْ في عدد من كتبي (مثل "الألم على نار هادئة" و"الابتسام في الأيام الصعبة"...)، ولكني قمت بترجمة بعض القصص من الفرنسية إلى العربية (لـ غي دو موباسان وألفونس دوديه)، والأهمّ من ذلك أني ترجمت عن الفرنسية قصصا وأساطير صينيّة للفتيان، كنت أنشرها في المجلات العربية، غدت هي أول ما جمعتُ، بُعيد عودتي من فلوريدا، في كتاب سمّيته "حوريّات الغابة"، قدّمت مخطوطته إلى وزارة الثقافة وهو اليوم في المطبعة.

ولا بدّ من أن أؤكد، توخّيًا للأمانة العلمية، أنّ حرصي على إتقان الترجمة كان يُملي عليّ أن أجلس مع صديق العمر "نهاد رضا" (١٩٢٧-٢٠٠٨) الذي ينظم الشعر باللغة الفرنسية، أقرأ عليه نصّي الذي ترجمت وهو يتابع بعينيه الأصل الفرنسي ويُبدي ملاحظاته، ويعترض أحيانًا

على "تصرّفي" في الترجمة متّهمًا إياي على سبيل المزاح بأني "أديب يُترجِم"!

دمشق الشام: فجر السبت ٢-٩-٢٠١٧

صديقي التشكيلي "إسماعيل حسني" وابنُه "هيثم"

في خريف ١٩٦٣ زرت صديقي الفنان "إسماعيل حسني" (مدير مركز الفنون التشكيلية بحلب) في بيته (بجوار الملعب البلدي)، يرافقني الفنان التشكيلي "زكريا توما كايا" (من أبناء القامشلي يعمل في مجال الفن ببيروت)، وكانت سبقتْني إلى إسماعيل بعضُ كتبي التي صدرت في ذلك العام ("ثمّ أزهر الحزن" و"ثريّا"...)، وكان في تلك الجلسة زوجتُه المربية "نهيدة أبو دان"، وابنٌ له فتى اسمه "هيثم" الذي بدا أنه قرأ ما في مكتبتهم المنزليّة من أعمال لي وأخذ يحاورني فيها بفهم ودراية.

بعد سنوات ظهر اسم "هيثم حقي" مخرجًا تلفزيونيًّا متميّزًا... فقال لي صديقي زكريا وأنا عنده في بيروت: هل تعرف من هو "هيثم حقي"؟ قلت: لا! قال: إنه ذلك الفتى، ابن إسماعيل حسني، الذي جادلك في بيتهم بكتبك في خريف ١٩٦٣!

رحم الله ابن مدينة دير الزور "إسماعيل حسني حقي" (١٩٢٠-١٩٨٠)، الذي كان يتمتّع بكثير من الثقافة وبمثلها من الفكاهة والمرح، وذا تجارب تشكيلية رائدة، سمّاه بعضهم "شيخ عشيرة الفنانين" (ذلك قبل تأسيس اتحاد الفنانين التشكيليين). وحيّا الله ابنه هيثم حقي صاحب المسلسلات التلفزيونية الشهيرة.

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ٣-٩-٢٠١٧

وكانت جدّتي تحبّ الطرب

في نحو العام ١٨٨٠ تزوج جدّي في حمص فتاة من "آل مراد آغا" الحمويّين، أولئك الذين كان

أفرادٌ منهم يملكون أراضيَ زراعية في "الميماس" متنزّهِ حمص الأجمل، ما دعا الحمويّين إلى أن "يُنكّتوا" على عمومتي فيقولون: «يتباهى الحماصنة بالميماس وهو ملك للحمويّين!»، يسمع الحمصيون ذلك ويخترعون هم النُّكت على أنفسهم ويروّجونها... أذكياء!

ما لهذه المقولة أكتب اليوم، ولكن لأبيّن أنّ جدّتي "خديجة"، من أمّ شركسيّة قادمة من بلاد الشيشان، عاشت في حمص في حيّ "بني السباعي" نحو عشرين عامًا، اكتسبت خلالها الحسّ الطربيّ وغدت محبّة للسماع.

أقول: ولما كُتب على جدّي "الحاج سليم المفتي السباعي" أن ينتقل وأسرته إلى حلب، عند إعلان النفير العام في حرب "السفر بَرْلِكْ" (عام ١٩١٥)، طلبًا للرعاية من "الدكتور نافع بيك السباعي" (الطبيب العسكري في "مستشفى الرمضانية")، كان من حسن حظّه أن تولّت الحرب ووضعت أوزارها، فتحرّر جدّي من خدمة العلم، لكن كان قد تملّكه حبّ لحلب أملى عليه البقاء فيها، مساكِنًا آل السباعي الحلبيّين (القادمين من حمص في تاريخ لم نعد نعرفه) في حيّهم الموسوم باسم "زقاق الزهراوي".

وأيضًا ما لهذه المقولة أكتب، لكن لأقول إنّ جدّتي، وكانت قد قاربت الخمسين من العمر، وهي الأمّ لأربعة بينهم صَبيّة اسمها "محاسن"، رأت في الحي (وخاصة فيما كان يسمّى "حارة الجزماتية" التي بادت ومحلّها اليوم شارع الجامع الكبير)، مكانًا طيّبا لاستئناف حالة الطرب التي اكتسبتها في حمص.

كان أول أولادها عمّي "رئيف" قد تزوج، و"محاسن" تنمو وتشبّ في أجواء الطرب... ذلك ما حبّب إليّ الأغاني منذ الصغر، أسمعها من زوجة عمي "رتيبة" تترنّم بها وهي وراء ماكينة "التشويف"، وأسمعها أيضا من عمّتي الصبيّة التي تعزف على العود، ويكون في السهرات مع الغناء رقص وفقش.

وأقول: لما كَبِر الطفل فيّ، تولّت عمّتي منعي من الدخول إلى عالمهنّ!

وأقول أيضا: إنّ ممّن أنجبت عمّتي: "الدكتور منذر عياشي" الكاتب المفكر وأستاذ الدراسات العليا اليوم بجامعة البحرين، و"الدكتور بسام عياشي" الداعية الإسلامي في دول غرب أوروبا، الذي وقع عليه قبل مدة اعتداء خسر فيه ساعده الأيمن.

دمسق الشام: فجر الاثنين ٤-٩-٢٠١٧

نعم، أخي توفيق[(١)]

أنتظر كأس ماء من يد حانية، ومن يُعِدّ لي فطور الصباح في وحدتي، كما أنتظر مكافأة من هذه الجريدة وتلك المجلة، ولم أزل منتصب القامة منذ الستينيات حتى اليوم... ولكنّ ما أنا أكثر انتظارًا له وحاجة إليه أن يساعدني المقتدرون في استخراج هذه الـ"بضعة عشر" كتابا القابعة عندي في الأضابير والكلاسورات، وأن أُعدّها للطباعة والنشر قبل الرحيل.

أشكر تعاطفك وأنت من أهل الفضل والوطنية، وما لحق به من تعاطف الأصدقاء في صفحتك، وعذرًا لأني تأخرت في الاطلاع عليه، فما تزال تشغلني كتابةُ نصوص يتعيّن عليّ أن أقدّمها لدوريّة قبل انقضاء هذا العام!

---

(١) تعليقاً على منشور لتوفيق الحلاق يقول: [كم هي الدنيا ظالمة!] هذا ما شعرت به وأنا أطالع ما كتبه الأديب فاضل السباعي (٨٨ سنة)، وهو قد أعطي أدبًا نيّراً يساوي مدينة كبرى مضاءة وأكثر.

كتب أنه يتمنى لو أنّ يدًا حانية تقدّم له كأس ماء في وحدته، وكتب قبلها أنه ينتظر مبلغاً صغيراً يأتيه من جريدة.

ثم تداعت إلى خاطري عشرات القصص المشابهة لكتّاب وصحفيين وفنانين ماتوا على الطوى وهم يدافعون عن حرية وكرامة وشرف وضمير الناس.

بئس الحياة التي يغتني فيها تجار الفساد والرذيلة، فيما يعيش بناة الفكر والضمير ومستأصلو أورام النفس منبوذين أو مقتولين من السلطة، فإن نجوا لاقاهم أهلهم وأبناء بلدهم بالنكران، فلاذوا بالجوع والتشرد والوحدة، وماتوا مقهورين.

دمشق الشام: فجر الأحد ٤-٩-٢٠١٧

جمع المذكّر السالم

قصة بقلمي للصغار والكبار، نُشرت الشهر الماضي (آب/ اغسطس ٢٠١٧) في مجلة "قوس قزح":

- - - - - - - - - - -

عندما قرأت «سيرين» نصَّ «التدريب» الواجبِ إنجازُهُ الليلة: «أَضَعُ خطًّاً تحت كلّ جمع مذكَّر سالم فيما يلي، ثمَّ أَذْكُرُ مفردَهُ»، انتابتْها حيرةٌ صغيرة، وأخذت تُحدِّث نفسها وهي تقرأ التدريب: معلّم جمعُها معلمون ومعلمين بزيادة واو ونون أو ياء ونون، ولكنَّ كلمة «قوانين» هذه فيها ياء ونون وفي مفردها «قانون» واو ونون.. كيف؟.

رفعت عينيَها عن الكتاب، تسأل أمَّها الجالسةَ أمام التلفاز:

- أمي! كلمة «قانون» فيها واو ونون مع أنها مفرد!

أجابت الأمّ، وبين يدَيها الإبرتان تحوكُ بهما صوفًا:

- الواو والنون، هنا، حرفان من أصل الكلمة، وليسا ملحقَين بها.

سألت سيرين ثانيةً:

- ولكنْ في جمعها «قوانين» ياء ونون، مثل جمع المذكّر السالم!

- قوانين جمع تكسير، الذي سبق أن تعلَّمْتِ قاعدته.

وضعتْ سيرين خطًّا عريضًا تحت «أوّلين» و«مُجِدّون»... وتجاوزت «ثعابين» لأنَّ مفردها «ثعبان»، ألف ونون، حرفان يُذكِّران بـ«المثنّى»، وهو ليس منه!

عادت سيرين تسأل أمَّها، وقطّة الدار «ياسمين» المستلقية على الأريكة إلى جوارها تتثاءب:

- و«ملايين» يا أمّي؟

أجابت الأمّ:

- جمعٌ مفرده مليون... هل تذكرين البرنامج التلفزيوني الـ...

قاطعتْها سيرين:

- المليون، الذي يتعذَّر أو يستحيل على المتسابقين أن يربحوه!..

- ليس كلّ متسابق يربح المليون... (وضحكت) وليس كلَّ ما تجدينه في آخر الكلمات من واو ونون جمعًا للمذكَّر السالم!

سألت سيرين:

- ولكنّ «زيدون»، يا أمي، له مفردٌ هو «زيد»!

طلبت منها أُمُّها:

- عودي إلى النصّ واقْرئيه لي جيّداً.

- أجل، يا أمّي، إنه «ابن زيدون»!..

- ابن زيدون، يا ابنتي، اسمُ عَلَمٍ لشاعرٍ أندلسيّ، سوف تدرسون قصائده فيما بعد، كانت تُعاصره شاعرةٌ اسمُها «ولاّدة».

ابتسمت سيرين:

- «ولاّدة»؟! هل كانت هذه الشاعرة تعمل، أيضًا، «قابلةً» أو «داية»، يا أمي؟!

شرحت الأمّ:

- معنى ولاّدة، في اللغة، المرأة التي تَلِدَ كثيرًا.

عادت سيرين تبتسم:

- وهل أنجبت الشاعرةُ الأندلسية كثيرًا من الأولاد؟

جارت الأمُّ ابنتَها في مُزاحها:

- لم يُحدِّثنا التاريخُ عن ذلك!...

رنَّ، في هذه اللحظة، جرسُ الهاتف، إنها الخالةُ «أمّ عُمَر»، تقول إنَّها الآن في الضاحية عند أقارب:

- هل أطلّ عليكم في زيارةٍ خاطفة؟

أسرعت سيرين تُنجز ما عليها من وظائف اليوم:

«أُحَوِّلُ ما تحته خطٌّ إلى جمع مذكَّر سالم، وأُجري التعديل اللازم في العبارة»: هذا الفدائيّ هو الذي دافع عن الوطن، كتبتْ: هؤلاء الفدائيّون هم الذين دافعوا عن الوطن......

عندما دخلت الخالة، يصحبها ابناها «عُمَر» و«عامر»، كانت تُحكِم إغلاقَ محفظتها، إنها الآن سعيدة، لأنها فرغت من الكتابة والدراسة وحفظ الدروس، قبل وصول الضيوف.

في السهرة، كانت تفكّر: خالة جمعها خالات: جمع مؤنّث سالم، الأخوال: جمع تكسير، عمّة عمّات، عمّ أعمام... عامر عامرون... وعُمَر، هل جمعها عُمَرون؟ ستسأل «المعلمة» غداً، فأمُّها مشغولةٌ بالحديث عن البيت وعن... الطبخ!

أدارت سيرين نظرها في أنحاء البيت، مطبخ مطابخ، بيت بيوت، نافذة نوافذ، ضوء أضواء، ولد أولاد، بنت بنات.....

ساعة أَوَتْ سيرين إلى سريرها، وقد سبقها إلى النوم إخوتُها الصغار، كان قد سيطر على خاطرها أنَّ كثيرًا من الأسماء، في لغتنا، تُجمع جمعَ تكسير!

وعاودها التفكير بابن زيدون، والمفرد زيد.

تذكَّرت: «زيد بن ثابت»، الذي كان يكتب الوحي للرسول الكريم؛ وزياد، طارق بن زياد، البطل الذي فتح الأندلس: وزيدان، بالمثنى... ستسأل الآنسة غدًا: هل في تاريخنا شخصٌ بارز يحمل اسم «زيدان»؟..

وَرَدَ على بالها اسم ولاّدة.. هل كان والداها يتوقَّعان لابنتهما أن تَلِدَ كثيراً؟

أمّي أنجبت ثلاثةً وجدّي، يتمنّى أن يحظى ابنُهُ بسبعة!

جدّاي الآخران، لِمَ لم يُسَمِّيا ابنتَهما ولاّدة؟

زيدون، زيد، زيدان... ستسأل الآنسة غدًا عن....

وغلبها النُّعاس.

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ٤-٩-٢٠١٧

أيها النظام

أعطِ القاضي راتبًا يحفظ كرامته ترَى الفاسدَ منهم (قبل أن يسرّح) قد أصبح صالحًا!

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ٥-٩-٢٠١٧

كيف يمكن لقاض أن يكون عادلًا وراتبه الشهري يعادل خمسين دولارًا ومثلها التعويضات!

يا أستاذ عارف الشعال، لو أن في بلدنا كثيرًا مثلك، معرفة وعدلًا وجرأة، لتغير الميزان.

أحيّيك من الأعماق. [(١)]

---

(١) تعقيبا على منشور لعارف الشعال بعنوان "المهزلة" يقول فيه:

صدر اليوم مرسوم بتعيين بعض الزملاء المحامين في القضاء كمستشاري استئناف وقضاة بداية. وذكر المرسوم بكل وضوح رتبة وراتب كل منهم، حيث بلغ الراتب المقطوع لمستشار الاستئناف مبلغ: **٢٦٣١٠** ليرة فقط !!!!!

"عبد الله ورّاق".. صديق الطفولة

كنت عامئذ (١٩٣٩-٤٠) في الصف الثالث الابتدائي، وكان زميلنا عبد الله ورّاق أقوانا بنيةً وأشدّنا عضلا، ما جعله مُهابًا بين تلاميذ الصفّ! وكان من فِعاله التي أدخلت الهيبة إلى قلوبنا، أنّ قلم الرصاص، الذي تكتب أنت به وظائفك المدرسية (وهو من ماركة "التمساح")، إن قدّمته إليه راغبًا في التعرّف على مدى قوته، فإنه يضعه على طرف درابزين حديدي في باحة المدرسة، يُثبّته بإحدى يديه ويضربه بسبّابة يده الأخرى، فينكسر، وكنا نفرح لقوة زميلنا، ولا يتأخّر في التعبير عن الفرح صاحب القلم المكسور.

مرة سرحنا أنا واثنان من رفقاء الحارة، "راغب" و"سعاد"، صاعدين إلى "حيّ العَقَبة" حيث بيت عبد الله وراق. لمّا رآنا أحبّ أن يُظهر لنا فنّا آخر من قوته العضلية. كان ثمة أنبوب ماء رصاصي مركّب على حائط يسير فوق أرض خلاء، تعلّق عبد الله به مدلّيًا جسده فوق الفراغ، وأخذ يمشي بيديه على الأنبوب، ينقّلها شيئًا فشيئا وقلوبنا واجفة من أن تنحلّ قوة صديقنا فجأة فيسقط في الهوّة، فلما بلغ النهاية تنفّسنا الصعداء، وازداد إعجابنا به.

وإذا افترضنا أنه يحصل على تعويضات وموارد لصاقة مثل مبلغ يعادل الراتب فيصبح مجموع دخله الشهري حوالي **٥٠** ألف ليرة تقريباً. وإذا علمنا أن الحد الأدنى المطلوب شهرياً لأسرة مؤلفة من خمسة أشخاص (أب وأم وثلاثة أبناء) مبلغ **١٨٠** ألف ليرة شهرياً حتى يقيها غائلة الفقر بالكاد.

فهل يتصور عاقل في العالم، أن القاضي بهذا الراتب المسخرة، سيمضي سحابة يومه في الحكم بين الناس بالعدل وإيجاد الحلول لقضاياهم الشائكة، أم أنه سيمضيه بالتفكير في كيفية تأمين موارد إضافية تمكنه من العيش بكرامة مع أفراد أسرته.

لذلك نقول ونؤكد دائماً أنه: من المستحيل الحديث عن إصلاح القضاء قبل إصلاح هذه الرواتب السخيفة، وبعد ذلك يتم استئصال القاضي الفاسد. ومن المستحيل الحديث عن استقلال القضاء، إذا لم يكن هناك موازنة مستقلة للسلطة القضائية توضع تحت تصرف "مجلس القضاء الأعلى" ينفقها على مستلزمات ورواتب القضاة بمعرفته

قوته هذه مكّنته من أن يكون زعيمًا على مَن يلتحق به من تلامذة الصفّ ويأتمرون بأمره. فهو إن خاصمك، أوعز إلى رهطه أن يقاطعوك، فتشعر أنك منبوذ مقهور. ذلك ما وقع لي مرة حتى إني كنت أقلق في ليلي لأنّ عبد الله وراق يخاصمني، فأصحابه إن مرّوا بي أداروا عني وجوههم فلا يكلمونني.

ولكن يجمعني وإيّاه أننا كنا من المتفوّقين دراسيّا. فيوم أعلنت نتائج امتحانات النصفّ الأول من العام الدراسي ذاك، كان زميل لنا اسمه "نهاد" هو الأول فينا، وجئنا أنا وعبد الله وراق في المرتبة الثانية معًا.

كانت المدرسة، المنشأةُ حديثا في "حيّ العدسات" باسم الزعيم "إبراهيم هنانو" عقب وفاته، مدرسة "أوليّة" (فيها الصفوف الثلاثة الأولى يديرها الأستاذ تقي المدرّس)، فتفرّقنا، ذهبت أنا إلى الصف الرابع في ابتدائية "العرفان" (يديرها الأستاذ نعمان سخيطة) في منطقة المَحْمص، ولم أعلم إلى أين ذهب زميل الصفّ الثالث القوي.

كان لوالد عبد الله محلّ بارز لبيع الملابس الداخلية والقطنيّات، موقعُه في حارتنا قبل أن تدلف إلى "زقاق الزهراوي" حيث نسكن، ومقابل أحد مداخل "سوق المدينة" المسمّى "سوق النسوان". بعد تخرّجي في الجامعة وعملي محاميًا، صرت أتبضّع حاجات أسرتي الصغيرة من عنده، ويراعيني. ولن أكتم هنا أني أصبحت أراه أميل إلى القِصَر خلافًا لما صرت إليه.

وعرفت هنا أنه درس، أو ما زال يمشي الهوينى في دراسته في "الجامعة السورية" بدمشق. ثمّ علمت أنه افتتح مشغلا في داخل زقاق الزهراوي لعمل "التريكو"، وكنت حزينًا لمعرفتي أنه بدأ يفقد السمع، فالتجأ إلى القراءة – وهو قارئ نهم – يُحصّل المعرفة ويزيد في عدد اللغات التي يُعنى بها.

هل أقول غبت عنه وغاب عني؟

لا، نلتقي.

ابنُه المهندس "هشام"، المقيم في واشنطن، يرغب في الزواج. فكان أن طلب يد "ريمة" ابنة شقيقتي "أمّ خالد"، وتزوّجا، والتحقت به البنت إلى هنالك. وقُدّر للزوجين الشابين أن يُنجبا طفلة واحدة سمّياها "مايا"، ولا بدّ من أن أقول هنا إنّ صهري (أبا خالد) توفي ولمايا ثلاث سنوات.

كنّا يوم تأتي ريمة من واشنطن إلى حلب زائرةً، نُهْرع لنلتقي بمايا (وهي واحد من مئة طفل تقريبا هم أحفاد وأسباط أبي "أبو السعود السباعي"!)، نستمتع بحبّنا لها، ونستمع إلى نهفاتها، ما ترويه لنا أمّها وما نشاهده نحن بأمّ أعيننا.

من ذلك أننا مررنا مساء يوم ونحن في السيارة من أمام "جامع الغزالي" تتلألأ فيه الأضواء، تقول مايا باللغة الإنكليزية: "الله أكبر"، فتفسّر لنا أمها، راويتُها: يعني أنّ هذا جامع يرتفع منه الأذان ويُصلّى فيه!

ولكن أجمل ما نُمي إليّ من أقوال مايا، وهي اليوم من سكان "دبي"، أنها تشكو بلغتها الإنكليزية الطفولية: «أنا لي جدّان، واحد أكلمّه فلا يسمعني والثاني مات!». أمدّ الله في عمر جدّها عبد الله وراق.

دمشق الشام: عصر الثلاثاء ٥-٩-٢٠١٧

جئت الفيس بوك عند منتصف الليل، وأنا متهمّم لأستكمل كتابة قصة كنت بدأتها سويعة الفجر الماضي

وإذا بالصديقتين "ميساء" و"ليال" تجرّاني إلى الخوض في مساجلة تحت خاطرة لا تمتّ بصلة لموضوع السجال... الذي رأيته يستنفد طاقتي الإبداعية

وها أنذا أتوجّه إلى النوم!

دمشق الشام: س ٢: ٠٠ فجر الأربعاء ٦-٩-٢٠١٧

في غير موضعه

في غير موضعه... أشرعت "ميساء" قلمَها، تقول وتقول، متجاوزةً حدودا، لا دفاعًا عن حقّ تؤمن به، بل لتنال ممّن لا تُضمر لهم ودّا خالصا

عند الفجر قامت بحذف كلّ ما كتبت

فأكّدت لنا أنها تملك جرأة التراجع... وتلك فيها خصلة حميدة

دمشق الشام: عصر الأربعاء ٦-٩-٢٠١٧

يا ذرّيّتي

يا ذرّيّتي، التي استوطنت فلوريدا مقيمة ومتجنّسة قبل الأحداث، ومن لحق بهم في هذه السنوات الدامية...

إني خائف عليكم من "إعصار يرما"...

هل تعودون، يا أبنائي وأحفادي؟

دمشق الشام: فجر الأحد ١٠-٩-٢٠١٧

وعندما أراد في المساء الاستحمام

وعندما أراد في المساء الاستحمام، أخذ الهاتف يتّصل - كعادته في كلّ مرة - بصديق يُعلمه بهذا وبأنه سيعاود الاتصال بعد نصف ساعة للطمأنينة... فما رفعوا هناك سماعة الهاتف، ولا رفعها صديقٌ ثان وثالث!

فتساءل: أمعقول أنّ "خوف" الأصدقاء من التواصل معه بلغ حدّ أن يتجنّبوه بهذا المقدار!

دمشق الشام: فجر الأحد ١٠-٩-٢٠١٧

ليس هناك شعبٌ سيّئ، يا أصدقائي!

حتى لا نُمعِن في انتقاد أنفسنا وقهر الذات، أقول:

ليس هناك شعبٌ سيّئ، هناك حكوماتٌ فاسدة!

فيوم تغيب، في نظامٍ ما، العدالةُ والنزاهة وكلُّ ما ينبغي أن يتّسم به الحاكم من الصفات الحميدة، فإنّا نرى بعضَ الناس يتماهَوْن معه، ويتأثرون به... حتى ليأكل بعضهم رؤوس بعض.

وعندما يأتي الحاكم العادل، فإنّ شعبه يرتفع به ويبدع، والمثال في زمننا: منديلا، ومهاتير محمد، وأردوغان.

حين دخل أجدادنا شبهَ الجزيرة الإيبيريّة (إسبانيا)، بَنَوا فيها من أركان الحضارة الجميلة النبيلة ما جعل الطامحين إلى المعرفة من أبناء أوروبة القرون الوسطى، يرحلون إلى قرطبة لنهل العلوم والمعارف.

وفي وسط الأندلس، عندما سقطت طليطلة في أيدي الممالك المسيحية، تأسس ما يمكن أن نسمّيه "مدرسة طليطلة للترجمة"، يعمل فيها المتخرّجون في جوامعنا وجامعاتنا على نقل أمّهات الكتب العلمية من العربية إلى اللاتينية، حتى اليهود، الذين استظلّوا أفياء حضارتنا هناك، أخذوا يترجمون كتبا لنا إلى لغتهم العبرية... وكان ذلك كلّه من عوامل النهضة الأوروبية في القرن الرابع عشر الميلادي التي سُمّيت باللغة الإيطالية Rinascimento.

يكفينا جَلْدُ الذات، في هذا الزمن الرديء، أيها الأصدقاء!

دمشق الشام: ضحى الأحد ١٠-٩-٢٠١٧

الصبا جمال.. والإبداع أيضا

في يوم بعيد، زرت صديقةً من الأديبات في بيتها قريبًا من مكاتب القصر الجمهوري في "طلعة المهاجرين".

في حديقة البيت الزاهرة والدنيا ربيع، كانت ابنتها الوديعة "لينا"، تُطعم قطّتها الصغيرة وتداعبها. أذكر أنّ الأمّ قالت ونحن نتملّى النظر من الابنة الجميلة: «الصبا وحده جمال!».

حاولت الابنة، الطالبة بكلية الزراعة يومئذ، أن تحذو حذو أمّها في الكتابة، فكتبت قصصا قصيرة جدا، لمّا أطلعتْني عليها في زيارة، طاب لي أن أنشرها في مجلة أدبية مرموقة، فبعثت بها إلى مجلة "أفكار" (عن وزارة الإعلام الأردنية)، سألتهم عنها بعدئذ فما ردّوا... إلى أن هتفت إليّ لينا يوما، تُبشّرني بأنها اكتحلت عيناها بمرأى قصصها وقد نُشرت في المجلة منذ ذلك الحين.

برعت الابنة في الكتابة. إنها كاتبة قصص الأطفال، المبدعة، "لينا كيلاني"، التي تقيم بالقاهرة. والأمّ "قمر كيلاني" انتقلت إلى عالم الخلود بعد أن سلّمت ابنتَها لينا لعالم الإبداع.

دمشق الشام: الخميس ١٠-٩-٢٠١٥

قال لي صاحبي: ولماذا تدافع عن "الشعب"؟

في يوم مضى... كنت أجلس بجوار صديق لي في سيارته، ننزل "شارع أبو رمانة" من ناحية جامع الروضة.

حانت منه التفاتة إلى المروج التي تُنصّف الطريق، فرأى جسمًا من حديد الدرابزين الذي يحيط بالمنصّف من جانبيه، مقلوعا ومطروحا فوق المرج، فأسرع لسانُه يقول:

ـ شوف هـ الشعب المتخلّف!

فسألته عمّا لاحظ الآن من "تخلّف شعبه"؟ فأجاب بأنّ سيارة اقتحمت هذا الموضع داست

واقتلعت وأتلفت!

فقلت: وهل "الشعب" هو من فعل هذا؟ أم أنه سائق إمّا أن يكون طائشًا، أو أنّ أمرا طارئًا زَحَمه فكان منه ما نرى؟ (وأضفت) لماذا كلما رأينا خطأ في حياتنا العامّة نسبّ الشعب؟

فاعترض: ولماذا تدافع عن الشعب!

قلت: ولماذا أنت تسبّ الشعب!

انتهى الحوار.

أصدقائي، إنها "عقدة" عند بعضنا، فعندما يشتم أحدنا شعبه يشعر بالتعالي والتسامي، الشعب يرتكب وهو لا... فهو أحسن منهم!

دمشق الشام: مساء الاثنين ١١-٩-٢٠١٧

هل أنا كاتب محظوظ... في وطني؟

حين صدرت روايتي "ثمّ أزهر الحزن" (بيروت ١٩٦٣)، كان لي بالمرصاد في مدينتي حلب ثلاثة من أصدقائي الأدباء:

أولهم (ع. ب) عاب على الرواية أنْ ليس فيها «اشتراكية»!

ولم تُعجب الثاني (ج. س) الغارق في بحر «الوجودية»، الخاصة بـ البير كامو تحديدا!

والثالث (و. إ) أسقطها من اعتباره... لأن ليس فيها «حداثة»!

فيما بعد ظهر حبّ هذه الرواية عند القراء على اختلاف الأعمار والأجناس والمشارب والأهواء، وأُعِدّت حولها أطروحات ماجستير ودكتوراه وراء الحدود، وعندنا حوّلت إلى مسلسل تلفزيوني أصرّوا على أن يجرّدوها من اسمها المعبّر مستبدلين به اسما تفوح منه رائحة الركاكة: «البيوت أسرار» حرصًا منهم على الحيلولة دون زيادة رواجها! ولن يفوتني القول

بأني أحاول – لاستمرار الطلب عليها – أن أقدّم طبعتها الرابعة في الدار التي أنشأتها بدمشق، لكن يعجزني عن ذلك العزلة وبلوغ السنّ.

دمشق الشام: عصر الثلاثاء ١٢-٩-٢٠١٧

امرأةٌ ناشطة اجتماعيّا

وكان، في الضاحية التي نسكنها في بلدة "بالم باي Palm Bay" في فلوريدا، امرأةٌ ناشطة اجتماعيًّا، دأبت على أن تمرّ بحدائق الفيلات المجاورة... حتى إذا عثرت على "مخالفة" للنظام، تطوّعت بأن أخبرت مَن يأتي ويُنبّه لإزالتها!

لاحظت أنّ "صاحبي" كان يتوجّس من مرورها في أرضه، ويَعدّها "مخبرة" على طريقة ما يجري في بلادنا...

من ناحيتي كنت أنظر إليها بتقدير: لأنها تحرص على أن تكون الضاحية التي تسكنها خالية من كلّ عيب

دمشق الشام: صباح الثلاثاء ١٢-٩-٢٠١٧

قلت: ليس هناك شعبٌ سيِّئ، يا أصدقائي

انظروا إلى الشعب الأمريكي

كان أولُ المهاجرين إلى العالم الجديد أناسا مغامرين من الإنكليز والأوروبيين ومن شذاذ الآفاق، مَن سمّوهم "يانكي" (يانكيين) وهم الذين أبادوا سكان البلاد الأصليين بالملايين، انضمّت إليهم فيما بعد جالياتٌ من كلّ أمم الأرض (حتى اليوم يتناقلون المعرفة عن بعضهم بأنّ هذه الأسرة من أصول ألمانية، روسية، بولونية.....).

واستطاعوا، بعد اختلاف واحتراب (شمال وجنوب)، أن يشكّلوا أعظم أمة في العالم، اقتصادًا

مزدهرا ومخترعات لا حدّ لها...

وذلك لأنّ الحكومات المتعاقبة هناك تحرص على احترام حق المواطنة، حتى للقادمين إليها حديثا، وتشجّع المبادرات الفردية وتتلقّى الإبداع

وذلك بغضّ النظر عمّا تتعامل به إدارة بلادهم مع دول العالم باستعلاء يخالطه المكر والدهاء!

دمشق الشام: صباح الثلاثاء ١٢-٩-٢٠١٧

في قصر ملكي.. قريبًا من باريس

قبل أربعين من الأعوام، وأنا في باريس، توجّهنا نحن عدد من الموفدين إلى باريس، في رحلة صغيرة لبلدة لا تبعد كثيرًا عن العاصمة، نبيت ليلة في أحد القصور الملكية من "آل بوربون" الراحلين.

كانت الأسرة المستضيفة لنا الساكنة في جناح من القصر ترعاه، مؤلفة من أب يتمتّع بهمّة رياضية، وزوجته وابنة لهما صبيّة. بعد العشاء كان ثمة حفلة موسيقية راقصة، شارك فيها الضيوف من شباب وشابات، وكذلك الأسرة المضيفة وقد حضر الجدّان المتقدّمان في السنّ، الوقوران.

لاحظنا أنّ الصبيّة وهي في نحو الخامسة عشرة، اختصت في رقصها شابا منّا إفريقيّا رأيناه بارعًا في الرقص يجيده أشكالا وألوانا. وجاءتنا الأخبار صباح اليوم التالي، ينقلها بعض الفضوليّين الذين يملكون خصيصة التقصّي، أنّ البنت صارحت والديها بأنها أُغرمت بهذا الشاب! فاستنكر منّا من استنكر وحسده آخرون!

وأذكر أنّ مما أطلعونا عليه في القصر ذلك الكهف Cave، نزلنا إليه بسرداب ملتف لننتهي إلى مكان متسع، مُتْرَب القاع، أُحدث في زمنه كي تودع فيه دِنان النبيذ ليتعتّق.

وأقول أيضا إنه كان في حديقة القصر دوحة من شجر الكرز عالية، تكتظّ على أغصانها عناقيده، خدًّا أصفر وخدًّا ورديّ اللون، وأهابوا بنا أن نقطف. كان ثمّة سلّم خشبي طويل، تناوبنا الصعود به إلى أعلى، ثمّ ينزل كلّ منّا وقد أكل هناك وملأ جيوبه. لاحظت أنّ الجدّين كانت عيونهما ترنو إلى الطالعين والنازلين، فلم يَفُتني أن أقدّم لهما ما جنيت، وقرأت الامتنان في إشراقة العيون.

ثمّ إني رأيت الجدّ كما لو أنه أخذ على عاتقه "تهدئة" عواطف الصبيّة الجيّاشة، بأن رافقَنا في رحلة العودة إلى باريس هو والجدّة، مرافِقَين الحفيدة، التي لم تفارق المعشوق في جلستهما متجاورين طوال الطريق، ولحظة الوداع، تعانقا. ومضى كلّ إلى غايته.

كان ذلك في مطلع صيف ١٩٧٨.

دمشق الشام: صباح الأربعاء ١٣-٩-٢٠١٧

وكتبت لي في منتصف الليل.. تسألني..

"صديقة" قلما تدخل صفحتي، كتبت في منتصف ليل تسألني بلطف ما إذا كنت "فاضي"، وحدّثتني بأنها كانت جعلتني من "الجهات الموثوقة" في حسابها، وأنها نسيت "كلمة السر" عندها، وتقول: «راح يجي لك رمز على رقمك الهاتفي لكي تتحقق مني شركة فيس بوك، بس زكاتك اذا اجاك شي رمز تبعتلي ياه، لقطة شاشي حصرا مشان ما ينضرب الرمز، زكاتك! ».

وبعد حديث، كانت تقاطعني فيه وأنا أكتب نصًا إبداعيًّا، انتهينا إلى عدم مقدرتي أو معرفتي بأن أحقق لها ما تطلب... فالتمست مني أن أعطيها "كلمة السر" الخاصة بي لتدخل هي إلى صفحتي وتأخذ الرمز! ثمّ فاجأتني بسؤال:

ـ أستاذ فاضل معك شي مَصاري؟

قلت: طبعًا!

قالت: قديش معك؟؟؟ بديّنّي؟

.بقيان معي لآخر هـ الشهر (كذا)!

قالت: فداك، وسكتت، فقلت لها: تابعي.

وكانت تلك آخر الكلمات!

دمشق الشام: فجر السبت ١٦-٩-٢٠١٧

وقال لي: «أنا لا أتعاطى السياسة!»

تحاملت على نفسي اليوم فتوجّهت إلى مبنى البريد في مركز المدينة، أُودع طردَ كتب إلى إحدى العواصم العربية. قلت فلأخطفْ رجلي إلى "سوق الكهربا" القريب أتبضّع شيئا من الأدوات الكهربائية الصغيرة.

وبينما أنا أمشي الهوينى على الرصيف الأيسر "لشارع النصر" باتجاه "السنجقدار"، استوقفني رجلٌ يسألني هل أنا ذلك الكاتب الذي قرأ له واستمع لمحاضرات له في المراكز الثقافية عبر السنين التي مضت؟ وأخذ يسألني - بمودة جميلة - عن الصحة والحال والأحوال، محجمًا عن أن يعرّفني باسمه فمن أين لي - في ظنّه - أن أعرفه وهو من غِمار الناس، ولكنه بيّن لي أنه من مدينة "دير الزور" (شمال شرق سورية).

هنا عبّرت له عن حزني لما أصاب مدينته العزيزة (بلد صديقي الكاتب الباحث المرحوم عبد القادر عياش)، من تدمير وقهر، خاصة يوم سقطت في أيدي الدواعش، فساقوا جنودَ الجيش الـ٤٥٠ الذين أُسروهم في مطار المدينة، عُراةً إلا ممّا هناك، ورشّوهم بالنار جزافًا، فقتلوهم جميعًا بطريقة همجيّة، وأضفت: يومها بكيت، يا صديقي، مثل ولد صغير، على شبابنا الذين

يُقتّلون على أيدي الغوغاء ولا يموتون في ساحات الحروب دفاعًا عن الوطن!

وإذا الخوف يظهر على الرجل جليًّا، ويقول: أنا لا أتعاطى السياسة!

فقلت: ظللنا نقول هذا حتى وصلنا إلى ما نحن فيه!

فرأيته يمدّ يده يصافحني بصمت، ويتابع سيره على الرصيف قدّامي... وتأمّلته وهو يوسع الخطا.

ودخلت سوق الكهربا أشتري ما أحتاج إليه من أدوات كهربائية صغيرة.

دمشق الشام: عصر الأحد ١٧-٩-٢٠١٧

وللحيطان آذان و.. عيون!

في مطلع العام ٢٠٠٧ زارني باحث في الأندلسيّات، مغربيّ، مرّ بدمشق في طريقه إلى حلب محاضرًا في الموسم الممتدّ في عام "حلب عاصمة للثقافة الإسلامية".

وكان لا بدّ من أن نتحدّث في جلستنا بالسياسة العربية، وبدا أني أسرفت في انتقاد ظلم الحكام، حتى رأيته – وهو يصغي إليّ بحواسه – يتلفّت يمينًا ويسارا، ناظرًا إلى الجدران الصمّاء!

بعد عامين كنت في بلدته "تطْوان"، ضيفًا للمشاركة في حفل تكريم له بصفته باحثًا مرموقًا... فأسرّ إليّ هناك أنه كان، في استماعه إليّ تلك الليلة، لا يخاف عليّ ممّا أُدلي، بل على نفسه أيضا مستمعًا لي! وقال إنّ للحيطان عندهم آذانًا، لكنه يعتقد أنّ لها هنا آذانا وعيونا وألسنة!

الباحث هو البروفسور أحمد الطاهري.

دمشق الشام: ليل الأحد ١٧-٩-٢٠١٧

كان للمرأة العربية

كان للمرأة العربية، النبيلة، قبيل الإسلام، أن تختار من تتزوجه. اليوم تستعيد هذه السيدة

النبيلة ذلك العرف معزَّزًا بالتعاطف مع من له وضع خاص[١].

دمشق الشام: فجر الاثنين ١٨-٩-٢٠١٧

أمي.. لا تقسي عليها!

قصة كتبتُها للصغار، ويقرؤها الكبار بالمتعة ذاتها... جرّبوا!

وهي واحدة من عشر قصص تتكوّن منها مجموعة عنوانها «حكايات سيرين وسارة وسامر»

- - - - - - - - - - -

في ساعة الضحى، كانت "سيرين" تستعدّ لاستقبال رفيقة المدرسة "نانسي"، على حين انصرفت أمُّها لإعداد طعام الغداء، تساعدها "سارة".

خرجت سيرين إلى الحديقة. استرعى انتباهَها تلك الأوراقُ المتساقطة من الشجر، فخطر لها أن تُنَحّيها جانبًا، فالأفضل ألاَّ ترى صديقُتها هذه الأوراقَ متناثرةً على الأرض.

فجأةً علا رنينُ الجرس في جانبٍ من الحديقة. اتّجهت سيرين نحو الباب لتفتحه، ولكنَّ أخاها "سامر"، كان أسرعَ منها، سبقها وهو يصيح بفرح:

- نانسي! صديقتُك نانسي!

كانت سيرين قد حدّثت أمَّها، وسامرٌ يستمع - فإنه يريد أن يعرف كلَّ شيء! - عن صديقتها نانسي، المولودة في أمريكا والقادمة إلى الوطن لتقضي عامًا كاملاً في مدارسه، تُقَوِّم لسانَها - كما قالت - بنُطقِ اللغة العربيّة، ولم يكن ينقصها من هذا شيء.

- أهلاً، نانسي.

قالت نانسي بمودّة: - ما أجملَ حديقةَ بيتكم!

---

(١) في تعليق على منشور يقول إن امرأة سعودية ترغب بالزواج من مقيم وتتحمل كافة النفقات

وسامر يتملَّى النظر من صديقة أخته الكبرى وهو يُصافحها، والقطّة ياسمين تدور حولها، وتموء مواءً يُعبِّر عن الترحيب.

في الصالون، أقبلت الأمّ وهي تمسح يدَيها من البلل بصِدَار المطبخ:

- سيرين حدَّثتْنا عنك كثيرًا، يا نانسي!

أجابت نانسي باستحياء: - وأنا... حدّثتُ جدّتي وخالتي عن سيرين كثيرًا، حتى تَمَنَّتا أن تَلْتقيا بها.

وسارة سلَّمت على نانسي، إنها تعرفها تجتمع إليها مع أختها في باحة المدرسة... ثمّ تَبِعتْ أمَّها إلى المطبخ.

صحبتْ سيرين صديقتَها إلى غرفتها.

ولكنها لحظةَ دخلت الغرفة، تتقدّمها صديقتُها، وهمّت بأن تُغلق الباب، رأت سامر يُحاول التسلُّل وراءها!

قالت بلهجةٍ آمرة: - سامر!.. دعْنا وحدَنا، يا سامر!

أجاب سامر بعناد:

- أريد أن أبقى معكما.

قالت:

- نريد أن نتحدّث حديثَ الكبار، هل تُشاركنا الحديث؟

- أنا أصبحت مثلكما تلميذ مدرسة!

- أنت في الصفّ الأول روضة، ونحن في الخامس ابتدائي.

- أَستمِع إليكما.

– أنت لن تكتفي بالاستماع، أَعرفُك، سوف تمُدَّ يدَك إلى أغراضي وتعبث بها.

– أَعِدُكِ بأن أجلس هادئا.

– عندما يزورك أحدٌ من رفاق الروضة، هل أدخل غرفتَك وأجلس هادئةً وأستمع؟

وأخذتْه من يده إلى أمام الباب، وأغلقت.

أخذ سامر يدقّ البابَ بقبضته الصغيرة، ويتوسَّل:

– افتحي لي الباب، يا سيرين! أنا أُحبُّك، يا سيرين!

أطلَّت عليه:

– وأنا أحبّك أكثر.

وألقتْ إليه بلعبةٍ من ألعابها الـ... قديمة.

أخذ سامر يبكي، يبكي، يبكي بحُرقة.

سمعتْ أمُّه، وهي في المطبخ، بكاءه. قالت لابنتها سارة:

– اذهبي إلى أخيك، فانظري ما يُبكيه.

رأته سارة قاعدًا أمام الباب يبكي، شكا إليها:

– قلت لسيرين: «أُحبُّك!»، ولكنها طردتْني من غرفتها.

ترامى إلى الأمّ قولُ ابنها، فتركت ما في يدها، وهُرِعتْ إلى... حيث رأت صغيرَها، مطرودًا، تبلّل الدموعُ وجنتَيه، وبين رجلَيه لُعبةٌ من ألعاب أخته القديمة!

قرعت البابَ بإصبعها قرعًا حرصتْ – مع امتعاضها – أن يكون لطيفًا:

– سيرين، حبيبتي، افتحي!

أطلت سيرين، وسرعان ما أخذتْها أمُّها من يدها، وذهبت بها بعيدًا... وهناك سألتْها بغضبٍ

كظيمٍ:

- لماذا طردتِ أخاكِ؟

أوضحت سيرين:

- أنا لم أطرده، فقط منعتُه من الدخول.

حافظت الأمُّ على هدوئها:

- ولماذا منعته من الدخول؟

- لأنَّ من عادته أن يعبث بأغراضي.

- وماهي هذه "الكُنُوز" التي تخافين عليها من عبث أخيك؟ الولد فَرِحٌ بصديقتك القادمة من أمريكا، ويريد التعرُّف إليها، تمنعينه؟

- ولكنه...

- يقول لك من وراء الباب: «أُحبُّكِ يا سيرين! »، فتُغلقين الباب في وجهه، وتغسلين خدَّيه بالدموع؟!

- ماما... أنا... ما....

- «أنا، ما أنا» لا أفهم.... لماذا...

كانت عينا سامر تتنقّلان بين أمّه وبين سيرين. فلما ارتفع صوتُ أمِّه مقرِّعًا، شعر أنه أساء إلى أخته الكبرى، أدرك أنه المتسبِّب فيما ينالها من عقاب! تمنَّى لو تُخفِّفُ أمُّه من هذا التقريع. إنه يُحبّ سيرين. أراد أن يستمع إليها وهي تتحدّث إلى صديقتها نانسي القادمة من أمريكا.

حانت من الأمّ التفاتةٌ إلى اللعبة:

- وترمين له بهذه اللعبة الـ... سخيفة؟!

صوت الأمّ، الغاضبة، يعلو. وسارة، التي جاءت باللعبة من أمام الباب، أشفقتْ هي الأخرى على أختها الكبرى.

فجأةً، ارتفع صوتُ سامر:

- أمي! دعي سيرين، لا تقسي عليها، أنا أُحبُّها.

واندفع نحو أخته الكبرى، يعانق خصرها. وسارة رمت باللعبة القديمة من يدها، وأقبلت تُعانق أخوَيها... فبدا الثلاثةُ متضامنين!

لمّا رأت الأمّ ذلك... وجدت نفسها تنحني على أطفالها الثلاثة، معانقةً، ومتضامنة!

نشرت في مجلة "قوس قزح" عدد آب/ اغسطس ٢٠١٧

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: ليل الاثنين ١٨-٩-٢٠١٧

غشّ.. على مائدة الفَطور!

حدّثني صديق يومًا عن أنّ صحن "العَطّون" (الزيتون الأسود) الذي يوضع كلّ صباح على المائدة في بيته مضافًا إليه الجديد من الحبّات، كان عندما يغمس فيه الخبزة ليلتقط حبّة فإنه يجدها "ممَقمْقة" (أي ليّنة أقرب إلى أن تكون فاسدة)، وتكرر معه هذا على مدى أيام.

فسأل زوجته في ذلك، فأجابته بكل بساطة: «انت ما بتعرف تنقّي، شوف، كول متل هَيْ! »، وقدّمت له حبّة متماسكة!

فأدرك أنّ زوجته كانت تنقّي لنفسها أحسن الحبّات، وتدفش[١] الباقي في الصحن إلى أمامه!

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ١٩-٩-٢٠١٧

---

(١) تدفع

ودخلت في "مصارعة" مع وكيل الضيعة!

ونحن في ضيعة "حَزْوان" (مطلع صيف ١٩٤٨) وقعت لي حادثة صغيرة جديرة بأن أرويها الحاقًا لها بخاطرتي عن حفر الباذنجان والكوسى (ليلة أمس).

لاحظت أنّ الوكيل المشارك لأسرة صديقنا "معاوية القدسي" في مزرعتهم في الضيعة، ينال – على سبيل المزاح – من "شباب المدينة" أنهم ضعاف البنية لا قوة لهم... فتصدّيت له – وأنا أظنّني "أقوى" الرفاق الثلاثة عضلا وأطولهم قامة – مؤكدًا أنهم يضاهون أبناء الريف قوة بدنية، فلم هذا الزعم؟

ومع احتدام الجدل في ذلك، لست أدري كيف قمنا أنا والرجل "نتصارع" في البيت الذي نحن فيه، والقوم ينظرون. تماسكنا، ولويتُ بزنديّ جسده، وكان في نحو الثلاثين من العمر، يمينًا أو شمالًا، وإذا هو يصرخ من ألم! ماذا؟ "انبرق" ظهره (التوت عضلاته)، وقام يمشي متحاملا على نفسه، مغادرًا المكان... فبدا لي فرحي بانتصاري يعادل ما انتابني من الإشفاق عليه! وفي ذلك فسّر لي صديقي معاوية أنّ أبناء الريف أقوياء ولكنّ الجسد غير ليّن لأنهم يؤدّون أعمالهم دائما وهم في "وضعيّة" معينة.

في اليوم التالي علمنا أنّ الرجل لم ينم في ليلته من وجع الظهر، متألّما عند تقلّبه في فراشه، فذهبنا إليه نعوده. رأينا زوجته تعالجه بأن سخّنت ماء في قدر، تغمر فيه كتلاً صغيرة من "شعر الماعز" ثمّ تلبخه[1] بها بحرارتها على ظهره استخراجًا للوجع. كان كاشفًا ظهره بين يدي زوجته – التي جرت على أن تقدّم لنا صباح كلّ يوم مشكورة الحليب واللبن والبيض – ومنحنيًا إلى أمام لا يستطيع الالتفات، وأذكر أنه سدّد إليّ بعناء وهو في انحناءته نظرة تحمل من العتاب أكثر مما

---

(١) تضعها كالكِمادة

تحمل من معنى الخسارة التي مُني بها في المصارعة.

وأذكر أنه، في المودّة التي نشأت بيننا، كان قد مرّ، في نزوله إلى حلب قبل يومين، بمحلّ أبي في "سوق المدينة"، وجاءني بمبلغ منه كنت في حاجة إليه.

رحم الله تلك الأيام.

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ١٩-٩-٢٠١٧

الفيس بوك.. جليس لطيف

ظللت أنصح أصدقائي الذين يناهزونني بالعمر، أن يتّخذوا من الفيس بوك صديقا لطيفا مسايرا، فكانوا يُظهرون من الزهد به، ما يُخفي وراءه خشية أن يتعثّروا في التعامل مع هذا الجهاز السحري!

وكنت أقول لهم: إنّ المتقدّم في السن، المحتاجَ لأصدقاء يجالسهم في الحدائق العامة أو الخاصة أو داخل البيوت، يستمع، يُدلي، يناقش، يتفق، يختلف، يتحمّس، يملّ، يضيق ذرعا، ينصرف... إنك في الفيس تختار أصدقاء تحاورهم، فإن ضقت بهم انصرفت إلى غيرهم، أو ذهبت إلى فراشك الوثير.

اكتشفت أخيرًا أنّ خمسة من المتمنّعين اتخذوه، استجابة لنصحي أو لدواع أخرى، هم:

موفّق أ. ط،

سحر س.،

علاء خ.،

عبد الجواد س.،

نبيل ر.،

وأخيرا حيدر ب....

وللعلم... هم يقرؤون ما أنشر، ولكنّ الحذر يمنع بعضهم من أن يكتبوا تعليقًا عندي أو يضعوا لايك... ربما يفعلون مستقبلاً!

أحيّي إقبالهم على اتخاذ الفيس صديقًا صدوقًا.

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٠-٩-٢٠١٧

وكتبتُ الخُطَب.. لذاك المسؤول!

في تموز/ يوليو من عام ١٩٥٩ أُجريت في إقليمَي الجمهورية العربية المتحدة، انتخاباتُ ما سمّي "الاتحاد القومي"، وكنت أشغل وظيفة مدير الشؤون الاجتماعية والعمل في مدينة درعا (منقولا من حلب تعسّفا أيام الوزير العسكري المقدّم عبد الغني قنّوت). أُحدِثت يوم الانتخاب ستة مراكز للاقتراع (أربعة للذكور واثنان للنساء)، وكان من نصيبي أن أكون رئيسا لأحدها ومقرّه مدرسة في "درعا المحطة" هي أشبه بـ فيلا مؤلفة من طابق واحد.

وكعادتي، مواطنًا محبًّا للنظام والتنظيم، عزّ عليّ أن أدع المواطنين الذين جاؤوا يُدلون بأصواتهم، يتدافعون على باب المركز يزحم بعضهم بالمناكب بعضا سعيًا للدخول، فجعلتهم يقفون واحدًا وراء الآخر في اصطفاف مريح، أوله أمام صندوق الاقتراع في صدر الصالة الكبيرة ممتدّا إلى باب المدرسة، وكنت أتفقّد كل قليل من الوقت الصفّ خارجًا، فلما ارتفعت الشمس تكاثروا فجعلت الصف يلتفّ حول مبنى المدرسة، يراقب بعضهم بعضا فلا يدعون أحدا يندسّ بينهم في غير نظام.

وأنا أشرف على زملائي في المركز، يتناولون الهويات ويتخذون الإجراءات الصغيرة اللازمة، لمحت بين الذين وصل بهم السير في الصفّ حتى منتصف الصالة، مديرَ المستشفى الوطني في المدينة يومذاك (الدكتور... الدردري)، واحترامًا له تقدّمت منه محاولا أن آخذه من يده إلى

حيث الإجراءات الصغيرة، ولكني وجدته يعتذر مشرق الوجه، فأدركت أنه سعيد بأن يكون واحدًا بين من انتظمهم الصف الحضاري الأنيق، فأكبرت فيه اعتذاره مثل ما قدّر هو اتخاذي ذلك التنظيم النادر الحدوث في أحوالنا العادية.

أكثر من هذا جاءت عقيلة المحافظ لتُدلي عندنا بصوتها استثناءً، هاربة من الفوضى التي لا حدود لها في مركزَي النساء، فرحبّنا، ثمّ جاء المحافظ نفسه (العقيد عبد الغني ج.) فأدلى.

ساعة انتهاء الوقت المحدد للاقتراع لم يبقَ في الصف إلا قليل من الرجال، صبرنا حتى أنهينا أمرهم، ثمّ حُملت الصناديق مختومة إلى مبني المحافظة قبالة "مقهى المنشية"، وفتحنا، وبدأنا بالفرز، ووكلاء المرشحين حولنا يرقبون. سألتهم والأمور تمشي سليمة عن رأيهم في أن نجعل فريقًا منّا آخر يفرز، فوافقوا، ثمّ فريقا ثالثا... ما جعل الأمر يتمّ سريعا، وقدّمنا النتائج والصناديق إلى من تسلّموها بأمان، ثمّ توجّهت – والساعة منتصف الليل – إلى حيث نمت قرير العين. ودُقّ عليّ الباب: المحافظ يلتمس مني أن أشرف على الفرز في صندوق آخر يمشي العمل فيه متعثّرا، فقمت وذهبت وأنجزت. وأما المركزان المخصصان للنساء فقد ظلا يستقبلان المقترعات الجالسات على الأراضي خارجًا حتى صباح اليوم التالي.

الذي وقع لي مع هذا المحافظ الهمّام، أنه اصطفاني من يومئذ لأكتب له خطبه التي يلقيها في المناسبات (وقد كان يعتمد قبلي على مدير المركز الثقافي محمد زهير الباشا)، يحدّثني، أمضي، أكتب، وأنسخ على الآلة الكاتبة بيدي، أشكّل الكلمات حتى أُجنّبه الوقوع في الخطأ عند القراءة (ونصوص ما كتبت في أرشيفي اليوم)... ولا جزاء ولا شكورا.

واتفق لي أنني عندما أردت الاستفادة من آخر ما هنالك من إجازاتي السنوية، في آخر ذلك العام أقضّيها في حلب مع زوجتي وأطفالي، منع عني ذلك دون إبداء أي سبب، فلما تجرّأت وناقشته مطالبًا بحقي، صرخ بي، واستدعى الشرطة وزجّوا بي في النظارة (مكان التوقيف)،

بادّعاء سخيف أني "تهجّمت على السيد المحافظ"، وما نجّاني من تواصل التوقيف إلا عدالة القضاء السوري المتأسّس منذ الاستقلال ما قبل وما بعد. ثمّ إني علمت أنه كان يريد "الاحتفاظ" بي في البلد كي أكتب له الخطبة في "عيد الشجرة" (٢٩-١٢)... فيا أيها الفهيم، كنتَ اطلب مني الخطبة، أكتبها لك وأمضي إلى أسرتي!

وعن ذلك كتبت، أيها الأصدقاء، بعد عشرين سنة من ذلك اليوم (في صيف ١٩٨٠)، قصة سمّيتها "كاتب الخُطَب"، أحجمت جريدة اتحاد الكتّاب بدمشق "الأسبوع الأدبي" عن نشرها بحجة أنها تمسّ مسؤولًا افتراضيًّا في الدولة، فظهرت القصة في مجلة "البيان" الشهرية (عن اتحاد الكتاب بالكويت) في منتصف ثمانينيات القرن الماضي، وهي منشورة في كتابي "الألم على نار هادئة" (ط. ١٩٨٥و١٩٩٠ و٢٠٠٢).

كم قلت: ليس هناك شعبٌ سيّئ، هناك حكومات فاسدة!

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٠-٩-٢٠١٧

في منتصف الليل

عندما أضع رأسي على المخدّة

ويُرنِّق النُّعاس فوق أجفاني

يهبط عليّ السؤال:

ماذا جنى شعبي

حتى يُقتَّل أبناؤه

من قِبل الأبعدين... والأقربين! دمشق الشام: عصر الخميس ٢١-٩-٢٠١٧

الشمس.. هي الحياة

بعد أن طالت معاناته من غياب الشمس، وهو مرميّ قريبًا من القطب الشمالي، فإنْ هي ظهرت بدت شاحبةً لا تُدفئ جسدًا ولا تروق لعين،

ولحظة قُدّر له أن يجتمع بأهله، تحت شمس قريبة من حدود بلاده، في "لمّ شملٍ" عابر، أخذ يقول، وهو يعانقهم فردًا فردًا، بصوت عال وكأنه يخطب: «الشمس هي الحياة!»، ناسيًا، إلى حين، قضيّة الحرية.

دمشق الشام: فجر الاثنين ٢١-٩-٢٠١٥

وجعلتْني

وجعلتْني

أنا المطالب سلميًّا بحريّتي المغصوبة

و"داعش"

في خندق واحد!

ومضت عني... مرتاحةَ الضمير

دمشق الشام: فجر الجمعة ٢٢-٩-٢٠١٧

عن الحرية.. والنزاهة..

قالت لي: ما يحزّ في النفس عدم تعريفكم لمعنى الحرية التي تطالبون بها.

فقلت:

لن أعرّفها لك، لكني آتيك بواقعتين ساد فيهما ظلم وغابت النزاهة.

• في يوم من أيام شباط/ فبراير ٢٠١١، جاء شابّ بسيارته إلى "الحريقة" (السوق التجاري بدمشق) ليصحب أباه الشيخ إلى الغداء، تلقى من شرطي مرور فظّ الإهانة، فهبّ أهل السوق يهتفون بصوت مجلجل: «الشعب السوري ما بينْذَلّ! »، وجاء قائد الشرطة، فاحتجزته الجماهير الغاضبة مع شرطة المرور في مدخل بناية وأقفلوا، ولم يُفرجوا عنهم إلا بحضور الوزير، الذي أسرع بالمجيء، وهدّأ!

• عنّي... قدّمت إلى اتحاد الكتّاب العرب مرارا مخطوطات لي رجوت صدورها بين منشورات الاتحاد (الذي أنا أحد أعضائه المؤسّسين عام ١٩٦٩)... فكان الاعتذار دائمًا حليفي بحجة "عدم الجدارة". أول ما تلقّيت من ذلك اعتذار عن نشر كتابي "حزن حتى الموت" (قدّمته في صيف ١٩٧١)، ولبثت أنتظر عامين ونصف العام، وجاءني الاعتذار في خريف ١٩٧٣. ونُشر الكتاب في بيروت (١٩٧٥) غير مرة، وكان الإصدار الخامس منه باللغة الفرنسية في باريس (٢٠٠٢)!

ما يحزّ في النفس أنّ الآخرين من موقعهم لا يرون ما نعاني.

دمشق الشام: صباح الجمعة ٢٢-٩-٢٠١٧

لم أستطع ان أكون "حياديًّا" في مسألة العدالة والحرية

قالت:

عفوا أستاذي الكريم... اسمح لي أن أقول إني لم أقرأ لك سابقا ولم أسمع باسمك، واليوم "أكتشِفك" كاتبا كبيرا... كيف؟ أين كنت مختبئا يا سيدي؟

فكتبت لها:

لم أكن مختبئًا، يا ابنتي، بل "مخبّأً"، معتّما عليه... ولو كنت من "المؤيّدين" لالتمع اسمي في

الإعلام المحلي، حتى لو كنت بلا لون.

لم تستطع كفّاي التصفيق، ولم يكن في وسعي أن أقف "محايدًا" في قضايا العدل والحرية. اليوم بلغ صوتي الأسماع ولامس القلوب. شكرا لك يا "مارك زيكربرغ" لأنك مكّنتَني من الوصول.

ولكني، منذ خمسينيّات القرن الماضي، أكتب في الدوريّات العربية الشهيرة، وأنشر كتبي في عاصمتَي الثقافة العربية بيروت والقاهرة... فأنت إذن صغيرة السن، يا "حفيدة"!

دمشق الشام: عصر السبت ٢٣-٩-٢٠١٧

لـ... كان الأمان يملأ المكان!

استقبلتُ ضحى اليوم سيدةً من القضاة ترافقها هيئة من "خبراء تخمين" للكشف على بيتي وضبط مساحته وعدد غرفه، قصد تقدير جديد لأجرته السنوية، التي بدأت في الارتفاع منذ صدور قانون الإيجار عام ٢٠٠١.

لاحظت السيدة القاضي على الطاولة في الحديقة كتابي المعنون "بدر الزمان"، فلما تبيّنتْ أني مؤلّفُه كان من لطفها أن عبّرت عن سرورها - وهي شابة في مقتبل العمر - بأنها المرة الأولى التي تلتقي كاتبا، فأجبتها بأني سعيد أيضا لأنّ موظفة في الدولة مرموقة سرّها أن التقت بكاتب.

وبعد أن عاينوا البيت وحديقته، ووصفوا ودوّنوا، سألتني عمّا إذا كنت أرغب في أن أضيف إلى المحضر شيئا؟ فلم يفارقني حبّي للدعابة فقلت: «أطلب الرحمة، يا سيدتي، في تخمين الأجرة! »، فابتسمت وهي تقول بأنّ هذا من شأن الخبراء!

ثمّ كان أنهم حين همّوا بالانصراف، تراءى لي أن أقدّم لها هذا الكتاب، فاعتذرت بلباقة عن

قبول "الهدية"، فتأكّد لي مدى نزاهتها فضلا عمّا تبدّى لي من رهافة حسّها. وكان أحد الخبراء الثلاثة، الذي يمثّلني بصفتي "مدعًى عليه"، يرنو بعينيه إلى الكتاب، فهممت بأن أناوله إياه، لولا أن سارعت السيدة القاضي النزيهة تنبّهه إلى أنه هو أيضا يمتنع عليه أخذ الكتاب.

عندئذ لم أتمالك نفسي من القول: «لو أننا درجنا على هذا منذ خمسين سنة، لكان العدل يملأ المكان، ولما قامت ثورة ولا نشب قتال أو حلّ دمار! ».

دمشق الشام: مساء الاثنين ٢٣-٩-٢٠١٣ (و ٢٠١٥)

هل أنا "حمصي"؟

تقول الصديقة "سراب زينو" (من بلغراد) صاحبة النكتة الحمصية التي أضحكت أمس الأصدقاء، إنها كانت "تتذكّرني" وهي تكتبها!

للعلم: أبي (أبو السعود) مولود بحمص، وجاء حلب مع أبيه وعمره ثماني سنوات، وأنجب تسعة عشر من البنين والبنات، يقترب عدد أفراد ذرّيته اليوم من المئة، ينتشر كثير منهم في القارات والأصقاع (جنوبًا دول الخليج، وغربًا أوربا وأمريكا، وشرقًا ماليزيا)،

ولدت في حلب بزقاق الزهراوي (وراء الجامع)، وعشت في رحابها أجمل مراحل العمر التي تتأسّس فيها الشخصية (٣٧ عاما)،

في عام ١٩٦٦ انتقلت بحكم الوظيفة إلى دمشق، وسكنت في شارع نوري باشا هذا الذي لم أنتقل منه إلى بيت آخر...

فكم هي نسبة "الحَمْصَنة" عندي؟ مدّعيًا أني أتمتّع بغير قليل من خصالهم الجميلة، أولها الذكاء وثانيها المرح!!!

دمشق الشام: فجر الأحد ٢٤-٩-٢٠١٧

الأديبة "الحلبيّة" ضياء قصبجي

الأديبة "الحلبيّة" ضياء قصبجي تحبّ كلّ شيء في حلب، البشر والحجر وخاصة "حيّ الجَلّوم" العريق الذي نشأت فيه.

مرة أشرت في محاضرة لي في المركز الثقافي بحلب إلى أنّ أبي جاء من حمص طفلاً، وشبّ في حلب وتزوج وأنجب...

فعاتبتني بعد المحاضرة بقولها: يعني ما كان ضروري تقول انو الوالد جاء من حمص!

للعزيزة ضياء، أمّ الأديبتين "لولوة" و"إيغار"، كلّ الودّ.

دمشق الشام: ليل الاثنين ٢٥-٩-٢٠١٧

كلمة في الحضارة الأندلسيّة

كان قادة الفتح الإسلامي لإسبانيا (الأندلس) عربًا وأمويّين من بلاد الشام، وكان كثير وكثير جدًا من الجند من المغرب (ولا أقول من "الأمازيغ"، فالأمازيغيّة "لغةٌ" وإن كان الناطقون بها اليوم يحاولون جعلها "قومية" ولا بأس)، وكان من القادة العظام غير العرب المغربي "طارق بن زياد" (الذي ظلمته العصبيّة العربية)، ولكنّ طارق وجنوده لم يدخلوا الأندلس على أنهم "مغاربة" بل مسلمون.

تعاونَ في بناء الحضارة الأندلسية:

- العرب وكانوا قلّة،
- والمغاربة وكانوا أكثر عددًا (ومن المؤسف أنّ تاريخنا سمّاهم "البربر" وهذا يضايقهم)،
- والأكثرية الساحقة كانوا من ذوي الأصول الإسبانية الداخلين في الإسلام طوعًا لا بحدّ السيف (كما يزعم المستشرقون الغربيون!)،

• ومن قلّة صغيرة من "الصقالبة" (الأسرى المتأسلمين) الأذكياء الفعّالين منهم...

وكلّ هؤلاء لم يُنجزوا بصفتهم منتمين إلى "قوميّات" أو إثنيّات، بل على أنهم مسلمون، ولأنّ الإسلام منذ مبتدئه عربيُّ اللغة فقد نطقوا بالعربية.

الأندلس حضارة إسلامية بامتياز، أسهم فيها العرب والمغاربة وذوو الأصول الإسبانية المتأسلمون حتى رؤوس الأنامل، وهم أكثر مَن أخذوا على عاتقهم الدفاع عن الأندلس الإسلامية، وبعد سقوط غرناطة (١٤٩٢م) عاملهم بقسوة وحشية أسقف قرطبة "سيسنيروس خيمينيس"، الذي كان يجبرهم على ترك الإسلام و"العودة إلى ديانة الأجداد"، ويقول: رحمةً بكم حتى تدخلوا الجنة!

(ردًّا على من علّق على خاطرتي هذا المساء "الموسيقى الأندلسية وتأثيرها في مختلف ألوان الموسيقى الإسبانية")

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ٢٦-٩-٢٠١٧

حديث خاص.. في الطابق السابع!

قبل أيام دعاني لوليمة غداء في بيتهما زوجان صديقان لي حميمان، كنّا - قبل خمسين عاما - نعمل تحت سقفِ وزارة واحدة، ثمّ لم يُقدّر لنا أن نجتمع منذ غادرتُ تلك الوزارة مبكّرًا ملتحقًا بغيرها، وتريّثوا هم في المغادرة حتى التقاعد... إلى أن "اكتشف" بعضُنا بعضا عبر عالم الشبكة الزرقاء، عدت أنا من مغتربي القصير، وهما ما زالا يجوبان الأقطار، من دمشق إلى تركيا والخليج وإسبانيا يزوران البنات الستّ، اللواتي تفوّقنَ في الدراسة والعلم والعمل، وظلّ بجوارهما في العاصمة ابنُهم الأوحد، المتفوّق، تزوجوا جميعا وأنجبوا حتى أصبحت أسرة الصديقين الجميلين "قبيلة"!

حرص الودودان على أن يمنحاني، في هذه الزيارة، فرصة الالتقاء باثنين من زملاء تلك المرحلة

الزمنية، صديقًا أنشأ أسرة مثلما أنشأتُ وأنشأا، وصديقة زميلة ما تزال تزور ذرّيتَها هنا وهناك.

ولم نَدَع، نحن الزملاء الخمسة القدامى الحميمون، أن يستغرقنا الحديثُ عمّا "فعل المشيب" بنا، ومِلنا إلى التذكُّر واستدعاء الذي كان، كيف كنّا في تلك الأيام نستظلّ في العمل سقفًا واحدًا، ونتذكّر الزملاء الذين مررنا بهم ومرّوا.

وحضر الطعام، "فريكة" مغشّاة باللحم و"القلوبات"، كما تشتهي القلوب، والكوسى المحشي بجواره اللبن المُتوّم، وأقراص من الكبّة الحميص، والسلطات المتنوعات والمخلّلات، تقوم ربّة البيت المضياف كلّ دقيقة، "تعزم" وتقول بالكرم العربي المعتاد: «بس هـ المغرفة، مشان خاطري! بس هـ الكوساية! ». وكان قد وافانا الابن الأوحد "خلدون" بعد أن فرغ من عمله اليومي.

ما أريد أن أصل إليه أننا بعد الغداء دخلنا في حديث الأدب، وكلّهم من محبّيه. تجاوبٌ وتناغم. وإحدانا - الزميلة "ثريّا" - تقول إني أهديت إليها عام ١٩٦٨ روايتي "ثمّ أزهر الحزن"، وتضيف أنّ أوراق الكتاب تفتّتت من كثرة القراءة!

وهل يمكن لسوريّين مجتمعين، أن يتجاوزوا - في هذا الزمن الأليم - الحديثَ عن الوطن وما ينزل به من الكوارث والمحن؟ ثمّ رأيت تعليقهم يخفّ، وبعضهم بالصمت يلوذ، حين أخذت أتحدث عمّا حوته كتبي المنشورة ورقيًا وما تُرجم منها إلى لغات، من دعم للحرية وشجب للظلم والظلام، ويتلفّتون حولهم وكأنّ للحيطان آذانا، ونحن مَن أوصلَنا إلى هنا مصعدٌ حلّق بنا حتى الطابق السابع!

أدَع هذا كلّه، وأقول إنّ خلدون، اللطيف، أصرّ على أن يُقلّني بسيارته إلى بيتي. وفي الطريق سألني ما إذا كان يَحسن به أن يكتفي - في هذا الزمن الصعب - بطفليه، سلّمهما الله، أم يُنجب أكثر؟ قلت بشدّة: «اعمل كوالديك، أنجب سبعة! ».

لحظة نزلت من سيارته، ناولني كيسا كانت أمّه أودعتْه بين يديه، هو وجبتان من... الفريكة، ومن الكُوسا الذي بات عليّ أن أُعِدّ له في الغد لبنًا متوّما!

دمشق الشام: مساء الأربعاء ٢٧-٩-٢٠١٧

إن لم تأتِ حمايةُ وطنك من جيشك، فكلّ ما عدا ذلك باطل

دمشق الشام: ليل الجمعة ٢٩-٩-٢٠١٧

قبلة.. على يد!

زارني عصر اليوم صديق تصحبه سيدة صغيرة في السنّ متحجّبة، وجلسنا في حديقة البيت... وكالعادة لم يَخلُ الحديث من إشارة إلى الوضع الراهن، ولما عرفت السيدة أني ممّن يطالبون بالحرية، قالت: «يعني كانت "الثورة" أحسن؟ شوفوا لوين وصلتْنا! »، وأشارت لداعش!

وكان عليّ أن أبيّن لها أنّ داعش ليست منّا، وأنّ مَن صنعها وجعلها في المقدمة هم غيرنا، نحن الذين قمنا نطالب بالحرية وما حملنا من سلاح إلا هتافنا: «نريد إصلاح النظام»، ويوم تجمهر المطالبون بالحرية في مدينة ما في الوطن كان عددهم يفوق عدد سكان تلك المدينة، هتفوا تحت سمع النظام وبصره بسلميّة المطالب وما قمعهم النظام برصاص أو بغيره.

وفي استطراد الحديث، دون أن ينظر أحد منّا متوجّسًا للجدران العالية التي تحيط بحديقتي، قلت إنّ نشداني الحرية في قصصي بدأ في الستينيات، من ذلك أني كتبت عام ١٩٦٨ قصة سمّيتها "الصمت والموت": طالبٌ جامعي في آخر سنوات دراسته، يُلقى القبض عليه بتهمة إلقاء قنبلة على جهة تابعة للحكومة، وتحت التعذيب "لانتزاع الاعترافات" يموت، وبعد ساعتين يتعرّفون على "الفاعل"، فيسلمون الجثمان لأبيه الشيخ معتذرين...

هذه القصة (وقد نُشرت عام ١٩٧٣ في مجلة "الآداب" اللبنانية) اختارها المستعربون في معهد

الدراسات الاستشراقية بموسكو، وترجموها إلى اللغة الروسية مع عشر قصص لكتّاب سوريين، نزلت جميعًا في كتاب حَمَل اسم قصتي (محرّفًا: "الصمت الذي لا يُقهر")، وكانت لوحة الغلاف من وحيها، أدركت يومئذ، يا سيدتي الصغيرة، أني كنت في تعبيري عن الألم أتجاوز ما يقع في بلدي إلى التعبير عن مشاعر المقهورين في العالم الثاني والثالث.

أعترف لكم، أيها الأصدقاء، أني في استرسالي قرأت في عينَي صديقي أني "أثقلتُ" على رفيقته، فنويت أن أعتذر لها عند الانصراف، لولا أني... أني رأيتها، وهي تصافحني، تنحني وتقبّل يدي! وإذن فهي ليست في مجال تقبّل اعتذار، بل في حالة احترام للرأي الآخر، وفي حالة اقتناع.

لك مودتي، أيتها الشابة، ولرفيقك الذي هو صديق حميم لابني.

دمشق الشام: ليل الجمعة ٢٩-٩-٢٠١٧

المتنبي.. شاعر متكسّب!

كان المتنبي من أكبر الشعراء المنافقين في تراثنا العربي، رفع من شأن "سيف الدولة" حاكم حلب، الذي كان مجرد "غاز" على الطريقة الجاهلية، ولم يخطر له يومًا أن يكون "فاتحًا" في بلاد الروم.

فلما اشتدّ غيظ الروم البيزنطيين منه اكتسحوا حلب ودمروها تدميرًا، خلال تسعة أيام، وقتلوا رجالها، وسبوا الصبايا والفتيان، هرب فيها السيف المثلوم... ما جعلها بلا سكان، فجلب إليها حاكمها سكان مدينة "قنّسرين" المجاورة التي خملت من يومئذ وبادت.

بطولات سيف الدولة، التي تغنّي بها المتنبي متكسّبًا، هي شيء من أكاذيب التاريخ!

ولما ساء ما بين الشاعر وسيده، توجّه إلى مصر يمتدح حاكمها أملاً في نوال كبير، فلما خاب أمله هجا كافورًا الإخشيدي وشعبَه (ما يقبض الموت نفسًا من نفوسهمُ.....)، وهرب من

مصر تحت جنح الليل.

وكان حقًا أن ينبذه عميد الأدب العربي طه حسين.

(تعليق لي الآن في إحدى الصفحات)

دمشق الشام: س ١٢: ٠٥ فجر الجمعة ٢٩-٩-٢٠١٧

اللهاث.. وراء الحياة!

عند نزولي بالقاهرة مطلع العام الدراسي ١٩٥٠-٥١، أُعطيتُ إحالة لمشفى "القصر العيني" لإجراء فحوص طبية تمهيدًا لقبولي طالبا بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة فيما بعد).

لدى فحص الصدر سمعت الطبيب يقول لي: "إنْهَجْ"، فما فعلت شيئًا لأني لم أفهم معنى الكلمة. فكررها على سمعي بشيء من حدّة، فسألته: "يعني إيه انهج؟ "، فشرح لي بأن جعل يُصدر زفيرًا ويأخذ شهيقًا، وقال: "دي بتقولوا عليها ايه في الشام؟ "، قلت: "إلْهَثْ! "، قال: "دي بالعربي الفصيح، بتقولوا إيه على انهج! "، قلت: "نقول مثلا: وصل وهو يلْهَث! ".

وأخذت أوراقي إلى الجامعة، وانتسبت إلى كلية الحقوق، ثم عدت إلى بلدي، ونزلت إلى معترك الحياة أعمل محاميًا...

ولا أزال أعارك الحياة لاهثا!

دمشق الشام: ضحى الجمعة ٢٩-٩-٢٠١٧

عن الخوف.. الذي يعتري...

ليس ادّعاءً مني قولي إني لا أخاف من النظام السياسي الذي يحكم بلدي، فأنا منذ الستينيّات أندّد، في إبداع قصصي، بما شاع فينا من قهر وفقر، وأنشر ما أكتب داخل الحدود وخارجها.

على أني لا أعجب، ولا أعتب، على الذين يتخوّفون من التواصل معي، في تسجيل مشاهدات

لهم في الشبكة الزرقاء أو في الاتصال بي شخصيا!

دمشق الشام: عصر السبت ٣٠-٩-٢٠١٧

تكلمت على المتنبي

تكلمت على المتنبي، متكسّبًا يسعى وراء المال والنفوذ، يمتدح مزوّرًا للحقائق التاريخية، يهجو شعبًا بأسره، فأنا أتكلم في الأخلاق

فتصدّى لي من يقول إنه شاعر عظيم

وتطاول ببغاء فقال: وإذا أتتك مذمتي

فأين الموضوعية في تكوين الأحكام النقدية؟

(أرجو من الأصدقاء أن يتريّثوا في إرسال تعليقاتهم)

دمشق الشام: ليل الأحد ١-١٠-٢٠١٧

دعونا نقول بعض الحقيقة

كنّا نسمع جعجعة أحمد سعيد في "صوت العرب" تُمجّد "انتصارات" سيّده، ومعها الأناشيد الحماسيّة: أمجاد يا عرب أمجاد...

وكان ذاك الشاعر ينظم، قبل ألفٍ من السنين، القصائد مدفوعةَ الأجر، في انتصارات سيّده، العائد من بلاد الروم مثقلا بغنائم من الصبايا والغلمان... إلى أن اقتحم جيش الروم حاضرته، فهرب الفارس، وقُتّل الناس طوال تسعة أيام، وسيقت الصبايا والغلمان أسرى، ودمّرت المدينة تدميرا...

دعونا نقول...

دمشق الشام: ليل الأحد ١-١٠-٢٠١٧

نحنا رجالك يا سلطه..

في قصة كتبتها صيف ١٩٨٢، صوّرت فيها رجال النظام في دولة ما، يهتفون - بعد أن انتقموا لرصاصة صدرت من جانب الجمهور بأن رشّوا الناس جزافا - ويهزجون فرحًا وعنفوانا:

نحنا رجالك يا سلطه نضرب بالنار والبلطه
واللي ما نصل ليهُم م الخوف يموتوا بالجلطه

اسم القصة "احتفال في الساحة العامة"، نُشرت في مجلة "الآداب" اللبنانية خريف ٢٠٠٥، ونزلت في كتابي "تقول الحكاية" عن دار إشبيلية بدمشق عام ٢٠٠٦.

دمشق الشام: فجر الأحد ١-١٠-٢٠١٧

«يا صاحب الحزن الجميل!»

سألني صديق قبل قليل في تعليق له على ما نشرتُ فجر اليوم بعنوان "الإبداع في الأدب... " (مقتطف من حوار لي في جريدة "أضواء" الأسبوعية الجزائرية ربيع ١٩٨٤): لماذا أنا "حليفٌ للحزن"، فيما قرأ لي في صفحتي، وصديقٌ للأسى (هكذا شاء أن يصف)، قد أوقفتُ كتاباتي على تقديس الألم وتخليد مظاهر الأسى في النفس والطبيعة؟

فأجبته:

عندما يكتب الأديب عن الحزن مستوحيًا من محيطه، فذلك لا يعني أنه يقدّس الحزن أو يعشقه، بل هو على النقيض من ذلك، يريد أن يَحضّك على التخلّص منه!

وعندما يكتب عن الظلم والظلام، فلا يعني هذا إلا أنه يستنهض همّتك لتنفيهما عن نفسك وعن المجتمع.

وأنت إن قرأت "نحن رجالك يا سلطة" (فجر اليوم)، فيقينًا لن تكون مع ما يرشَح من هذين البيتين من ازدراء للحقيقة الإنسانية، بل هما يُثيران فيك الأشواقَ للحرية فتُشهر سيفك وتناضل.

ومثل هذا ما يتغنّى به أعداء الحرية:

دَمْ... دم... دم اضــــربْ ولا تهـــتـــمّ
رصــــاص مــتــل المــطــر أشــــلاء مـــا تـــلـــتـــمّ

وحقًّا ذلك ما قد يُقال عمّا أقدّمه من نصوص سرديّة مفعمة بالحزن ومثيرة للدفاع عن الكرامة الإنسانية... حتى إنّ مسؤولًا في مجلة بالقاهرة ("سطور" مجلة المثقفين والسياسيين) كان يخاطبني، وأنا في لوس انجلوس صيف ٢٠٠٤: «يا صاحب الحزن الجميل!».

دمشق الشام: صباح الأحد ١-١٠-٢٠١٧

يا أكراد العراق

يا أكراد العراق

لا تُعوّلوا على الأجنبي

ذلك إن فعلتم

سبّب لكم وجعًا لا شفاء منه

عبر المقبل من أيام التاريخ

دمشق الشام: مساء الاثنين ٢-١٠-٢٠١٧

إلى صاحب القلب الحنون

كان، في اطمئنانه عليّ، يدخل صفحتي... فما دمت أكتب، منذ الفجر إلى منتصف الليل

وأنشر، فأنا في خير.

أمس ليلاً خرجت من "الشبكة" إلى "الوورد"، أكتب قصة للصغار عن شجرة الكرز، التي تُثمر ما يُصنَع منه مربّى وتلك الأكلةَ الحلبية الشهيرة "اللحمة بالكرز"... فلما عدت في منتصف الليل إلى الشبكة رأيتها تناوئني: الخادم غير موجود!... فذهبت إلى النوم.

سويعة الضحى أتاني صوت صديقي عبر الهاتف قلقًا: لم أقرأ لك طوال خمس عشرة ساعة!

إلى صاحب القلب الحنون أهدي أولى خواطر اليوم.

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ٣-١٠-٢٠١٧

رئيس لكردستان العراق.. من أصول عربية

ظلّ مجتمعنا السوري يُساوي بين مواطنيه من مختلف الإثنيّات والأديان والطوائف الذين يعيشون معًا... حتى إنّ رئاسة البلاد شغلها غيرَ مرة من هم من أصول كردية، وكان كرديًّا من قام بأول "انقلاب" في سورية وفي الوطن العربي...

تُرى إن قُيِّض لـ"كردستان العراق" أن تستقلّ... هل يُمكّنون عربيًّا فيها من أن يشغل منصب "الرئاسة"؟! دمشق الشام: عصر الخميس ٥-١٠-٢٠١٧

ما حدا أحسن من حدا!

قبل أيام كتبتُ:

يا أكراد العراق لا تُعوّلوا على الأجنبي

ذلك إنْ فعلتم سبّب لكم وجعًا لا شفاء منه عبر المقبل من أيام التاريخ

فعلّق أحدهم:

يا سيدي.. الكل يُعوّل.. ما حدا أحسن من حدا..

هل أقول إنه أفحمني!

دمشق الشام: فجر الخميس ٥-١٠-٢٠١٧

أكلة "مقلوبة" في حديقة البيت

زارنا ظهيرة اليوم صديقان ودودان من أصدقاء ابني فراس القادم منذ أيام من فلوريدا، وكنت قد أعددت العناصر لطبخة "المقلوبة" الدمشقيّة التي شاعت في أنحاء سورية، فرأيناهما يندبان نفسيهما ليس لمعاونتي في طبخها - وأنا فيها حديث عهد - بل ليتولّيا الأمر كلّه، فهما - كما ادّعيا - في ذا خبيران. ودخلا المطبخ يباشران العمل وابني يقدم لهما كلّ ما هنالك.

وأنا في الحديقة، أحلم بأكلة "مقلوبة" متميّزة على أيدي الطباخَين اللذين نزلا عليّ من السماء وأتأمل الخضرة والماء... دخل عليّ "الوجه الحسن" متمثّلا في شابّتين من أصدقاء الفيس، قالتا إنّ مسألة عرضت لهما في حارتي فلم تشاءا أن تمرّا من أمام بيتي دون أن تطرقا الباب، وهنا تقتضيني رواية السالفة أن أبيّن أنّ إحداهما مسلمة والأخرى مسيحيّة.

بعد قليل خرج الرجلان من المطبخ ليتنفّسا الهواء الطلق بعد عناء العمل، فكان تعارفٌ مع الصديقتين، وفي التعارف ورد ذكر ما يُعَدّ في الداخل، أكلة مقلوبة ولا أحسن، وتمّ مسك الضيفتين على الغداء.

كنت أتردّد على المطبخ، ألاحظ ما يُنجِز "البطلان" آملا في أن أكتسب من خبرتهما (فمن الأصدقاء أستفيد). رأيتهما في قلي شرائح الباذنجان على النار يسحبانها قليلة الاستواء، قالا بأنها سوف تستكمل النضج وهي في القِدر، فلما أخذا في ترتيب العناصر داخل القدر قبل الرفع على النار لم يأخذا برأيي في أن يجعلا طبقة من رزّ تليها طبقة من الباذنجان، الذي أبقياه متراكمًا في الأعلى، وصفّا فوق كلّ هذا قطع اللحم المسلوق. وتعيّن أخيرا أن تُقلب محتويات القدر

(ومن هنا جاء اسمُها "المقلوبة") على صينيّة، فعل ذلك ابني بزنديه المفتولين، فبدا لنا أنّ ما كان في القعر أصبح في الأعلى، فلم يكن متاحًا أن تُرشّ "القلوبات"[1] المحمّصة على الرز الناصع البياض، وشرائح الباذنجان وقطع اللحم مدفونة في القاع، فكنا نغوص بحثًا عنها وبالجهد نعثر على شيء منها!

واعترَف "الطبّاخان" بأنه كان عليهما وضع العناصر في أسفل القدر، وبالقلب على الصينية تظهر في الأعلى... واعتذرا بأنها "الحرب" الغاشمة أنستْهما الأصول! ولم يُشِر أيّ منّا، ونحن نتناول طعامنا تحت شجر الياسمين مستمعين لأناشيد الطيور وثرثرة البركة، إلى أنّ شرائح الباذنجان كانت أقلّ استواء، فقد شغلنا أنّا كنّا نبحث عنها في القاع.

بعد انصراف الرجلين، أقسمت الصديقتان، على القرآن وعلى الإنجيل، أنهما لم تأكلا في حياتهما أسوأ من هكذا مقلوبة!

وشرعنا، ونحن نُسرّي عن أنفسنا بالضحك، في أكل البطيخ بأنفاس الأناناس، مع الجبنة البيضاء والخبز السياحي، فقد بدَوْنا جائعين حقا.

دمشق الشام: ليل الجمعة ٦-١٠-٢٠١٧

يوم غادرت دمشق قبل أربع سنوات باتجاه الغرب، برفقة ابني وحفيدي[2].

---

(١) الجَوْز واللوز والصنوبر ونحوها.

(٢) جاء ذلك تعليقاً على منشور للدكتور أحمد عمر يقول فيه: يوم استودعني بيته ومكتبته: وقفت بجانبه هذا الصباح وهو يبوح إلى الياسمين مودّعا، نظرت إلى هذا الرجل المعطاء وقلبه يبكي ذكرياته ومكتبته وعبق ماضيه، كتب خاطرته التي بثَّ فيها لاعج الألم من حرمان، لدثم التفتَ إليَّ وقال لي سأقرؤها عليك، فأبكاني وبكى بكاء الرجال إذ التمعت عيناه من غيرما دموع، كان في ماضي أيامه القليلة يئن أنين العظماء كما المها مفارقة أمها إذ لا يريد الرحيل، أما اليوم فقد أزفت ساعة الرحيل وغادر الوطن، كلما قال لي: لا أدري يا أحمد هل سأدفن في أمريكا، أم تراني أعود! قلت له والقدر بيد الله لاشك: ستعود، ومَن للياسمين!! لا تطل المغيب فالفجر يرمقك من بعيد،

(معاد) دمشق الشام: فجر الجمعة ٦-١٠-٢٠١٧

قصّاب وقصّابة.. في هولندا!

في دراسته الجامعية في الوطن تقارب عاطفيًا مع زميلة له، وتواعدا على الزواج.

اضطرّته الأحداث للمغادرة، فاتّجه إلى تركيا لاجئا، حيث قضى فيها سنتين، عمل وتعلّم التركية.

ثمّ أتيح له أن يكون في عداد اللاجئين إلى هولندا، وهناك أقبل على تعلم لغتهم، وفي بحثه عن عمل تعرّف على صاحب سوبر ماركت تركي الأصل، أجابه بأنّ محلّه يحتاج إلى "قصّاب"، فقال: «ولكني لا أعرف هذه المهنة!» قال: «بسيطة أعلّمك!»، فغدا قصّابًا ناجحًا.

ثمّ إنه استطاع أن يستقدم الحبيبة إلى هذا البلد زوجةً، وشغّلها معه.. معاونة قصّاب!

دمشق الشام: فجر الجمعة ٦-١٠-٢٠١٧

الموازنة.. بين فاروق ونجيب وعبد الناصر

ليست الموازنة (المقارنة) بين فاروق وعبد الناصر بعادلةٍ أو واردة..

فالملك فاروق كان «يملك ولا يحكم» - على قولة الدستوريّين في كتب القانون - نعم، كان له أن يُقيل الوزارة إذا رأى ما يبرّر ذلك حسب منطقه (أقال "وزارة النحاس باشا" مساء الأول من عام ١٩٥٢ إثر حريق القاهرة الذي أشعله الشيوعيون وولّى رجلَ القصر "الهلالي باشا")، وكان "للمباحث" سمعتُها في ملاحقة المرتكبين جنائيًا. ولم يكن الملك الذي خُلع، أكثر من خليع يَجري وهو في قصره وراء النساء (المشهورات في الفنّ والطرب)، وفي عهد

ثق تمام الثقة أني سأصون ما استأمنتني عليه وسأكون موضع ثقتك إذ اخترتني أن أكون، سلام على قلبك يوم الرحيل، ويوم الوصول ويوم تعود.

الحكم الديكتاتوري انتشرت "المخابرات" تلاحق سياسيًّا كلّ من تتلفّظ شفتاه بكلمة انتقاد، وتأسّتْ في ذلك كلّ الديكتاتوريات العربية التي لحقت.

ولكن الموازنة قائمةٌ بين رئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب (خلال سنتَي حكمه) وبين عبد الناصر الذي حكم حتى المات، وما كانت تنحيته إلا لأنه طالب زملاءه أعضاء "مجلس قيادة الثورة" الطامحين بأن يُجْروا الانتخابات النزيهة الموعودة ثمّ يعودوا إلى ثكناتهم، كما كانوا قرروا قبل "الثورة" المظفّرة، فكان أن فقد رئيس الجمهورية اللواء نجيب، الطيّب، منصبه وحريتَه الشخصية، على أيدي "البكباشيّة" الطامعين بالحكم، ثمنًا لهذه المطالبة الموعودة، وقضى عمره معتقلا في بيت صغير ملحق بالعزبة المصادرة التي تعود ملكيتها إلى "زينب الوكيل" (زوجة النحاس باشا رئيس حزب الوفد)، وليلة كان يُؤْذَن له بالذهاب إلى "بيت الزوجيّة" كان الضابط "المرافق" له، عديم المروءة، يقف وراء باب الغرفة، لا ندري أحارس هو أم "متنصّت"!

ولم يكن غريبًا أن نسمع بعدئذ قول رجال الثورة بأن اللواء نجيب، رفيعَ الرتبة، ما كانش من الضباط الأحرار، هم جابوه... والطيبون يصدقون.

وسجّل، يا زمن.

دمشق الشام: ضحى الجمعة ٦-١٠-٢٠١٧

سوف أظلّ أرفع الصوت وأقول

سوف أظلّ أرفع الصوت وأقول:

ليس هناك شعب سيّئ... هناك حكومات فاسدة!

إن هذا المعتقل الأسمر هو القدوة التي يجب أن تحتذى، في العالم الثالث وفي العالم بأسره.

أحيّي روحه النبيلة[١].

دمشق الشام: فجر الاثنين ٩-١٠-٢٠١٧

حتى لا أكون "شهيد رأي"!

صديق لي يعمل في الصحافة والأدب، فسّر لي سكوتهم عني

بأنهم لا يريدون أن يجعلوا مني "شهيد رأي"... أن أظلّ أكتب فيما بقي لي من عمر وأنا ألامس التسعين...

رأيته تفسيرًا مقبولًا

دمشق الشام: ضحى الأربعاء ١١-١٠-٢٠١٧

أطروحة الحريّة.. في تجلّيات الإبداع

أودّ أن أُبيّن لأصدقائي القراء، ولا أكشف في هذا سرّا، أني أمارس "المعارضة" في تجلّياتها الإبداعية منذ ستينيّات القرن الماضي، أيها الأحبّاء.

وأول حصاد لهذه المرحلة كان قصصا جعلتها في مجموعة سمّيتها "حزن حتى الموت"، حرص المبدع (ز. ت) مسؤول النشر في ذلك الحين باتحاد الكتّاب (الذي أنا عضو مؤسّس فيه) على أن يمنع نشر مخطوطتها ضمن منشورات الاتحاد، فكان أن نُشرت في بيروت بثلاث طبعات متواليات، والطبعة الرابعة بدمشق تحت علم النظام وبصره في الدار التي أسّستها (إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع)، وكان الإصدار الخامس باللغة الفرنسية في باريس... ولم أتوقف عن هذا التوجّه الإبداعي حتى اليوم.

لكنّ قرائي المحبّين لهذا الإبداع القصصي المسيّس، أخذ عددهم في التزايد... في عصر

---

(١) ويقصد مانديلا في مشاركة لصورته

الفيس بوك... فشكرًا لمارك زكربيرغ الذي وسّع الدوائر وقرّب المسافات!

دمشق الشام: عصر الأربعاء ١١-١٠-٢٠١٧

سوريون... في العالم

حفيد لشقيقتي، "هاني بن علاء الخطيب"، يُرزق في إسطنبول بطفلته "شام"، ويسافر إلى هولندا... ويعمل على استقدام الزوجة والطفلة...

ما أصبركم، أيها السوريون!

دمشق الشام: فجر الخميس ١٢-١٠-٢٠١٧

كيف يسمح لنفسه

كيف يسمح لنفسه ذلك "الصحفي" في وهران، أن تخطّ يمناه أو يسراه، أنّ «المعارضة في سوريا قامت بأمر من أمريكا وإسرائيل»؟

فكم هو، هذا القلم، مضلَّل ومضلِّل!

وما حجم السموم التي ينفثها في قرائه الطيبين!

إنه يجلب العار والشنار لصحافة بلده ولنظام الحكم فيه.

دمشق الشام: ليل الجمعة ١٣-١٠-٢٠١٧

هل نشكر الدولة

هل نشكر الدولة لأنها كفّت عن قطع الكهرباء عنّا؟

أم نعتب عليها لأنها كانت تقطعها؟

دمشق الشام: ظهيرة الجمعة ١٣-١٠-٢٠١٧

يا لبؤس صحافة وهران به!

مساكين.. الذين يحملونه على الأعناق!

أقرأ، في هذا الفجر الوليد، ما كان كتبه عندي قبل عام، تعليقًا على حديثي عن حبّ الجزائريين لبلاد الشام، رجلٌ هناك... من أنّ «المعارضة في سوريا قامت بأمر من أمريكا وإسرائيل»، فعرّفني هذا الفهيم، أنا السوري الذي يطالب بحريته في التعبير، والنشر، والعيش في وطن آمن، بأني مسيّرٌ ممّا ذكر!

والأعجب أنّ صاحب هذا الرأي يعمل في الصحافة هناك (في مدينة وهران)، وتدلّ بعض عباراته، ممّا سبق له عندي، على أنه من "الزعماء المحليّين"!

فيا لبؤس صحافة وهران الجميلة بهذا الكاتب!

ويا لهم من مساكين، أولئك الذين يحملونه على الأعناق ويهتفون بحياته الشئيمة!

دمشق الشام: فجر الجمعة ١٣-١٠-٢٠١٧

الذين يرون في مطالبتنا بالحرية لَغْوًا

الذين يرون في مطالبتنا بالحرية لَغْوًا وتآمرا

هم الذين سَطَوا على حقنا في العيش الكريم

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ١٧-١٠-٢٠١٧

الكَنّة الجديدة

في الأمسيّات الجميلة... كانت الأسرة تتجمّع في "الليوان" المطلّ على أرض الحوش، متحلّقين حول السُّفْرة، مَدَّة مفروشة على أرض البلاط، وهم على الطراريح جالسون، الأبناء وزوجاتهم والأولاد، والحماة "سيّدة الدار"، يتناولون طعام الغداء، تداعبهم أنسام الصيف

العليلة.

اعتاد الجدّ أن يقول:

ـ الطبخة ناقصها ملح، ناقصها حَمْض... الكوسى ليش عم يقرط؟

والكنائن يستمعنَ ويشعرنَ بالامتعاض، وكذلك الحماة.

مرةً تجرّأت إحداهنّ، فاتّجهت إلى سيّد الدار تسأله:

ـ عمّي! مو انت حَجّي؟

أدرك الرجل أنّ ما وراء السؤال شيئا يقال، والكنّة الصغيرة تابعت:

ـ ليش كلّ مرة بتْطالع عيبْ بالأكل!

فأغضى...

والكنائن قلنَ بعدئذ: لأنها كانت الكَنّةَ الأحدثَ دخولًا إلى بيت الأسرة.

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ١٧-١٠-٢٠١٧

بتُّ عاجزًا عن الكتابة بالقلم

بتُّ عاجزًا عن الكتابة بالقلم، وإذا كتبت بالخط الكبير صعُبت عليّ قراءته

أحضر لي ابني شاشة للكمبيوتر كبيرة

منذ عام وأنا أروّض ذهني على أن أكتب نصوصي في "الوورد" مباشرة

ويبدو أني وُفّقت... إلى حين

دمشق الشام: عصر الجمعة ٢٠-١٠-٢٠١٧

يا أحفاد صلاح الدين.. لا تعوّلوا على الأجنبي!

لو أنّ الغرب كان يريد لكم خيرا لأنشأ دولة تخصّكم عبر ما رسمه السفيران سايكس وبيكو بالمسطرة من دول في المنطقة عام ١٩١٥، ولكنه أرادكم أن تكونوا دون دولة جُرحًا في الخاصرة ينزف قلاقلَ كلّما عنّ له.

وهو اليوم يريدكم أن تؤسّسوا دولة تضمّون إليها ما هو ملتبَس من الأرياف والمدن، وتُجيّشوا الجيوش للدخول في حروب مع جيرانكم يُفني فيها بعضُكم بعضًا!

دمشق الشام: ليل الجمعة ٢٠-١٠-٢٠١٧

وفي نزوحه يخسر وطنَين

وفي نزوحه يخسر وطنَين:

البيتَ الذي يُؤويه

والوطن الذي يَحميه

دمشق الشام: ليل السبت ٢١-١٠-٢٠١٧

رَجُل مُسِّحتْ به الأرض، حقيقةً لا مجازًا!

أذكر ما حدّثني به أحدُ العارفين في الأمور العامة، من أنّ "رئيس هيئة أركان الإذاعة والتلفزيون" عندنا بُعيد ثورة آذار (نسجًا على منوال ما استحدثته ثورة يوليو هناك)، وهو "النقيب سليم حاطوم"، كان رحمه الله يتبنّى مطربة يرعاها.

مرة جاءت هذه المطربة الشابة إلى الإذاعة لتسجّل أغنية بصوتها الحيوي، ولكن كان يشغل الاستوديو في تلك الساعة مطرب يسجل أغنية له، فأمر رئيس أركان الإذاعة بأن يَخرج المطرب وتدخل المطربة. لم يستجب المطرب لأنّ الاستوديو محجوز له.

فما كان من رئيس الأركان إلا أن أمر بإحضار المطرب إليه فورًا، ثمّ أوعز لرجاله بأن يُلقوه أرضًا على ظهره ويَجرّوه جيئة وذهابًا عدة مرات، وبعدئذ قال له: الآن اذهب وغنِّ!

تقول الحكاية: إنّ المطرب، أقلع منذ تلك الساعة عن الغناء وغاب عن الوسط الفني. ولم يقل أحد إنّ فنّ الطرب ازدهر في ظلّ رئيس الأركان ذاك.

دمشق الشام: عصر الأحد ٢٢-١٠-٢٠١٧

أفراد الجيش السوري في مطلع الاستقلال

كان أفراد الجيش السوري في مطلع الاستقلال، مغرمين بصوت المطربة الطالعة حديثًا "نجاح سلام" الأنثوي الرقيق

بعد آذار ٦٣ مالوا إلى "دلال شمالي"، التي غنّت:

من قاسيون أُطلّ يا وطني

فأرى دمشق تُعانق الشُّهُبا

دمشق الشام: ضحى الأحد ٢٢-١٠-٢٠١٧

كلّهم.. أمازيغ!

لما نشرت، قبل أيام، خاطرة وقفت فيها موقف الناصح - ظننتُ - لأحبّائنا الأكراد، تبيّن لي أنّ غير قليل من أصدقائي في الشبكة هم أكراد سوريون، وأهلاً وسهلاً، ليس فقط من أرض الشمال لكنّ منهم دماشقة أصلاء، وما كان ليخطر على بالي أن يظهر فيهم التوجّه الكردي إلى هذا الحدّ الذي بدا.

ذكّرني هذا بما وقع لي، في ربيع ٢٠٠٩، وأنا أشارك في مؤتمر ثقافي تاريخي في المملكة المغربية في بلاد الريف موطن البطل "محمد بن عبد الكريم الخطابي" (وليس اسمه عبد الكريم

الخطابي كما يشيع في مصنفاتنا التاريخية)، حيث يتعايش من قديم الزمان العرب والأمازيغ منضمًّا إليهم النازحون من الأندلس في أعقاب سقوط غرناطة ١٤٩٢م، فشكّل الجميع فسيفساء بديعة صمدت على مرّ الزمن...

أني وأنا في البولمان[١]، مرة، نتنقل ما بين مدينة "الحُسَيمة" وبلدة "امزورن" حيث المؤتمر، أن اتفق أن كانت جلستي بجوار مدرّس للأدب العربي رأيته في سنّ التقاعد، عرفت منه أنه تلقى تحصيله في إحدى الجامعات المصرية في خمسينيات القرن الماضي. في الحديث بيننا تبيّنت أنه "أمازيغيّ" النزعة، وقد خطر لي أن أسأله عن نسبة العرب إلى ذوي الأصول الأمازيغية في بلاد المغرب، فكانت إجابته: «وهل هنا عرب؟ كلّهم أمازيغ!»!!

دمشق الشام: ظهيرة الاثنين ٢٣-١٠-٢٠١٧

بعثيون ملتبَسون.. يُضائلون من نزعتي القومية!

ممّا يُلاحظ أنّ النظام حرص على أن يستألف أفرادًا من الأقليات الطائفية والدينية والعرقية، مغدقًا على المستجيبين المنحَ والعطايا والنفوذ العريض.

ما وقع لي في هذا الصدد، عام ١٩٧٠ وما حوله، أني التقيت في مجال عملي الوظيفي في وزارة الشؤون الاجتماعية، أفرادًا كانوا يُلوّحون في وجهي براية "القومية العربية"، أولهم كان من أكراد عفرين (... حسّاني، على ما أذكر)، والثاني من أكراد دمشق الأصلاء (عرفان...)، واكتشفت أنّ الثالث من أبناء مدينة "ديريك" في أقصى شمال شرق سورية وكان في نُطقِه العربيةَ لكنة... كانوا بعثيّين عروبيّين بامتياز، يُزاودون عليّ في القومية العربية، مع أنّ بعض أبناء أسرتي

---

(١) حافلة السفر.

الكبيرة في حمص ما زالوا يتباهون بأننا من سلاسة سيدنا "الحسن بن علي بن أبي طالب" عليهما السلام!

دمشق الشام: ليل الاثنين ٢٣-١٠-٢٠١٧

هل من يقول إن سكان بلاد الشام سريان كلّهم؟

إذا كان قول المدرّس المغربي صحيحا - في نظر بعضهم - من أن كل سكان المغرب أمازيغ... فإنه - تأسيسًا على ذلك - يكون صحيحًا أيضًا قول مواطن سوري من أصول سريانية إن كل سكان بلاد الشام سريان.

نعم، نحن الشاميون كثير منّا من "أصول" سريانية (مستثنيًا العرب القادمين وموجات الأكراد والأتراك والشركس...)، ولكننا تحوّلنا، بعد "الفتح" الذي جعله القدر إسلاميًّا، فأصبحنا عربًا ومسلمين، وقد ظلت شريحة كبرى من السكان الأصليين سريانًا، ارتاحت في ظل الدولة الإسلامية حينا وعانت حينًا آخر!

وهكذا هي التحوّلات التي طرأت على العالم في الزمن القديم.

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٢٤-١٠-٢٠١٧

سيرين تكتب "بحثاً"!

قصة للصغار والكبار

- - - - - - - - - -

في ذلك اليوم، قالت المعلّمةُ لتلاميذ الصفّ:

- هذه المرّة ستكتبون عن "النباتات"، يختارُ كلُّ واحدٍ منكم نوعًا من النبات يُحبّه، زهرًا، فاكهةً، بَقْلَةً، ويكتب عنها.

قالت سَمَر:

- أنا أكتب عن وردة دمشق، الوردة الجوريّة.

قالت قَمَر:

- أكتب عن التفاح، التفاح الذهبيّ اللون، الذي أحبّ أن آكله بقشره!

قالت نانسي، القادمةُ من أمريكا:

- أنا أكتب عن البطيخ الأحمر، الجَبَس، الذي نأكله في لوس أنجلوس خاليًا من البذور!

قال نبيل:

- أكتب عن السبانخ، الذي يُوفِّر القوةَ لجسم الإنسان.

قال جميل، الذي يحبّ المُزاح:

- وأنا... أنا أكتب عن "الملوخية"!

وأطلق ضحكةً، فتبعه الأولادُ ضاحكين.

احتارت "سيرين" عن أيّ النباتات تكتب، ثمَّ تذكرت أنها كثيرًا ما سمعت جدَّها يتحدّث عن "الباذنجان"، الذي يُسمّيه «البَقْلَة الأكثر شعبيّةً بين البُقُول»، فالناس يحبّونها ويطبخون منها أنواعًا من المآكل الشهيّة.

رفعت صوتها قائلةً:

- أنا أكتب عن الباذنجان!

علّق جميل، المَزَّاح:

- الباذنجان! جَبَرْتِ خاطرَه، الله يجبِر خاطركِ!

قالت المعلمة:

- اكتبي، يا سيرين، عن الباذنجان، وأنت، يا جميل، تكتب عن الملوخيّة.

وصدرت همهماتٌ من بعض التلاميذ:

- همْ همْ... الباذنجان، يُعَدّ منه فَطُور الصباح... "المكدوس"!

عند المساء، ذهبت سيرين إلى جدّها.

أظهر الجدُّ سرورًا كبيرًا لأنّ حفيدته الحبيبة اختارت الباذنجان موضوعًا لـ"بحثها"، وهو الذي كان كتب عنه بحثًا قدّمه في أحد المؤتمرات العلمية، ثمَّ قام إلى مكتبته، التي تُغطّي جدران الغرفة، وفتح دُرْجًا، وهو يقول:

- هنا أَودعتُ بحثَ الباذنجان!

وتناول أوراقًا، نشرها على الطاولة، وأخذ يُحدِّث حفيدته، وهي تكتب:

اعتنى أجدادُنا العرب، يا سيرين، بزراعة الباذنجان، وذلك بأن تُرَقّد بُزُورُه في مساكب صغيرة، ثم تُنْقَل الشُّتول وتُزرع في الأرض في شهر أيّار (مايو)، وتُثمِر في الصيف، وتظلّ نبتتُه تُعطي الثمار حتى فصل الخريف.

تُطبَخ من الباذنجان المآكلُ الشهيّة: منها أن تُقَوِّر ربّةُ البيت الباذنجانةَ بالمِقْوَرة، فتُخرج لبَّها، ثمَّ تحشوها بالرزّ واللحم؛ وبدون اللحم يُطبَخ الباذنجان بالزيت، ويُسمّى عندئذٍ «يالانجي»، والكلمة تركيّة معناها المحشي "الكاذب"، لأنه دون لحم! وفي بلاد الشام ينتشر صنعُ "المكدوس"، باذنجان يُحشى بالجوز والثوم ويُغْمَرُ بالزيت.

ويَدخُل الباذنجان في أكلة "المقلوبة" الدمشقيّة، رزّ يُغطَّى بشرائح الباذنجان واللحم، واختصّ أهل حلب بأن يصنعوا من صغاره مربّى يُحشى بالجوز ويُغْمَر بالقَطْر (السُّكّر المعقود بالماء على النار)، وتُرشّ عليه القُرفة، ويُقدَّم للضيوف يأكلونه بالشوكة.

بعد ذلك سألت سيرين جدَّها عمّا في الباذنجان من "فيتامينات" تنفع الجسم، فأجاب:

- جميل منك، يا سيرين، أن تسألي هذا السؤال، وأنت في الصفّ الخامس الابتدائي، في الباذنجان نوعان منها: كثيرٌ من «فيتامين C» وشيءٌ من «فيتامين B».

في اليوم التالي، أخذ كلُّ تلميذ يقرأ بحثه على مسمع من المعلمة: سمر وقمر ونانسي... والتلاميذ يُصغون، ثمَّ يرسلون تعليقاتهم اللطيفة.

ونبيل قرأ ما كتب عن السبانخ، وأما جميل فلم يقرأ بحثه عن الملوخيَّة... لأنه لم يكتب بحثًا! قال إنه لا يحبّ الملوّخية، وإنه كان يمزح، فزجرتْه المعلمةُ قائلةً:

- لا مُزاح في الدراسة، تكتب غدًا عن الملوخيّة، وإنْ كنتَ لا تحبّها!

بعد أن قرأت سيرين بحثها عن الباذنجان رأت زملاءَها يتلمّظون، وهم يهمسون:

- أنتِ، أَثَرتِ شَهِيَّتَنا، يا سيرين، نحن أيضًا نحبّ المكدوس واليالانجي.

لـمَّا نقلت سيرين هذا التعليق إلى جدّها، ضحك وقال:

- كان ينقصك أن تأخذي معك "مَرْطَبان" مكدوس! اسألي المديرة غداً إنْ كانت تَقْبل كميةً من المكدوس واليالانجي تحملينها إلى رفاق الصفّ!

وضحكت سيرين كثيرًا.

ثمّ أخذت تتخيّل نفسها وهي تحمل المكدوس إلى المدرسة، وعندئذٍ يسألها رفاقُها:

- وكيف نأكله دون خبز؟

وترتفع قهقهاتُهم، فتسألهم المعلمة التي دخلت الصفّ للتوّ:

- ماذا يضحككم، يا أولاد؟ أَضحِكوني معكم.

فيقولون:

- المكدوس! إنه المكدوس، يا آنسة!

فتَحْزر المعلمة، تقول:

- همْ همْ! الذي جاءت به سيرين، صاحبة بحث "الباذنجان" أَطعموني لقمة!

قالوا:

- ولكنها لم تأتِ لنا بخبز، يا آنسة!

قالت المعلمة:

- بسيطةَ، نبعث حارس المدرسة إلى البقّال يشتري لنا "ربطة"!

فيَعُمّ الضحكُ تلاميذَ الصفّ.

ثمَّ تبدأ حصةٌ جديدة.

نُشرت في مجلة "قوس قزح" للأطفال، عدد أيلول/ سبتمبر ٢٠١٧]

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٢٤-١٠-٢٠١٧

عمّي المصري.. و"الكبّة" الشاميّة!

كان جدّي "الحاج سليم المفتي السباعي"، القاطن حلب قادما إليها من حمص عام ١٩١٥، في تردّده تاجرا ما بين "برّ الشام وبرّ مصر" - كما كنت أسمعه يقول وأنا طفل صغير - قد تزوج من امرأة مصرية في عام ١٩٢٧ (أو نحو ذلك)، وأنجب منها بنين وبناتًا وكتم ذلك عن أبنائه "الكبار" في حلب، وما أعلن عنه إلا بعد أن أمسى عنده هناك خمسة من البنين والبنات.

الذي كان أنّ جدّي أحبّ في زيارة لمصر كانت هي آخر ما قام به، أن يصطحب أكبر أبنائه

"محمود" إلى حلب وله من العمر خمسة عشر عامًا. وإذا كان "عمّي المصري" محمود، الذي يكبرني بعامين، لم يشعر بالغربة وهو في حلب، ولم يحلف يوما "بغربته" - كما سمعت فيما بعد أنّ "عمّال التراحيل" في مصر إن حلف أحدهم قال: "بغربتي! " (ذلك قبل أن يضطرهم التكاثر الديمغرافي إلى الاغتراب في كل مكان)...

أقول: لقد أقبل العم محمود على تناول كلّ المآكل الشامية، الحلبيّة، إلا الكبّة بكلّ أنواعها، فهو لم يستسغ طعم البرغل ابتداء، وكان هذا يستفزّ أباه، الذي نراه يرغم ابنه المراهق على أكل أقراص الكبّة المشوية، بأن يحاول أن يدسّ اللقمة في فمه دسّا، والولد يتلوّى اشمئزازًا، ونحن نغتاظ منه ونشفق عليه... ولكنه استساغها وأغرم بها بعد رحيل أبيه صيف ١٩٤٥.

غاب عنّا عمي الصغير محمود مقيمًا بمصر، عمل وتزوج وأنجب، وبعد إعلان الوحدة بين القطرين كانت أولى زياراته إلى وطن أبيه وجدوده. وأذكر أني في دعوته إلى بيتي على الغداء التمس مني ألا يكون على المائدة إلا الكبّة أنواعا.

وللفكاهة أقول إنه من شوقه للكبّة (وفي مصر ينطقونها "كُبيبة)، كان يأكلها بنهم زائد حتى رأيته لحظةً يغصّ بما في فمه منها فأشرت عليه أن يصحبها بأخذ شيء من السلطة أو من اللبن... وكانت "نكتة" دأب على أن يرويها مضيفًا إليها من عندياته... «ابن أخويا مش عايزني آكل كتير من الكبيبة، بقوللي كول سلطة كول لبن! ».

عمي محمود، وعمي عدنان (الذي يصغرني بخمس سنوات)، والعمّات مهديّة ونوال وجمال، يقيمون بالقاهرة، عملوا وتزوجوا ولكل منهم بنون وبنات، موظفون في الدولة أو يمارسون الأعمال الحرة. ولم يكن عسيرا عليهم أن "يتجنّسوا" سوريًّا، بمجرد أن يبرزوا من الوثائق ما يُثبت أنهم أبناء "سليم السباعي"، وأعلم أنهم كانوا يفتخرون بحيازة هذه الجنسية الثانية، ولست أدري ما إذا كانوا يتمتعون بهذا الإحساس اليوم بعد الذي يقع في بلاد أجدادهم

من حوادث وأحداث.

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٥-١٠-٢٠١٧

ما مِن سارق غريب يدخل حيّنا

سالفة من شيخ الصحافة السورية عبد الغني العطري

صديقي "عبد الغني العطري" (١٩١٩-٢٠٠٣)، شيخ الصحافة السورية في أيامها الزاهرة، كان يسكن البناية الثالثة إلى يميني في شارع نوري باشا، وفي الخلف منّا دائرة أمنية مشهورة، وكان له في مصيف الزبداني بيت يمضي إليه في بعض أيام الصيف، وكنّا كثيرا ما نلتقي، في عقد الثمانينيّات، في مقرّ مجلة "الثقافة" عند الشاعر مدحة عكاش، نتحلق - نحن بعض المعنيّين بالثقافة - حول بِركة صغيرة في صحن الدار (في شارع الأرجنتين، حيث أُقيمَ فيما بعد على تلك المساحات فندق "الفصول الأربعة")، ونتبادل الأحاديث في الأدب وشؤون الحياة.

حدثنا يومًا أنه استقلّ سيارته وذهب إلى الزبداني على مألوف عادته. فلما عاد بعد غياب أيام وجد أنّ البيت مقتحَم، ممّن بعثروا الأثاث ونبشوا الخزائن حتى عثروا على مبلغ من المال، احتازوه وتركوا البيت مبعثرا وخرجوا.

ذهب العطري إلى قسم الشرطة يسجّل شكوى. فسأله رئيس القسم:

ـ بمن تشكّ في أنه الفاعل؟

أجاب شيخ الصحافة:

ـ والله ما أشكّ إلا في أفراد الحرس الذين يقفون تحت البيت عند التقاطع، فليس يجرؤ سارق غريب على الدخول إلى حيّنا الذي يسكنه كثيرٌ من المسؤولين.

اشتغل العطري في آخر أيامه بإصدار سلسلة من الكتب المتميّزة عن الشام وأهلها، حتى بلغ به الأمر أن سعى لتأليف كتاب عن بخلاء الشام، وقد سألني مساء يوم وقد تلاقينا في الحارة عن سوالف أعرفها عن بخلاء دماشقة... فوعدته وما وفيت.

رحم الله عبد الغني العطري، الذي ملأ الأسماع بتغريدٍ ظلّ يرسله على صفحات مجلته "الدنيا" منذ العام ١٩٤٥... إلى أن أغلقتها ثورة الثامن من آذار.

دمشق الشام: صباح الخميس ٢٦-١٠-٢٠١٧

لن أدعك تنتظرينني طويلًا، يا أختاه!

شقيقتي... بعد الآلام الجراحية التي كانت تغيب فيها وتصحو، طلبت في آخر صحواتها جرعة ماء، ثمّ أغمضت عينيها الجميلتين إلى الأبد.

شقيقتي "مَلَك"، التي تصغَرني بسنتين، هي الصديقةُ أرتاح للمبيت عندها في زياراتي لحلب، أبوح لها، نستذكر أيام الطفولة البعيدة، وما كان من تغريد جارتنا الصبية تغنّي لها: «انتي مَلَكْ ولّا مَلاَك؟ »، وفي الكِبَر صرنا نتساءل: مَن منّا يموت قبل الآخر؟ ولا يزيدنا هذا السؤالُ إلا مرحا.

أختي الحبيبة ملك سبقتْني صباح اليوم إلى جنان النعيم، يمنعني من الذهاب لوداعها مشقّةُ السفر وضعفٌ في البنية.

لن أدعك تنتظرينني طويلاً، يا أختاه!

دمشق الشام: ضحى الجمعة ٢٧-١٠-٢٠١٧

المهندس فهد عتر

المهندس فهد عتر،

المغترب في بلاد السويد القطبيّة منذ أربعين عامًا، المحبّ للكتب وللنبات،

حمل يومًا من حلب شتلة ياسمين،

في أصيص زرعها وفي داخل بيته رعاها،

فأزهرت في خمس بَتَلاتٍ وستّ...

يا رعاه الله!

دمشق الشام: ظهيرة السبت ٢٨-١٠-٢٠١٧

لمن أشكو بعد اليوم أحزاني!

كان الشاعران المتعاصران، أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، يتبادلان التمنّي بأن يموت كلٌّ منهما قبل الآخر، وقد سبق شوقي إلى جنان النعيم فرثاه حافظ، الذي لم يَطُل مقامُه في الدنيا فلحق بصديقه في العام نفسه (١٩٣٢).

كنّا أنا وأختي نتبادل الأمنية ذاتها، إلى أن سبقتْني أمسِ قبل أن تبزغ شمسُ النهار.

لم تعد هناك أختي "مَلَك" أبثّها أحزاني وأفراحي، وعلى الهاتف أسألها فأحسّها تَسْعد بسماع صوت أخيها يصل إليها من مسافة.

لم يعد لك، يا أُخيّتي، أن تسمعيني، وليلةَ أمس كان المعزّون يملؤون بيتك الحنون، ذاك الذي تكسّر زجاجُه من القصف مرتين وأنت تُقسمين على ألا تغادريه؟

لمن أشكو، بعد اليوم، أحزاني وأشجاني، في زمن صَعُبت أيامُه ولياليه!

دمشق الشام: ضحى السبت ٢٨-١٠-٢٠١٧

يا للمصادفة العجيبة!

يوم هجمت الأنظمة الطليعيّة على المؤسسات المزدهرة فأمّمتها، هاجر أصحابُها طَوعًا،

وافتتحوا في ديار العرب المصانع والمزارع، وأفلحوا فلاحًا عظيما

اليوم يُهجَّر الناس قَسْرًا، فيُفلحون في ديار الغرب...

هل ذلك يأتي باتفاق؟

أم هو محض مصادفة عجيبة!

دمشق الشام: فجر السبت ٢٨-١٠-٢٠١٧

كم تحمّلت من تعسّفهم!

بعد مضيّ خمس وأربعين سنة ما زلت أتساءل:

لماذا وقف مسؤول النشر في اتحاد الكتاب بدمشق، ضدّ نشر مخطوطة كتابي "حزن حتى الموت" ضمن المنشورات التي بدأ الاتحاد بإصدارها عند تأسيسه عام ١٩٦٩، وكنت قدّمتها لهذا "المسؤول" باسم الصداقة يدًا بيد... ولبثت أنتظر سنة كاملة ليقول لي إنّ المخطوطة "ضاعت"!

قدّمتُ نسخة ثانية سُجّلتها في ديوان الأوراق رسميّا، عُرضت على اثنين من المحكَّمين (سعد الله ونوس وبديع حقي) فأجازا نشرها، وبعد نحو عامين يُبلغني مسؤول النشر (عبقريُّ القصة السورية) أنّ المكتب التنفيذي وافق على نشر ثلاث قصص منها فقط مستبعدًا سائرها، لعلّة التشابُه في الموضوع... فقلت له: يا رجل، إنّ ميزة هذه المجموعة أنها تطرح قضية الحرية في خمس عشرة قصة كلّ منها في صورة مختلفة، فالكتاب أشبهُ بفصول رواية تحكي قصة الحريّة!

بعدئذ نُشر الكتاب في بيروت بثلاث طبعات متواليات (١٩٧٥، ١٩٨٠، ١٩٨٣)، والرابعة عام ٢٠٠٢ في الدار التي أنشأتُها بدمشق حلاً لمشكلتي النشريّة (إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع)، وفي العام نفسه صدر الكتاب بالفرنسية عن دار alteredit بباريس، تحت

اسم D une tristesse a en mourir مترجمًا من قِبل الكاتبة المغربيّة ناديا رمزي.

يا إلهي... كم تحمّلت!

دمشق الشام: فجر السبت ٢٨-١٠-٢٠١٧

إنّ مَن لا يكون في بيته خزانةٌ للكتب

إنّ مَن لا يكون في بيته خزانةٌ للكتب

لن يكون معنيًّا بإدخال كتاب إلى البيت

فليس للكتاب مكان، لا في البيت ولا في الخاطر

دمشق الشام: فجر الأحد ٢٩-١٠-٢٠١٧

أصدقائي الكرام

أرجو التلطف بالامتناع عن "تهنئتي" بيوم مولدي، ولكم مني جزيل الشكر والامتنان.

س ٨: ٣٠ م الاثنين ٣٠-١٠-٢٠١٧

ماذا فعلتَ بوطن الأُمويّين الذين فتحوا العالم، أيها النظام!

دمشق الشام: مساء الثلاثاء ٣١-١٠-٢٠١٧

خواطر.. في زنزانة باردة

ليس في المكان كرسيّ أو مقعد، فأنت قاعد متربّع إن كان جسدك قادرًا على الاستقامة، وإلا استندت إلى الحائط تأخذ منه نصيبك من رطوبة الشتاء

في أيامك طليقًا، كنت تفكر، في الصباح أو في الليل الذي سبق، ما تريد في الغداة إنجازَه... الآن لا إنجاز، ولا تفكير إلا في الحال التي ساقك إليها من استطاعوا أن يغتصبوا

حريتك

تتساءل: أنا اعتقلت لأني صرّحت برأي يخالف النظام، فألقى بي النظام هنا، متمتّعًا هو بكامل "حريته" في القول وفي الفعل

وتقول: سهرت الليالي واكتسبت تجارب، الآن كلّ شيء موقوف ومعطّل

وتصرخ أعماقُك في قهر: مَن هم هؤلاء الذين يستبدّون بيومي ومصيري؟ من نصّبهم عليّ ليحجبوا عني الحياة!

يوم أُطلقتُ، أيها الأصدقاء، اكتشفتُ أني أوشك أن أنسى فضيلة المشي، وجدتني أترنّح وأنا أجرجر خطواتي مبتعدًا عن مكان الزنزانة، وكان عليّ أن أتماسك حتى لا يلحظ هذا فيّ سائقُ التكسي فيمتنع عن توصيلي إلى بيتي... ويا للخوف الذي اعتراه عندما سألته أن يتناول مفتاح بيتي المطلّ على الرصيف فأدلف إليه دون أن يلمحني الجيران متلبّسًا بالخروج من الأسر، بلحية نابتة وشعر لصيق بالرأس...

لماذا يُمارَس علينا هذا القهر في الوطن الذي نريد أن نبنيه؟

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ٣١-١٠-٢٠١٧

الذي يقهر العباد

بالأمس كانت تنام في سرير وثير،

اليوم تتوسّد الثرى

كانت تطلب كأس الماء فتُلبّى،

اليوم لا ماء ولا غذاء

كانت تقول: أغلقوا الباب يأتيني منه برد،

اليوم باردُ المكان ومحكمُ الإغلاق

اليوم الدِّثار هو الأبيض الناصع البياض

إنه الموت... الذي يقهر العباد! دمشق الشام: فجر الأربعاء ١-١١-٢٠١٧

إنّ أهمّ ما أنجزته "الثورة السورية"

إنّ أهمّ ما أنجزته "الثورة السورية"

أنها جرّدت العالم من أقنعته المزيّفة

دمشق الشام: فجر الخميس ٢-١١-٢٠١٧

«عندما يُضطهَد المواطن في وطنه الحبيب

«عندما يُضطهَد المواطن في وطنه الحبيب

يكفّ الوطن عن أن يكون حبيبًا

يصبح بلدًا من البلدان ليس إلّا»

افتتاحية كتابي «آه، يا وطني! »

دار إشبيلية، دمشق ١٩٩٦

- - - - - - - - - -

دمشق الشام: عصر الخميس ٢-١١-٢٠١٧

يوم الثلاثاء ٣١-١٠-٢٠١٧

دخلت بصمت العام الـ٨٩...

أرجوكم دعوني بحالي

م الخميس ٢-١١

الطريق إلى بيت الصديق

قصة للأطفال

في ذلك المساء، كانت الأسرة مجتمعةً في بيت الجَدّ: الأولاد يلعبون، والكبار يتسامرون، وبين اللعب والسَّمَر تلقّطت أُذُنا الجدّ كلمةً جرت على لسان سامر في أثناء حديثه إلى أختَيه، استرعت انتباهَه.... فسأل حفيدَه:

- قلت، يا سامر، لك صديق اسمه «معمار»؟

ردّ سامر، ضاغطًا على الكلمة:

- قلت "عمّار معمار"... لا أُحبّه!

- ولماذا لا تُحبّ صديقك عمّار، يا سامر؟

- لأنه... لأنه زَحَمَني اليوم عند الانصراف، وأراد أن يأخذ مكاني في الحافلة... شَكَوْتُهُ إلى الآنسة!

- وماذا قالت له الآنسة؟

- على مهلك، يا عمّار... خذْ دورك... لا تَزْحَم سامر، يا عمّار!

علَّق الجدّ:

- الحقّ معك، أنت تحبّ النظام، والعدالة، مثل أختك سارة!

وابتسم الكبار الثلاثة.

عادت الذاكرةُ بالجَدّ سنين إلى الوراء، كان مِن بين أصدقائه، في مرحلة الدراسة الإعدادية، صديقٌ من "آل معمار" اسمه "عُمَر"، وتساءل عمّا إذا كان هناك قرابةٌ بين "عمر معمار" الأب،

وغالبًا الجدّ، وبين "عمّار معمار" الذي جرى اسمُه على لسان حفيده سامر؟ ثمّ أخذوا يتجاذبون الحديث عمّا تتضمّنه الأسماءُ من المعاني:

ـ فإنّ كلمة "مِعْمَار" تعني المهندسَ الذي يُمارس مهنة العِمَارة، ولعلّ الجدّ "عمر"، أو ابنَه، اشتقّا من اسم الجدّ اسمًا للحفيد، فجاء هذا التشابهُ والجِنَاس في الحروف! أسرةٌ تبدو لي مغرمةً بالعِمارة والعُمران.

استرسلت الكَنّةُ، التي زادتْها عنايتُها بتربية أولادها، اهتمامًا بالثقافة:

ـ فماذا تقول، يا عمّي، فيمن يُسمي ابنَه "مِهْيَار"؟

وتبسّمت.

قال الجدّ:

ـ حقًّا، إنّ في الأسماء أحيانًا ما يُستغرَب أو يُدهِش: إنّ في جَذْر هذه الكلمة "هـ ور" من المعاني ما يدلّ على الهَدْم والانهيار، و"تَهَوَّر الرجلُ": تصرَف بغير مبالاة! وقد كان الأجدادُ قديمًا يُسمّون الجارية الفائقة الحُسن: "قبيحة"، اتّقاءً للحسد!

لم يكن هذا الحديثُ يعني سامر من قريب أو بعيد! ولكنه لاحظ أنّ جدّه قام يسأل "الاستعلامات" عن رقم هاتف مَنْ اسمُه "عمر معمار".. ثمّ سمعه يقول:

ـ أظنّ أنّ اسم أبيه "علي"، فقد كان يحلو له أن نُناديه بـ "أبي علي"!

ثمّ رآه يكتب بيده شيئا، ويُعاود الاتّصال الهاتفيّ، رافعًا من صوته هذه المرة، في ابتهاج:

ـ أهلاً، أبا علي! كيف الصحة؟ كيف الحال؟ فنحن نسكن ضاحيةً واحدة ولا نعلم! أسألك، أيها الصديق القديم: هل بين أحفادك مَن اسمه "عمّار معمار"؟

ـ.......

ـ صَدَقَ حَدْسي، والله. حفيدك عمّار، الله يسلّمه، عرفتُ الآن أنه رفيق في الروضة لحفيدي "سامر سمارة"! إنه لأَمرٌ طيِّب أن يُعيدنا الأحفادُ إلى عهد الطفولة والفتوّة. ما رأْيُك في أن أتشرّف بزيارتك، أنا وحفيدي سامر، لنتعرّف ونستعيد الأيام الماضية؟ هل تذكر يوم دخلت الصفّ وأنت تَعْتَمِر........؟

ـ.......

ـ طيِّب، طيِّب.... دُلَّني على البيت.......

في موعد الزيارة، كان الجدّ يسير إلى جانب حفيده الصغير، الذي يدلّه على بيت صديقه عمّار معمار.

سأل الجدُّ، يريد أن يستوثق:

ـ أنت تعرف البيت جيّدًا، يا سامر. أَليس كذلك؟

ـ أعرفه.

ـ إنْ نسيتَ الطريق ضِعْنا في الضاحية!

أكّد سامر، وهو رافعٌ يده تعانق يدَ جدّه:

ـ الحافلة تمرّ كلّ يوم أمام بيته. تكون أمُّه في انتظاره على الرصيف، بيته في الطَّلْعة، فوق.

عندما هَمَّ سامر بأن ينعطف يمينًا، تعمّد جدُّه أن يتّجه نحو اليسار. اعترض الحفيد:

ـ الطريق من هنا، جدّو!

ـ هكذا إذن! كنتُ أظنّه من هناك.

ـ لا لا... أنت لا تعرف البيت.

ـ طبعًا، أنت "دليلي"!

همّ سامر بأن ينعطف مرةً أخرى، ولكنّ الجدّ عاكسه بأن اتّجه اتّجاهًا مخالفًا، فزاد ذلك من ضِيقِه بعدم معرفة الجدّ، وهو يشدّ بقبضته الصغيرة على اليد الكبيرة التي تُحاذي رأسه... قال:

ـ جدّي! أنت لا تعرف الطريق إلى بيت رفيقي، أنا أعرفه. الطريق من هنا، وليس من هناك!

ويستسلم الجدّ:

ـ الحقُّ معك، تتباهى بمعرفتك، وتُندِّد بجهل جدِّك!

ـ نعم؟!

والتقى الجدّان، العَتيدان، في بيت "آل معمار"، وتعانقا...

المضيف يقول:

ـ منذ كم من السنين ونحن متباعدان، يا "أبا سمرة"!

ـ قل من عشرين سنة، ثلاثين!

ـ يا للزمن كيف يتسرّب من بين أصابعنا!

ـ والعجيب أننا نسكن اليوم ضاحيةً واحدةً لا اثنتَين. أسألك، يا أبا علي: هل أَسْهَمْتَ، وأنتَ المهندس المعمار القدير، في تشييد المنازل في هذه الضاحية العامرة؟

قال المعمار ضاحكًا:

ـ ما كان لآل معمار أن يتوقّفوا عن ممارسة مهنتهم!

ـ أما تذكر يوم دخلتَ الصفَّ، في الثاني إعدادي، وأنت تَعْتَمِر "حَطَّةً" بيضاء لَفَفْتَها على رأسك؟ وعندما طلب منك مُعلِّمُ الفرنسية، العائد من باريس حديثًا، أن تنزعها، أجبتَه بأنّ هذا "زيُّنا الشعبيّ"، وأنك بردان تريد أن تستدفئ! فأَثَرْت بقولك هذا موجةً من الضحك لم يستيقظ التلاميذُ منها بسهولة!

ـ اسكتْ، يا أبا سمرة، "بلا فضايح"!

وهناك، كان الحفيدان قد تعانقا لحظةَ اللقاء، وعمّار صَحِبَ صديقَه سامر إلى داخل البيت، ليُعَرِّفه إلى إخوته، حتى الوليد الذي جاءهم قبل أيام.

في الروضة، في اليوم التالي، جعل سامر وعمّار يتحدّثان، عن أنّ جدَّيهما كانا في الصِّغَر صديقَين في المدرسة.

ثمّ أخذ كلٌّ منهما يحلمُ بأنه قد كَبِرَ، وأصبح جدًّا، وأنّ أحفاده يتعارفون في الروضة، ويَحْمِلون أجدادَهم على تجديد الصداقات واسترجاع الذكريات!

نُشرت في مجلة "قوس قزح"، عدد تشرين الأول/ اكتوبر ٢٠١٧

دمشق الشام: فجر الخميس ٢-١١-٢٠١٧

قمت لأفتح تلفون لأختي أم ماجد بحلب

قمت لأفتح تلفون لأختي أم ماجد بحلب، أتسلى كعادتي بالحديث معها

فتذكّرت أنها... رحلت!

دمشق الشام: ضحى السبت ٤-١١-٢٠١٧

لحم دجاج.. مقلي مرتين!

أمس قلت لصاحب مطعم للوجبات السريعة في حارتنا: «المرة الماضية ما أرسلتَه لنا كان لحمًا قاسيًا رماه الأولاد وحزروا أنه "بروستد" بايت ومقلي ثانية»، وقلتُ أيضا: «محلّك أصبح رائجًا، هذا يوجب عليك أن تعتني بزبائنك، تحترم حقهم في الطعام السليم!»، فتح عينيه على

سعتها، وقبل أن يفتح فمه تابعت: «هل يرضيك أن أكتب عن هذا في الإعلام، وأشير إلى محلّك تلميحًا؟ »، فتَطامنَ، لابسُ القلنسوة البيضاء، وأوجز القول: «حقّك علينا! ».

تذكّرت يومًا وأنا في فلوريدا (ربيع ٢٠١٤). توجّهنا - نحن أفراد الأسرة العشرون - إلى مطعم، طلبْنا، أُحضرت الأطباق. أحدنا اكتشف عيبًا في طبقه، فمال على النادلة الجميلة يهمس، تركتنا البنت، ليُهرع إلينا "الشيف"، يعتذر ويُبدّل الطبق دون كلام، وعند المحاسبة أطلّ علينا ليقول، وهو ينحني، إنّ المائدة ضيافة من المطعم!

لا تقولوا إنهم هناك يربحون كثيرًا فيفعلون هذا! فلعلمكم ثمن الوجبة يتراوح ما بين عشرة دولارات وأعلاه عشرون، مثل سعرها عندنا قبيل الحرب... ولكنها، يا أصدقائي، أخلاقٌ نشؤوا عليها.

ولا تسبّوا شعبكم أنه كذا وكذا، مستسهلين التبرير بإلقاء اللوم جزافًا فتضيّعوا الحقيقة... لا لا، أقول: إنّ النفس أمّارة، لكنْ تُقوّمها وتردّها إلى الصواب المراقبةُ والتلويح بالعقوبة. هل أقول إنّ المراقبة عندنا، في غير قليل من حالاتها، "تقبض المعلوم" وتمضي بضمير ميت!

وهل أذكّركم بأنّ الشعب الأمريكي اليوم، هم أخلاف الذين دخلوا تلك الأصقاع وأبادوا الشعب الأصلي بكلّ الوسائل الهمجيّة؟ وأمّتنا أنجزت حضارة زاهية، اقرؤوا الكتب وانظروا إلى الصُّروح.

لسوف أظلّ أقول: ليس هناك شعبٌ سيّئ، هناك حكومات فاسدة.

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ٥-١١-٢٠١٧

وكأنه الذي بنى "حيّ الروضة"!

بقّال في "حي الروضة" بدمشق، شوى أهل الحي بأسعاره الفاحشة، وإن راجعه أحد في

ذلك يجيبه: «نحنا في حيّ الروضة! »، فكأنه هو من بنى الحيّ وأنفق عليه ويريد أن يستثمره.

قبل عامين لوّحت الحكومة بالعصا لمن لا يكتب التعرفة على كل سلعة، فرأيناه يُفرج عن الأسعار، التي هي أقل مما كان يبيع. لكنّ الحكومة سرعان ما تراخت، فنزع أوراق التعرفة وعاد سيرته الأولى.

دمشق الشام: مساء الأحد ٥-١١-٢٠١٧

رقص الفْلامنكو في المدينة الرياضية بالجيزة

يوم "هجم" طلاب "جامعة فؤاد الأول"، في خريف ١٩٥٠، على راقصات الفرقة الإسبانية التي كانت تؤدّي رقصات "الفْلامَنْكو" في استاد المدينة الجامعية في "الجيزة"، يعانق كلُّ مَن استطاع راقصةً أتيحت له... كتب الصحفي الكبير "محمد التابعي"، في مجلته الأسبوعية "آخر ساعة" (التي كان قد باعها "للأخوين أمين"، على أن يظل مترئّسًا فيها)، متصدّيًا للفاعلين المتخلفين أخلاقيًّا واجتماعيًّا، ناقدًا شاتمًا ممسّحًا بهم الأرض... الفئة المنحرفة تحديدًا.

وأما وزير المعارف وقتها، الدكتور طه حسين، فقد كتب إلى السفير الإسباني يعتذر خجلانَ عمّا اقترفه الطلبة الجامعيون في بلده، فأجابه السفير، بكياسة الديبلوماسي المتمرّس، بأنه لا بأس في هذا، فهو تعبير عن إعجاب الشباب المصري برقص الفلامنكو!

كنت طالبًا مستجدًّا في ذلك الحين.

(من ذكريات شاهد عصر)

– – – – – – – – – –

دمشق الشام: فجر الاثنين ٦-١١-٢٠١٧

في ربيع ١٩٩٢

في ربيع ١٩٩٢ توجّهت إلى الرقابة التموينية أشكو في مسألة أحسست فيها غبنًا كبيرًا...

أيّدوني، بدّهن يعملوا ويتركوا فيه، فكأنني قرأت في وجوههم: اجتنا رزقة! (تأتيهم من المشكو منه)

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ٧-١١-٢٠١٧

واحد من أحفادي

واحد من أحفادي (وكان له من العمر خمس سنوات)، قعد يومًا يتفرّج في التلفزيون على مصارعة حرّة بين نساء شبه عاريات في وعاء طين...

تنهّد، وعبّر عن تمنّيه لو أنه يأخذ واحدة منهنّ، يذهب بها إلى الحمّام، يغسلها، ثم... يقبّلها!

قبل أن تقولوا شيئًا أي شيء... هو من الأسباط لا الأحفاد!

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ٧-١١-٢٠١٧

كرة قدم.. في يوم طين!

ونحن في ثانوية المأمون بحلب، أول دخولنا إليها (١٩٤٣-٤٤)، كان ولعُنا بكرة القدم يفوق رغبتنا في العلم,

تكون عندنا "مباراة" مع فريق آخر في المدرسة ضحى اليوم التالي (الجمعة)، والدنيا شتاء، برد وجوّ يُنذر بالمطر، ندعو الله طَوال الليل ألا تُمطر، فإن أمطرت فلا يكون المطر وابلا، فإن كان فليتوقّف ساعة اللعب!

ورئيس الفريق الآخر "هشام بازرباشي" يحرّضنا في ساعة الضحى على النزول إلى الملعب، فالمطر توقف!

ونعود إلى أهلنا مطيّنين... فإن كنّا فائزين في المباراة، ما همّنا التطيين ولا التوبيخ

وهشام، بعد دراسته وتخرّجه جامعيًا، استقرّ في سويسرا... هل لعب أبناؤه الكرة، هناك، أو أحفاده، في الطين؟

وهل يقرأ - إن كان من الأحياء - كلمتي؟

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٧-١١-٢٠١٧

المدير.. من "حزب الشعب"

في عام ١٩٦٦ انتقلت بوظيفتي من حلب إلى دمشق (وفي العاصمة بقيت)، وسلّموني - بعد لَأْيٍ - وظيفة هي مدير لمؤسسة اجتماعية كان مقرّها قريبًا من "باب شرقي" فيما يسمّى "موقف القشلة".

كان "البعث" - الذي مضى على انقلابه، ثورته، ثلاث سنوات - يزيد من سيطرته على البلاد. وبدا لي الموظفون في هذه المؤسسة الصغيرة، وهم من أبناء دمشق وما حولها، حريصين على أن يعرفوا "ميولي الحزبيّة". أن أكون في رأيهم بعثيًا، لا، فهم يعرفون أن نقلي من بلدي كان بغضب من مسؤولين حزبيين فيها، وتشاوروا إلى أن أوفدوا إليّ أكثرهم حنكة، فدخل عليّ يحدثني في الحياة الحزبية في البلاد... حتى وصل إلى شخصيّتين حلبيّتين، "رشدي الكيخيا" و"ناظم القدسي"، وأغدق عليهما الإطراء، ولاحظ في ذلك اغتباطي وضحكي من الأعماق... فذهب يحدّثهم بأنّ المدير من «حزب الشعب»!

دمشق الشام: ليل الخميس ٩-١١-٢٠١٧

قبل ستين سنة.. كنّا نتسابق لكتابة الرواية

في النصف الثاني من خمسينيّات القرن الماضي، كنّا في حلب ثلاثةً من الشباب، متعاصرين في الزمان والمكان، نكتب أدبًا إبداعيًّا ونواظب على النشر في المجلتين اللبنانيّتين الشهيرتين، "الأديب" (كان قد صدر أول أعدادها في مطلع ١٩٤٢) و"الآداب" (مطلع ١٩٥٣):

علي بدّور (خريج حقوق الجامعة السورية)،

وجورج سالم (آداب الجامعة السورية)،

وأنا الثالث، أو الأول بحكم السنّ ووفرة النشاط (حقوق جامعة القاهرة)،

وانضمّ إلينا في أوائل الستينيّات وليد إخلاصي (المتخرّج في كلية الزراعة بجامعة الإسكندرية)،

وقد رأسنا علينا، فيما سمّيناه "جماعة الأصدقاء"، الأستاذ الجليل خليل الهنداوي، صاحب القلم السيّال والمسرحيات المتميّزة "زهرة البركان" و"سارق النار" (١٩٠٦-١٩٧٦).

هل كنّا، نحن كتّاب القصة القصيرة، نتسابق في ذلك الزمن لإنتاج أعمال روائية؟

علي بدّور لم أعرف أنه كتب رواية، وهو أيضًا لم يبذل جهدًا لنشر أي كتاب له.

وكتب جورج سالم روايته المُتقنة "في المنفى" (دار عويدات بيروت ١٩٦٢) وفق ما كان يأخذ به من مذهب "الوجوديّة".

ولم يكن قد آن لـ وليد إخلاصي أن يغمس قلمه في مداد الرواية.

وفرغتُ أنا، في منتصف شهر آذار/ مارس ١٩٦٢، من تأليف روايتي "ثمّ أزهر الحزن"، التي قُدّر لها أن ترى النور بعد عام كامل في بيروت (دار مكتبة الحياة، آذار ١٩٦٣).

وماذا كانت الانطباعات عند أصدقائي المبدعين الثلاثة؟

فأمّا صديقي "علي" فقد رأى الرواية تخلو من "الاشتراكية" التي يُبشّر بها في كتاباته.

وصديقي "جورج" المغرم بـ"الوجوديّة" رأى أنّ حوادثها لم ترتفع عن المذهب الواقعي في الأدب.

ولم يرضَ عنها الصديق اللدود "وليد" المأخوذ بـ"الحداثة"...

فما جَبَرَ أيّ من "الفرسان الثلاثة" بخاطري بكتابة مقالة عنها (كما كان يفعل أصدقاؤنا الكتّاب الشيوعيون بعضهم مع بعض) رغم شدّة احتياجي لكلمة تقال فيها ذلك الحين.

وأمّا عميدنا الهنداوي (وكم عذّبْناه بنزَقنا وشططنا نحن من نصغره بخمسة وعشرين عامًا)، فهو إنْ لم يكتب عن هذه الرواية فقد كتب طيّبًا عن التالية لها "رياح كانون" وقدّم ما كتب بصوته في إذاعة الـBBC، أعلمني بذلك مدير هذه الإذاعة ببيروت في أثناء تسجيلي قصة عندهم في شتاء ١٩٦٩ كان عنوانها "أريد أمي".

إنها "المعاصرة"، أيها الأصدقاء، في التاريخ وفي جغرافية المكان، أسجّل هنا ولا أشكو!

دمشق الشام: عصر الجمعة ١٠-١١-٢٠١٧

ويُغنّون للحرية.. بأصوات مختلفات

وكان بعضهم يُغنّى للحريّة الحمراء قصائد بديعة، يسمعها المقهورون فيطربون حتى نسيان الآلام... وهو في أحضان القاهرين ينعمُ

وفي الجانب الآخر من الوطن، كان هناك من يُغنّي لها، ويقرع بابها باليد المضرّجة... وهو يتلقّى السهام

دمشق الشام: ظهيرة الجمعة ١٠-١١-٢٠١٧

رقصة طائر البجع الأخيرة

في قصيدة لـ"لامرتين" عنوانها "البجعة"، يُحدثنا الشاعر الفرنسي عن أنّ طائر البجع يُعلن عن موته بأن يرقص الرقصة الأخيرة ويُغنّي الأغنية الأخيرة... ثمّ يستقبل الموت!

أحسب أني أفعل مثل هذا... وأنتظر... دمشق الشام: عصر السبت ١١-١١-٢٠١٧

بيت خليل الهنداوي الرحيب

كان بيت أستاذنا خليل الهنداوي في بنايةٍ للأوقاف بحيّ "الشيخ طه" بحلب، صغيرا بحدوده الهندسية.

ولكنّا، نحن تلاميذه في الأدب، كنّا نراه كبيرًا جدًا، تتّسع غرفُه الثلاث المنفتحُ بعضُها على بعض، لكثير من أهل الثقافة والفكر، في الحفلات والولائم التي كان يقيمها وقرينته "ماريّة" بين الحين والحين.

قلت: قرينته "مارية، أمّ كمال"، هذه المرأة التي عزّ نظيرها بين زوجات الأدباء. لقد ظلت تسعى عند أولى الأمر حتى كان أن مَنحت الدولة ممثلةً بوزارة الثقافة زوجَها الراحل وسام الاستحقاق، وسعت لإطلاق اسمه على الشارع الذي يقطنونه، وأُبدِع تمثال نصفيّ له نُصِب في الجهة الغربية من حديقة حلب العامة، مُناظرًا لتمثال الشاعر "أبي فراس الحمداني"، كما أُطلق اسمه على إحدى المدارس بحلب وقاعة المطالعة في المركز الثقافي العربي فيها.

كم ذا علينا أن نُحْيي ذكرى أديب العروبة الكبير، ونَنْحني لـ"ماريّة الهنداوي" التي يتشرّف بمثلها ذوو الأدباء!

دمشق الشام: فجر السبت ١١-١١-٢٠١٧

إلى صديقي وحيد تاجا

لا أكاد أصدق!

أذكر أيام اعتزامك الزواج من حبيبتك "سوسن"، تحدّثني بفرح عن عشّ زوجيّ تعتزمان بناءه، وأثاث وأسباب...

ثمّ... شغلتنا الحياة

إلى أن أمسينا في الشبكة "صديقين" غير افتراضيين، وعرفت أنّ ذلك "الحوار" المسترسِل في صفحات قد نشرتَه في إحدى الدوريات المرموقة، ولما عدتُ إلى الوطن بكلّ الحبّ التقينا، وحدّثتني عن ثلاث صبايا، أقمار، أنجبتها، مثقفات، صغراهنّ الطالبة الجامعية، أصبحت عونًا لي سخيًّا فيما أُعِدّه من أمور الأدب والتراسل والنشر...

صديقي وحيد تاجا وبناته علا وزينة وغدير... أتمنى لو أصوغ لكم أحسن ما أملك من آيات العزاء. صبّركم الله، وللراحلة الفردوس الأعلى

دمشق الشام: ليل السبت ١١-١١-٢٠١٧

طبخ الباذنجان.. على نار هادئة!

مع إعادتي نشر المقتطف الأول (من أصل ثلاثة) عن "الباذنجان" ضحى اليوم، وجدتني أتهمّم لإعداد طبخة يكون مكوّنها الأول الباذنجان، هذا الذي أثبتّ لنفسي وللباحثين المشاركين في الندوة العلمية العالمية في دولة الإمارات شهر كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٦، أنه "البقلة الأولى" في المطبخ الشامي!

نزَلت، بقليل من الصعوبة، إلى ساحة الجسر الأبيض قريبًا من بيتي، فاشتريت باذنجانا يخلو من البزر.

في البيت قطّعت قَدرًا من البصل قليتُه قليًا خفيفا، قبل أن أُسقط فوقه لحمة ناعمة. وفي قِدر أخرى وضعت مفروم الباذنجان على النار حتى لانت مادته، فآن لي أن أدلق فوقه ما أعددت من لحم وبصل، ورششت ملحًا وبهارًا، وشيئًا من ماء...

وعلى نار هادئة رفعت هذا كلّه.

"على نار هادئة"؟

كنت جمعتُ، قبل ثلاثين سنة أو يزيد، لا من صنوف الخُضَر، بل من قصص كتبتها، راصدًا فيها أوجاعًا تُلحقها الأنظمة الشموليّة بالناس الساكنين أوطانهم، وجعلتها في كتاب سمّيته... سمّيته: «الألم على نار هادئة»، فتقبّلته وزارة الثقافة في بلدي، ونشرته عام ١٩٨٥، ليحدّثني بعدئذ مدير المطبوعات فيها عن أنّ نسخ الكتاب نفِدَت خلال ستة أشهر! ولن أنسى أن أشير إلى أنّ من بين قصص هذا الكتاب تلك التي اختارها المستعربون السوفيات وجعلوها مع قصصٍ سورية أخرى في كتاب ترجموا قصصه إلى اللغة الروسية، متّخذين من اسم قصتي عنوانًا للكتاب ("الصمت والموت"، أو كما شاؤوا أن يُعدّلوه: "الصمت الذي لا يُقهر").

نعم... من "مُسَقّعة الباذنجان" وطبخها على نار هادئة، وبجوارها الرزّ... إلى كتاب يحكي أوجاعًا تعانيها الشعوب بصبر أوشك على النفاد.

دمشق الشام: ليل الأحد ١٢-١١-٢٠١٧

أسرعُ ما أنجزتُ طباعتَه من كتبي نشر أول

مهداة إلى صديقي الأديب المرهف "محمد صباح الحواصلي" مغتربًا في أقصى الشمال الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية

في شهر أيلول/ سبتمبر من عام ١٩٦٣ كتبت - وأنا في مدينتي حلب - روايتي الصغيرة (أو قصتي المطوّلة) «الظمأ والينبوع»، وتعاقدت على نشرها مع "دار الآداب" ببيروت، ملتمسًا من ناحية ثانية من الفنان التشكيلي المصري جمال قطب أن يُعِدّ لوحة غلاف للكتاب، وفي شباط/ فبراير من العام التالي، نزلت إلى بيروت، عبر العاصمة دمشق لغرض لي فيها.

المطبعة التي تتعامل معها دار الآداب، شرعت فورًا في التنضيد بطريقة "المونوتيب"، يقدّمون لي "التجارب الطباعية"، وأنا كمن "أقام" في المطبعة (بقبو في بناية اللعازارية)، أقوم بالتدقيق، وهم يصحّحون، تجارب أولى وثانية، ماكينة الطباعة تدور، تقذف تحت نظري "بالمَلازم"، ورقًا كان أبيض ناصعًا فأصبح منمنمًا بسواد يروي حكاية الفتى "سامي" في ديار الغرب، والغلاف يُطبع بالألوان، تجليد... ومحمّلا بنسخ من "الظمأ والينبوع"، عدت إلى بلدي عبر العاصمة دمشق أيضًا.

أذكر أني عندما قدّمت نسخة من الكتاب إلى صديقي الكبير الشاعر الدكتور زكي المحاسني، مدير التراث في وزارة الثقافة، أخذ يتأمّل الغلاف: فتى في مقتبل العمر، يجلس في مقدمة الصورة، وجهُ شابة مترع بالبهاء يشغل سائر اللوحة، فعلّق مازحًا: هـ العكروت.. ينتظر!

دمشق الشام: فجر الأربعاء ١٥-١١-٢٠١٧

يوم هتفنا بصوت غير مبحوح

صديقي البعثي، والذي كان تلميذا لي في منتصف الخمسينيات بحلب، قرع باب "آذار ٦٣" قرعة واحدة، فتحوا له، قال: أريد أن أتخصص في إحدى العواصم الأوروبية بدراسة "قواعد اللغة السنسكريتية في الألف الثاني قبل الميلاد"! فأُوفد حالًا، وعاد، وشَغَل.

أنا... قرعت باب اتحاد الكتّاب (وإني أحد أعضائه المؤسسين) مرة ومرة ومرة، أملاً في أن

ينشروا لي كتابا واحدا من إبداعاتي المتواضعة، وهم يعتذرون بعدم الجدارة، ومما اعتذروا كتابٌ نُشر بعدئذ في باريس مترجمًا إلى الفرنسية.

نعم، أيها الأصدقاء، ظللت أوالي القرع بضعة عشر عامًا، إلى أن تملّكني اليأس، فأسّست دارًا للنشر "بيتوتيّة"، استنفدت فيها غير قليل من طاقتي، كانت بُنيّاتٌ يأتينَ إلى بيتي للتنضيد الضوئي والإخراج الفني، وكنت أقترض من مصرف التسليف الشعبي لأدفع، ثم بعد البيع أُوَفّي أقساطًا!

ولمّا ارتفع منّا هتاف، ظهيرة يوم من أيام شباط/ فبراير ٢٠١١ في "ساحة الحريقة بدمشق"، بصوت مجروح لكن غير مبحوح: «الشعب السوري ما بينذلّ! »، تلته كلماتٌ خطّتها أنامل أطفال على جدار في درعا: «الشعب يريد إصلاح النظام»، اتهمونا بالمروق من دين الوطنية... وكان ما كان ممّا تعرفون.

ويقول "المرتاحون": كنّا عايشين وماشي الحال!

دمشق الشام: مساء الأحد ١٩-١١-٢٠١٧

من هو الأحقّ بالشجب، يا رجاء؟

من التعليقات التي نزلت تحت منشوري "على باب الجامع" (المعاد فجر هذا اليوم)، كتبت الصديقة رجاء تقول:

أجزم أنّ هذا الشعب لا زال كما هو [يحبّ بعضه بعضا، ولا أدري لماذا تكثر عباراتُ علوي مسيحي على صفحتك سيد فاضل.. أحببناك إنساناً ذا كلمة حرة وليس لأنك تنتمي لفئة دينية ما.

١٩ نوفمبر، ٢٠١٥، الساعة ٠٢: ١٩ م

فكتبت:

ليس في إشاراتي إلى ذلك ما يَضير، يا رجاء. الذين يتأذّون هم الذين يمارسون.

وأعرف أنكم (تحبونني)، لما أحمل من صفات، هي ذي:

مواطن سوري طيّب، حلبي، مسلم، ينتمي إلى أسرة كبيرة "السباعي" (ربما تعرفين بعض أفرادها)، كاتبٌ ظلمه النظام، تظنّونني مبدعًا، ودمثًا أيضا... أعرف هذا، وأفترض أنّ ذكر هذه الصفات لا يؤذي أحدا!

وقد كان الأولى أن يُشجب ادّعاء النظام بأنّ فئة من المواطنين - سمّاها بالاسم - تستعدّ للإيقاع بفئات أخرى من المجتمع سمّاها أيضا!

١٩ نوفمبر، ٢٠١٥، الساعة ٠٤:٥٨ م

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ١٩-١١-٢٠١٧

فرق كبير جدًّا

بين الحديث عن الطوائف، فهو تاريخٌ ومعرفة

وبين "الطائفيّة"، فهي نزعةٌ بغيضة ومؤذية

دمشق الشام: عصر الاثنين ٢٠-١١-٢٠١٧

أصبح مؤكّدًا عندي

أنّ ما يمنحني إياه الأصدقاء في شبكة التواصل الاجتماعي، من المحبّة والتقدير

يعادل التهميشَ والقهر اللذين تلقّيتُ من النظام خلال خمسين السنة الماضية

شكرًا لعارفي أقدار الناس

دمشق الشام: فجر الاثنين ٢٠-١١-٢٠١٧

"تأشيرة".. من القنصلية البلجيكية في بون

وأنا في فرنسا، خريف ١٩٧٧، لاحظت أنّ بعضهم هناك يُشبّهونني بأهل روسيا وبعض آخر بالألمان... هل خدمني هذا في الحكاية التي أرويها؟

في عطلة عيد الميلاد دعاني أخي "طارق"، المقيم العامل المتجنّس في ألمانيا، إلى أن أزوره في "بون" وكانت عاصمة لألمانيا الغربية، أسافر إليه بالقطار من "محطة الشمال Gar du Nord" في باريس عبر بلجيكا فإلى بون، وهو ينتظرني بسيارته في محطة الوصول، وفاتَهُ أن يُنبّهني على ضرورة أن أحصل على "تأشيرة" من القنصلية البلجيكية بباريس، فإني سأدخل أراضيهم وإن مارّا فيها بالقطار.

وصلت بون، دون سؤال أو اعتراض، ولكني - يا للعجب! - لم أجد أخي في المحطة ينتظرني. أخذت تكسي إلى بيته وعنوانه في يدي. لما طرقت الباب، لم يُصدّق عينيه أنه يراني أمامه فكأنني هبطت عليه من السماء. وبيّن لي أنه سها عن أن يُنبّهني على ضرورة التأشيرة، وأنه توقّع أن يطلب مني رجالُ الأمن البلجيكيون النزول من القطار ويؤمنوا لي مكانا في القطار العائد إلى باريس، وأنني سوف أظلّ أذكر في مستقبل أيامي هذه الزيارة الخائبة!

وواقع الأمر أني رأيت رجلاً من أمن القطار يُطلّ علينا، نحن في المقصورة، يُنقّل بصره بين الوجوه، وبدا أنه لم يجد فيهم وجها مختلفا يحمله على أن يسأله عن تأشيرة العبور!

في اليوم التالي توجّهنا أنا وأخي إلى القنصلية البلجيكية.

في مقابلة القنصل أراد أخي أن يكلمه بالألمانية، قلت بل دعني أخاطبه بالفرنسية: أنا مواطن سوري. نزلت باريس موفدا على الحكومة الفرنسية. جئت أخي أمس زائرا دون أن

أعرف أن تأشيرة يجب أن أحصل عليها في فرنسا، ولم يسألني أمن القطار عنها. أودّ الآن أن أحصل عليها من أجل العودة!

أخذ الرجل جواز السفر. انتظرْنا. عاد، ليقدمه إليّ ممهورا بالتأشيرة. ولما سألته ما يترتّب عليّ، أجابني باسما: إنها هدية!

وعدت إلى باريس لأتابع أيامي فيها، وأكتب أدبا، قصصا من أجمل ما كتبت، ظللت أرفد بها مجموعاتي القصصية التي صدرت تاليًا، "الابتسام في الأيام الصعبة"، "الألم على نار هادئة"، "اعترافات ناس طيبين"... ولا يزال عندي منها ما أنشره.

دمشق الشام: فجر الاثنين ٢٠-١١-٢٠١٧

"الصحراء الغربية".. المعضلة التي صنعتها الجزائر

أرى أنّ من أكبر أخطاء الحكومات الجزائرية المتعاقبة هو عملُها على فصل الصحراء الغربية عن جسد الدولة المجاورة الممتدّ على ساحل الأطلسي، وهي في الواقع تريدها دويلة ضعيفة تطلّ عبرها على مغرب الشمس!

وكان ممّا شدّ على يد الجزائر وجعلها تُقْدِم وتمضي وتتابع، مبدّدةً في ذلك الجهد والثروة، مقلقةً جارتها، ومستقدمةً جماعات من الصحراويين فهم منذ العام ١٩٧٥ يسكنون الخيام في صحراء حقيقية... هي الدول التي تَسِم نفسها "بالتقدميّة"، جمهوريات لا ينقصها الاستبداد في حكمها لشعوبها، تريد هدم النظام الأكثر استقرارا في المنطقة بحجة أنه "ملكي"!

على الهامش أذكر أني وصلت باريس في يوم من خريف ١٩٧٧، موفدًا من قبل حكومة بلادي، ونزلت في مبنى تابع للحكومة يستقبل الموفدين الأجانب. واتفق أنّ الغرفة التي سكنتها في يومي ذاك تحتوي على أربعة أسرّة، أشارك فيها اثنين من الطلاب الجزائريين جاءا يتابعان الدراسة العالية، ودخل علينا مَن جاء يشغل السرير الرابع، وبدا أنه مغربيّ، وما إن حطّ

حقيبته وهمّ بأن يستريح من وعثاء السفر، حتى نهض يأخذها يريد أن يغادر... «إلى أين؟ »، قال بجِديّة: «الآن تفتحون السيرة، تقولون الصحراء بتاعتنا! »، فكان ما بعث هذا القولُ في صدورنا من الضحك يعادل حرصَنا على استبقائه بيننا، وقلت له: «أنا معك، نحقق شيئا من التوازن! ».

ومنذ اثنتين وأربعين سنة لم تجد معضلة الصحراء الغربية حلا لها!

دمشق الشام: ليل الاثنين ٢٠-١١-٢٠١٧

"الأستاذ".. الذي يحبّ رقص الصبايا!

أحيانًا تُراودني منامات أرى فيها نفسي أُعيد أداء الامتحان في المؤهِّلات التي أحوزها، ما يُسبّب لي ضيقًا في المنام فأستيقظ مرهقًا!

في ساعات الفجر الماضية عُنيت بنشر ذلك النصّ أتاني من المغرب، مذيِّلاً إيّاه برأي بدوت فيه أمام نفسي وكأني أقوم "بامتحانٍ" لبعضهم... توجّهت بعد ذلك إلى النوم.

فرأيت، فيما يرى النائم، أنّ عليّ أن أؤدّي امتحانًا في "مقرّر" ما (لا أدري ما هو)، كنت قد حضّرت له دارسًا، ومُدرِجًا في أوراق، كعادتي أيام الدرس والتحصيل، عناوينَ من شأنها أن تُذكّرني بمضامينها، استأذنت الأستاذ الممتحِن بأن أراجعها قبل أن يشرع بتوجيه أسئلته إليّ، ولكن – يا للأسف! – افتقدتُ تلك الوريقات، وأدركت صعوبةَ أن أجيب على وجه الدقة عمّا أتلقى من الأسئلة، فاستمهلت، ورضي الأستاذ بالتأجيل.

كنا أنا وهو في غرفة في بيت ما!

فجأة صدحت موسيقى ملأت الأسماع والأجواء، وكانت ذات إيقاع راقص، وعبر باب عريض مفتوح على القاعة المجاورة، لمحْنا صبايا يرقصنَ، ملوّحاتٍ بأيديهنّ يَمنة ويسرة... فما

أسرع ما انجذب إليهنّ الأستاذ، الذي بدا لي مولعًا بمشاهدة الرقص قدر اهتمامه بامتحان الناس ابتداءً أو تكرارًا، فأخذته من يده إلى ذلك الفضاء الجميل...

وقبل أن أتبيّن ما إذا كان سيكتفي بمشاهدة الفتيات وهنّ يرقصنَ، أم أنه يرغب في المشاركة... وجدتُني في سريري أحلُم!

وإني لأذكر، أيها الأصدقاء، أنه زارتني قبل ليلتين صبايا من أصدقاء الأسرة، فمنَ - لما ترامت إلى أسماعهنّ أنغام موسيقى من غرفة مجاورة - يرقصنَ على الشكل الذي وصفت.

فقط أحببت أن أحدّثكم عن تفاصيل ما راودني هذا الفجر من حلم، تأجّل فيه امتحانٌ كان عليّ أن أؤدّيه، مع اختفاء تلك الأوراق ذات العناوين الدالّة!

كونوا بخير وعافية، واستمتاع بالرقص مشاهدةً أو مشاركة.

ملاحظة: ورد الحلم مضطربًا، فنظّمته.

دمشق الشام: ضحى الأربعاء ٢٢-١١-٢٠١٧

كيف؟!

رأيت فجر اليوم فيما يرى النائم، أني رجل "ذو أهميّة واعتبار" في مجتمعي الثقافي في الوطن، حتى إنّ بعض الناشطين في مجال الثقافة وحقوق الإنسان يأتون إليّ يوسّطونني في أمورهم، فأزكّيهم وتتجاوب السلطات مع تزكيتي!

واستيقظت أستحضر ما رأيت، ولم أنسَ أنّ اتحاد الكتّاب (وأنا فيه عضو مؤسّس)، أنّ رئيسه الجديد منذ سنتين، جرى على أن يستبعد من النشر في مجلات الاتحاد كلّ مادة أدبية أكتبها أو تُكتب عني!

كيف؟

دمشق الشام: عصر الجمعة ٢٤-١١-٢٠١٧

قريبٌ داعية إسلامي.. وقريبٌ آخر من أقطاب الحزب الشيوعي!

في يوم من أعوام سبعينيّات القرن الماضي، كنت عائدا من بيروت. واتفق أن كان بجواري في السيارة (أمّ خمس ركاب) شابّ علمت منه أنه يدرس بجامعة دمشق، وفي الحديث الذي تبادلناه كرفيقي سفر بانت لي شدة حماسته للماركسية ما جعلني أناقشه الرأي فيها، وكان من أهالينا في الأردن.

لحظة وصلنا دمشق ونزلنا في المرآب في حديقة النعنع، اختتمنا الحديث قبل الافتراق بالتعارف بالأسماء. أذكر أنه لما لاحظ أني من أسرة "السباعي"، سألني ما إذا كان "مصطفى السباعي" من أقاربي؟ فأجبته بأن نعم، ف، فوجم قليلاً يتفكّر... "فطمأنته" بأنّ الذي يتسلّم "وزارة المواصلات" منذ أوائل السبعينيّات في بلدي حتى يومنا هو الشيوعي المهندس "عمر السباعي" وهو أيضا واحد من أفراد أسرتي الكبيرة، «فهوِّن عليك، يا صاحبي! ».

وافترقنا متفاهمَين!

دمشق الشام: ظهيرة الجمعة ٢٤-١١-٢٠١٧

وكنت أقول: «يكَسّر إيدين هالكاتب»!

قبل أن نودّع الألفية الثانية من أعوام الميلاد المجيد

جاءني أخي نادر السباعي (وهو كاتب روائي وناشر بحلب) بتجارب طباعية لمجموعة قصصية صغيرة (وأظنّها الأولى والأخيرة لكاتبها)، والتمس مني تحبّبًا أن أقرأها...

فلما بدأت بذلك كنت أرفع صوتي، ونحن في غرفة مدفّأة، كلما قرأت قصة فيها بعد قصة: «يكَسّر ايدين هـ الكاتب! لَك كيف بتنشر هيك قصص، أخي أبو رأفت! »...

وبدا أنّ أخي نقل هذا الدعاء لصاحبه... الذي رفعتْه الأيام!

دمشق الشام: ليل السبت ٢٥-١١-٢٠١٧

من أعجب ما هنالك[١]

أن يشجب مواطن النظام الديكتاتوري الذي يرزح تحته في بلده، ويعبّر عن منتهى إعجابه لمن فرّخ حكمُه كلَّ الديكتاتوريات العربية!

دمشق الشام: مساء السبت ٢٥-١١-٢٠١٧

ما قالته الفراشة

[قصة قصيرة للصغار والكبار، نُشرت في مجلة "قوس قزح" عدد الشهر الحالي، تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٧

- - - - - - - - - -

وقفت الفراشةُ على وردةٍ حمراء، وقالت تستأذنها:

---

(١) جاء ذلك تعقيباً على منشور شاركه وجاء فيه: من أروع ما قاله الدكتور مصطفى محمود في كتابه عن الإسلام السياسي والمعركة القادمة، الآتي:

عاش جمال عبد الناصر عشرين عامًا في ضجة فارغة ومشاريع دعائية واشتراكية خائبة.

ثم أفاق على هزيمة تقصم الظهر......

وعلى انهيار اقتصادي....

وعلى ١٠٠ ألف قتيل تحت رمال سيناء...

وعتاد عسكري تحول إلى خردة...

وضاع الوطن وضاع المواطن...

وكانت خاتمة الناصرية في بلادنا هزيمة مخزية واحتلالا إسرائيليا وانهيارا اقتصاديا كاملا.

وما كانت الناصرية إلا فكرا لقيطا مستوردا.... وشعارات خاوية جوفاء... وذريعة للقمع والتسلط)

– هل تسمحين، أيتها الوردةُ الجميلة، بأن أمْتَصّ شيئا من رحيقك العذب؟

استغربت الوردةُ أن تتلقَّى مثل هذا السؤال من فراشةٍ صغيرة تقف في حضنها، أجابت:

– ومتى كانت بنات جنسك يأخذنَ الإذنَ منّا في امتصاص الرحيق، أيتها الفراشة المهذّبة؟

أجابت الفراشة:

– أمّي علّمتْني ألَا آخذ شيئا دون استئذان.

سُرّتْ الوردةُ من هذا الجواب:

– جميلٌ أن تُعلِّم "الفراشاتُ – الأُمَّهاتُ" بناتهنَ هذا الأدبَ الجميل!

صحَّحت الفراشةُ ما سمعتْ:

– الواقع أنَّ أمّي ليست فراشة، أيتها الوردة!

ازدادت الوردة عجبًا:

– وماذا تكون أمُّك؟ دودةَ قَزّ، صُرصورا، عُصفورًا؟

– لا أبدا، أمّي ليست واحدةً من هؤلاء. أمّي إنسانة تمشي على قدمَين!

– إنسانة تَلِدُ فراشة؟! هذي "سَمْعَة" جديدة!

– لا تستغربي كثيرًا، أيتها الوردة الجميلة، سأروي لك قصّتي بحذافيرها:

في الليلة الماضية، جاءت أختي "سيرين"، التي تَكْبَرني بثلاث سنوات، إلى البيت وفي يدها كتابٌ جميل جدا قرأت عنوانه «عالم الفراشات»، مصوَّرًا وملوَّنًا بالألوان البديعة. منعتْني من أن أُقَلِّب صفحاته، وأخفتْه عني، وعن أخي الصغير "سامر"، الذي يظلّ يعبث بأشيائنا الخاصة. ولكني استطعت أن أتعرّف على مكان الكتاب، فأخذتُهُ، وذهبت به إلى حيث لا يراني أحد. ولله كم سَعِدْتُ، أيتها الوردة اللطيفة، بتقليب صفحاته، والتَّفرُّج على صور الفراشات

المختلفات الأشكال والألوان والأجنحة أيضًا، وأُعجِبت بالدور الذي تقوم به الفراشات في نقل "غُبار الطَّلْع" بين أزاهير الحدائق والغابات، فيكون عَقْدُ الزَّهْر الذي يُنتجِ ثمرًا يتغذّى به الإنسانُ والحيوان. وقبل النوم تمنّيتُ أن أغدو فراشةً، أنقل غُبار الطَّلْع وأستمتع بالطيران فوق الغابات.

انبهرت الوردة الحمراء ممّا سمعت من حديث الفراشة. وكانت تستمع، إلى هذا الحديث الغريب أيضًا، الورداتُ القريبات، مائلاتٍ بأغصانهنّ نحو الوردة التي تحتضن الفراشةَ، كي يَزْدَدْنَ استماعًا، وأمّا الأزهار، اللاطئاتُ[1] على حافَة الدرب، فكانت كلُّ واحدةٍ منهنّ تَشْرَئِبّ بعُنقِها لتتلقَّط ما تستطيع من أطراف الحديث.

رفعت الوردةُ الحمراء صوتَها، قائلةً:

– اسمعنَ، يا أزاهيرَ الغابة: إني أَستضيف الآن فراشةً تقول إنّ أمَّها "إنسانة"!

وسرعان ما جاءتْها الرُّدود:

– قد سمعنا، واستغربنا... هل يُمكن أن تتحقّق مثل هذه الأمنيات المستحيلة؟

قالت زهرةُ "البابُونَج" الصغيرة، وهي على قارعة الطريق:

– أتمنّى لو أُصبح زهرةَ "لوتِس" تعوم على سطح بِركة ماء!

وقالت زهرةُ "النرجس":

– وأنا أتمنَّى لو أُصبح عصفورًا يسبح في الفضاء ويصل إلى كلّ مكان!

وقالت الوردةُ الحمراء:

– وأمَا أنا، فإني أتمنّى لو أصبح إنسانةً، أعيش في أسرة، ويكون لي إخوةٌ وأخوات، وأُداوم

(١) اللاصقات بالأرض

على المدرسة أتعلَّم الكتابة والقراءة!

- وما اسمك؟ ما كان اسمك، أيتها الفراشة، التي تتحقّق أُمنياتُها بسرعة؟

- «سارة».. اسمي سارة.

- أَلاَ تعتقدين، يا سارة، أنك سوف تشتاقين إلى أختك سيرين وأخيك سامر؟

صحَّحت سارة السؤال:

- لا لا، أنا تمنّيت... أن أكون فراشة... ليومٍ واحد فقط!

- يوم واحد!.. وكيف تعودين إنسانةً؟ بالتمنّي أيضًا!

أخذت الفراشة تفكّر بعمق: آ، حقًّا! كيف يُمكنني أن أعود إلى البيت بعد انقضاء هذا اليوم!

وجعلت تتمنّى، كما تمنّت في ليلتها الماضية قبل النوم: يا ربي! دخيلك، أَعِدْني بنتًا إنسانةً طيّبة، بين أَخَوَيَّ سيرين وسامر! ولكنها، مع ذلك، ظلّت فراشةً مُحْتَضَنةً من الوردة الحمراء. ولـمّا عَجَزَت عن تحقيق أُمنيتها الجديدة، أخذت تبكي.

أشفقت أزهار الغابة على الفراشة المسكينة، فساعدنَها بالتمنّي والابتهال كي تعود إلى أصلها.

أرادت الفراشة أن تتحرّك وهي في أحضان الوردة... حاولت أن تطير... ولكنها اكتشفتْ أنَّ قوائمها الرفيعة غاصت في غُبار الطَّلع!

حاولت الوردة الحمراء مساعدتَها، فلم تُفلح، مالت الورداتُ، المجاورات، يُساعدنَها. بكت الفراشة، وتجاوبت لبكائها ورودُ الغابة، وأزهارُها، والأغصانُ، والأوراقُ، وجُذوعُ الشجر، وانضمّت إليهنّ العصافيرُ، والبلابلُ، والهَوَامُّ، والنَّمْلُ، والصراصيرُ، والأفاعي

أيضا... حتى أصبحت الغابة مَنَاحَةً!

في هذه الأثناء، والفراشة تبكي فتهتزّ أجنحتُها الرقيقة من فرط البكاء، أحسّت يدًا حانيةً تُرَبِّتُ كتفَها:

- سارة، سارة، ما بكِ، يا حبيبتي!

أجابت سارة وهي تستردّ وعيَها:

- لا شيء، لا شيء، راوَدني حلمٌ كثيف، يا أمّي!

وقامت تُقَبِّل أخوَيها سيرين وسامر، وكأنها عائدةٌ من سفرٍ بعيد.

ثمَّ همست في أذن أختها الكبرى:

- في المرة القادمة، عندما تَدخُلين البيت وفي يديك كتاب جميل، كوني متسامحةً وأَعيريني الكتابَ برضاك، دون أن أقوم بـ "استعارته" خلسةً خلافا لما علّمتنا أمّنا، فأرى الأحلامَ الغريبة!

ووعدت سارة نفسها بأَلا تتمنّى، بعد اليوم، إلا أن تبقى إنسانةً، تعمل في خدمة البشريّة. وأمّا الغاباتُ، والأزاهير، والفراشات، فإنّ لكلٍّ منهنَّ عالَمَه الذي يُسِّر له.

دمشق الشام: مساء الأحد ٢٦-١١-٢٠١٧

سألت حفيدي

سألت حفيدي (ابن ابنتي خلود) الفنان التشكيلي الشاب "ماجد هنانو" (وهو من أسرة المجاهد الكبير "إبراهيم هنانو" من أصول كرديّة)، عمّا إذا كان يؤيّد قيام دويلة كرديّة في شمال البلاد؟

فكان جوابه أنه ضحك وضحك... حتى تحوّل ضحكُه إلى قهقهة...

دمشق الشام: ليل الأربعاء ٢٩-١١-٢٠١٧

في أيدٍ أمينة!

كنّا كلما رأينا، في المجتمع، في الوطن، أشياء لا تسرّنا

نسأل عنها في اجتماعات الحزب

وكان جوابهم دائمًا:

«لا تسألوا، إنها في أيدٍ أمينة!»

"حزبي قديم"

دمشق الشام: ليل الأربعاء ٢٩-١١-٢٠١٧

سفَر بَرْلِكْ.. الأعظم

في طفولتي كنت أسمعهم يتحدثون في الأسرة عن مآسي حرب "السفر برلك"، التي كان قد مضى عليها عشرون سنة، ثلاثون، أربعون...

ترى كم ذا سوف يظلون يتحدثون عما يجري في بلدنا من فظاعات فاقت كلّ خيال!

دمشق الشام: ظهيرة الأربعاء ٢٩-١١-٢٠١٧

وأجابت: "إنّ أمّي يَعربيّة!"

في خريف ٢٠٠٨ زرت حمص، مدينة أجدادي آل السباعي، مشاركًا في مؤتمر تُحييه الجامعة هناك بعنوان "حمص في التاريخ"، يعمل له الدكتور عبد الرحمن البيطار رئيس قسم التاريخ

بكلية الآداب.

عقب الافتتاح توجّه الباحثون، من سوريين وعرب وأجانب، إلى بهو يتناولون فيه شيئًا من خفيف المآكل، وكانت عيون الطلاب المنتشرين في كل مكان تلاحقنا بفضول جميل.

أقول: تركتُ المائدة ومَن تحلّق حولها، وذهبت إلى أحد المقاعد في ذلك البهو. وما هي إلا لحظات حتى جلست بجواري بُنيّتان ما زالتا تتطلعان إليّ. لاحظت أن إحداهما كانت، مع بياض في البشرة، ذات عينين بلون السماء... فتراءي لي أن أمازحها، قلت بالعربية الفصحى (فهكذا يتوقعون من باحث يدخل جامعتهم):

ـ يا بُنيّة، هل أمُّك من بلاد قريبة من "القطب الشمالي"!

فأسرعت تجيبني بحميّة وكأنها مع هذا "السؤال" على موعد:

ـ إنّ أمّي يَعْربيّة!

وأعجبتُ بسرعة بديهتها وبأنّ ما نطقت به جاء "موزونا" (فاعلاتن فاعلاتن)، وخُيّل إليّ أني أقرأ في عينيها تباهيًا بما أجابت.

فأما البحث الذي قدّمت - وإني لذو هوًى أندلسيّ - فكان عنوانه "القاضي الأندلسي معاوية بن صالح، الحمصي الذي حمل رمّان الشام إلى الأندلس" (نُشر فيما بعد بمجلة "الفيصل" السعودية، العدد المزدوج ٤٠٣-٤٠٤، المحرم/ صفر ١٤٣١هـ، يناير فبراير ٢٠١٠م). وقد علمت أنّ بحوث المؤتمر قد تمّ نشرها - حسب المعتاد - في كتاب، في سِفْر، ولمّا أُكحّل عينيّ بمرأى نسخة منه خلال تسع سنين التي مضت... بسبب ما تمرّ به بلادي من أحداث جسام.

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٩-١١-٢٠١٧

حلب

حلب، يا حلب...

يقينًا سوف تنهضين وتضمّدين الجروح

كالعهد بك عبر التاريخ

ولكن...

كيف والفساد جاثم؟

دمشق الشام: فجر السبت ٢-١٢-٢٠١٧

وذكّرني باذنجانُ المكدوس.. بقصة للفرنسي موباسّان!

كنت هتفت قبل أيام لإحدى شقيقاتي بحلب هي الأكثر تفرّغًا، ألتمس منها أن تصنع لي خمسة كيلو باذنجان "مَكْدوس"، لأنّ ما استصنعتُه هنا قارب النفاد لاتساع العائلة عندي أخيرا.

قالت: تكرم خيّو، بس ألاقي "باذنجان تادْفي"[1] على أصوله، لأنّ موسمه قرّب يخلَص.

أمس هتفت لها متمنّيًا أن أُوَصّيها على عشرة كلغ، سألتها قالت: اشتريت أربع كيلو إلا ربع!

قلت: يعني هادا آخر ما كان عند البيّاع؟

قالت: لا يا أبو فراس، اشتريت م العربيّة، عنده مليان، لكن أثناء الوزن لمحوا "االدوريّة"، صاحوا "شرطة"، وَزَن ما عبّأتُ... وتبخّروا!

لم آسف لأنّ كميّة باذنجان المكدوس باتت قليلة، ولكني حزنت لأنّ الباعة الصغار، المخالِفين، يُطارَدون على الدوام ولا تُحلّ مشاكلهم، بينما يُترك الكبار دون سؤال... وتذكّرت قصة قرأتها وأنا في صفّ أول إعدادي (أوائل الأربعينيّات) للكاتب الفرنسي غي دو

---

(١) صنف من الباذنجان ملوَّن القشرة، صغير الحجم، منسوب إلى مدينة تادف التابعة لحلب.

موباسّانGuy de Maupassant (١٨٩٣-١٨٥٠)، عن بائع متجوّل يخالِف، فيَكتب فيه شرطيٌّ ويُحكم عليه بالحبس، فوجد المتجوّل الحبس بعد الألفة أفضل من حياته طليقا! تقول القصة إنه تعمّد تكرار المخالفة أمام الشرطي ليعود إلى الحبس... ولكنّ الشرطي كفّ عنه!

نحن عندنا... لا يكفّ الشرطي عن ملاحقة الباعة المتجوّلين (البوعزيزي مثلاً)، ولا يكفّ الكبار عمّا هم فيه، فلا يُزعزعون استقرار المجتمع، ويَدَعون فقر الفقراء ينمو تدريجيًّا دون طفرة!

رجاءً، لو يدلّني أحد الأصدقاء على موضع تلك القصة الموباسانيّة، التي لم يبق أحد من تلامذة الصف إلا قرأها وتأثر بها، في استعارتها من "المكتبة" التي حضّنا أستاذنا "عبد الحنان حلوة" على تأسيسها تبرّعًا عينيًّا أو نقديًّا، ومن هناك أو قبيل ذلك اعتدتُ المطالعة وجال في ذهني لو أغدو كاتبا!

دمشق الشام: فجر الاثنين ٤-١٢-٢٠١٧

عن الشرطة.. في باريس

إذا تقدّمتَ من أحدهم في الشارع لتسأله أمرًا فإنه يبادر إلى أداء التحية الرسمية لك، ثمّ يجيبك عن سؤالك...

وإذا وقع خلاف بينك أنت الأجنبي وبين أيّ فرنسي، فإنّ رجال الشرطة هناك كثيرًا ما ينحازون لابن بلدهم، لكراهيتهم للأجانب واستعلائهم عليهم!

دمشق الشام: ظهيرة الاثنين ٤-١٢-٢٠١٧

لا السماء أغاثتنا في دمشق بالمطر

لا السماء أغاثتنا في دمشق بالمطر

ولا الحكومة أنجدتنا برشّ نهر تورا (فرع بردى المرتف)

ولا المبيدات المنزلية نفعت

فنحن لا تغمض أجفاننا من لسع البعوض والهوام

لكَ الله يا زمن!

دمشق الشام: صباح الأربعاء ٦-١٢-٢٠١٧

- - - - - - - - - -

وعند العصر أمطرت في دمشق بعد احتباس

مساء الأربعاء

الاسم باسمة.. والكلام غضب!

عما يقع للسوريين في هذا الزمن المنكوب!

عندما جلستُ أمام الشاشة صباح أمس، وجدت أمامي سيلاً من الشتائم توجّهها إليّ مَن شاء لها خيالها أن تتصوّر أني مسؤول إعلاميًّا أو أدبيًّا أو وطنيًّا عن بعض نكبات الأمة: كيف أني لا أكتب عن مأساة "حماه"، التي استُبيحت في شباط ١٩٨٢، أنا مَن ينتمي إلى مدينة مجاورة لها، حلب، "أمّ المحاشي والكبَب"! هلق صرت تدافع عن فلسطين، وتترك الظلم والفساد والمسؤولين اللي بيقضوا أيامهم في المنتجعات؟ حيف على الوطن اللي أطعمكم من خيراته!... وكلاما من هذا القبيل!

صدّقوني أنّ ما انتابني من شعور كان هو الفضول لا الغضب. وكيف أغضب ممّن لا أعرف ما

وراء معاناتها من آلام وأوجاع؟

فكتبت لها بأني تلقّيت سيلاً من شتائمها، فهل هناك بعد من مزيد؟ وبيّنت لها أنّ أول كتاب لي صدر في الخمسينيّات وجُرْح فلسطين ساخن، كان كثير من قصصه يدور على الوجع الفلسطيني، فلما وصل الوجع إلى حياتنا العامة بدأت أحكي عن الحرية والعدالة والنقاء... فعلى أي موضوع محدّد تريدينني أن أستقرّ؟ وسألتها عما يشتدّ عليها من أوجاع الهمّ الوطني؟

هل هدأت الفتاة قليلاً أو كثيرًا؟

قالت إنها يوم ٢٢ تموز ٢٠١٢، وكانت تتابع دراستها في الجامعات الألمانية، وأهلها يسكنون بيتا في "المزّة" يقع تحت سيطرة الجيش الحرّ، جرت معركة نزلت فيها قذيفة على البيت الذي تسكنه أسرتها، فقتلت الأم والأب وإخوة ثلاثة، نجت الرابعة الطفلة بسبب أنها كانت خارج البيت. وقالت: والله عم أموت باليوم ألف موتة. أختي الصغيرة التي استقدمتها إلى هنا، جنّنْتني، ما عم تستوعب انّو أهلي ماتوا. لم يبق لنا لا أهل ولا سند، بس خال موجود بتركيا مع أسرته الله يكون في عونهم...

وأخذت تُناجي: أسألك يا وطني الحبيب، بـ شو بخلنا عليك وشو قصّرنا بحقك لحتى تجازينا وتحرمنا من يللي ربّونا على حبّك وقداسة ترابك!

وتوجّهتْ إليّ بالسؤال: ماذا تتوقع من واحدة راحوا أهلها كلهم؟ أنا أبكي هذه اللحظة وأنا أكتب لك.

وخطر لها أن تعتذر عن إساءتها في البداية، وقالت: أنا متابعتك من عشر سنين وبحبّ كتاباتك، وقرأت "ثم أزهر الحزن" ومن جوّات قلبي بحبّك، وبحبّ بنتك "سهير" الفنانة في أمريكا اللي بترسم أحلى اللوحات الوطنية.

سامحني أنا متل بنتك، والمسامح كريم.

Berlin (......)

صباح ومساء الأربعاء ٦-١٢-٢٠١٧

- - - - - - - - - - -

عرضتُ النص عليها مختصرًا قبل النشر

دمشق الشام: عصر الخميس ٧-١٢-٢٠١٧

واستطاع "ترامب"

واستطاع "ترامب"، بفجاجته وكلّ قباحاته، أن يُفصح عمّا ظلّ الرؤساء الأمريكيون يكتّمونه!

دمشق الشام: ظهيرة الجمعة ٨-١٢-٢٠١٧

وقال صاحبي:

وقال صاحبي:

إنّ بعض الحكام في العالم الثالث، إذ يَحْنُون قاماتهم للعم سام

فذلك ليس طاعةً منهم وحسب

ولكن لأنهم يعرفون أنّ في داخل بِطانة كلّ منهم، مَن هم على "أتمّ تواصل"، حتى إذا عصى أحدهم تغيّرت الأحوال بلمح البصر وظهر البديل!

دمشق الشام: مساء الجمعة ٨-١٢-٢٠١٧

حوار.. على رصيف الجسر الأبيض

بناء على نُصح الطبيب بأن لا أكفّ عن الحركة والمشي، نزلت اليوم كعادتي أحيانا إلى "ساحة الجسر الأبيض" أتسوّق.

وفيما أنا على الرصيف، حيث الناس يشترون من البسطات "المخالِفة" بغضِّ نظرٍ من صغار المسؤولين الطيبين(!)، وقفتْ أمامي شابة بهيّة الطلعة تسألني سؤال العارف ما إذا كنت أنا الأستاذ.....؟ ومدّت يدها، وهي في حجابها المعتدل، تصافحني، وذكرت لي اسمها، فعرَفتها في الحال صديقةً في شبكة التواصل، كانت تقيم أو تعمل في الخليج، وبالأمس عادت إلى بيتها في حارتي، في مبنى يطلّ على هذا الشارع الذي يمشي تحته "نهر تورا" الذاهبُ شرقًا.

وخطر لي أن أسألها كيف تأتّى لها أن تتعرّف عليّ وأنا في هيأتي، أعتمر طاقيّة من صوف وأزنّر العنق بطوق يُخفّف عني الألم؟ ثمّ عرّفتني بالصبيّة الواقفة بجوارها على أنها "ابنتها"، فكان أن عمدتُ إلى ما يقوله الرجال في مثل هذا الموقف، من أني ظننتُها... أختَها!

وذكّرتُها بأنها كانت وعدت في أوائل الصيف الذي مضى بأن تزورني إسعافًا لحالتي التي عبّرتُ عنها في جداريّتي، قبل أن تعتدل أموري بعودة ابنتي خلود وابنها الفنان التشكيلي "ماجد" الذي يرسم للأطفال، من بلاد ماليزيا البعيدة.

هاأنذا أحدّثكم، أصدقائي، عن شيء من تفاصيل حياتي اليوميّة!

وأضيف أني سأقدّم لكم بعد أيام قصة ينِمّ عنوانها على طرافتها: «حفلة سمر في معتقل سياسي! »، وذلك بعد أن تظهر في العدد الجديد من مجلةٍ أواظب على الكتابة فيها، فليس يجوز - في عُرف الإعلام - أن يسبق نشري لها عندي ظهورَها هناك.

دمشق الشام: عصر الأحد ١٠-١٢-٢٠١٧

إلى صديقي الأديب الصحفي وحيد تاجا

شهر على رحيل الحبيبة

لا أكاد أصدق!

أذكر أيام اعتزامك الزواج من حبيبتك "سوسن"، تحدّثني بفرح عن بناء عشّ تحضّران له، وأثاث وأسباب...

ثمّ... شغلتنا الحياة

إلى أن أمسينا في الشبكة "صديقين" غير افتراضيين، وعرفت منك أنّ ذلك "الحوار" المسترسِل في صفحات، كنت أجريتَه يومًا، قد نشرتَه في إحدى الدوريات المرموقة. ولما عدتُ إلى الوطن بكلّ الحبّ التقينا، وحدّثتني عن ثلاث صبايا، أقمار، أنجبتها، صغراهنّ الطالبة الجامعية، أصبحت عونًا لي سخيّا فيما أُعِدّه من أمور الأدب والتراسل والنشر...

إلى الصديق وحيد تاجا وبناته علا وزينة وغدير... أتمنى لو أصوغ لكم أحسن ما أملك من آيات العزاء بمرور شهر على رحيل الغالية سوسن. صبّركم الله، وللراحلة الفردوس الأعلى

دمشق الشام: ليل الاثنين ١١-١٢-٢٠١٧

الذكرى الأولى لرحيله

يوم الحادي عشر من كانون الأول/ ديسمبر من العام الماضي

رحل "صادق جلال العظم" وهو في منفاه ببرلين

المفكر الذي دأب على أن ينقد بوعي هزائمنا الفادحة

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ١٢-١٢-٢٠١٧

وقال بعض الفنانين الغربيين

وقال بعض الفنانين الغربيين إنّ الخط العربي لوحات تشكيلية

دمشق الشام: فجر الأربعاء ١٣-١٢-٢٠١٧

وبين القصائد والأشعار ودّعَنا صديقُ العمر

عرفته قبل خمسين عاما (أجل، وكأنّ هذا كان يوم أمس!) زميلاً في وزارة واحدة، شابًّا وسيمًا لطيفًا، يتغنّى بالشعر بقدر استجابته لدواعي الحب والحياة، فقد مال زميلنا "عبد الرزاق" لزميلة لنا في العمل، "ازدهار"، وتزوجا.

وفيما قُدّر لي أن أترك العمل في هذه الوزارة، انسدلت بيننا ستارة من الغياب، وخطفتنا شواغل الحياة، إلى أن التقينا على شطآن الشبكة العنكبوتية، سألتُ الزوجة - التي بادرت للتواصل - فعلمتُ أنّ البنين والبنات الذين أنجبا، تعلموا وانتشروا في أرجاء المعمورة، وأنّ ابنة لهما تعمل استشاريّة طبية في إسبانيا، ثمّ عرفت من صديقي "أبو خالد" أنه يتسلّى بنظم الأشعار مستجيبًا لولع عنده بالأدب ولمزاجه الهني.

وعُدنا نتلاقى. أَوْلَم لي الزوجان، الصديقان المتجدّدان، وليمةً في بيتهما العامر في ضاحية الشام الجديدة، ولم يَفُتهما أن يدعُوَا بعض أصدقاء الأمس البعيد القريب، ومن الذكريات التي تداولناها استوحيت خاطرة، يُدفئها حنينٌ لم يُطفئ وهجَه ما غَبَر من سنين، ويُعطّرها الحديث عن البنين والبنات والأحفاد والأسباط وكلّ شيء، نشرتها على جداريّتي.

وماذا أقول بعد؟

استيقظت هذا الصباح على رنين الهاتف. ازدهار، أم خالد، تقول دامعة الصوت إنّ صديقي أوى ليلة أمس إلى فراشه، وفي يده أوراق يكتب فيها ما يعنّ له، وعند الصباح قرأت الأشعار، وقرأت في عينيه... الغياب.

نعم، نودّع الحياة واحدا بعد آخر، لنلتقي هناك هناك.

الرحمة لصديق العمر "عبد الرزاق الحفار"، وإلى جنان النعيم بإذن الله.

دمشق الشام: ظهيرة الخميس ١٤-١٢-٢٠١٧

يتجنّى مَن يقول

يتجنّى مَن يقول إننا أمة تصنع طواغيتها

الطواغيت صناعة غير محليّة

لا تزيدونا جراحا

دمشق الشام: عصر السبت ١٦-١٢-٢٠١٧

الهتاف:

الهتاف: «بالروح بالدم، نفديك يا زعيم»

هل هو وطنيّة، أم وثنيّة!

وأول ما سمعناه كان في عام ١٩٥٨

الله لا يوفّق المنافق اللي اخترعه.

دمشق الشام: ظهيرة السبت ١٦-١٢-٢٠١٧

هل تعلمون أنّ شعار البعث

هل تعلمون أنّ شعار البعث «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» قد أخذه ميشيل عفلق من ثورة الشريف حسين عام ١٩١٦؟

وأنّ أصل الشعار هو «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة هي الإسلام»

انظروا في ذلك كتاب مصطفى طلاس عن الثورة العربية الكبرى، في طبعته الأولى لا التي تلتها.

دمشق الشام: عصر السبت ١٦-١٢-٢٠١٧

علمت أنّ الصحفي في بيروت

علمت أنّ الصحفي في بيروت، الذي اخترع لقب "سلطان الطرب" للمغني جورج وسوف، قد تلقى منه ألف دولار مكافأة على ذلك (إن صحّ الكلام)

أتساءل: ترى ما المكافآت التي يتلقاها مخترعو الهتافات الرنّانة والشعارات البرّاقة من زعماء الأمة؟

وأذكر أننا عندما كنا نخرج، نحن تلاميذ المدارس، في مظاهرات ضد المحتل الفرنسي، كانت هتافاتنا مثل هذي:

ألله ألله، يا مْفرِّجَ المصايبْ

اضرب رصاص في صدر العدو صايبْ

ولا أظنّ أن مبدعيها كانوا يتلقون غير قبلة من الوطن على الجبين الوضّاء.

دمشق الشام: ظهيرة السبت ١٦-١٢-٢٠١٧

حتى في الصين!

ذات عام أوفد اتحاد الكتاب عندنا ثلاثة من الأعضاء إلى الصين حسب الاتفاقية الثقافية المعقودة بين البلدين.

دعي أحدهم هناك لإلقاء محاضرة عن الأدب السوري... وفي حديثه استعرض الأدباء السوريين وأشاد بأدب حنا مينه خاصة، ولم تبدر منه إشارة إلى أدب فاضل السباعي. فعاتبه في ذلك واحد من رفيقي سفره، فبرّر بأنهم في بلد الشيوعية، وحنا شيوعي وليس كذلك السباعي.

لما بلغني ذلك قلت ضاحكًا: معتّم عليّ حتى في الصين!

دمشق الشام: فجر السبت ١٦-١٢-٢٠١٧

دعوة لحفلة سمر!

أصدقائي...

تصوروا "حفلة سمر" تقام في معتقل سياسي

وأنهم دعوا لحضورها معارضًا مدمنًا سبق أن نزل في هذا المعتقل عدة مرات... ما جعله يظنّ أنهم في ختام الحفلة سوف يفاجئون الناس، في الداخل وفي السجن الكبير، بإطلاق سراح سجناء الرأي...

وقد استجاب صاحبنا للدعوة، ورأى عند وصوله إلى المعتقل الجلاوزة على الباب يتمازحون تاركين رقابة الأبواب، فأيقن أنّ الأمور تغيّرت، وأن إطلاق السراح وشيك

فماذا وقع في الحفلة من مفارقات؟

ذلك ما ترويه قصة كتبتها بعنوان "حفلة سمر في معتقل سياسي"

هل ترون أن أقدمها لكم اليوم السبت؟ أم السبت الذي يليه؟

ثمّ كونوا بخير وعافية.

دمشق الشام: فجر السبت ١٦-١٢-٢٠١٧

هل يستطيع كائن

هل يستطيع كائن أن يلغي منجزات حضارة امتدت من مشرق إلى مغرب على مدى ألف وأربعمئة سنة وما غربت عنها شمس؟

استعنتم بـ غولن والجنرالات المغترّين... وأخفقتم!

فقط كفّوا عنّا أياديكم

حتى نتمكّن من ترتيب أوراقنا التي بعثرتموها

أنتم يا سلالة الذين أبادوا الهنود الحمر في أوطانهم

دمشق الشام: ليل الاثنين ١٨-١٢-٢٠١٧

»أيها الطالب.. اكتب صفحة عن كتاب قرأتَه«

من أجمل ما عرفت عن صديقي المربّي "فاضل ضياء الدين" أستاذ العربية الأشهر في مدارس حلب، أنه كان يحضّ طلابه على أن يكتب كل منهم ملخصًا لكتاب قرأه...

أقول: ومن هنا يبدأ تدريب الطالب على حبّ المطالعة.

دمشق الشام: فجر الاثنين ١٨-١٢-٢٠١٧

تحت ظلال النّارِنْج

فصل جديد من كتاب "حكايات سيرين وسارة وسامر" (عشرة فصول يحكي كلّ منها قصة من حكايات الأسرة) جاهز للنشر / ١٠٩٠ كلمة

كانت سيرين قد نَمَّقَت حديثَها لرفيقاتها، وهي تدعوهنّ إلى حفلة عيد ميلادها، فقالت بأنهنّ سوف يستنشقنَ، في حديقة البيت، عطرَ أزهار النَّارِنْج، ويُمَتِّعْنَ النظرَ بالفُرجة على البِركة المُنَوَّرة، ينبثق من نافورتها الماء قبل أن يتساقط على سطحها:

-... مثل حبّات اللؤلؤ!

وأمَّا سارة، التي لا تُحْسِن الوصفَ والتنميق كأختها، فلم يبقَ لها من الكلام إلاَّ أن تُحدِّث رفيقاتها بأنهنّ سوف يتعرَّفنَ على قطّة الدار المدلّلة "ياسمين"، وعلى صغارها الثلاثة... ثمّ سألتهنّ، مازحةً:

- هل بينكنَّ مَنْ تتحاشى مداعبةَ القطط؟!

ووَعَدَ سامر رفاقَه في الروضة، بأنه سوف يقوم بمطاردة الفراشات وهي تطير فوق أزهار

الحديقة، ويُمكِّن كلَّ واحدٍ منهم بأن يُمسِك بإصبعَيه فراشة من جناحَيها... ثمّ يستدرك:

- هذا إذا سمح لي أبي!

جاء الربيعُ يختال بدفئه وعبيره.

وعاد الأبُ إلى الوطن، يحمل في حقيبته الهدايا، وتموج في الصدر الأشواقُ لأسرته الحبيبة، وللصبيّة سيرين خاصّةً، التي اعتَمدت الأسرةُ يومَ مولدها هي لتُقيم فيه حفلة عيد الميلاد هذه السنة.

ما إن استراح الأبُ من وَعْثاء السَّفَر، حتى استيقظ، في باكر الصباح، وبدأ ينصُب في الحديقة "حبالا" من أسلاك، سوف يَسْري فيها نورُ الكهرباء، مُفَتِّحًا ومُغَمِّضًا، وأَحْكم مَدَّها بين أشجار النّارِنْج والكبّاد، هذه التي بدأ زهرُها يتفتَّق في مطالع الربيع... وأما الموسيقى، فقد وزَّع مُضَخِّمات الصوت في قلب الأغصان، وقال مُحَدِّثًا أولاده الذين يعاونونه:

- حتى يطرب ضيوفُكم، دون أن يعرفوا مصدر الصوت!

فقال سامر مشاغبًا:

- أنا أَدُلُّهم!

فنصحه أبوه:

- إِيَّاك أن تفعل، فتفسد عليَّ عملي!

وضحكوا

وساعة التجربة، عندما أُشعِلت الأنوار وصَدَحَت الموسيقى في الأرجاء، بَدَتْ الحديقةُ وكأنها تستعدّ لاستقبال مهرجانٍ عظيم!

عند العصر، تُرك الباب مفتوحًا على مصراعيه، وبدأ المدعُوُّون، صغارًا وكِبارًا، يتوافدون،

فيستقبلهم المحتفِلون الأشقّاءُ الثلاثة.

كان أولَ من هَلَّتْ طلعتُه سَمَر تُرافقها قَمَر، رفيقتا سيرين في صفّها، وأقبلتْ نانسي برفقة إحدى خالاتها، ولم يتأخّر نبيل، دخل الحديقة يتبعه جميل.... فلما بَصُرَتْ زميلاتُ الصفّ بجميل المَزَّاح، عَلَتْ أصواتُهنّ بمرح:

- أهلا بصاحب "بحث الملوخيّة"!

فجاراهم في مرحهم:

- مُزاحُ ذلك اليوم، أرغمني على أن أكتب بحثًا عن "أكلةٍ" لا أُحبُّها!

واستقبلت سارة صديقاتها في الصفّ الثاني: وفاء وفيحاء وميساء وميسون، ليس بينهنّ صبيّ! وكان رفاق سامر كلُّهم صبيانًا، مصحوبين من أمّهاتهم: هشام وحسام ونوّار وعمّار وخالد ووليد.

الأب، الذي وظَّف نفسَه "مهندسَ صوت"، كان يُشَغِّل الموسيقى هادئةً، فإذا لاحَ له قادمٌ في الحديقة، بدَّل الأنغام بأن جعلها موسيقى استقبالٍ صاخبة، فيلتفت الحاضرون نحو القادم الجديد، ويرحّبون. والأمُّ تُشارك في الاستقبال، عاطفة على الصغار، ومرحِّبة بالكبار.

كان عطر زهر النّارِنْج يملأ الجوَّ ويتسلَّل عبر الأنفاس إلى الصدور... وفي ذلك كان الداخلون الصغار يُقدِّمون إلى سيرين، ما تحمل أيديهم، فتتناولها بيد الشكر، ثمّ تَفضّ الهدية أمام العيون، وتُلقي عليها نظرةً سريعة.

تساءلت وفاء عن قطّة الدار المدلّلة، تريد أن تُكَحِّل عينيها برؤيتها؟.. فذهبت وصديقتُها سارة تبحثان عنها، إلى أن وجدتاها في ركن منعزل، مُطَوَّقةَ العنق بشريطٍ حريريّ أحمر، وهي تُنَقِّل بصرها، مندهشةً، بين المحتفلين الذين ملؤوا الحديقة.

وسأل رفاقُ سامر:

- ومتى يبدأ صيد الفراشات؟

أجابهم:

- الفراشات لا تظهر عند سماعها الموسيقى الصاخبة!

فخَيَّب أملَ رفاقه في أن يُمسكوا الفراشات بأصابعهم، ولكنه صحبهم إلى حيث أَطْلعهم على ما جاء به أبوه أمس من ألعاب على الكمبيوتر...

صَدَحَتْ موسيقى الاستقبال: إنه قادمٌ طاعنٌ في السنّ، التقت عنده العيون، تنظر إلى قامته التي لم تَنَلْ منها السنون إلاَّ قليلا، وتتأمّل هامته التي يُجَلِّلها البياض. هرع الأبُ والأُمُّ والأحفاد إليه، قبل أن يتّخذ مجلسًا قريبًا من البِركة، التي يغمرها الماء، وتنبثق من باطنها الأنوارُ مختلفاتُ الألوان.

قالت نانسي، مُبديةً إعجابها بما ترى:

- حقًّا، إنها مثل حبَّات اللؤلؤ، هذه القطراتُ التي تتساقط على سطح البِركة، كما حدَّثتِنا، يا سيرين! وروائح الأزهار! إنَّ بيتكم، جنّةٌ صغيرة، لا أظنّ أنَّ عندنا مثل هذا البيت في لوس أنجلوس! (ثمّ تلفّتت حواليها)... ولكن، أين هي تلك الثمارُ الصُّفْر الجميلة، التي رأيتُها تتدلَّى من أغصان الشجرِ، يوم زرتك المرّةَ الأولى؟

عَبّرت نانسي عمّا خالجها من المشاعر، دون أن يخطر لها أنّ الجدّ، الجالس على مقربة، قد استوعب كلامَها كلَّه. سمعتْه يقول:

- إذن، فأنت الصبيّة المحبّة لوطنها، التي قطعت المسافاتِ قادمةً من أمريكا، لتقضي عامًا بيننا! حدَّثَتْني عنك سيرين كثيرًا، يا نانسي!

تملَّكتْ نانسي سعادةٌ غامرة ممّا تلقّت من عبارات المعرفة والثناء، فتقدمّت نحو الجدّ قائلةً بجرأة:

- شكراً لك، أيها الجدّ المحترم! سيرين حدَّثتْني أيضا عن ثقافتك الواسعة، وعن أنك مَدَدْتَها بالمعلومات القيّمة عند كتابة بحثها الجميل عن الباذنجان!

استرسل الجدّ:

- صحيح، يا ابنتي. وعلى ذكر النّارِنْج والكبّاد، اسمحوا لي، يا أبنائي، أن أُبيِّن لكم أنّ هذا الشجر ممّا يُكثِر أهل الشام زراعتَه في حدائق بيوتهم، وذلك لطيبِ رائحةِ زهره أيامَ الربيع، وللاستفادة من ثمره في الشتاء، بأن يصنعوا منه "معقودًا"، مربّى. الآن موسم إزهاره، وما سبق أن رأيته في الخريف، يا نانسي، على الشجر، فتلك كانت ثمارَه وهي في حالة النُّضج!

حين شرع الجدّ بالحديث، كانت الموسيقى قد خَفَتت، والمحتفلون تقدَّموا منه مُلتفّين حوله، صغارًا وكبارا، يُصغون بملء جوارحهم.

- ولْتَعْلموا، أيها الأعزّاء، أنّ العرب حملوا النّارِنْجَ والكبّاد معهم إلى الأندلس..... وهناك انتشرت زراعته، حتى اليوم!

وعندما آن للجدّ أن يُنهي حديثَه، عمَّ التصفيقُ المكان!

أُوقِدت الشموع، في ثلاث كعكاتٍ، غُرست فيها شموع: أربع، ثمان، وفي الكبرى إحدى عشرة.. ثمَّ بالنَّفخ أطفأتها الأفواه:

ومع الموسيقى غَنَّوا:

- سنة حلوة يا "سيرين"!

رفع سامر صوته محتجّا:

- وأنا؟

فغَنَّوا له:

- سنة حلوة يا "سَمُّور"!

ثم غَنَّوا:

- سنة حلوة يا "ساراااا".

بعد ذلك امتدّتْ الأيدي تتناول أطباق المآكل الشهيّة.

قالت سَمَر، معبِّرةً عن إعجابها:

- كنت أعرف أنّ جدّك الغالي أديبٌ يكتب الروايات، الآن أعرف أنه عالمٌ في النبات أيضا: مواسم الإزهار، وما ينتقل من النباتات عبر الأقطار!

قالت قَمَر، وهي تبتسم:

- إذن، فجدّك كان مصدرَ معلوماتك في بحث "الباذنجان"، الذي نلتِ فيه عشرة على عشرة!

قالت نانسي:

- أنا، في "البطيخ الأحمر"، اعتمدتُ على معلومات استوفيتُها من أمريكا ومن خالتي وئام.

قال نبيل:

- وأمي ساعدتْني في "السبانخ".

قال المزَّاحُ جميل، مُتَمَسْكِنًا:

- أنا لم يساعدني في كتابتي عن "الملوخيّة" أحد، فكان أن نلت أقلَّ الدرجات، واأسفي على سوء تصرُّفي!

فطَغَتْ، عند رفاقه، الرغبةُ في الضحك، بينما كان يجب عليهم أن يتحلَّوا بالعطف والتعاطف!

"مهندس الصوت"... هناك، بعد الاستراحة، رأى أن يملأ المكان موسيقى يستحثّ بها الصغارَ على النهوض للرقص، ولكنّ بعض الكبار بادروا أيضًا... ثمّ ما لبثت، الموسيقى، أن

تحوَّلتْ إلى "شعبيّة":

-» طلْعتْ يا محلى نورْها، شمس الشّمّوسة«.

بعدها تردّدت في الفضاء:

-«على دَلْعونا ليش دلَّعْتيني؟».

وشوهد الأبُّ، الرياضيّ، يترك أجهزتَه، وينزل إلى الحلبة: إنها دبكة أهل الشام! ولم تُشاركه الأمُّ، ذلك لأنها تنتظر "حدثا سعيدا" وإن كان بعيد الحدوث.

غابت شمسُ الأصيل، وأرخى الليلُ أولَ ستائره.

وكان على كلّ مَنْ يتّجه للانصراف أن يمرَّ، ويتناول من الهدايا ما يُدخِل السرورَ إلى نفسه.

ويصافحون:

- كلّ سنة وأنت بخير.

ولحظة خيّم الصمت، برزت ياسمين، مطوَّقةَ العنق بالشريط الأحمر. صعدت حافّة البِركة، تستطلع ما حدث في حديقتها، وما تخلَّف من آثار!

نشرت في مجلة "قوس قزح" عدد كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٧

\- - - - - - - - - -

دمشق الشام: ليل الاثنين ١٨-١٢-٢٠١٧

شام البكاء

قالت له من مغتربها البعيد:

كلما تذكرت الشام... اشتدّ شوقي لها، وبكيت!

كتب لها:

ونحن في الشام نبكي عليها!

فازداد مع الحنين بكاؤها.

دمشق الشام: مساء الثلاثاء ١٩-١٢-٢٠١٧

في وليمة ببيت لؤي كيالي.. قبل ستين سنة

في العام ١٩٥٦ قررت "وزارة المعارف" السورية أن توفد عددا من الفنانين التشكيليين إلى أكاديمية الفنون الجميلة في روما للدراسة والعودة مدرّسين لهذا الفن الجميل في المدارس الإعدادية والثانوية. وقد اتفق أن وقع "العدوان الثلاثي" على الشقيقة مصر في أكتوبر/ تشرين الأول من ذلك العام، فشدّت الحكومة "الحزام على البطون" وأوقفت كل التعيينات الجديدة ومنها الإيفادات إلى الخارج، ما شمل هذه الكوكبة من الفنانين (ومنهم لؤي كيالي وفاتح المدرس وغيرهم...) إلى أن انجلت الأمور فسُمح بالإيفاد في ربيع العام التالي.

ما دعاني إلى تذكّر ذلك أنّ والد لؤي، "حسين كيالي" (ابن الشيخ إسحاق عميد الأسرة الكيالية في زمنه)، استجاب لرغبة ابنه في أن يقيم في بيته وليمة عشاء لأصدقائه قبيل السفر، وكانت "منسفًا"، رزّا تُغشّيه المكسَّرات ويتمدّد فوقه ديك هندي رحيب الصدر مكتنز الأفخاذ، قد جعله القلي بعد السلق محمرًّا، لا استحياءً بل قهرا وغضبا!

كنت حاضرًا تلك الوليمة. ولؤي، القامة الفارعة، يتنقل بين أصدقائه بوجه يطفح تفاؤلا بغد زاهر. ورأيت المتحلقين حول المائدة يرمقون الديك بلهفة يشوبها التردّد، فما سمحت لأيّهم نفسُه بأن يبدأ بمدّ اليد ليقتطع شيئا من لحم الديك... فالتمسوا مني - وأنا أكبرهم سنّا - أن أتولّى الأمر، فشمّرتُ، وبدأتُ، تتزاحم تحت نظري الصحون، أسكب من الرزّ وأمزّق اللحم، وأصواتٌ مرحة تبلغ سمعي ملتمسة بأن أزيد لهذا ولذاك! ولا تظنّوا، ما نسيت نفسي، ملأت صحني وما قصّرت!

انتهينا من حكاية الديك...

ذهب أبناؤنا الفنانون التشكيليون إلى "البوزار" بروما، غابوا سنوات أربعًا وبعضَها، وعادوا ليجدوا أنّ الحكومة أحدثت ما سمّته أولا "المعهد العالي للفنون الجميلة"، فكانوا فيه أساتذة ومدرّسين، ثمّ رفعت مستواه إلى "كلية" تقف اليوم، بالموهوبين الذين تخرّجوا فيها، مع سائر الكليات... في مؤسسة تعليمية هي أول جامعة عربية درّست الطبّ بلغة الضاد، فكانت الرائدة في هذا المضمار.

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ١٩-١٢-٢٠١٧

في أدب السؤال عن حالة المريض

في عام بعيد ألمّ بابنتي مرض "التيفوئيد" (ما يسمّى بـ"حمّى المصارين"، وأطلقت عليه المجامع اللغوية "الحمّى التيفيّة")، وقد عنّد معها حتى خشينا عليها.

وكان زميل لي في العمل يحدّثني عن أنّ شقيقًا له انتابه يومًا هذا المرض الصعب واشتدّ أمره فأخذوه إلى المستشفى... فأبلّ، وأعيد إلى البيت معافى.

وكان الطبيب المعالج يزورنا صباح كلّ يوم ليعاين ويعالج ويطمئنّ، ثمّ أصبحت زوجته (أم سعد) تهتف لنا مساء كلّ يوم للسؤال عن حالة مريضتنا الصغيرة بنت الثانية عشرة... إلى أن أبلّت والحمد لله.

ما فاجأني أنّ صديقي في العمل، بعد أن اطمأنّ على شفاء ابنتي، صارحني بأنهم كانوا قد فقدوا في هذه الحمّى الخطيرة أخاه ابن العشرين ربيعًا! كما فوجئت أسرتي بأنّ طبيبنا المعالج (وهو عمّ زوجتي، الدكتور طه إسحق الكيالي)، بلغ به الخوف على ابنتنا أنه بات يخشى التهاتف معنا اتقاءَ أن يسمع منّا ما يؤلم الفؤاد، فكان يعهد لزوجته بالسؤال كل صباح... وهذا ما أراه من أدب التعامل، المرهف، مع أهل المريض في هذه الحالات الصعبة.

وأما الطفلة... فإنها تقيم اليوم في فلوريدا، وقد منّ الله عليها بخمسة أحفاد، وهي المقصودةُ في المنشور السابق، الكنّةُ التي فرضت بعد عودتها وزوجها من فرنسا على أسرة حميها، أن يكون للنساء في الولائم المنزليّة مائدةٌ خاصة بهنّ موازيةٌ لمائدة الرجال!

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ١٩-١٢-٢٠١٧

في سوق الحميديّة ومدحت باشا

سألتْه وهي المهاجرة إلى البعيد:

- وما الذي يُبكيك، يا أخي، وأنت في أحضان الوطن مقيم؟

قال:

- أني أرى المواطنين، يا أُخَيّتي، يُؤتى بغيرهم، يلطمون في سوق الحميدية وفي مدحت باشا!

دمشق الشام: عصر الخميس ٢١-١٢-٢٠١٧

تنويريّون.. وظلاميّون..

"حركة الضباط الأحرار"، قبل أن تتّخذ لنفسها (واتّبَعَتْها في ذلك كلُّ الانقلابات التي تلت) اسمَ "ثورة" (وقيل إنّ طه حسين، خريج السوربون في باريس، هو مَن اقترح غلى العسكر ذلك اقتباسًا من الثورة الفرنسية)، كانت تَصِم معارضيها بأنهم أعوان الاستعمار، وبـ"الرجعيّة" التي تعني عندهم التخلّف والجمود. وكان الزعيم الأسمر في خطبه الرنّانة يضغط على كلمة الاستعمارررر وأعوان الاستعماررررر، فيترنّح مؤيّدوه استحسنًا لفهمه ووعيه، على حين يعتصر الألم قلوب أنصار الحرية لما آلت إليه الأحوال...

وأذكر أني، وأنا في بيروت في ستينيّات القرن الماضي، كنت أتحدث يوما مع صديق لي من أصحاب "الشيوعية"، وعبّرت له عن مآخذي على هذا المذهب، الذي كان يتوقع هو أن يسود

العالم فتنتهي كلّ مظالم التاريخ... فقطع عليّ حديثي بكلمة حاسمة: «لا تقل هذا، بعدين بيقولوا عنك رجعي!».

أقول: وقد ظلت كلمة رجعي ورجعيّون متداولة في قاموس من وسموا أنفسهم بالتقدمية ردحًا من الزمن، إلى أن باخت[١] هذه المصطلحات وفقدت المعاني التي يقصدون.

وحدث في عام ١٩٩٩ ما استوجب من أحدهم استعادة المعنى الذاهب متخطّيًا اللفظ، فابتكر مفردتين وجعل يردّدهما في تصريحاته، دفاعًا عن عمل روائي هو من أكثر الروايات العربيّة إسفافًا وبذاءةً، بأنّ منتقديه "ظلاميّون" وأنه هو من الناس "التنويريّين"!... انتهى.

دمشق الشام: فجر الخميس ٢١-١٢-٢٠١٧

الصديق.. الذي لم تلمحني عينُه في مقهى "السياحي"

في ذلك الحين كنت قد اعتُقلت لدى خروجي من باب جامعة حلب، ونُقلت "موجودًا" إلى العاصمة، ولم يَطل اعتقالي فقد كان السبب قصة ملتبَسة ألقيتها أمام طلاب الآداب في مدرّج المتنبي.

وذهبت إلى مدينتي حلب بعد ذلك زائرا.

في مقهى "الفندق السياحي" (المطلّ على "شارع القوتلي" من جهة وعلى ذلك الشارع الذاهب إلى "حيّ العزيزيّة" من جهة أخرى)، كنت متواعدًا مع أخي الكاتب "نادر السباعي" رحمه الله. لمحني، رآني، بعضُ الأصدقاء ممّن اتفق وجودهم في المقهى تلك الساعة، فأقبل بعضهم إليّ معانقين مهنّئين، "فالداخل مفقود والخارج مولود"!

---

(١) لم تعد ذات شأن.

كانت الطاولة التي أجلس إليها تتوسّط المقهى، على نحو يُتيح للموجودين أن يلاحظوا "المعانقات" التي تقع تحت أبصارهم... إلا "صديقي" الأديب (و. ا)، الذي كان قد ذهب غداة الاعتقال إلى إعلاميّ ذي دالّة على النظام (أ. ر)، لا ليلتمس منه العون لي، بل ليُسمعه كلاما يحتمل التأويل، مثل: «طيّب، إذا كان فاضل السباعي كاتبا سخيفا وكانت قصته التي قرأها على طلاب الجامعة سخيفة، فهل هذا يستحق إلقاء القبض عليه؟! «

كان "صديقي اللدود" هذا محنّكا في كل شيء، حتى في اختياره الطاولة التي يجلس إليها في هذا المقهى: تلك الزاوية، التي تُطلّ على المشاة فوق رصيف شارع القوتلي والسائرين المتجهين شمالا، وهو في مكمنه يشمل بنظره كلّ الجالسين داخل المقهى، ومراقِبًا أيضا الباب أمامه الذي منه يتواردون وينصرفون... ولكنه - يا سبحان الله العظيم! - لم يرَ المقبلين إليّ، حتى صديقنا الفنان المحامي (م. د) الذي سعى إليّ يسحب ساقه وفيه إعاقة، ليقول لي «ألف الحمد لله على السلامة!»

فيما بعد سمعت أنه ضرب جبهته بكفّه يقول: «بكره بيقول ناضلت وناضلت! »... فقلت: «حتى هذه يحسدني عليها!».

دمشق الشام: فجر الجمعة ٢٢-١٢-٢٠١٧

رئيس جديد لفرع اتحاد الكتاب بحلب

في السنين الأولى من نشأة اتحاد الكتّاب في وطني... كانت العادة أن يُعيِّن المكتبُ التنفيذي للاتحاد في العاصمة الرؤساءَ لفروعه في المحافظات متجاوزًا أن يتولى كتّابُ كلّ محافظة انتخاب رئيس لهم.

وكانت رئاسة فرع حلب في البداية لأديبها الكبير المتّفَق عليه "خليل الهنداوي" (حتى ١٩٧٦)، خلفه بعد رحيله نائبُه "جورج سالم" الذي توفي في العام نفسه، فعيّن "الدكتور عمر الدقاق"

لبث رئيسا فيه إلى أن غادر إلى السعودية... فعَيّن اتحاد الشام الأديب "واو ألف" رئيسا جديدا. أشهد أنّ الودّ بين كتّاب حلب كان لا غبار عليه... فلما تولى هذا الرجل أمرَهم اضطرب حبل الودّ بينهم وظهرت العداوة والبغضاء... كيف؟ لقد استطاع رئيسهم الجديد أن "يُخَصخص" كيان فرع الاتحاد، ما جعل فريقا من الأعضاء يواليه ويُشيد بأدبه إشادة، وفريقٌ آخر لا! حتى لفح لهيبُ الشقاق وجوه المقيمين سعداء في العاصمة، فأزاحوه!

واستأنف الفرع سيرته الأولى.

دمشق الشام: ظهيرة الجمعة ٢٢-١٢-٢٠١٧

حتى موسم الزيتون

قصة كتبتها قبل خمسين عامًا ونزلت في كتابي "حزن حتى الموت" بطبعاته الخمس.

- - - - - - - - - -

وأَوهت المحنةُ جلَده، حتى لم يعد فيه من قدرة على الاحتمال.

ـ متى يحين موسم الزيتون؟

ـ ما يزال بعيدًا!

بدا له المكان مثل قصر مهجور. الجدار، هو ذا، يبتعد عنه تارة، ويتدانى. في أدناه "صندوق" أسود طويل. وقد نجم في عقله أنّ الخلاص في أن ينام حتى موسم الزيتون.

ـ أريد أن أغيب في سُبات أصحو منه مع موسم الزيتون. تكون المحنة قد انقشعت.

ـ وإذا لم يُسعفك الصحوُ في الأجل المنشود؟

حقّا، إن لم يواتِه الصحوُ استحال السُّبات إلى موت مؤكّد.

ـ لقد قتل اليأس الحياة في عروقي.

وبدا له الصندوق الأبنوسيّ، في أدنى الجدار، نعشا.

ـ أريد أن أنام. لم يعد في وُسعي أن أتحمّل المحنة وأنا يقظٌ حيّ!

استحالت ملابسه إلى ما يُشبه أردية رجال الفضاء، قد شُدّت على جسمه بإحكام. ولكنّ ساقيه استعصتا على السير.

تدانى الجدار. بدا النعش، أمامه، على مرتفع.

ـ أزيحوا، يا صحابي، غِطاءه.

وتعاونوا على حمله إلى النعش، وهو جسمٌ صلب مشدود.

مدّدوه داخله. سوَّوا ساقيه حتى أخذتا الوضع المريح. وسَّدوا رأسه:

ـ هل أنت مرتاحٌ هكذا؟

وجد المِهاد، تحته، وثيرًا إلى أوفى حدّ:

ـ جدا.

ـ إلى اللقاء في موسم الزيتون.

ولم يستطع الردّ على تحيّتهم. كان النعاس قد أخذ يدبّ في لسانه.

أنزلوا عليه الغطاء، فعمّ عنده ظلام القبور... وشيئًا فشيئا غاب عن الوجود!

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: فجر الاثنين ٢٥-١٢-٢٠١٧

معنى الفناء

أتعرف معنى أن يموت مَن تحبّ، فيُحمَلَ جثمانه إلى ظلمة القبر؟

وكذلك أن تُهدَّم منازل الوطن، ويُهجَّر ساكنوها إلى كلّ اتجاه؟

ذلك هو الفناء، يا صديقي!

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ٢٦-١٢-٢٠١٧

أيها النظام

أيها النظام

هل كنت تخسر كثيرًا

لو أنك أصغيت لي

وأنا أغنّي للحرية

وأتمنّى أن أصوغ أفكاري

برقابةٍ من ضميري وحدَه؟

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ٢٦-١٢-٢٠١٧

ظلّ يقول لي:

ظلّ يقول لي:

«انتظر، سوف تَرَون!»

وما أردت أن أفهم كلامه

بعد حين كتب:

«أرأيت!»

وطعنت قهقهتُه صدري

ولم أجد فائدة في أن أقول له:

أنْ تغلب شعبَك

لا يسمّى هذا انتصارًا!

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ٢٦-١٢-٢٠١٧

مطر مطر مطر.. ويُدفن السياب تحت وابل من المطر

قرأت أمس للناشط السوري المقيم في السويد "أرسان قيوجيان Arsen Kiumjyan"، أنّ مشيّعي بدر شاكر السياب كانوا أربعة، وخامسهم المطر...

وهو الذي كان تنبّأ:

مطر، مطر، مطر

وفي العراق جوع

وينثر الغلالَ فيه موسمُ الحصاد

لتشبع الغربانُ والجراد...

ويقول:

مطر، مطر، مطر

أتعلمين أيَّ حزنٍ يبعث المطر؟

وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر؟

وكيف يشعر الوحيدُ فيه بالضياع؟

بلا انتهاء، كالدم المراق، كالجياع

كالحبّ، كالأطفال، كالموتى، هو المطر...

ويقال إنّ يوم تشييعه إلى مثواه الأخير كان ماطراً بغزارة لم تر المنطقة مثيلاً لها طوال سنين... وحين وصول جثمانه من الكويت إلى داره في البصرة كانت الدار خالية من عائلته التي غادرتها عنوةً في ذلك اليوم بالذات بأوامر من سلطات ذاك الزمان!

علّقت العراقية "تحرير عباس" تقول:

نعم. وكان أبي أحد الأربعة اللي دفنوه.. في يوم ماطر ما شهدت البصرة له مثيلا. بوقتها عاد أبي إلى البيت مبللا.

كنت بالابتدائية أسمعه يبكي ويحكي لأمي: السماء والكون بكت عليه.. المسكين شنو شاف؟ كتب مطر ما يدري دفنته بمطر لا صار ولا دار!

ويقول أبي: نزلنا القبر.. الماء لخصورنا.. ووضعناه في اللحد، وبَرق ورعد، وشيّعته السماء..

رحمه الله، ورحم أبي، والقاص محمود عبد الوهاب، والصيدلي عبد الرزاق كبّه، ورجل كويتي تكفّل بالإنفاق عليه.. نعم، أربعة فقط كانوا!

(منقول بتصرف يسير)

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٢٦-١٢-٢٠١٧

في يوم ما

في يوم ما

غادر وطنَه مقهورًا

اتجه إلى حيث الذهب الأسود

اغترف

إلى أن اختلف

عاد

وشرع يُغرّد ههنا بحنّية

لمّا اختلف

وقف في العراء وحيدا

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٧-١٢-٢٠١٧

قال وهو يشرب فنجان القهوة

قال وهو يشرب فنجان القهوة في بيت صديقه:

ـ أول ما أفتح عيني في الصباح أسرع إلى قراءة ما كتبت في ليلتك... ولكن، صراحةً، لا أجرؤ على أن أضع لايك!

فسأله:

ـ وزيارتك لي الدوريّة، مساء كلّ أربعاء... ألا تخشى أن تلمحك العيون؟

فتوقف عن احتساء القهوة وقال:

ـ آ... هذه لم أفكر فيها!

دمشق الشام: مساء الأربعاء ٢٧-١٢-٢٠١٧

حين دخل أحدَ المحالّ

حين دخل أحدَ المحالّ لبيع المنهوبات

رأى بين معروضاته،

تعرّف

على سريره الذي كان ينام فيه،

ولحافِه،

والمخدّةِ التي يستند إليها أثناء الكتابة

مدّ يده إلى الطاولة الملحقة به،

فوجد في أدراجها أوراقَه،

وأقلامَه،

وكلماتِه يلتمع في حروفها الحبر...

انطلقت منه صرخة...

وتجمّع الناس حوله يستفسرون!

دمشق الشام: عصر الخميس ٢٨-١٢-٢٠١٧

كراسي خيزران عتيقة

يوم أردت أن أُجدّد كراسي الخيزران الأربعة في بيتي وأُعيد إليها رونقها، أشار عليّ "أبو صْطيف النجار"، كي يُمْكِنه نقلُها في "هونداية" إلى ورشته، أن أستحصل أولا على ورقة من "شيخ حارتنا" (عُمدة الحيّ)، تُدرج فيها أوصاف "المنقولات"، حتى يَسمح العتاولة[1] المنتصبون على الحواجز بتمريرها...

وكنت أعلم أنّ سيارات نقل عملاقة، ما زالت تُحمَّل بكلّ أنواع "المنهوبات"، من برّادات وغسّالات ومواقد غاز، وتلفزيونات وخزائن وأسرّة وفُرش ولُحف، ومن جميعه... تجتاز الحواجز والحدود والسدود، بكلّ أمان واطمئنان، قبل أن يتوزّعها "المعفّشون" بعيدًا عن

(١) جمع عتل: الغليظ الجاف القاسي

الأعين الراصدة أو بمعرفتها...

ففضّلت، احتجاجًا مني، أن أُحتفظ بكراسي الخيزران الأربعة على عِتَقها، وأن أُحدّث بذلك الضيوفَ الذين يجلسون عليها، وأحدّثكم أنتم أيضا.

دمشق الشام: ظهيرة الخميس ٢٨-١٢-٢٠١٧

طه حسين.. يعاتبني!

رأيت، في القيلولة عصر أمس، أني في زيارة لإحدى سيدات العائلة. يدخل فجأة الدكتور طه حسين، الذي أتبيّن الآن أنه زوج لقريبتي صاحبة البيت (وليس للسيدة الفرنسية-السويسرية سوزان بريسو!).

قدّمتني قريبتي إليه... فلما سمع اسمي أطرق قليلاً ثمّ رفع رأسه مائلا به قليلاً إلى اليمين، يعاتبني لأني أردّد بين أصحابي أنه وإن كتب الرواية، "الحبّ الضائع" و"دعاء الكروان" وو... إلا أنه لا يملك ناصية الفن الروائي، فهو لا يُحسن إدارة الحوار على ألسنة شخوصه الروائية، بل يتّخذ صيغًا أخرى للتعبير غير المباشر عن مقولاتهم، كأن يقول بأنّ فلانا قال للآخر بأنه ليس من حقه أن يفعل كذا وكذا، أو أن يُجري على لسان بطلة قولَها لشخصية أخرى بأنّ عليها أن تذهب إلى ذلك الشخص وتفعل كذا وكذا...

والواقع أني أقول هذا دون انتقاص من قدره.

ولحظة هممت بالكلام، وهو يتلطّف بالإصغاء، استيقظت من قيلولتي...

أنا آسف جدا لضياع الفرصة من يدي في التعبير عن رأيي!

دمشق الشام: فجر الجمعة ٢٩-١٢-٢٠١٧

الجزء السابع

٢٠١٨

عامان قبل الرحيل

ويدمّر الغرباء بيوتنا

ويدمّر الغرباء بيوتنا

ويقتّلون أطفالنا

ويهجّرون شعبنا

ويَزدَرون المسؤولين فينا

والعالمُ كلّه يتفرّج

ما بين صامت

وشامت

ومصفّق في العلن

ونحن لا نملك إلا الدعاء

دمشق الشام: ظهيرة الإثنين ١-١-٢٠١٨

لم نعد نريد

لم نعد نريد سماع:

بطل العروبة الخالد

الزعيم الأوحد

القائد الفذّ

نفوسنا تهفو إلى أن نسمع:

الحرية في كل مكان

العدل سيّد الزمان

والمساواة حقّ للجميع.

دمشق الشام: عصر الإثنين ١-١-٢٠١٨

الغرباء

سوف يظلّ الغرباء في وطني

يَعيشون فيه

حتى يدمّروه تدميرًا

ويا لها من خواطر تنهمر عليّ في الساعات الأولى من العام الجديد!

دمشق الشام: فجر الإثنين ١-١-٢٠١٨

خمس وخمسون سنة!

أكتب في سيرتي الذاتيّة

أني قضيت من عمري ٥٥ سنة

تحت حكمٍ تولّى فيه المناصبَ مَن ليسوا بأفضلنا

وضيَّعنا من الوطن "الجولان"

ثمّ ضاع نصف الشعب

في المنافي

والمخيّمات

وعلى أرصفة البلدان الغريبة

دمشق الشام: فجر الإثنين ١-١-٢٠١٨

فقط... لو أنّ...

سهرتُ ليلة رأس السنة

وأنا أتنقّل بين فضائيّات العالم

ثمّ...

أعود مشتاقًا إلى إعلام الوطن

يروق لي حديثُ أبناء البلد

يلذّ لي سماعُ لهجتنا المحليّة

أشمّ فيها رائحة الحارات العتيقة

فقط...

لو أنّ الذين فوقهم

لم ينتهكوا حريتي

ولم ينتهبوا ثروات الوطن

ولا هجّروا الملايين!

دمشق الشام: فجر الإثنين ١-١-٢٠١٨

أشهد أنّ شعبي

أشهد أنّ شعبي

قادر على أن يُعيد بناء الوطن

خلال عشر سنين

أحسنَ مما كان

إذا حكَمَنا أخيارُنا وتحررنا من جحافل الفاسدين

دمشق الشام: ظهيرة الإثنين ١-١-٢٠١٧

ثلاثة فرسان أدب.. في حلب

"جورج سالم" يروي بمرح

"فاضل السباعي" يهمّ بالكلام

و"علي بدور" يتأمّل

أصدقاء كنّا، منذ منتصف خمسينيّات القرن الماضي، في الأدب، وإن اختلفنا مذاهبَ في الفكر السياسي:

علي كان ناصريّا صِرفًا، ولما جاء الثامن من آذار استطاع أن يوائم بين ناصريّته وحكم البعث.

وكان جورج بعثيّا، لا يُصرّح.

وظللت وحيدًا أومن بالحرية والديمقراطية اللتين تتآكلان شيئًا فشيئًا... وجنيت التهميش والتعتيم.

في عام الواحد والستين انضمّ إلينا "وليد إخلاصي"، وهو في الفكر السياسي نسيج وحده. قلت عنه مرة بشيء من المبالغة إنه يقول: سورية مهد الحضارات، أوغاريت، الأبجدية، فيُرضي بذلك جماعة "السوريين القوميين"! وأمام "البعثيين": القومية العربية توحّدنا! وأمام الشيوعيين: الشيوعية تشغّل كل الأيادي العاملة! ومع الإسلاميين: أنا أبي شيخ! فتجتمع عنده

الحظوظ والحظوات.

رحم الله جورج سالم (١٩٣٣-١٩٧٦)، رحل باكرًا مأسوفا على شبابه،

ورحم الله علي بدور (١٩٣٠-١٩٩٩)،

وأمدّ الله في عمر وليد إخلاصي (من مواليد ١٩٣٥).

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ٢-١-٢٠١٨

جمعوا شتيتهم من أنحاء الكرة الأرضية

جمعوا شتيتهم من أنحاء الكرة الأرضية وشكلوا دولة في قلب وطننا

ونحن فسيفساء عبر التاريخ تجانست... قام بعضهم يزعم أنّ بعضنا سوف يذبح بعضًا!

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٢-١-٢٠١٨

هل تُستبدَل الأوطان!

كنا نُنشد، ونحن تلاميذ صغار أيام الحكم الفرنسي، نشيد "نحن الشباب"... ونحلم بغد مشرق...

وأنشدناه ونحن فتيان نستقبل أول أيام الجلاء، والقلوب طافحة بأمل أن نُسهم في بناء وطننا، الذي نمشي على أرضه، ونستظلّ سماه، وننعم بحماه

شَبَبْنا عن الطوق... تعلّمنا... ونزلنا إلى الساح...

نحن الشباب لنا الغدُ...... ومجدُه المُخَلَّدُ.....

عندما تقدّمت بنا الأعمار تذكّرنا ما كنّا أنشدناه:

يا وطني عداك ذَمْ مثلك مَن يرعى الذممْ

فوجدنا أنّ كلا منّا... يبحث عن وطن بديل!

ولكن...

هل تُستبدَل الأوطان؟!

دمشق الشام: مساء الجمعة ٥-١-٢٠١٨

المشي.. في "باب الجنان".

أيام الانتداب الفرنسي أنجزت شركة أجنبية مشروع "الترامواي" بحلب، خطّان اثنان اقتسما المدينة (وكان عدد سكانها مئتَي ألف نسمة): من غرب إلى شرق (محطة الشام- القصيلة) والآخر من شمال إلى جنوب (نيّال - خان الحرير)... وكلّ شيء تمام.

كان الخط الثاني يمرّ عبر "ساحة باب الفرج"، ثمّ يتغلغل، يندسّ، في "سوق باب الجنان" جنوبًا... ويا له من مرور! ويا لها من زحمة!

بائعو الجملة للخضرة والفاكهة ("سوق هال" قديم!) تملأ معروضاتهم الدكاكين وتطفح إلى الأرصفة، بل حتى الشارع. عربات الطُّنْبر تجرّها الدواب تمشي الهوينى، ونحن في داخل الترامواي نتفرّج... وكم كنت أعجب لصبر سائقيها وأناتهم وهم يقودون مركبتهم الكهربائية في هذا الازدحام، يمشون بها مَشْيَ السُّلَحفاة حقيقةً لا مجازًا، هذا تزحمه بجانبها أو "يدحمها" هو بكتفه، وذاك يُربّت جدرانَها بيده متعرّفًا... وعندما يؤون لنا أن نخرج من هذا المكان نتنفّس نحن الركاب الصُّعَداء!

"دحمة الترامواي"، نعم، تعبير سوقيّ كان يتردّد على ألسنتنا نحن طلاب المدارس في عقد الأربعينيات من القرن الماضي... أخذوا شطرا من بيت الشعر "إنّ اللبيب من الإشارة يفهمُ" (بحر البسيط)، فحوّروه وكسروا وزنه: إنّ اللبيب من "دحمة الترامواي" لا يفهمِ، لاحِظوا

بالكسر!

وكان يستغرقنا الضحك لهذه النكتة الـ.... إنها المراهقة، أيها الأصدقاء!

دمشق الشام: مساء السبت ٦-١-٢٠١٨

في هذا الركن

كنت أتأمّل... وأكتب... وأنشر...

ما أصبح عندي منه ستة مجلدات كل منها من مئة ألف كلمة...

تؤرخ للوطن، والأدب، والمجتمع، والأسرة، والذات...

هل هناك ناشر شجاع يتبنّى؟

دمشق الشام: ليل الجمعة ٥-١-٢٠١٨

على باب مبنى البريد، اليوم

حرصت هذا اليوم على أن أنزل إلى مركز المدينة لأودع في "الطرود البريدية" بَعيثتَين من الكتب، إحداهما إلى دبي والأخرى إلى فيينّا، مردّ هذا الحرص إلى أنهم يسوقون في اليوم التالي (الإثنين) البريد إلى المطار ليتوزع في العالم صدورًا عن بلدنا المنكوب.

وأنا خارج من المكان، أهمّ بأن أفتح بابا ليس من السهل التعاملُ معه مِن قِبل مَن هو في مثل سنّي، رأيت رجلاً -في سنّ الكهولة المتقدمة- يُهرَع نحوي، يفتح ويظل ممسكًا بالباب حتى اطمأنّ لعبوري، ويبادر إلى القول: "أستاذ أنا أعرفك، كنت تأتي إلينا في شركة الكهربا! ". وتذكرت أني ذهبت إليهم مرة أو اثنتين مراجعًا في شأن فواتير زادت قيمتها على المعتاد، تعرّفت على بعضهم ورحّبوا وأنجزوا. قال: "رئيسنا الأستاذ عبد المجيد تولى حلّ مشكلتك".

والواقع أني لا أتذكر هذا الاسم. قال: "ورأيتك مرة في مركز المهاجرين، وكان رئيسنا الأستاذ عبد الحسيب". فأمسكت، فأنا لا أذكر أني توجّهت يوما إلى ما يسمّيه مركز المهاجرين! وهنا خطر لي أن الرجل يُشبّه بي أحدًا غيري.

كنا نمشي معًا على الرصيف

سألته مسايرًا: لم لم "يمدّدوا" لك العمل في الوظيفة؟ أجابني بما فهمته أنّ مَن شمله "التصنيف" لا يحق له طلب التمديد... أو كلام من هذا القبيل. ولحظة آن لي أن أفارقه مال نحوي يقول: "اللي بيطلع من خاطرك! "، وأدركت أنّ الرجل يتخّذ من هذا التودُّد السلس طريقًا.

وشاءت لي ذاكرتي الأدبية أن أتذكر "الهمذاني" صاحب "المقامات"، وخصوصًا "المقامة البغدادية"، التي كنت أعدت قراءتها وأنا في فلوريدا قبيل أعوام، وكنّا درسناها في سنوات الإعدادي وأُعجبنا فتيانًا ببراعة "عيسى بن هشام" الذي أَوهم ذلك الأعرابي القادم توا من أرض السواد، بأنه "أبو زيد" يعرفه، ويعرف أباه، وأسلافه... ودعاه إلى تناول الشِّواء في حانوت قصّاب، وبعد الشبع انسحب الراوي عيسى بن هشام "ليأتي بماء يُشَعْشع بالثلج"، تاركا هذا الرجل يستقبل مصيره على يد الشَّوّاء! وقد كنت نويت أن أكتب من عندي تكملة لها "حديثة": أنّ الأعرابي المخدوع قُدِّر له أن يظفر بغريمه، فيفعل به أكثر مما فعل الشَّوّاء به هو، مِن لكمٍ ولطم، ولم أُنجز ما نويت!

أقول: مددت يدي إلى جيبي وأخرجت كمشة من العملة الورقيّة المُهترئة، وسحبت واحدة منها، فرأيته يُحِدّ النظر في ما هو بقبضتي ويقول: "كمان هديك، زكاتك! "، فسحبتها له، وهو استرسل...

صدّقوني أني لم "أزعل من" الرجل الطاعن في السن، بل "زعلت عليه"، فلولا الحاجة

القاهرة لما توسّل بهذا الأسلوب متسوّلا لطيفا. ولكني لم أفعل –بغية التأكّد– ما قام به الراوي هناك، الذي لَطَى حيث يَرى ولا يُرى، ليستمتع برؤية السوادي يتلقى من الشَّوّاء العقاب، فصاحبي هذا، إذ اتخذ من مبتكَره عادةً، فذلك نتيجة لدمار البيوت وخراب النفوس في هذا الزمن الذي نعيش... في خضمّ حرب لم نُشعلها –نحن المطالبون بالحرية– ولكن الأغيار هم الذين نفخوا في نارها وصبّوا عليها كثيرًا من الزيت... ليشتّتوا شعبا كان أجدادُه أول من وضع الأبجديّة في تاريخ البشرية.

دمشق الشام: عصر الأحد ٧-١-٢٠١٨

وقفت ربّة البيت

وقفت ربّة البيت في باب البقاليّة تطلب سلعة ثمنها خمسمئة، فيناول البقال ما طلبت لأجيره وهو يقول له بصوت خفيض: خود منها ٦٠٠... خود ٧٠٠!

وعين الرقيب غافلة... إلا عن ألسنة الناس الذين يتكلمون!

دمشق الشام: ظهيرة الإثنين ٨-١-٢٠١٨

نعم، هناك محتالون.. ولكن..

في منشوري أمس "على باب مبنى البريد"... لا أبرئ ذلك الرجل من الظنّ بأنه كان محترفا فيما فعل... ولكنّ ثقتنا بالإنسان والإنسانيّة تُملي علينا حسنَ الظنّ وألا نُغفل النظر إلى أنصاف الكؤوس الملآنة.

هنا أسمح لنفسي بأن أروي ما وقع لي في بداية الأحداث:

رشّحتْ لي جارتي رجلا ليتولى العناية بحديقة منزلي. فرأيته، منذ اليوم الأول، يشكو لي أنّ القصف نال ضيعته جنوبيَّ دمشق، فنزح وأسرته إلى غربيِّها، فقُصف المكان حول "خان

الشيخ" أيضا، وأصيب في ذلك طفله بجراح كلفته معالجتها ثلاثين ألف ليرة، فامتلأ قلبي بالإشفاق على الرجل، وطلبت منه أن يأتيني "بفاتورة المستشفى" وأنا أسعى له عند أصدقائي المقتدرين، ثمّ تمكينًا له من العمل عندي اقترح عليّ شراء أدوات زراعية بادرت إلى نقده ثمنَها ليشتريها... ثمّ لم أعد أرى وجهه أبدا!

حدّثت بذلك جارتي، فحدّثتني هي عن أنه كان يقوم بشطف درج بنايتهم كل أسبوع، فابتزّها هي وأبناءها مبالغ ادّعى حاجته إليها في خطبة ابنته... ثمّ غاب.

نعم، أيها الأصدقاء... هناك محتالون محترفون يمارسون ألاعيبهم أيام السلم الوديعة وفي الحروب الدامية، ولكنّ ذلك لا ينبغي أن يصرف انتباهنا عن الحقائق الدامغة التي نراها تملأ الأرض والسماء!

واستكمالا للحكاية: جاءني الرجل بعد مدة، معتذرا، وعارضا عليّ أن أجعل المبلغ دينًا لي عليه، سلفة، أستوفيها من أجور عمله... ولكن كان قد غلب على ظنّي أنه يُحضّر لعملية احتيال أخرى!

أقول: إني أفضّل أن أُخدَع بمحتال على أن أرفض بالخطأ محتاجا يتقرّب مني.

دمشق الشام: ظهيرة الإثنين ٨-١-٢٠١٨

التحوّل لتسييس القصص..

قصة "الأول" نموذجًا

منذ منتصف القرن الماضي وأنا أكتب القصص الاجتماعيّة والوجدانيّة... فلما جاءت الستينيّات وجدتني أكتب الأدب الذي يرفض القهر ويتغنّى بالحريّة. وقد تجمّعت عندي من ذلك عندي خمس عشرة قصة جعلتها في كتابي "حزن حتى الموت".

وفي تحيُّز النظام لأتباعه، منصرفًا عن احتضان المواهب الواعدة التي رفض أصحابها الانحناء... أسعفني الإلهام بأن أكتب حكايةَ ذلك المتفوّقِ في العلم والثقافة الذي رفضوا قبوله "معيدًا" في الجامعة التي تخرّج فيها... لماذا؟ لأنّ "تقارير الأمن الطلابي" تقول إنه لم يُشاهَد يومًا في المسيرات التي تهتف بالروح بالدم!

ضمّت القصةَ مجموعتي "اعترافات ناس طيبين"... أقدّمها هنا لأصدقائي المستنيرين، وأيضًا استجابة لالتماس ذلك القارئ من إقليم كردستان العراق (أمجد ديليزه يي)... وأقول: أربعة عقود من السنين والقصة تحتفظ ببهائها الذي تؤكده حوادث الزمان[١].

دمشق الشام: الثلاثاء ٩-١-٢٠١٨

هل نستعيد زمن ابتزاز الفقراء؟

أليس غريبًا أن يكون في مجتمعي أناسٌ يفترشون الأرض ويلتحفون سقوفًا تتألف من نُفايات الأشياء؟ وأن يكون بيننا مَن يملك الملايين والمليارات يودعها سعيدًا في مصارف الغرب المتاجر بإنسانيّتنا؟

هل نستعيد، في أيامنا، ظروف "الثورة الصناعية" في أوروبا القرن التاسع عشر، عُمّالا قادمين من الأرياف، تعتصرهم آلة الصناعة حتى الموت؟

والله لست من أنصار الشيوعية والاشتراكية الذين رفضتُ مبادئهم البرّاقة وأنا في مقتبل العمر... ولكني مجرد إنسان يحتضن في صدره قلبًا ينبِض بحبّ البشر.

أكتب والدمعة تترقرق في عيني ألمًا على هذه "الازدواجية"!

---

(١) وردت قصة "الأول" ضمن جزء سابق ص، فلم نشأ تكرارها هنا.

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ٩-١-٢٠١٨

عن الإعمار الآتي..

لا يشكّ أحدٌ في أنّ عندنا عقولا نَيِّرة وهممًا عالية لإعادة بناء ما خرّبته الأيام، وبأحسن مما كان، حتى لتُبنى أحياءٌ تضاهي ما في الأحياء الغربية من المدن المدمّرة، بمعونات سوف تتدفّق على البلد من كلّ حدَب وصوب ومن أولئك الذين أسهموا في التدمير...

لكن لنفكّر أولًا كيف يُمكننا أن نُبعد الأيادي الفاسدة والأصابع الملوّثة عن ميادين العمل والإعمار... خاصة أنّ اتّساع الرقعة غدا سوف يُسيل لعابهم ويُثير أطماعهم... فإن لم نستطع فكأننا ندَعُهم يتابعون ما اعتادوا!

دمشق الشام: ظهيرة الخميس ١١-١-٢٠١٨

في انتظار المولود

قصة للصغار والكبار:

لم يكن الجدُّ قد أنجب من الأولاد سوى ابنِه، هذا الذي رزقه الله سيرين وسارة وسامر؛ وقد كان يتمنَّى لو أنه أنجب "قبيلةً" من الأولاد، ولكنّ الله ما قدّرَ، ورحلت الزوجة وهي في ربيع العمر، فكان أن عَكَفَ على البحث والاشتغال بالتأليف، حتى كادت كتبُه التي أخرجها للناس أن تصبح... هي "قبيلة"! فلما حَظِي ابنُه بالمرأة الصالحة، عاوده الحنينُ إلى حُلمِه القديم، فجعل يُردِّد على مسامع الزوجَين الشابَّين مازِحًا:

- إنْ لم تُنجبا قبيلةً كاملة، فـ... نصفَها!

فتتبسّم الكَنّةُ سعيدةً بالاستماع إلى حُلم حَمِيها، ويستجيب الابنُ للممازحة، مستدركًا:

- أنجبُ لك قبيلةً، يا أبي! لكنْ لستُ وحدي مَنْ يفعلها، يساعدني في ذلك أبنائي

القادمون من ظهر الغيب: أُنجِب أنا، وهم أيضًا ينجبون لك!

ويرنو الجدُّ، إلى المجهول: هل يُكتَب له أن يعيش ويرى! ويوم علم أنّ حفيدًا رابعًا آتيًا على الطريق، عاودتْه روح الدُّعابة، قال:

- طيّب، اجعلْهم سبعة، يا ولدي، ويُنجب كلُّ واحدٍ منهم سبعة... تسعة وأربعون، مقبولة!

وتضحكُ الأسرة للنكتة.

وقفَ الأولادُ أمام الشاشة الصغيرة، يُحدِّقون إلى كتلةٍ، جسمٍ صغير غير تامّ الخِلْقة، يبدو لهم وكأنه يسبح في ماء أو يتهادى في فضاء، والأمُّ مستلقيةٌ على السرير، والطبيب ذو الرداء الأبيض، يُنَقِّل "المِجَسَّ" على بطنها.... ويعلن:

- "مُغْلَق"!.. أرى الجنينَ منطَويًا على نفسه!

ولم يَفُتْه أن يُحاول بثَّ الاطمئنان في نفوس الصغار:

- نأمل أن تكون حركةُ الجنين، في الزيارة القادمة، مواتيةً لأن نعرف أَصَبِيٌّ هو أم بنت!

فتبدَّى الامتعاضُ في العيون المترقِّبة، وما نطق منها إلاَّ سامر:

- كلَّ مرة مغلق مغلق!

ولكنّ أشواق البنتين إلى المولود الجديد كانت مختلفة. أعربتا مرةً لأمّهما عن أُمنيتهما في أن تريا في البيت طفلاً، قالت الأمّ:

- هو ذا أخوكما سامر.

قالت سيرين:

- أصبح سامر "كبيرًا" يذهب إلى الروضة، يتعلّم الأناشيد ويُشاغب في البيت، نريده

طفلاً حديثَ الولادة، نراه يرضع، نساعدك في تسكيته إذا بكى، ونهزّ سريره عند النوم، نُداعبه ونُناغيه!

وبعد أن صرّحت الأمُّ بالخبر، ثمّ بدأت تظهر عليها الأعراض، واحتاجت إلى العناية، هبَّ الأولادُ الثلاثةُ يخدمون: سيرين تعصِر البرتقال بالعصّارة، وسارة تسرع إلى تقديم كأس الماء مصحوبًا بالحَبّة، وتتناوبان في غسل الصحون والأواني في المطبخ، وتسحبان من "الغسّالة" الثيابَ المبتلّة، قبل أن تقف سيرين في الحديقة على كرسيٍّ عالٍ، تُناولها سارة الغسيل قطعةً قطعة لتنشرها على الحبال.

وأما سامر، فلم يكن مطلوبًا منه إلا أن يُخَفِّف من شغبه، وكانوا يرونه أحيانًا يقترب من أمّه، يُمَرِّر يدَه على موضع الجنين، ثمَّ يُقبِّل البطن، ولا يتخلَّى عن تساؤلاته:

– هنا كنت، قبل أن آتي إلى الدنيا، يا ماما؟

ويتحاور الأشقّاء الثلاثة.

يقول سامر:

–أنا أريده أن يأتي صبيّا.

فتردّ عليه الصبيّتان:

– ونحن أيضًا نريده صبيًّا.

فيتعجَّب:

– أنتما "بنات"، لماذا لا ترغبان في أن يأتي بنتًا؟

تقول سارة، المولعةُ بالعدالة والمساواة:

– حتى يكون في البيت بنتان وصبيّان.

يقول:

- أنا... أريد أن يكون لي أخ مثل رفاقي في الروضة، يركب معي في الحافلة كلّ يوم، ونذهب سويًّا، ونلعب في الباحة هناك.

ويتذكَّر رفيقَيه خالد ووليد، التوأَمَين، المتشابهَين حتى لا يَنْماز الواحدُ من الآخر... فيسأل:

- ماما! يوم وَلَدْتِني، لماذا لم تأتي بصبيٍّ آخر معي؟!

في زيارة الجدّ لهم، جلسوا يتحاورون:

قالت سيرين: إذا جاءنا صبيًّا سمَّيْناه "تامر" على وزن "سامر! ".

فيُبيِّن الجدُّ، الذي اعتادت الأسرةُ استشارته في اختيار الأسماء: لا أراه مستحسنًا أن يكون التشابهُ في الوزن وفي الحروف كبيرًا، بين الأسماء في البيت الواحد، حتى لا يقع التباسٌ في السمع عند المناداة!

قال سامر: في الروضة لي رفيق أُحبّه، نلعب معًا، اسمه "هشام"... نُسمّي أخي هشاماً.

قال الجدّ مؤيِّدًا: إنه اسم الخليفة الأمويّ "هشام بن عبد الملك"، من منجزاته أنه جدّد مدينة "الرُّصافة" في الشمال قريباً من نهر الفرات، يقضي فيها فصل الصيف. "سامر" و"هشام"، اسمان لائقان لشقيقَين لطيفين.

قالت سارة: وإذا جاءنا المولود بنتًا، هل نُسمّيها "هشامة"، يا جدّي؟

وأطلقتْ ضحكةً صغيرة.

فجاراها الجدّ:

- في هذه الحالة، نحذف "الهاء" من أول الاسم فيصبح "شامة"!

اعترضت سيرين:

- لا أحبّه هذا الاسم، إنه اسم قطّة! (وأخذت تُغنّي) "شامة يا حبيبتي"، أنشودة تعلّمناها في المدرسة!

قال الجدّ:

- عندما تأتي البنت، نصلّي على النبي، ونعقد جلسة، ونختار لها اسمًا لائقًا.

وذهب الأولاد إلى النوم، ليحلُموا بالوقوف أمام الشاشة، يتابعون حركةَ الجنين وهو يسبح ويتهادى، متمنّين أن يسمعوا كلمة صبيّ، فيكون في بيتهم بنتان وصبيّان. ا. ه

نُشرت في مجلة "قوس قزح" للأطفال، عدد كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٧

دمشق الشام: مساء الخميس ١١-١-٢٠١٨

أرض زراعية.. للمرأة في الريف!

ذات عام بعيد، أيام الوحدة، تجاورتُ ورجلاً من أبناء الريف في سيارة بوسطة (الهوب هوب)[(١)]، وكان توزيع الأراضي على أبناء الريف قائمًا على قدم وساق.

خطر لي أن أحدّثه عن معاناة المرأة في الريف: إنجاب ورعاية، طبخ ونفخ، عجن ووقوف أمام التنّور، وتشارك الرجل في الحصاد، وزوجها يُقضّي كثيرا من أوقاته في مضافة المختار، يشرب القهوة المرّة والسكاير اللفّ ويسولف... وأضفت: كان على عبد الناصر أن يوزّع الأراضي على نساء الريف أيضًا!

فتجهّم وجه الرجل... ولم أحاول استرضاءه!

---

(١) باص الهوب هوب، الذي ينقل بين القرى والمحافظات قبل أن تظهر شركات المواصلات الحديثة، اكتسب تسميته تلك لأن الركاب عندما يريدون الصعود أو النزول ينادون السائق: هوب هوب؛ فيتوقف.

دمشق الشام: ظهيرة الجمعة ١٢-١-٢٠١٨

مبتدأ الفساد..

إنّ نظامًا حاكمًا

جرى على أن يوزّع المناصب، الصغيرة والكبيرة، على أنصاره الناشطين في الحزب

فإنه يُتَوقّع لهم أن يرتكبوا من المخالفات أشكالًا وألوانًا، وأن يتجاوزوا كلّ الخطوط والحدود والسدود، غير عابئين بمساءلةٍ أو محاسبة باعتبارهم الأبناءَ المقرّبين للنظام الواحد الأوحد...

أقول: ومن هنا... يبتدئ الفساد... ولا تُعرف له نهاية.

دمشق الشام: مساء السبت ١٣-١-٢٠١٨

أقصى مكان ذهبتُ إليه بعيدًا عن الديار...

أقصى مكان ذهبت إليه بعيدًا عن الديار...

أبعد مسافة في أسفاري كانت إلى الولايات المتحدة الأمريكية...

في المرة الأولى إلى نيويوك وواشنطن وهما شرقي البلاد هناك، والثالثة إلى ولاية فلوريدا جنوبي هذه الجهة... وأما الثانية منها، الوسطى، فإلى أقصى غرب البلاد، كاليفورنيا وعلى الأخص لوس أنجلوس.

وقد كتبت عن الأولى والثانية نصوصًا نزّلتها في كتابي "قمر لا يغيب، فصول في أدب الرحلات" (ينتظر النشر)، وأما الرحلة إلى فلوريدا فقد كتبت وأنا فيها، ثمّ عنها كثيرًا وكثيرًا جدًا ونشرته في صفحتي في شبكة التواصل الاجتماعي (ينزل مستقبلا في كتب.

شكرًا على السؤال، فهو يُذكّر ويوحي.

دمشق الشام: ظهيرة السبت ١٣-١-٢٠١٨

ودارت الأيام..

غنيٌّ عن البيان أني لم أكن، في الدائرة الرسميّة التي قُدّر لي أن أبتدئ حياتي الوظيفية فيها عام ١٩٥٧، الوحيد الذي يؤمن بالحريات الديمقراطية، ولكني كنت صاحب قلم يتغنّى بها وبسائر القيم الإنسانيّة، وبَدوتُ في هذا صديقًا حميمًا لزملائي، عدا ثلاثة اعتادوا أن ينظروا "بغير ارتياح" -ولا أقول أكثر من ذلك- إلى ما أمارس من نشاط أدبي في الصحافة المحليّة وفي المجلات العربيّة (ولم يكن عندنا يومذاك "المعرفة" و"الموقف الأدبي"...)، كان اثنان منهم ينتميان إلى الحزب العروبي المُدلّ بقدرته على احتياز الحكم، ويُبشّر الثالث بالشيوعيّة الأمميّة التي حققت فيها موسكو بذلك العام حلمَ الدوران حول الأرض بقمر اصطناعي احتضن "الكلبة لايكا".

أقول: ودارت الأيام...

فأصبح أحد الاثنين، "معاون وزير" والآخر "سفيرًا"، وأما الثالث فقد اعتُقل في أيام "الوحدة"، واعترف في الإذاعة بانتمائه، وأعلن الانسحاب.

وكلٌّ يمضي إلى غايته.

دمشق الشام: ليل السبت ١٣-١-٢٠١٨

بعرق الجبين

كانت تطلب من صاحبة المنزل أن تمكّنها من الانصراف، في أيام الشتاء العابسة، ساعةَ العصر لا بعدها، فإنها كي تصل إلى بيتها تستقلّ ثلاث مواصلات، ثمّ تمشي في العَراء مسافة،

متخوّفةً أن يعترضها أحدٌ من البشر أو تنبَحُ عليها كلاب الليل، وهي عائدة إلى أطفالها الذين ينتظرون!

لـمّا أصغيتُ إلى صديقتي تروي لي هذا... تذكّرتُ ذاك الذي غادَرَنا يومًا إلى ديار الغرب، تسبقه أموالٌ منهوبة، يُسهم بها هناك بأريحيّة مشهودة في تمويل "نَفَق" يُقرّب بين ضفّتَي "المانش"، ويتنقّل هو بين قصور كان سكنها قبله أباطرةٌ وملوك، تسنّى له أن يقتنيها بكدّ اليمين وعرق الجبين[١]!

فعرفت لماذا كان على تلك البائسة أن تمشي في عَراء الليل، حاملةً إلى أطفالها قوتهم اليومي.

دمشق الشام: فجر الإثنين ١٥-١-٢٠١٨

وكان، في الأربعينيّات، امتحانٌ لمرشّحي البرلمان

أواخر أربعينيّات القرن الماضي، ونحن ننعم بالاستقلال الحديث، أحبّت حكومة الوطن أن ترفع من مستوى نوّاب المجلس النيابي، فأصدرت "تعليمًا" يقضي بأن يخضع المرشحون لعضوية المجلس ممّن لا يحملون "الشهادات"، لامتحان "للقراءة والكتابة"، فكان هناك مَن ينجح ومن يسقط... وفرح الشعب بهذا الإجراء كثيرًا.

اليوم نسأل زميلنا في الثقافة والإبداع، الفنان نجدت أنزور، نائب رئيس البرلمان الذي بات يُسمّى "مجلس الشعب"، عمّا إذا كان في الإمكان إصدار تعليم جديد، مفرح للشعب، يُلزَم بموجبه المرشّح بأن يؤدّي امتحانًا في "الخطابة"، فتُعرَف مقدرته في التحدّث عن دور الإعلام... الذي يدعم الصامدين في وجه الإرهاب، ويُقوّي الحكومة والجيش، ولو بالطبل والزمر...

---

(١) هو رفعت الأسد، شقيق حافظ الأسد.

دمشق الشام: ليل الثلاثاء ١٦-١-٢٠١٨

الحلبيون.. يَكتشفون!

كان من المصائب التي انهمرت على البلاد، ومن ضمنها حلب المنكوبة... انقطاعُ الكهرباء والماء، وفقدانُ الغاز يطبخون عليه والوقودِ السائل يستدفئون به، وغيابُ الأمن والأمان... اليوم... يرون أنّ ما استرّدوه من هذه "المفتقدات" قد عاد إليهم منه قليل، وهم سعداء به يحمدون الله ويبوسون اليد وجْهًا وقَفًا.

ولكن أصحاب المشاريع إذ تهمّموا للعمل، اكتشفوا -وما كانوا يجهلون، لكن مُغْمِضي الأعين كانوا- فقدانَ اليد العاملة أيضا، فكثيرٌ وكثير جدا من المواطنين، غادروا الوطن نجاة بأرواحهم إلى بلاد اللجوء ما استطاعوا، وكثير من الشباب تسلّلوا من البلاد فرارًا من خدمة الاحتياط.

وتبيّن للحلبيين في استيقاظهم، أنّ لا مجال لاستئناف العمل والنشاط في المستقبل المنظور، إلا باستيراد الأيدي العاملة، من... الهند والسند وبلاد ما وراء النهر!

أذكر واقعة عاينتُها بنفسي. أردت مرة أن أشتري كمية من كتب بعينها من إحدى المؤسسات الرسمية بحلب، فجاءني الردّ بأنّ "أمين المستودع" غادر تحت جُنح ليل إلى حيث لا يعلمون أو يعلمون، و"مفتاح" المستودع في جيبه! بعد حين استحصلوا على نسخة من المفتاح، ولكن مَن هو الهُمام الذي يتولى شأن المستودع، بما فيه من كتب وأغراض وسجلات وأوراق. قالوا: نُعيّن موظفًا جديدا. ولكن أين هم المواطنون الذين يُعَيّنون؟ قالوا: نكلّف أحد العاملين في المؤسسة، فوجدوا أنّ أحدهم متاح له ذلك، ثمّ تذكّروا أنه ينتمي إلى فئة "المستخدَمين" والتعليمات تنصّ على أن يكون من فئة "الموظفين"... فكففتُ عن الطلب، وعن سماع تعقيدات تخدش الفؤاد قبل الأذنين.

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ١٦-١-٢٠١٨

"هديل" و"لبنى".. هل هما شخصيّتان قصصيّتان متشابهتان؟

في مجموعة، شاء أصحابها أن يسمّوها "القُنَاق" (والكلمة تعني بالتركية المضافة التي يُستقبل فيها الزوّار)[1]، أعدْتُ قبل يومين نشر تغريدة سبق أن قدّمتها في صفحتي منذ أربع سنوات وأنا في فلوريدا تحت عنوان "هديل.. والإبداع!"، وهذا نصّها:

صرخ بها في نَزَق:

ـ لماذا تكرّرين الخطأ! لم لا تتقيّدين بملاحظاتي! هل تتعمّدين هذا، يا هديل، يا هديل، يا هدي...؟

كان يحزنها أن تراه غاضبًا، بقدر ما يلذّ لها... أن تُبطئ في التعلّم!

مرة خَبَط بقبضته الطاولة الخشبيّة فسُمع لذلك صدًى أجشّ.

هديل تعرف جيدًا... أنها إنْ أتقنتْ... رَحَل!

ذات يوم ألجَأَتْه إلى أن ينتزع القلم من يدها، ويُمسك به كسكين، ويُهوي بسنّه على الورق ويتركه مغروزًا هناك!

ـ أنت تُتعبينني، أنت تُعذّبينني. بدأت أفقد الأمل.

ذرفت هديل دموعًا غزيرة. رقّ لها:

ـ آسف. أنت أخرجتِني عن طوري.

---

(١) مضافة، لكن لمبيت الزوار لا لاستقبالهم وحسب، فالقناق بالتركية: konak وتعني قصر صغير أو بيت كبير من طابقين تملكه العائلات الغنية قديماً يبيت فيه الضيوف. وقد يُطلَق على بعض الفنادق الصغيرة.

وخرج... خرج ولم يعد.

كانت تلك آخر مرة تجلس فيها هديل أمامه "تلميذةً" تتلقّى "فنّ الكتابة"!

حزنت لرحيله كثيرا. ومن خلال أحزانها كتبت... عبّرت... أشرق إبداعها.

لسوف تذهب بأوراقها إليه... غدًا. [انتهى].

فظهر لي في نافذة الإشعارات عندي، أنّ ثمة تعليقين عليها هناك:

الأول من الطبيب الدكتور طاهر كيخيا، وهذا نصّه:

هديل تعرف جيدا... أنها إنْ أتقنت... رَحَل

فهديل هي المُحِبّة المبدعة التي تغابت.. وتحمّلت الإهانة.. من أجل قلبها العاشق أن لا يفقد رؤية من يعشق

ما أجمل هديل.. ما أرقى هديل.. ما أندر هديل!

فالمحبّة تخبو باللقاء.. أما العشق فيزيد اللقاءُ نارَه اضطرامًا

تحية من القلب لهديل العاشقة كأسمى ما يكون العشق والعشاق [انتهى]

والتعليق الآخر من السيدة غفران عبد الكريم (خريجة آداب)، خطر لها أن تُوازن (تقارن) فيه بين شخصية "هديل" في هذه التغريدة الصغيرة، وبين شخصية الفتاة "لبنى" بطلة روايتي الطويلة "رياح كانون" (من عمل ستينيّات القرن الماضي)، تقول:

بطلة رواية "رياح كانون" حبيبةُ البطل، صوّرها الكاتب "فاضل السباعي" على أنها غبيّة، والآن بطلة الخاطرة على نفس هذه الصورة التي أصبحت نمطية..

هذا أثار فيّ الفضول، هل حضرتك، يا أستاذ، تصور الحب بين الرجل والمرأة الواقعيَّ السائد في مجتمعاتنا، بحيث تكون هذه المرأة هي صورة عن المرأة المثالية [النموذجية] لجذب

الرجل الشرقي؟ كونك صُنّفت على أنك تنتهج الواقعية في كتاباتك؟ أم أنّ ثمة تفسيرًا آخر يمكن أن تطلعنا عليه أستاذي؟ فاضل السباعي [انتهى]

هل أعبّر عن ظنّي بأنّ تعليق السيدة غفران كان "تحريضيّا" أكثر منه موضوعيًّا؟

في البداية أشدّ على يدها لأنها استحضرت في ذاكرتها شخصية روايتي "رياح كانون" (وكانت حدّثتني على الخاص في الصيف الماضي وهي في زيارة لحلب، عن أنها سبق لها أن قرأت هذه الرواية في أيام الصبا الأول وأنها تحتفظ بنسختها إنْ كنت في حاجة إليها كما يقع للمؤلفين من أنهم يفقدون آخر نسخة من العمل!)... أقول: هذه الرواية القديمة التي تشكّلت ملامحها عندي منذ العام ١٩٦٠، وجعلتُ منها عملا روائيا فرغت منه في صيف ١٩٦٤، وكان النشر في بيروت عام ٦٨...

إني أختلف مع غفران فيما رأته من تشابه بين "هديل" و"لبنى"، في تجلّيات الحبّ إلى حدّ أن رأته "حبًّا نمطيًّا"؟ وأرى أنّ هاتين الشخصيتين مختلفتين فيما بينهما جدًّا!

ف"لبنى" فتاة طموح تسعى، وإن لم تكن تملك من موهبة القصّ والسرد إلا أن تستمدّ من وقائع عاينتها حولها، فتبادر إلى أن تجعل منها عملاً روائيًّا، ثمّ تبحث عمّن يقوم بإعادة صياغته ويتولى النشر والترويج، مانحة إياه حبًّا زائفًا، ذلك ما وقع لها في علاقتها ببطل الرواية الناقد الروائي المتألق "رامي حسام الدين"، الذي أعاد صياغة العمل وتولى كلّ ما من شأنه تحقيق الشهرة، فلما تمكّن منه الحبّ طلبها زوجةً فامتنعت، بل تعمّدت أن تكشف له في نفسها ما ينفي عنه العزم على الزواج! أقول هذا القول "القاسي" عن بطلَي روايتي "رياح كانون"، مع أني قدّمتها للقارئ بصورة جذّابة خلاّبة عبر ما يزيد على أربعمئة صفحة قاربت مفرداتها من مئة ألف كلمة.

على حين كانت "هديل"، المماثلة لها في العمر (وإن تمادى بينهما الزمن نحو خمسين من الأعوام!)، أحبّت من طرف واحد الأستاذَ الذي يعلّمها "فن الكتابة"، فتعمّدت أن تتلكّأ في استيعاب العلم كي تستمرّ "جلسات التعليم"، وكان هذا يَغيظ الأستاذ حتى إعلانه السخط والغضب، ثم الانقطاع، وفي الفراق كانت المفارقة: كتبت هديل المحبّة الصامتة، عبّرت، أبدعت، وهي تعتزم الآن أن تمضي بإبداعها إليه.

وكان ما أوحى إليّ بروايتي القديمة أني رأيت في زمني كاتبات يتبوّأن الصدارة بقليل ممّا يتملّكن من فنّ الأدب السردي، وتغريدة هديل أوحى إليّ بها، وأنا في مغتربي هنالك، ألمٌ في النفس وحنينٌ إلى الوطن.

شكرا للدكتور طاهر على بالغ إعجابه بهديل؛ وشكرا للأديبة غفران التي أعادتني بتعليقها إلى زمن الستينيات. وللعلم إن "المعلقين" في "القْنَاق" هما زوجان سعيدان، ينتميان إلى حلب الحَنون، ويعملان منذ زمن في مدينة "أَبْها" السعودية.

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ١٦-١-٢٠١٨

ابتهاج الموالين والمعارضين على خُطبة

قرأت أنه ما اجتمع الموالون والمعارضون في البلد على أمر مثل ابتهاجهم عند سماع تلك الخطبة[1] التي ملأت قلوبهم المتعبة بالفرح.

واتفقوا على أن يسمّوا صاحبها: "الرجل المُبْهِج"

دمشق الشام: ظهيرة الأربعاء ١٧-١-٢٠١٨

(١) هي كلمة مضحكة غبية ألقاها محمد قبَنض عضو مجلس الشعب السوري في المجلس آنئذ.

النجاح في مكان.. والناجح في مكان آخر

في عهد الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية، كنّا نسمع أنّ بعض "مثقفينا" الطموحين يتلقّون مؤهِّل الدكتوراه من إحدى الجامعات في تلك الدول وهم لم يغادروا الوطن إليها، لأنّ لهم على النظام دالّة... ممتدّةً إلى هناك!

أمس قرأت أنّ عضوًا في البرلمان، كان رشّح نفسه للنيابة، ثمّ غاب في أيام الانتخابات عن الوطن مسافرًا إلى إحدى العواصم الأوروبية... وإلى هناك أبلغوه عبر الهاتف بالنجاح، وقيل إنه لم يفرح كثيرًا، لأنه كان يعرف هذا قبل السفر!

دمشق الشام: فجر الخميس ١٨-١-٢٠١٨

أمام مؤسسات بيع الخضرة

أوائل الثمانينيّات حَمِيَ وطيس "التأميم" حتى وصل إلى أن تباع الخضرة والفاكهة في المؤسسات الاستهلاكية، بأسعار قيل إنها أدنى من سعر السوق الذي تصل إليه المنتجات الزراعية بطرق ما.

كان الناس يقفون أمام هذه المؤسسات في صفوف طويلة، ومن خلال ما يتحمّلون من فظاظة العاملين، وأهونها فجاجة الكلام يوجّهونه لمن يُبدي عدم استحسانه للبضاعة، كانوا يحملون ما أخذوه ويمضون به إلى بيوتهم منكسرين.

وعُلم أنّ أحسن ما هنالك كان يذهب ممسَّكا معطّرا إلى بيوت المسؤولين.

ولم يطل عمر هذه المؤسسات، فعدنا نتسوّق الخضرة والفاكهة من الأسواق، فأصحاب الدكاكين على عللهم أفضل من هؤلاء.

دمشق الشام: عصر السبت ٢٠-١-٢٠١٨

الشُّرب.. نَخْبَ الوطن!

يوم يقع انقلابٌ في إحدى دول العالم الثالث

ويستمع الناس إلى (البلاغ رقم واحد)

يتغنّى بتحرير الوطن من نير الاستعمار وأعوان الاستعمار

وبالتخلّص من أدران الرجعيّة البغيضة...

فإنّ مثقفي البلد يقفون حائرين:

هل يؤيّدون مَن لا يعرفون عنه إلا كلمات البلاغ؟

هل يعارضون والمعتقلاتُ تُشْرع أبوابها؟

هل يعتصمون بصمت الجهالة؟

هل يرحلون إلى المنافي الذليلة؟

والحاكم الجديد...

يقرع الكؤوس ويشرب نَخْب الوطن!

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ٢١-١-٢٠١٨

رحيل رجل من بلدي، عظيم آخر

أعطى الوطن، البلد، خلاصة فكره وروحه، ولم يأخذ ما يودِعه في بنوك الخارج

رحَمك الله، يا عدلي عادل القدسي، ابن الوطن البار. [١]

دمشق الشام: عصر الإثنين ٢٢-١-٢٠١٨

---

(١) قضى المهندس عدلي عادل القدسي، ظهر ذلك اليوم الذي نُشرت فيه الخاطرة، بحادث سير في مدينة حلب. وهو

كيف يصبح الشعر بلون ثلج كانون

كان يدافع عن تراث بلده، صروحًا وأوابدَ لم ينل منها مرور الزمن، مطالبًا الجهات والمنظمات الدولية بحمايتها من جشع تجارٍ استطاعوا أن يقودوه إلى الاعتقال...

دخل وشعره في لون الذهب

خرج، بعد ستة أشهر، وقد استحال الشعر إلى أبيض بلون ثلوج الكوانين

سأله الأحباب: أمن التعذيب شاب شعرك؟

قال: لا، كان تعذيبي أنهم وضعوني في زنزانة قريبة منهم، فما كنت أستطيع النوم من صراخ المعذَّبين تصل إليّ في كلّ ساعات النهار والليل!

(من الذاكرة)

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ٢٣-١-٢٠١٨

كاتب بذيء القلم!

كنت كتبت له، في الرسائل على الفيس بوك قبل ثلاث سنوات، أعتب عليه وأنتقده في موقف منه يتنافى والنزاهة الموضوعية، قلت:

من أبنائها، من مواليد **١٩٤٠**. وكان له نشاط واسع في الحفاظ على مدينة حلب القديمة وإيقاف هدم بعض الأماكن التاريخية، كما تمكّن عام **١٩٨٦** من إقناع وكالة اليونسكو التابعة لمنظمة الأمم المتحدة بإعلان مدينة حلب القديمة التي تغطي مساحة **٤٠٠** هكتار منطقة تراث عالمي. وقام بتأسيس مشروع إعادة إحياء المدينة القديمة وتأمين دعم صندوق النقد العربي للإنماء الاجتماعي والاقتصادي، بالإضافة الى سعيه لدى الحكومة الألمانية للتنازل عن ديونها لدعم هذا المشروع عن طريق وكالة التعاون الألمانية..GTZ كان له الفضل أيضاً بتأسيس مشروع (الحفاظ على قلعة حلب ومحيطها) بالتعاون مع منظمة الآغا خان، وإطلاق مبادرة (جمعية أصدقاء قلعة حلب). رحمه الله تعالى.

"عزيزي (.....)" يوم كتبت مقالتك الضافية عن "ثانوية المأمون" بحلب وعمّن تخرّجوا فيها، ألم يخطر لك أن تمرّ بقلمك المتذكِّر على اسمي، وقد رأيتك تذكر كثيرًا ممن لا تصل قاماتهم إلى كتفي؟

ألهذه الدرجة أنت تخشى أن يؤاخذك النظام! "

فكتب لي قبل يومين:

" لو تعرف ماذا قلت بجوابي عن رسالتك التي اكتشفتها متأخرًا، قلت":.....

وأفرز بذاءة نَسَلها من دماغه!

فكتبت له:

"تلقيت جوابك المتأخر ثلاثة أعوام ونيّف، ولا بأس.

"أسألك: هل يرضيك أن أصوّر "رسالتك"، وأبعث بها إلى أعضاء "جمعية العاديّات" بحلب، وإلى مدير الثقافة فيها، ورئيس تحرير جريدة "الجماهير"، نموذجًا عن أدب حامل قلم؟! "

ولا أنتظر منه ردًّا، ولن أفعل ما توعّدته به، مكتفيًا بهذا الإعلان.

دمشق الشام: مساء الأربعاء ٢٤-١-٢٠١٨

لا نكتفي بنقد الخطأ

يجب علينا ألا نكتفي بنقد الخطأ

بل أن نقول الكلمة الطيّبة في حقّ الطيّبين.

دمشق الشام: ظهيرة السبت ٢٧-١-٢٠١٨

حكاية جرح.. لا يندمل!

في صيف ١٩٧١، واتحاد الكتّاب العرب بدمشق مستحدَث (وأنا أحد الأعضاء المؤسسين فيه ١٩٦٨-٦٩)، بدأ ينشر كتبا للكتّاب المنتسبين إليه. قدّمتُ لمسؤول النشر زميلي في الأدب "ز. ت" مخطوطة كتاب سمّيته "حزن حتى الموت"، اتخذت فيه من "الفانتازيا"، الغرائبيّة، أسلوبًا أحكي فيه حال شخوصه المطالِبين بالحرية، المطارَدين من قبل النظام، والمهزومين آخر الأمر!

أعلمني الزميل "اللدود" -الذي كان يتقلّب في أحضان النظام الدافئة رافعًا في وجوهنا سَوطَه- أنّ المخطوطة ضاعت. وتحتّم عليّ أن أنتظر عاما آخر بعد تقديمي له نسخة ثانية، قرأها الزميلان سعد الله ونوس وبديع حقي ورشّحاها للنشر... ولكنّ الزميل نحّى التقريرين جانبًا، واضعًا تقريرًا من عنده بأن قصص الكتاب... متشابهة!

ولم يفطن "عبقريُّ القصة السورية" إلى أن هذا التشابه كان "التيمة" التي تتماهى فيها قصص الكتاب الخمس عشرة: فجميع الشخوص مطارَدون يعانون... فالقصص أشبه بفصول رواية يحكي كلّ منها حكاية القهر المُفضي إلى كلّ الهزائم!

لم تنته حكاية هذا الكتاب: نُشر في بيروت ثلاث مرات (١٩٧٥، ٨٠، ٨٣)، والرابعة في الدار التي استحدثتها لنفسي بدمشق (دار إشبيلية)، ثمّ كان الإصدار الخامس بالفرنسية عن دار نشر بباريس.

الغلاف في طبعة دمشق (٢٠٠٢) لوحة للفنان الراحل لؤي كيالي (عنوانها "المسيح" ١٩٦٢، من مقتنيات الدكتور رفيق الصبّان بالقاهرة).

عفوا أصدقائي... أعرف أني تحدثت في ذا غير مرة... إنه جرح لا يندمل إلا بأن نستعيد

بالسلم لا القتال حريتنا المخطوفة. دمشق الشام: مساء السبت ٢٧-١-٢٠١٨

الرفاق...

الرفاق...

يذبحون الجماهير... عند المطالبة

ويتذابحون فيما بينهم... عند الاختلاف ظهيرة الإثنين ٢٩-١-٢٠١٨

على موائد "سوتشي" المفتوحة

في خريف ١٩٩٢ شاركت في مؤتمر "الطب في الإسلام وإيران" المنعقد بجامعة طهران، وما أذكره أنّ كلّ شيء كان جميلاً إلّا عند مائدة الحلوى والشاي، فقد كان يغلبنا نحن الباحثين المشاركين، أن فئة تسمى "الحرس الثوري" كانوا يندفعون إلى الموائد اندفاعًا، ثمّ يَصدُرون عنها وقد ملؤوا الصحون مكوّمة، ولا يُمْكنك -أنت الباحث- الاقتراب والاحتراب، فإن أتيح لك بعد انفضاض "المعركة" لم تجد ما تأخذ لصحنك. وكان يملؤني العجب كيف أنّ الرؤساء فوقهم لا يلاحظون، فداخلني ظنّ أنهم على شاكلتهم.

تكرر هذا المشهد في معرض الكتاب بمكتبة الإسكندرية صيف ٢٠٠٢، فقد بدا أنّ المكتبة أرادت أن يتشارك العاملون في إدارة المعرض مع العارضين والأساتذة الجامعيين والكتّاب على مائدة مفتوحة... فكان أن وجدنا الموائد عند اقترابنا منها... ممسوحة!

ولم أكن لاحظت أنّ شبيه ذلك وقع على الموائد، المفتوحة أو المغلقة، في مؤتمرات "تاريخ العلوم عند العرب" التي تتعهدها جامعة حلب وكثيرًا ما شاركت ببحوثي في هذه المؤتمرات داخل القطر وخارجه (وليس في مؤتمرات اتحاد الكتاب العرب الأدبية، التي حرموني ليس من موائدها بل من المشاركة في محاضراتها لأني من المعارضين الذين يطالبون في أدبهم بالحرية)...

كنت أقول: نحن السوريون أرقى!

الآن أشعر بالأسى... وأنا أرى الهجمة على موائد "سوتشي" المفتوحة، فكدت أغيّر رأيي في أبناء وطني... لولا معرفتي أنهم قادمون من بلاد الحرب والغلاء، ولكن يخامرني ظنّ بأن هذا المشهد مخطط له من منظمي المؤتمر،، فقد كان في وسعهم أن يوسّعوا المكان على نحو ما ينبغي، ويكثروا من الصواني[1] الملأى... منعًا لهذا المنظر!

آمل ألا يكون لهذا من تأثير على "الدستور" المزمع وضعه، أو إقراره إن كان موضوعًا.

دمشق الشام: ليل الخميس ١-٢-٢٠١٨

الجزائريون يحبّون الشام، ولكنهم...

لا يفرّقون بين الحاكم والمحكوم

في شأن تلك الدراسة الميدانية (للتخرّج في مرحلة الدراسة الأولى الجامعية) التي أعدّتها طالبتان في إحدى الجامعات الجزائرية بعنوان "تسوّل اللاجئات السوريات في الجزائر" بإشرافٍ مُيَسّرٍ من إحدى الأستاذات في الكلية...

اسمحوا لي، أصدقائي، أن أفسّر وأعبّر عن أنّ لا الطالبتان ولا المشرفة يستحققنَ كثيرا من اللوم، ولا رئيس القسم في الكلية، ولا أحد... ذلك أنّ "المناخ" السائد عند أشقائنا الجزائريين هو التوجّه بالتخطئة للشعب السوري، الذي يظنّونه "حَمَل السلاح" ضد نظامٍ يؤيّدونه حتى الثمالة (الإعلامية كوثر البشراوي، المغاربية، نموذجًا)، إلا قليلا منهم... وعلى ذلك فإنهم يرون أنّ ما ينزل بالشعب السوري، من تقتيل وتدمير وتهجير، هو "عقاب عادل"

---

(١) جمع صينيّة: إناء الطعام والحلوى النحاسي الكبير.

على تصرف خاطئ اقترفوه. وقد رأيت أنّ أي نقاش مع هؤلاء عقيم لا يُفضي إلى قناعة.

وأذكر أني كنت ألتقي بدمشق، في منتصف ثمانينيّات القرن الماضي، بعضَ المثقفين الجزائريين الذين يتهيّؤون لأن يصبحوا أعضاء في الهيئات التدريسية في جامعاتهم، فأراهم يؤيّدون، في الحرب الدائرة بين العراق وإيران على إقليم عربستان (الأحواز)، الجانبَ الإيراني ضد دولة العراق، وكنت أسألهم عن مبررات هذا التأييد، فما أظفر منهم بجواب، وفي تقديري أنّ مردّ التأييد هذا إلى أنّ إيران الخميني ترفع الشعارات الإسلامية ضد نظام علماني يُظَنّ في العراق. والواقع أن لا أولئك إسلاميون في الحقيقة ولا هؤلاء علمانيون، ولكنّ انجذاب كثير من الجزائريين إلى النظام السوري، على أنه من تجلّيات التاريخ الشامي، جعلهم يتبنّون ذلك الموقف، غير مفرّقين بين الحاكم والمحكوم، على حين كنا نحن هنا نضع أيادينا على قلوبنا خوفًا عند اقتراب جحافل الخميني من مدينة البصرة العربية.

اليوم المسألة ذاتها، طغيانُ تلك الذهنيّة على عقول كثير من أبناء الجزائر، الذين أحببناهم في ثورتهم ضد الاستعمار الفرنسي، وسوف نظلّ نحبّهم رغم أنوفهم، مع اتهامهم لنا بأنّا نحن وراء سفك الدماء من قبل داعش وأخواتها، وكثيرٌ من الدواعش أتوا إلينا من هناك!

كلمة صغيرة: لولا دمشق ما انتشر الإسلام واللغة العربية في شمال إفريقية ولما قامت حضارة سامقة في الأندلس... وهنا يُجيبني بعض "الأمازيغ" الانفصاليين (الذين سمّتهم المدوّنات التاريخية العربية ظلمًا بـ"البربر"): "ليته ما كان فتح ولا إسلام ولا عروبة! "، متغافلين عن أنّ زعيمهم "الشيخ عبد الحميد بن باديس" (١٨٨٩-١٩٤٠)، الذي ينتمي إلى قبيلة "صنهاجة" المغربية، قد امتزجت في فكره العروبة والإسلام معًا، وهو القائل:

شعبُ الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسبْ [١]

(١) من الأناشيد الوطنية الجزائرية التي يرددها ويغنيها الجزائريون جميعاً، عرباً وأمازيغ. وتعتمد وزارة التربية هذا

ويقول:

أَشعبَ الجزائر، روحي الفدى   لِمَا فيكَ من عزّةٍ عربيّة

وهو الأب الروحي للثورة الجزائرية غيرَ مُنازَع. ويسعدني أني أَلّفتُ في سيرة حياته كتابا للفتيان العرب (دار العودة، بيروت ١٩٧٥).

دمشق الشام: فجر الإثنين ٥-٢-٢٠١٨

إنّ المرأة التي تأتي إلينا صباحا لتساعدنا في تدبير بيتنا

إنّ المرأة التي تأتي إلينا صباحًا لتساعدنا في تدبير بيتنا، وتسرع في العودة إلى أولادها قبل مغيب الشمس،

هذه المرأة إن غدت لاجئة في القاهرة، أو الجزائر، أو باريس، لا تمدّ يدها للتسوّل، بل للعمل على نحو ما تعوّدت.

الذين يتسوّلون في الأقطار هم الغَجَر، النَّوَر، القُرْباط... وإن ادّعوا أنهم سوريون.

ليُصَحّحْ أفكاره من لا يعرف هذه الحقيقة!

دمشق الشام: صباح الثلاثاء ٦-٢-٢٠١٨

كيف لمواطن حرّ التفكير

كيف لمواطن حرّ التفكير

أن يتصوّر تقدّمًا لبلده إذا كانت الرقابة على "المصنّفات الأدبية" فيه تمنع طباعةَ كتابٍ قد سهر مؤلّفُه الليالي يَنظُم أفكاره، لأنّ في سطوره، أو ما بين السطور، انتقاداتٍ شفّافة لأخطاء

النشيد في برامجها التكوينية.

يرتكبها النظام؟

دمشق الشام: ليل الخميس ٨-٢-٢٠١٨

في عام مضى

قالت لي فتاة من "الأقليات" ونحن نتحاور حول العمل في إعداد كتبي للطباعة:

ـ انتو بدْكُن تدبحوني، أنا أغادر البلد!

ترى مَن يذبح من؟

دمشق الشام: مساء الخميس ٨-٢-٢٠١٨

هل سمعتم بحكاية بلبل الغابة

هل سمعتم بحكاية بلبل الغابة

الذي نَشِبت شوكةٌ في صدره وهو على غصن

فجعل يرسل أغاريده

حتى، من الجرح، مات؟

مثلُه أنا

وجرحي ألمُ الوطن!

دمشق الشام: ليل السبت ١٠-٢-٢٠١٨

من تجلّيات الفجر الوليد..

أليست مفارقة خارقة للعادة

أنهم في بلاد الغرب يخترعون لك جهازًا تحمله في جيبك، يُمكّنك من الاتّصال بكلّ أنحاء

العالم، صوتًا وصورة، وبالمجان...

وأنهم في بلاد العرب ما زالوا يُضيّقون عليك إلى حدّ مَنْعك من أن تطبع في بلدك كتابًا... لأنّ فيه ما يخالف التعليمات في دُرج السيد الرقيب!

دمشق الشام: فجر الإثنين ١٢-٢-٢٠١٨

الخوف من الكلمة

إنّ نظامًا سياسيًّا مُحْكَمًا

قد انبثّت عيونُه في كلّ أوردة الوطن الزرقاء

وشرايينه الورديّة

يستحيل أن تُصدّعه

همساتٌ يسكُبها مواطنٌ في أذن آخر

أو كلماتٌ نظَمها شاعرٌ في قصيدة.

فلم الخوف؟

دمشق الشام: فجر الإثنين ١٢-٢-٢٠١٨

ونستظلّ فيء المسؤولين!

قبل عامين أرادت أسرة صغيرة أن ترحل بعيدًا، فقاموا بتأجير بيتهم بكلّ ما فيه من أثاث، لأسرة تماثلهم في المكانة الاجتماعية، ولمدة عامين اثنين، ثمّ إنّ الأسرة عادت قبيل انقضاء المدة، ونزلت في بيت أقارب استقبلوها بالترحاب... حتى أوشك أن ينتهي عقد الإيجار.

عند تسلُّم المالك بيته قام خلافٌ صغير بينه وبين المستأجر الذي يوشك أن ينصرف...

ولستُ هنا لأشرح ماهيّة هذا الخلاف، فمثله يقع بين الناس في كل زمان ومكان، ولكن لأقول: إنّ دوائر الخلاف اتّسعت على غير توقع، ووصل الأمر إلى الاستنجاد بالحكومة، بالقانون.

ولكنّ أحد الطرفين يذهب إلى جهة أمنية تخصُّصها هو الدفاع عن الوطن وليس حلّ مثل هذه الخلافات بين المواطنين. كنت في زيارة للطرف الآخر، ورأيت الرجل يرفع سماعة الهاتف ليتلقى مكالمة من "مسؤول" في تلك الجهة، يُعرّف بنفسه ثمّ يسأل عن تفاصيل الخلاف.

من ناحيتي أشهد أنّ المتكلم كان لطيفًا، فهو يسأل ويستفهم، ربما ليُملي بعدئذ رأيا، مقترحا. فكان أن شكره صديقي لأنه بدأ كلامه بالسؤال، وأخذ يشرح، وذاك يُصغي ويُبدي الاقتناع... ولاحظتُ أنّ ربّ البيت مرّر خلال هذا الحديث عبارات وذكر أسماء مرموقة تدلّ على معرفته بفلان وعلان من المسؤولين في مثل هذه الأجهزة.

ومع القناعة الجميلة التي تبدّت عند هذا المسؤول عبر هذه المكالمة التي جرت تحت بصري، فإنّ ربّ البيت سارع يهتف إلى واحد ممّن يعرف، فسأله ذاك عن اسم "المتكلم" الذي اتصل...

المفاجأة أنّ هذين المسؤولين الاثنين يعملان في الجهاز الأمني ذاته: لجأ هذا الطرف الأول لأحدهما، واضطر الطرف الآخر للجوء فكان الثاني، والأطرف من ذلك أنّ مكتبيهما هناك متجاوران!

وقد كفّ الطرف الأول عن تماديه، ووعد بالاستجابة.

أنا لا ألوم أيا من هذين الطرفين، أو "الأطراف" السورية عموما، التي تبحث وتتعرّف على "مرموقين" تستظلّ حمايتهم من "غدَرات الزمان"... ولكني أسأل لماذا لا تتولى الجهات ذات الاختصاص مسؤوليتَها، بنزاهةٍ ما زلنا نفتقدها منذ... منذ...

ويقولون: كان ماشي الحال وكنّا مبسوطين! ليش قمتوا وطالبتوا بالإصلاح؟ [عفوا هم

لا يذكرون كلمة "الإصلاح"، بل يتهموننا بأننا من النصرة وداعش!].

دمشق الشام: فجر الإثنين ١٢-٢-٢٠١٨

ليست الفتنة في النقد البنّاء، بل في الصمت عنه

ليس الحديث عن الخطأ والفساد والقهر.. عملا "يؤجّج نار الفتنة"، يا صديقي، بل الصمت عنها هو الذي يؤجّج بعد التراكم.

ومن حقّ الكاتب أن يقول، وألا يصمت نصف قرن إلى أن تسري النار إلى كلّ قشّ البلد.

هل يعلم "منتقدي" أني أمارس هذا المستوى من النقد منذ ستينيّات القرن الماضي، بضمير يقظ، وهو لا يعلم؟ وكانت أولى ثمرات ذلك كتابي "حزن حتى الموت" الذي طُبع طبعات عدة.

عزيزي الأستاذ سعد بساطة.

إن كنت لا تؤمن بالكلمة الناقدة، بالكلمة المبضع، بالكلمة البلسم، أو إن كنت لا تستطيعها، فهل من حقك أن تطلب من القادرين عليها أن يعتصموا بالصمت؟

وليست مجموعة "المأمون ومعاوية" بالجزيرة البعيدة عن البرّ حتى تقول إنها ليست "المكان المناسب"، فإنّا نتناول فيها شؤون حلب تاريخًا وتراثا، بقدر ما نسترسل إلى شؤون الوطن، والحياة، والحرية.

وأما وصفُك لما نشرتُ قبيل ساعة (في مجموعة ثانوية المأمون ومعاوية) بعنوان "ونستظلّ فَيْءَ المسؤولين"، بأنه من القصص "المعتّة"، فهذا ما ينبو عن أدب الحوار، أو "أدب التعليق" المستحدَث في أيامنا عبر ما قدّمه للعالَم المخترعُ الأسترالي "مارك زوكيربرغ".

ولكلّ امرئ من دهره ما تعوّد!

دمشق الشام: فجر الإثنين ١٢-٢-٢٠١٨

سكينة الشهابي ونجوى عثمان

باحثتان قديرتان من مدينة "الباب" بمحافظة حلب

أشهد بأنّ "الباحثة سكينة الشهابي" كانت عالمة في تحقيق التراث، وأنها بلغت الذروة في تحقيق كثير من أجزاء كتاب ابن عساكر الثمانين عن دمشق، وبلغت في تخصّصها في ذلك الغايةَ البعيدة. وكنت ألتقيها في عملها بمجمع اللغة العربية بدمشق.

وقد رأيت مكتبتها المهداة من أهلها بعد رحيلها، إلى المركز الثقافي في الباب، يوم تكريم نجوى عثمان هناك، وقد خُصّصت لها غرفة.

رحم الله الباحثتين، فإنّ الفخر بهما يتجاوز أهلَ مدينة الباب إلى حلب، وسورية: والوطن العربي بأسره... فآثارهما ممدودة الظلّ في كلّ مكان.

دمشق الشام: فجر الثلاثاء ١٣-٢-٢٠١٨

مفردات من العاميّة السوريّة

كتب لي صديق على الخاص يسألني بخصوص الكلمة التي جعلتُ منها جزءًا من عنوان خاطرتي قبل قليل "لسّه بتمشي".

أقول: "لسّه" هي تحريف للتعبير الفصيح: "لهذه الساعة"، أخذ التداولُ اليوميّ من هاتين الكلمتين ما يُنبي عنهما ويُعبّر. وعند بعض جيراننا شرقيّ البلاد "هَسّه" مستبدلين باللام حرفَ الهاء.

وفي الاسترسال في هذا المجال أقول: إني كنت يومًا في زيارة للمملكة المغربية، يُقلّنا "البولمان" إلى مدينة "الحُسَيمة" شمالًا في بلاد الريف، وصافحتِ الأسماعَ كلمة "هَلّقْ" (وقد

أمسى العرب في أقطارهم يألفون لهجتَنا السورية بسبب المسلسلات التي تجاوزت الحدود الجغرافية)، فبيّنت، لطالبات الدراسات العليا (وكنّا معًا في الطريق إلى مؤتمر) أنّ هذه المفردة مستمَدّة من "هذا الوقت"، هـ الوقت، هلَّق، أخذ التداولُ في بلاد الشام من هاتين الكلمتين حروفًا وهجر الباقي، على حين أخذ المصريون منهما حروفا أخرى "دلوقت"... ذلك ما تُمليه لغة البيت والشارع الحميمة. ولم أحدثهم عن أنّ منّا من يتزيّدون في الكلمة أحيانا فينطقونها: هلّقْنه، هلّقْتِيّة وهلّقْتينة!

وسألني أستاذ أكاديمي بيننا: "وكلمة "بَلّشْنا" التي تَرِد على ألسنة الممثلين السوريين... ما معناها؟ ومن أين؟ "، فقلت: "بَلّشْنا تعني: "ابتدأنا"، بلّشتْ آكل، ابتدأتُ الأكل". أقول الآن: ولم يستدلّ العلامة السوري الحلبي "خير الدين م. الأسدي" صاحب "موسوعة حلب المقارنة" (سبعة مجلدات) على أصل هذه المفردة، ويظنّ أنها تحريف للكلمة التركية "باشلا" التي تدلّ على الابتداء.

وأدرك شهرزاد...

ظهيرة الثلاثاء ١٣-٢-٢٠١٨

إن نجَوا من الموت غرقًا

إن نجَوا من الموت غرقا

غرقوا في مجتمعات غريبة

دمشق الشام: فجر الأربعاء ١٤-٢-٢٠١٨

حكومات.. وشعوب

سألني صديق ليلة أمس:

أستاذنا الفاضل...

سؤالي هو أنك تقول: ليس هناك شعب سيّئ، هناك حكومة أو أنظمة فاسدة أو سيئة،

إذن، هل نقول أو نعتبر أنّ اليهود ليسوا سيّئين بل إن حكوماتهم هي السيّئة؟

فأجبت:

هذا موضوع مختلف عما أقول.

قولي: "ليس هناك شعب سيّئ، هناك حكومات فاسدة"... هذا في مجال الحديث عن (علاقة الشعب بحكومته)، وليس عن علاقتهما معًا بالأمم الأخرى.

وعلى ذلك فإن "حكومة إسرائيل" تُعتبر جيدة بالنسبة لشعبها. ولكنّ "إسرائيل" حكومةً وشعبًا، هم أعداء لنا لأنهم أخذوا أرضنا وشتّتوا شعبنا.

دمشق الشام: ظهيرة الأربعاء ١٤-٢-٢٠١٨

والتقيت نجيب محفوظ بالقاهرة

غادرت القاهرة في آخر شهر حزيران عام ١٩٥٤ عائدًا إلى بلدي بعد أن أتممت دراستي للحقوق بجامعة القاهرة، ولم يُقدّر لي أن أزور العاصمة المصرية بعدئذ إلا في شباط ١٩٦١، وكنت في هذه السنوات قد "تكوّنت أدبيًّا" وأمعنت في نشر القصص والمقالات والدراسات النقدية، في المجلات الأكثر شهرة، مثل "الأديب" و"الآداب" اللبنانيتين ومجلة "المجلة" المصرية، ومجلة "العربي" الكويتية التي كان قد مضى على صدورها عامان ويزيد، ولم أتردّد في أثناء ذلك أن أضع -وأنا غضّ القلم- دراسة أدبية ناقدة لرواية نجيب محفوظ "بداية ونهاية"،

عبّرت فيها عن انتقادي للبناء النفسي والخُلُقي لشخصيتها الرئيسة، عنونتُها "مأساة نفيسة كامل علي في بداية ونهاية"، نشرتها في مجلة "الأديب" (عدد أغسطس/ آب ١٩٥٦)، شغلت صفحات من هذه المجلة، التي كان قد تخرّج فيها، خلال عقد الأربعينيّات من القرن الماضي، لفيفٌ من الأدباء العرب الشباب، الذين أصبحوا فيما بعد من المشاهير، منهم بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ونزار قباني.

كنت أعرف أنّ نجيب محفوظ يجلس، ضحى كل يوم جمعة، في مقهى الأوبرا (المجاور لمبنى مسرح الأوبرا الذي كان قائمًا هناك)، يلتقي الأدباء المعجبين والمحبّين، وقد بدوت أمام نفسي واحدًا منهم، حريصًا على الالتقاء به.

أذكر لحظة دخولي عليه، في تلك القاعة العلوية الوسيعة التي يرتادها أهل الطرب والفرح في الليل، ويتاح لأهل الأدب والفكر أن يتحلقوا فيها حول نجيب محفوظ في وَضَح نهار واحد في الأسبوع... أني رأيته يتصدّر طاولة طويلة، ووجهُه إلى الباب، فلما بصُر بي أنعَمَ النظر، وما أشك في أنه أدرك أني ضيف جديد قادم من خارج البلد، وعند وصولي إليه نهض ليصافحني، ولحظة ذكرت اسمي أسرع يُعرّف بي للحاضرين على أني "الناقد والقاص السوري... "، وأوسعوا لي مكانا بجواره.

وإذا كان سرّني في ذلك اليوم أنّ الروائي العربي الكبير نجيب محفوظ يعرف اسمي ويتذكّره دلالةً على أنه قرأ ما كنت كتبت عنه في مجلة "الأديب" مع مرور تلك السنوات الخمس (ما بين نشر الدراسة ويوم اللقاء)، فقد بدا لي مرة ثانية ذَكورًا لدرجة أنه بعد ثلاثين سنة تقضّت على يوم مقهى الأوبرا، قام الإعلامي السوري الدكتور منير جبّان، في عام ١٩٩١، بإجراء حوار هاتفي معه يوم عيد الفطر من إذاعة دمشق، وكان ممّا وَجّه إليه سؤال عمّن قرأ من الكتّاب السوريين، فأجابه بأنه قرأ لي (ولروائي آخر من بلدي لا أذكر اسمه)، ولا أحسب أن ما قرأ هو

دراستي تلك وحدها، ذلك أني كنت قد بعثت إليه بالبريد المضمون، قبل عام من المحادثة على الهواء، برزمة كتب، اكتفيت بأنّ أخطّ على غلافها (إلى الروائي الأستاذ نجيب محفوظ، القاهرة)، ضمّت ثلاثة من أعمالي كانت هي باكورة ما صدر عن الدار التي أنشأتُها بدمشق، هي: "اعترافات ناس طيّبين" و"الألم على نار هادئة" و"ثمّ أزهر الحزن".

وأما الدراسة فقد نزلت فيما بعد في كتاب صدر عن وزارة الثقافة في الذكرى الأولى لرحيل محفوظ أعدّه الدكتور عبد الله أبو هيف، جمع فيه كلّ ما كتبه السوريون عن الروائي العربي الكبير، مرتّبةً ترتيبًا زمنيًّا، فتبيّنت أني بدراستي تلك كنت أول من كتب عن محفوظ من السوريين، على حين أنّ المقالة التي تلي تنتمي إلى ما بعد ذلك بسنوات.

أقول: ويظلّ في قلوب المبدعين شيء من براءة الأطفال!

دمشق الشام: ليل الخميس ١٥-٢-٢٠١٨

وتمنّيت أن أحضّر لدكتوراه في القانون الدولي العام

بعد الثامن من آذار تقدّم الحزبيون يطلبون الدراسات العليا في شتى أصقاع الأرض، فكان لكلٍّ ما اشتهته نفسه، وعاد كثير منهم بمؤهلات معتمدة.

وإنْ أصبح بعض "مسؤولي" الدرجة الثانية يتلقّون مؤهلات الدكتوراه من أوربة الشرقية دون أن يطؤوا ترابها.

وأنا...

نَشِف ريقي وأنا أتمنّى أن أُحضّر للدكتوراه في القانون الدولي العام، ولكنّ حزبا ما لم يدعمني، وأبي كان يقول لي: "لَكْ يا ابني، أنا عندي ١٩ ولد وأنت أكبرهم، إذا كلّ واحد بدّو يعمل دكتوراه منين بجيب مصاري أنا؟ ".

فتخرّجت "أديبًا" في منزلي.

دمشق الشام: فجر الجمعة ١٦-٢-٢٠١٨

وهجرتُ الكتابة بالقلم

أصدقائي الأعزاء

مع بدايات العام الماضي (٢٠١٧) أخذت في تعويد نفسي أن أكتب على الشاشة مباشرة، أنا الذي كنت أكتب النصّ على الورق ثمّ أُبيّضه مرة ومرة قبل أن أطبعه بيدي على الآلة الكاتبة التقليدية... وما اتّجهت إلى ذلك في أيامي هذه إلا لضعف في البصر عندي يتفاقم وليس له من علاج (كما أخبرني الأطباء النِّطاسِيّون)، وقد وصلتُ حدَّ أني إن كتبت بالقلم يتعذّر عليّ أن أقرأ ما كتبت.

كنت أظنّ استحالة أن أكتب مباشرة على الجهاز، ولكني -مع الممارسة واتخاذ الشدّة مع النفس- تبيّنت أنّ هذا أمر ممكن ومُيسَّر بما يمنحني إيّاه نظام "الوورد" من خصائص التصحيح والمسح واللصق، مستعينًا في ذلك بشاشة كبيرة أُجسّم على سطحها الكلمات، بل تبيّنت أني، بكتابتي ما يتنزّل عليّ من الأفكار بهذه الطريقة، أختصر الوقت والجهد، أتلقى الفكرة، أتدبّرها، ثمّ أداعب الحروف وأصغي إلى إيقاعاتها العذبة.

إلا أنني قلما أعمد إلى أن أنشر ما نضّدت في ساعته، أدَعه، لأعود إليه، بعد ساعات أو بعد أيام حسب ما تستوجبه الفكرة ويستسيغه المزاج، فأعيد القراءة وأُعمِل يد التجويد والتنميق.

وتحيّتي.

دمشق الشام: عصر الجمعة ١٦-٢-٢٠١٨

ويألف الكبّاد البيوتَ الشاميّة

هذا العام قَلّ في شجرات الكبّاد العتيقة الثلاث عندي ما حملنَ من ثمر. كُبراهنّ لم يبقَ فيها من زهرٍ عَقَدَ في الربيع الفائت إلا ستُّ كبّادات متجاورات، والوسطى حملت عشرا، والصغرى أربع عشرة، ثلاثون فقط لا غير، بدلًا من ثلاثمئة في زمن ما قبل الحرب... أَعُدّها كلما مررت من تحتها... وهذه الكبّادات (الأُتْرُجّات) لِقِلّة عددهنّ، تسنّى لهنّ أن ينعمنَ بالنموّ.

سقطت قبل أيام، بفعل الريح والمطر، كبّادة ونامت على التراب. كانت في زيارتنا صديقتنا "شذى"، التي أعرف أنّ أمّها تحبّ الكبّاد بقدر ما تَبْرَع في صنعه مربّى، فهزّتني الأَريحيّة وقلت: "هذه الكبّادة للوالدة! "، ولأنني أعرف أنّ في تقديم ثمرة واحدة ما يمكن أن يُرمى بالتقتير، فقد أهبت بها أن تلحقني لنختار كبّادة بعيدة عن الأنظار، أنا أشدّها برأس المِقطاف وهي تتلقّاها... ثمّ قلت وأنا أُلقي الكبّادة في ماء البِركة تتهادى فيها: "هل تكفي اثنتان، يا شذى؟ "، أجابت: "وزيادة، كلّ واحدة بحجم بطيخة أناناس!".

خاصّية في نوع الكبّاد، أن يجتمع موسمان فيه معًا: ثمار الموسم السابق وزهر الموسم الجديد.

ولا يعيش الكبّاد في الحقول، يتساقط زهره ولا يَعقد.

الكبّاد يألف البيوتَ الشامية، أيها الأصدقاء.

دمشق الشام: ضحى الأحد ١٨-٢-٢٠١٨

مناشدة للمتموّلين المثقفين العرب

إلى كلّ الأصدقاء والمعارف في شبكة التواصل الاجتماعي، الذين يقرؤون الخواطر التي

أكتبها وأنشرها في صفحتي، يوميًّا وعلى مدى سنوات، مؤرِّخًا الحالةَ التي يعيشها البلد، متابعًا الحَراكَ الثقافي في الوطن الكبير، في تجلّياتٍ أَستوحيها من المجتمع بقِيَمه التليدة والمستحدَثة، وبما أُوَشّي ذلك من ذكرياتٍ شخصية هي غيضٌ من فيضِ الذاكرة الجَمْعية في بلاد الشام.

أناشدكم الاهتمام بهذا "الإرث"، المتنوّع، الذي لا تُعوزه الصراحة والصدق ولا الدقة والموضوعية والنزاهة، المكتوبِ خلال ستّ سنين أو سبع، ومساعدتي في أن أقدّمه للقراء في مجلَّدات بعددها كلاً في نحو خمسمئة صفحة، يَشتغل في تحقيق هذه الغاية "ورشة عمل" لاستخراج المواد من مظانّها، أُمرّ عليها بالقلم تنقيحًا وتهذيبا، مع تَوشيتِها بالهوامش المرجعيّة، مزوَّدةً بغير قليل من تعليقات الأصدقاء، قبل دفعها إلى المطبعة، وأؤكّد أنه لا يمكن إنجاز هذه المهمّة إلا "فريق عمل" متخصّص، مع اعترافي بعجز أفراد أسرتي عن القيام بذلك لا اليوم ولا في الغد ولا بعد الرحيل.

والعون الذي ألتمس أن يتولّى هذه المهمّة القادرون عليها من المثقفين الغيورين على الوطن والمجتمع والتاريخ والأدب والحقيقة، مبديًا استعدادي للتنازل عن حقوق التأليف.

أناشد أصدقاء لا أعرفهم، في مساعدتي قبل أن يغيب البصر، والذاكرة، والعمر، وتتبدّد الحروف في عالم الأثير.

أنشر مناشدتي اليوم، وسوف أعيد نشرها في صفحتي غير مرة.

وتحيتي لكلّ من قرأ هذا وتحدّث فيه.

دمشق الشام: فجر الإثنين ١٩-٢-٢٠١٨

قال لي العارف:

- إنهم لا يريدون أن يصنعوا منك شهيد رأي

فقلت له:

ولكنهم لا يستطيعون منعي من أن أكون شاهد عصر.

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢١-٢-٢٠١٨

وقصفُ حواضن المقاتلين

وقصفُ حواضن المقاتلين قد يكون في جهات العدو

وفي الوطن يكون التمييز.

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢١-٢-٢٠١٨

لم يتحمّل القطبُ الأكبر في العالم

لم يتحمّل القطبُ الأكبر في العالم حُكمًا إسلاميًّا متقدّمًا، أكثر من بضعة عشر عامًا

ثمّ... تحالف من أجل قلبه مع نقيضَين، سلفيّين غُلاة وجنرالات تشتاق نفوسهم للسلطة!

دمشق الشام: عصر الأربعاء ٢١-٢-٢٠١٨

عروس.. إلى بيت في أعلى الجبل

في وقت مبكّر من الحرب... غادرت الأسرة "الحواضنَ" المنكوبة:

- الوالدان المسنّان،
- والابنةُ الكبرى التي تعمل في الدولة،
- والابنُ الموظف وأسرته الصغيرة،
- وابنةٌ تتابع دراستها الجامعيّة،

• وآخِرُ العنقود...

واستأجروا في أعلى "قاسيون" بيتًا من غرفتين... وأصبحوا يسهرون... ويتناوبون النوم... والتدفئة، في فصل الشتاء، "حْراماتٌ" يُلقونها على الأكتاف...

تزوجت الابنة الجامعيّة فخلا مكانها...

فأتى آخرُ العنقود إلى البيت بـ"عُنقودة"!

دمشق الشام: عصر الأربعاء ٢١-٢-٢٠١٨

التّيتة[1] وحفيدتها

كانت الطفلة ذات العام الواحد متعلقّةً بجدّتها. وغابت "التّيتة" بعيدًا شهرًا أو شهرين.

فلما عادت استقبلتها الحفيدة عند الباب، وبدت وكأنها تقول لنفسها: والله أنا كأني بعرف هالمرأة!

لما احتضنتها التّيتة، وهي تتابع حديثها الذي لا ينتهي، رفعت الطفلة يدها إلى الوجه الحنون تلمسه... تبغي التواصل... لم تعد تصبر.

دمشق الشام: ظهيرة الأربعاء ٢١-٢-٢٠١٨

تعبْتُ

تعبت. وقلبي يقطر حزنًا. أريد أن... أستريح!

دمشق الشام: مساء الخميس ٢٢-٢-٢٠١٨

---

(١) هي الجَدّة بلهجة بعض المدن السورية.

فيما تحلم به أمريكا من القضاء على الإسلام

فيما تحلم به أمريكا من القضاء على الإسلام.

أتصوّرُ

لو أنّ الإسلام ما كان

لحاربتنا أمريكا على أننا نصارى الشرق

مع أنّ عيسى بن مريم من بلدنا

دمشق الشام: فجر الخميس ٢٢-٢-٢٠١٨

كلام في منطلقات الإبداع

كتبت لي الساعة على الخاص شابة خرّيجة آداب بالجزائر، ما زالت "تُغازل" الإبداع الروائي ولمّا تُنجزْ فيه ما يحقق الطموح... قالت بصراحة قلّما باحت بها الأنثى: "أصابتني غَيرةٌ شديدة من الكاتبة رانيا بيطار... ومع هذا أغبِطها على صداقتها لك والعمل معك... هنيئا لها... ولنا جميعا بك، يا أستاذي الكريم"

فكتبت لها:

يوم بدأت العلاقة "السرديّة" بيني وبين الشابة "رانيا بيطار" عام ١٩٩٨ (تاريخ رسالتها إليّ، وكانت في مثل عمرك اليوم، يا سلاف)، لاحظتُ أنّ ما تملك من "الرغبة" في إعداد سيناريو يُضاهي افتقادَها المقدرة على خَلقِ نَصٍّ من بنات أفكارها... ولذا سعت إلى المكتبة المركزية بجامعة دمشق، فجعلوها أمام رفّ من رفوفها تنتظم فوقه أعمال مَن تبتدئ أسماؤهم بحرف (السين) تليه (الباء)، لتبحث عن نص روائي تستند إليه فيما تعتزم من أمر. ووقعت في يدها روايتي وكان ما كان... وبدأت العمل سعيدة.

خلاف وقع بيني وبين رانيا توقفت في إثره عن متابعة الكتابة، معتزمةً إبداع حكاية من عندها تقيم عليها المسلسل الموعود، فأخفقت واضطرب أمرها، وتدخّل أناس أصلحوا... واستأنفت العمل.

بعد إعدادها "ثم أزهر الحزن" (الذي تعمّدوا لغاية في النفوس طمْسَ هذا العنوان الجميل مخترِعين بديلاً عنه عنوانا ليس بشيء أبدا: "البيوت أسرار"!)... قامت رانيا تكتب سيناريو جديد قصته من وحي ذاتها. كانت قد تمرّست في هذا النوع من الكتابة، السيناريو مُزاوِجةً بينه وبين إبداع النص... وانطلقت.

حالتك اليوم، يا "سلاف" الجزائرية، تشابه حالة "رانية" السورية فيما قبيل بدايتها... فاجتهدي واعملي، وليكن هناك من يمدّ لك يد المساعدة، على نحو ما كان من بطل روايتي "رياح كانون، رياح الإبداع" الناقد الأدبي "رامي حسام الدين" في مساعدته للكاتبة الشابة "لبنى آل الأمير"، لكن دون "الملابسات" التي وقعت هناك.

دمشق الشام: مساء الجمعة ٢٣-٢-٢٠١٨

"جاي يعمل بطولات"

كان المناوب بفرع الحزب -ليلة قرأتُ على الطلاب قصتي "الأشباح" في "مدرج المتنبي" بكلية آداب حلب- طالبا بكلية الطب... وقد رابط هو ورفيق آخر على باب الجامعة، وألقَيا القبض عليّ في منصرفي في أول المساء... لأنّ في القصة انتقادًا للنظام الحاكم.

كان الأول منهما من أبناء مدينة "الرقّة"... حدثني صديقي الأديب الدكتور "عبد السلام العجيلي" (وهو من أبناء هذه المدينة التي كانت مَصِيفا للخليفة هارون الرشيد)، بأن ذلك الطالب (ج.ع) زاره في عيادته وحدّثه عن ذلك الكاتب الذي قد يعرفه، جاء من دمشق إلى

حلب ليقرأ على الطلاب قصة تنتقد الأجهزة الأمنية، "جاي يعمل بطولات! "، وتُباهي بأنهم اقتادوه إلى السجن!

وأرجّح اليوم أنّ ذلك الشاب الذي كان، قد تسلَّم فيها بعد منصبا من المناصب العالية، مديرا لمستشفى، أو معاونَ وزير، أو سفيرا... على حين ظللت أشْغَل وظيفة مدير في وزارة التعليم العالي، وعافت نفسي خدمة الدولة، وأنا في الخمسين من العمر أو فوق ذلك بقليل، لأتفرغ للأدب، أكتب عن هذه "النماذج البشرية" قصصا هي أشبه بشموع تحاول أن تلقي بَصيصا من نور في ظلمة ليل طويل، يقرؤها الناس، وتبقى، ومنها ما يُترجم إلى اللغات.

دمشق الشام: فجر الجمعة ٢٣-٢-٢٠١٨

يكتب لي الآن صديق في تعليق:

ـ أسائل نفسي سيدي الفاضل: لو لم تعش ظروفاً مؤلمة ك التي عِشتها.. هل كانت موهبتكم ستُزهر كل هذا الإبداع؟ أعتقدُ تساؤلاً يُفضي إلى كوميديا سوداء

فكتبت ردّا على تعليقه:

ـ اشْتعَلت نفسي غَيرةً على الحريات المستلبة وكتبتُ... وكنت كلما لقيت في ذلك قهرًا واضطهادا ازددت في مضماري.

أول ما كان أني صفّقت لحركة الضباط الأحرار يوم قلبت واستحوزت وأنا في القاهرة طالب بكلية الحقوق، فلما انحرفوا، وبدؤوا في قضم الحريات العامة، خرجنا نحن طلاب الجامعة نهتف في مطلع العام ١٩٥٤: (يسقط حكم البكباشية(!

ومن يومئذ وأنا أشجب الانقلابات تقودها طبقة العسكريتاريا، التي تملك من نزعة المغامرة قدر ما تَزدري معاني الحرية.

دمشق الشام: ظهيرة الجمعة ٢٣-٢-٢٠١٨.

اعتذار شفّاف..

طلب مني أحد الأصدقاء الجدد على الخاص قبل قليل، مجموعة من أعمالي المتوافرة، معبّرًا عن أسفه لأنه واحد ممن سبق أن تحدّثت عنهم، لا قرؤوا ولا سمعوا باسمي، رغم أنه "قرأ كثيرا من الشرق والغرب"، فسألته إن قرأ لي شيئًا في مجلة "العربي" الكويتية واسعة الانتشار؟ فقال كالمعتذر: "لا تعجب، فقد كنت قريبًا من اليسار.. ولم نكن نهتمّ بمجلة العربي، ولكنّي أتابعك على صفحتك من عدة أشهر".

فكتبت له:

- والله ما ضيّع بلدنا إلا الأسود والأحمر، وتُرك "الوسط" بتدرّجاته اللونيّة لمصيره الذي اتضح أخيرًا.

دمشق الشام: ليل الجمعة ٢٣-٢-٢٠١٨

قالوا أخطأت طائرة روسية

قالوا أخطأت طائرة روسية ظهيرة أمس الجمعة، فقذفت حي "ركن الدين"...

أخطأت؟ كيف!!

حتى أنتَ، يا بروتس!

دمشق الشام: صباح السبت ٢٤-٢-٢٠١٨

يا له من يوم جمعة حزين

يا له من يوم جمعة حزين

يقتل بعضُنا بعضا كشربة ماء

والشوارع خلت من عابريها.

دمشق الشام: فجر السبت ٢٤-٢-٢٠١٨

في غوطة الشام الجميلة!

يا سيدي النظام

عندما تُلاحق قواتُ الأمن هاربًا من العدالة يختبئ بين أبرياء... فإنها -حسب المتّبَع في العالم- تسعى للقبض عليه أو قتله وحده، ولا تقتل من اختبأ بينهم بحجة أنهم حاضنون للمجرم أو للإرهاب...

هل صحيح أنّ النساء والأطفال يُقَتَّلون في الغوطة جِزافًا، وأنه يجري هناك حرق البشر والشجر والحجر، وأنّ الوضع لا تفي لوصفه كلمة "كارثي"؟

هؤلاء المدنيّون الأبرياء إخوتنا في الوطن... وإنّ أبناء الغوطة هم أكثر مَن حمل السلاح ضدّ الاستعمار الفرنسي، في ثورات الحريّة، يا سيدي النظام.

قلوبنا تقطر دمًا.

دمشق الشام: فجر السبت ٢٤-٢-٢٠١٨

لو نتعرّف على الحقائق

في إحدى المجموعات، وجدتُني أكتب تعليقًا على منشور عن جمال عبد الناصر، قلت فيه:

الذين أحبّوا عبد الناصر هم:

- الذين لا معرفة لهم بالسياسة، تأثّروا بالإعلام

• الذين تكسّبوا من ظروف الوحدة

• الأطفال الأبرياء متأثرين بالأغاني

• وغير قليل من النساء

فعلّق صديق بأنّ هذا (تسطيح وتبسيط مبالغ به، فلقد كان هناك شبه إجماع على قيادة عبد الناصر، وإنما ظهر بعض التململ بعد قوانين ٢٣ تموز ١٩٦١ الاشتراكية، أي في أواخر عهد الوحدة)

فعدت أكتب مقدِّمًا مثلاً...

كان عبد الرازق السنهوري أكبرَ "ذهنية قانونية" في الوطن العربي، وهو من أسّس "مجلس الدولة" الذي يفصل في النزاعات تنشأ بين المواطنين والدولة. وقد أصدر منذ تأسيسه في ١٩٤٩، أيام ما قبل "حركة الضباط الأحرار"، كثيرًا من القرارات التي تنصف الناس من تسلط الحكومة ما يبهج القلب والخاطر.

لما هيمن عبد الناصر على الحكم في مصر، أخذ يُصدر قرارات تعسفيّة في حق الناس، فرفع المظلومون الدعاوى، فألغاها إحقاقًا للحق هذا القضاءُ الرفيع.

أغضب ذلك عبدَ الناصر، فبعث، في يوم من ربيع ١٩٥٤، رَعاعًا ليقتحموا مبنى مجلس الدولة، ويضربوا أكبر قانوني في البلاد، وهمّوا بقتله لولا ظروف... وحُمل الرجل إلى المستشفى، وهناك جاءه عبد الناصر ليعوده تمويهًا، فرفض القانوني العظيم استقباله.

في اليوم التالي أصدر عبد الناصر قرارا بتجريد كلّ مَن شغل "منصب وزير" في العهد البائد، من حقوقه المدنية أي من أن يكون موظفًا في الدولة، ولأن السنهوري كان قد شغل في السابق مناصب وزارية مقدَّرًا من حكام البلاد في العهود، فقد شمله هذا القرار (المفصّل على

قدّه!)، وذهب بعد الاعتداء بالضرب إلى بيته متقاعدًا!

ونحن -طلاب جامعة القاهرة يومئذ- خرجنا في مظاهرات نهتف بحناجر غير مبحوحة: (يسقط حكم البكباشيّة!.).

الحادثة وكل شيء موثق في الكتب.

فقط لو يتجرّد بعضنا من عواطفهم "الطيبة"، ويحاولون أن يتعرّفوا... ولكنّ الإنسان مفطور على التشبّث بما تلقّى من معلومات وإن كانت قاصرة أو خاطئة.

دمشق الشام: عصر الأحد ٢٥-٢-٢٠١٨

عن الضباط الـ ١٤.. وعن ذكاء عبد الناصر

كان الضباط السوريون الأربعة عشر شبابًا وطنيين، لكن مغترّين متهوّرين، استجابوا للمدّ القومي فذهبوا من وراء ظهور حكام بلدهم إلى عبد الناصر (البطل القومي الذي أمَّم القنال) يعرضون عليه الوحدة الاندماجيّة.

أقول: إنّ السياسة فنّ يتقنه ذووه، وللعسكر فنونهم العسكرية.

لم يكن لعبد الناصر رؤيةٌ استراتيجية واضحة، لا في السياسة الداخلية، ولا العربية (ضيّع ثلاث وحدات)، ولا الدولية. كان كلّ ذكائه منصرفًا إلى استحواذ السلطة والبقاء فيها.

فاعتمد على الأنظمة الأمنية اعتمادًا غير مسبوق:

• ضدّ مواطنيه،

• وضد مثقفي بلده الذين أهانهم (في المعتقلات كانوا يرغمون على نقل "المياه المالحة" بأيديهم)،

• وعلى أركان نظامه، كان رئيس المخابرات "صلاح نصر" يتجسّس حتى على رجالات

الحكومة، متوسّلاً برجالٍ ونساء ذوي مكانة.

أرسل تلك الممثلة إلى المشير عامر لتنقل إليه أخباره الخاصة، فأحبّها المشير وتزوجها (ب.ع.ح)...

لقد عمل هذا "الزعيم" كلّ ما لا يُعمَل، وأعطى "دروسًا" للمغامرين العسكر في بلاد العرب، وكانت الكارثة.

دمشق الشام فجر الإثنين ٢٦-٢-٢٠١٨

قرأت تعليقًا تقترح صاحبته، بدم بارد

قرأت تعليقا تقترح صاحبته، بدم بارد، على أهل الغوطة الشرقية الذين يشكون من القصف... أن ينزحوا إلى دمشق

فذكّرني كلامها بعبارة، ما زالت تتردّد في سمع الزمان، كانت قالتها الملكة ماري أنطوانيت عندما أعلموها أنّ الزاحفين إلى قصر فِرْساي... يطلبون الخبز.

دمشق الشام: ليل الإثنين ٢٦-٢-٢٠١٨

عودة إلى الزعيم الأسمر

من أجل تنزيهه يقارنونه بمَن أباد المدن...

أحمد الله على أني ما زلت أملك الذهن الصافي، وأنّ بين يديّ هذا المخترع الذي ينقل كلماتي والحروف.

دمشق الشام: مساء الثلاثاء ٢٧-٢-٢٠١٨

حجر على حجر.. يا روسيا!

قرأت اليوم، في صفحة سيدة معذَّبة:

إينو أصعب يا ترى: أنّو الواحد يموت؟ ولا يشوف هالعالم عم تموت قدام عينه بهالأسلوب الوحشي؟

إن شاء الله منشوفِك عم يطلع منِّك الدخان وما يضلّ فيكي حجر على حجر يا هروسيا

ما بقي نوع سلاح ما جرّبتيه على أطفالنا!

ليل الإثنين ٢٦-٢-٢٠١٨

- - - - - - - - - - -

دمشق الشام: عصر الثلاثاء ٢٧-٢-٢٠١٨

الاستيقاظ صباحًا

تقول مواطنة سورية ولدت في الخليج، ولم تكتحل عيناها بمرأى بلدها إلا عبر الصور:

الفرق الوحيد بيني وبينهم

أني استيقظت على صوت مُنبّه

واستيقظوا على صوت طائرة ترمي عليهم البراميل

"محاسن سبع العرب"

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٨-٢-٢٠١٨

وهربت من المنام.. إلى اليقظة!

رأيت هذا الفجر فيما يرى النائم -وليتني ما رأيت! - أني قمت "بانقلاب" نجحت فيه

بأن سيطرت على "مدرسة ثانوية"، كان الطلاب في باحتها منتظمين صفوفًا تحت نظري، يتلقّون مني نصّ "البلاغ رقم واحد"، على حين قبع المعلمون هناك يلتزمون الصمت انتظارًا لما سوف يكون.

ثمّ أشرت للطلاب أن يُنشدوا معي الأناشيد المدرسية العذبة، تلك التي كنّا نتغنّى بها نحن في عقد الثلاثينيّات، فاستجابوا والعاطفةُ الوطنيّة تفوح من أصواتهم الشجيّة.

لكني، فجأة، أخذت أفكر في أنّ "القيام بانقلاب" هو عمل خاطئ في حقّ الأمة، فكيف سمحتْ لي نفسي بأن أرتكب هذه الضلالة التي جريت طول حياتي على التنديد بها، بلساني وقلمي وبكل ما أملك من وسائل الانتقاد!

ومع ازدياد شعوري بالخطأ قررت الانسحاب من هذه المغامرة البغيضة، وأعلنت عن عزمي هذا... وإذا المعلمون يخرجون من أماكنهم وهم يتنفّسون الصعداء، والطلاب اشتدّت حماستهم في النشيد... وخرجت من المنام هاربًا.

وإذ عدت إلى عالم اليقظة، تبيّنت أني كنت أرسلت، في العشيّة عبر الشابكة، تغريدة شجبت فيها الانقلابات وسفَّهت عمل الانقلابيين وإن خالوا أنفسهم يجترحون المعجزات، وكانت ثمّة تعليقات جمّة، أزعجني فيها "الضدُّ" على قلّته أكثر ممّا أسعدني الـ"مع"، وعجبت من نفسي أن أقوم -ولو في المنام- بما أشجبه في اليقظة... فقمت أمسح التعليقات كلها واحدة واحدة، وما أبقيت إلا نُتَفًا من نصّ التغريدة-الأمّ، لا يُفهم منها إلا أني مررت يوما من ههنا!

وعدت إلى نومٍ هنيء... وعند استيقاظي هأنذا أكتب لكم، يا أصدقائي.

دمشق الشام: ظهيرة الخميس ١-٣-٢٠١٨

أطفال النكبة السورية.. منهم مَن لم ير حائطًا حجريًّا!

في حفل توقيع الأديبة السورية ابتسام شاكوش، مجموعتَها القصصيّة للأطفال المستوحاة من واقع المخيّمات...

تحدثت، في هامش الحفل، عن أطفال نشؤوا في مخيّم في العراء كانوا قد نزلوا فيه ببداية الأحداث وهم اليوم في سنّ الثامنة والعاشرة... اتفق أن اصطحبت بعضهم من هذا المخيم، وذهبت بهم إلى المدينة.

روت عن اندهاشهم طوال الطريق من مظاهر الحضارة، شوارع، سيّارات، أشجار، حدائق، ألعاب... وأكثر ما فاجأها اندهاشهم من شيء اسمه "الدَّرَج" وعدم تمكّنهم من الصعود عليه، لأنهم لم يخوضوا هذه التجربة في حياتهم المنبسطة في المخيّم... وكانوا يرتطمون بالجدران وتُشَجّ رؤوسهم بسبب عدم اعتيادهم الركض بين جدران صلبة مقارنة بجريهم بين الخيام!

وأجداد هؤلاء الأطفال هم من ابتكروا الأبجدية قبل آلاف السنين.

دمشق الشام: ليل الخميس ١-٣-٢٠١٨

عن الكولبات الوسيعة

إنّ التشدّد في حراسة بيوت المسؤولين، ووضع "الكولَبات" (التي تكبر أحيانا حتى لتتّسع لسريرين أو ثلاثة، وطاولة عليها سخّان كهربائي وفناجين قهوة وكاسات لقرقعة المتّة)، وإغلاق الشارع من أوله أو آخره أمام السيارات البريئة، حتى إن كان "جار الرضا" في رحلة استجمام...

هذا كله بدأنا نشهده منذ أول انقلاب في البلاد... فالعسكري الذي حاز السلطة غِلابًا،

يخاف أن تؤخذ منه غِلابًا.

دمشق الشام: عصر الجمعة ٩-٣-٢٠١٨

شعب سوري واحد

• ثورة الشريف حسين على الحكم التركي المتمثّل في طغيان حزب الاتحاد والترقي، كان الشعار الذي رفعته كما تؤكد الوثائق المنشورة: "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة هي الإسلام".

• فجاء ميشيل عفلق واستعار هذا الشعار وحذف منه، فأصبح: "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة".

• أرى أن نهتف اليوم: "شعب سوري واحد، يطالب سلميًّا كما بدأ بالحريات الديمقراطية، ليُعيد أمجاد الأمويين ومَن سبقهم من شعوبٍ سكنت مهدَ الحضارات".

دمشق الشام: فجر السبت ١٠-٣-٢٠١٨

"القطّ الكمّوني أكل اللحمة!"

في طفولتنا كنا نعيش في حلب، ولكنّ خالة لنا، هي "قَدْرية"، تزوجت إلى حماة، وأنجبت، ولم يكن التواصل بالسفر سهلاً كما هو (قبل الأحداث طبعًا).

كنّا، نحن أبناء الخالة بحلب الأكبر سنًّا ممّن هناك في حماه، نتسقّط أخبار أطفال الخالة، ونترنّم مبتهجين بكلمة قالتها مرة كبرى الأطفال تخاطب أمّها: "يا يامو[1]، القطّ الكمّونيّ أكل

(١) يامو: يا أمّي

اللحمة".

ابنة الخالة هيام، التي شكت يومًا لأمّها ما فعل القطّ الكموني، هي اليوم أمّ لمثقفين ولطبيب يعمل في باريس، وهي أيضًا جدّة لأحفاد لا أعرف عددهم، وأظنّ أن سوف تأتيني معرفة ذلك بعد نشري هذه الخاطرة!

دمشق الشام: فجر السبت ١٠-٣-٢٠١٨

"كولبة".. على باب بيتي!

بعد الحديث ليلة أمس، المسترسل، عن "الكولبات" (المحارس) التي تكون أمام بيوت المسؤولين، رأيت أنهم جاؤوا إليّ بكولبة نصبوها على باب بيتي، وأنزلوا فيها حارسين يتناوبان، فأمسى في حارتنا ثلاث كولبات: واحدة عظيمة لمسؤول أمنيّ كبير، وأخرى لمطربة رخيمة الصوت كانت قالت في حقّ النظام كلاما طيّبا فخافوا عليها من المعارضة، وقد بنوها لَها من حجر أبيض مزين برخاتم، والثالثة خشبية صغيرة لي.

ومع استغرابي أفادوا بأنهم باتوا يخشون عليّ -أنا المعارض "اللطيف"- من شرّ المعارضة المتطرفة، وأنا أدرك أنها طريقة غير خفيّة لمراقبة مَن يدقّ بابي من الزوار!

عند الصباح... خرجت لأطلّ عليها، هذه الكولبة الخاصة بكاتب، فلم أجدها... فعرفت أني كنت في حلم.

هذا وقد افتقدت تعريف كلمة "كولبة" في موسوعة "الأسدي م, خير الدين" (من سبعة أجزاء)، وعللت ذلك بعدم شيوعها في زمنه!

دمشق الشام: ضحى السبت ١٠-٣-٢٠١٨

أنا.. وأطفال المخيّمات

دخلت غرفتي، بعد أن تناولت فنجاني في حديقة البيت على إيقاع قطرات الماء تتساقط على سطح البِركة، متمتّعًا بسريان الربيع في أوردة الشجر، أتابع بالعينين الفراشات تجوب الفضاء منفردة أو زوجين زوجين...

وأنا أمام الشاشة تساءلت عن أولئك الذين ألجأهم القتالُ في وطنهم، في قراهم، في مزارعهم، إلى أن يهجروا بيوتهم التي من حجر ليعيشوا في مخيمات نُصبت لهم في عراء الصحارى والسهوب المنفيّة.

وتذكّرتُ...

تذكّرتُ ما قرأت بالأمس من أن ناشطة إنسانية كان في برنامجها أن تصطحب أطفالا من هناك إلى المدينة، فلاحظتْ مدى تعجّبهم من رؤية السيارات تنطلق في الطرقات الممتدة، والشجر في البساتين والحدائق... ولما دخلت بهم الفندق كانوا يصطدمون في مسيرهم بالجدران الحجرية التي ما عهدوها في مخيماتهم إلا طريّة ليّنة... والدّرَج لم يعرفوا كيف يصعدونه!

فلما عدت إلى حديقتي المنزلية... لم أرَ أزواج الفراشات تجوب في فضائها مرحة، ولا تلقّطت أذناي ثرثرة الماء في حديثه إلى البِركة، لا ولا جرى الربيع في أوردة الأشجار والأزهار!

دمشق الشام: ضحى الأربعاء ١٤-٣-٢٠١٨

أمام موقد الغاز.. أمام جهاز الفيسبوك

دخل عليّ صديق عزيز، فرآني أعمل في المطبخ تلك الطبخة التي تسمّى "لحمة بالصحن"، هي بالأحرى "بالصينيّة"، لحمة ناعمة، متبّلة، نضع في القاع شرائح بطاطا، تُمدّ فوقها اللحمة

مدًّا، ثمّ تُغشّى بالبصل جوانح وبشرائح البندورة وشيء من الفليفلة الخضرا، وتُرفع على النار، وبعد الغلوة الأولى تُصبّ عليها خلطة من توابل وزيت ورُبّ البندورة [وربّ الرمّان]، مغلية كلها بماء، وتُغطى الصينية بورق قصدير، وتُدخَل إلى الفرن فإن لم يكن فتوضع على موقد الغاز...

استغرب صاحبي أن يقوم بمثل ذلك رجلٌ في التسعين يعيش وحيدًا في بيته، كاتبٌ، قال:

ـ كنت أتوقع أن أراك على الفيس بوك!

قلت:

ـ إنها الحرب، يا صديقي، التي أخرجت الأهل من الوطن وغرّبتهم في كلّ مكان!

بعد الغداء، الذي استحقَّ منه الإعجاب، اتّخذت مجلسي أمام الشاشة، وهو الآن جالس بجواري... أكتب هذا، ابتسم وهو يقول:

ـ أنت سريع الاستيحاء، سريع الكتابة!

وأدركت أنّ استغرابه قد غاب.

دمشق الشام: مساء الخميس ١٥-٣-٢٠١٨

إلى أين تمضي بنا، يا سيدي النظام؟

• الشهداء من أبناء الشعب ومن كلّ من حمل السلاح، والمعتقلون، والمفتقَدون... بلغوا المليون عددًا (نوشك أن نلحق بشقيقتنا الجزائر).

• الهاجرون منازلَهم والمهاجرون إلى ما وراء الحدود يتجاوز عددهم عشرة ملايين، نصف سكان البلاد (سبقْنا في هذا معدلات الهجرة والنزوح في كلّ أنحاء العالم المتمدّن والمتخلّف).

• والفتيات في الوطن لن يُقدّر لهنّ أن يُنجبنَ على نحو ما ينبغي، للندرة التي أصبح عليها

حال الرجال بيننا.

لن أمضي في التعداد فالقائمة طويلة... ولكني أسأل:

- أين هي السواعد الخيّرة والعقول النيّرة التي تبني ما دمّرته الحرب المجنونة؟
- ثمّ... بأيّ معيار يُحسَب أنّ ما وصلتَ إليه هو انتصار؟ وهل ينتصر الإنسان على نفسه؟
- وأسأل وأسأل: إلى أين أنت ذاهبٌ بنا، يا سيدي النظام؟

دمشق الشام: ضحى الخميس ١٥-٣-٢٠١٨

الزّنود.. التي كانت لنا..

لو أنها أحوالٌ للاجئين في بلاد الهند والسند والواق واق... لحزّ ذلك في نفوسنا...

فكيف وهم من أبناء وطني!

كانوا بالأمس يخرجون، في باكر الأصباح، من بيوتهم التي بنَوها من حجر صلد وإسمنت، إلى المزارع يَسقون ويحصدون ويقدّمون للناس أقواتهم اليوميّة، وإلى المعامل يتوجّهون، والأسواق، والمكاتب، وإلى كلّ مكان...

وإنّا ليستبدّ بنا العجب... إذ نرى فرَحًا مغشوشًا يَطْفو على وجوهٍ غير نديّة، من أنهم حققوا على هاته الزنود التي كانت مفتولة، وعلى أكبادهم التي تمشي على الأرض، انتصارًا... وأيّ انتصار!

دمشق الشام: فجر الخميس ١٥-٣-٢٠١٨

خلّينا نضحك.. شْوَيْ

يقال، أو هو أمر معروف: إنّ الرجل عندما يَطعن في السنّ يصبح صوته أقرب إلى صوت

النساء، وعندما تَطعن المرأة يصبح صوتها مثل الرجل.

نكتة أعرفها منذ قديم:

امرأة في حلب، من طبعها المزاح، اخشوشَنَ صوتها كثيرًا عندما طعنت في السنّ، وبلغ بها المرح مرة أنها، في هتافها إلى بيت إحدى صديقاتها الأصغر سنًّا، طلع لها الابن، شابّ في مقتبل العمر، قالت له: وين أمّك؟

ظنّها الولد رجلاً، فسأل: مين انت؟

قالت: أنا "صاحب" أمّك!

دمشق الشام: ليل الجمعة ١٦-٣-٢٠١٨

نعم

إنّ الشاعرة السورية، ابتسام الصمادي، هي عندي في طليعة المبدعين ممّن كُتب عليهم مفارقة الوطن، ترسل قصائدها، في الحنين إليه والدفاع عنه، صباح مساء...

أحيّيها.

دمشق الشام: ضحى الجمعة ١٦-٣-٢٠١٨

وتأثرت زائرتي.. حتى البكاء!

كلّ ما كان مني أني أَوجزت لها قصة هي ممّا كتبت في ستينيّات القرن الماضي.

انصرف الموظف القانوني من وزارته عند الساعة الثانية ظهرا، فرأى في الساحة تحتُ مشهدا مؤذيا للمشاعر الإنسانية يمارسه أحدُ أفراد النظام أمام أعين الناس، فندّد في ذات نفسه بما رأى... وإذا يدٌ تباغتُه بإلقاء القبض عليه (القصة تستمدّ حوادثها من عالم "الفانتازيا" الخلاق)، ويساق إلى... هناك، حيث أخذ يسمع صرخات المعذّبين! ولأنه كان يعرف نفسه

بريئًا فقد التمس من "السجان" أن يتيح له أن يكلم بالهاتف مدير السجن الذي كان قد غادر لتوه، أملاً في إطلاق سراحه، وفي فظاظة السجان أخذ يدفعه ورماه أرضًا.

لاحظ السجان أنّ رأس السجين أصبح بجوار حذائه، فسأله إن يُقبّل حذاءه ليسمح له بالاتصال، ومع الانهيار النفسي الذي حلّ بالموقوف نظر إلى هذا الحذاء وتساءل لماذا يرى الناس البوط العسكري كريهًا! ومع صرخات التعذيب تتوالى والوعد بالاتصال، وجد نفسه يُقبّل ويقبّل... ما جعل العسكري يقول مستحسنًا: لقد غُسل دماغك على نحو جيد، أصبحت مواطنا صالحا!

وقبل أن أنهي القصة، رأيت زائرتي، على ضوء المصباح الشاحب، تمسح دموعها.

عنوان القصة "العينان في الأفق الشرقي"... تنتهي بأن يذهب شخصها الأول بعد إطلاق سراحه بطريقة دراماتيكية، بعيدا جدا عن السجن، وعن البيت والمدينة، ويستلقى هناك على رمل الصحراء، يبكي طول الليل وعيناه إلى الأفق الشرقي.

أنجزت هذا العمل (وهو في حدود ثلاثة آلاف مفردة) صيف العام ١٩٦٧، وقد تأخر نشر القصة إلى أن ظهرت في مجلة "الكاتب" المصرية (العدد ١٧١، يونيو/ حزيران ١٩٧٥)، ممتدة على عشرين صفحة ومزدانة بثلاثة رسوم، وقد ضمّها كتابي "حزن حتى الموت"، بطبعات متلاحقة، كان آخرها (الخامس) إصدارًا بالفرنسية في باريس عام ٢٠٠٢. نشرتها في صفحتي هنا يوم ١٣ كانون الأول ٢٠١٧.

دمشق الشام: ليل الجمعة ١٦-٣-٢٠١٨

عندما يصبح الحفيد.. رئيسًا على جدّه!

في مطلع العام الماضي (٢٠١٧) تعاقدتُ مع مجلة للأطفال، يعمل فيها حفيدي "ماجد...

" فنانًا تشكيليّا يُبدع الرسوم فيما تنشره المجلة من قصص، على أن أزوّدهم بقصة لكلّ عدد.

ما لم أكن أتوقعه أن يتشدّد حفيدي في قبوله القصة، كلّ قصة، يقول لي:

ـ جدّو! قصتك هذه ليس فيها "أكشن"! وتلك يتخلّلها شيء من العنف الذي نتجنّب نحن تقديمه للأطفال!

فكنت أقوم بالتعديل استجابةً لملاحظاته، التي زادت في خبرتي بممارسة الكتابة للأطفال... مع ما بيني وبينه من فارق في العمر يزيد على خمسين.

وما أعترف به أيضًا أنه كان يؤمّن لي وصول "المكافآت" الشهرية دون تأخير.

دمشق الشام: ليل السبت ١٧-٣-٢٠١٨

نحن، الساكنين في السفح

نحن، الساكنين في السفح، يأتينا صوت الإطلاق من قمّة الجبل، نسمعه ونلوذ بالصمت وهناك... يتلقّون، ويتبعثرون.

دمشق الشام: عصر الأحد ١٨-٣-٢٠١٨

هل وصلت الاتهامات البغيضة.. إلى العالم الآخر!

رأيت فيما يرى النائم فجر اليوم، أني التقيت بصديق لي هو من أوفى الأصدقاء، وقد كان يستضيفني في بيته ببيروت في عقد الستينيات كلما قَدِمت إليها للتعاقد مع الناشرين وللعناية بطباعة أعمالي، وسوف أظل أذكر أنه كان لقلبه هوًى عند فتاة في حلب (وكنت مقيما فيها) استعصى عليه التفاهم مع أهلها، فتوسّطت له عندهم، وكان أن تزوجا وانتقلت الحبيبة إلى عشّ الزوجية، وفي بيتي الجديد بدمشق استضفتُها ذات حين أنا وأسرتي.

لست أدري كيف التقيته في المنام، فبدا لي ساخطًا عليّ لأني أقف في صفّ "المعارضة"،

مع أننا كثيرًا ما كنّا -هو وأنا- نقضي الساعات نتشاكى من ظُلمَين اثنين نعاني منهما: عَنَت الأيام، وقهر الحكّام. وكان فيه ميل للشيوعية، وأنا أرنو بعينيّ للحريات العامة... رأيته الآن يعبّر لي عن مخاوف تقلقه من أنّ المعارضين إن قبَضوا على مقاليد الأمور فسوف يمارسون اضطهاد "الأقليّات" إلى حدّ الفناء! وعبثًا حاولت مناقشته في أنّ مَن يُسمّيهم أقليات دينية، ظلت تُسهم في بناء الأمة عبر مئات السنين، فكيف يمكن لإنسان القرن الحادي والعشرين أن ينوي إيذاءها!

ثمّ لست أدري كيف دخلت البيت، بيته، فتصدّت لي زوجته، هذه التي توسّطت له في أمرها عند أهلها، تردّد هذه "الأسطوانة" لكن على شكل أكثر حدّة!

وخرجت من البيت الذي أحببته وساكنيه كثيرًا، وأنا أشدّ حزنًا وقهرًا.

وعند استحضاري تفاصيل هذا الحلم، تذكّرت أنّ صديقي كان قد توفي قبل اندلاع الأحداث في الوطن بسنوات... فتراءى لي أن أتساءل ما إذا كانت هذه الاتهامات البغيضة قد وصلت إلى العالم الآخر!

دمشق الشام: فجر الإثنين ١٩-٣-٢٠١٨

كانوا يمارسون علينا سياسة الـ.

كانوا يمارسون علينا سياسة الاحتكار، والابتزاز، والاستعلاء، والازدراء، بضمير يتمتّع بأقصى حالات الراحة...

وكانوا يتوقعون أن نكون صاغرين...

فقط لو أنهم ترفّعوا...

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ٢٠-٣-٢٠١٨

كان أحدنا إذا تعرّض لمكروه...

كان أحدنا إذا تعرّض لمكروه... يبحث، يلوب عن واحد منهم يرفع عنه الضيم أو يردّ إليه حقه المسلوب...

وكان منهم مَن لم يتجرّد من شهامته،

وكان منهم من جعل يعيش على التكسّب من أوجاعنا.

دمشق الشام: ضحى الثلاثاء ٢٠-٣-٢٠١٨

وعكة ألمّت بجورج برنارد شو

قرأت، وأنا فتى، أنّ وعكة ألمّت يوما بالكاتب الإيرلندي "جورج برنارد شو" وهو يعيش وحيدًا في منزله، فهتف إلى طبيبه الخاص، الذي أسرع بالحضور إليه.

وكانت "المعالجة" أن صعد الطبيب درج البناية دون مصعد، ووصل إلى بيت شو العالي وهو يلهث ويتظاهر بالعياء الشديد، فقام شو يُسعفه بأن غادر سريره، وقدّم له ما ينعشه وكأس ماء... حتى استردّ الطبيب عافيته، واستردّ شو العافية أيضًا، وكانت هذه حيلة لطيفة من الطبيب ليؤكد للكاتب الكبير أن لا بأس به.

قرأت ذلك في النصف الثاني من أربعينيّات القرن الماضي، قبيل وفاة شو (١٩٥٠) أو بُعيدها.

أنا في وحدتي هنا أتنقّل كثيرًا في أرجاء بيتي، ابتداءً من إعداد الطعام وانتهاءً بسقاية أحواض الجنينة وشطف بلاطها عندما يغيب الولدان اللذان يتولّيان ذلك... وعلى هذا فأنا لست في حاجة لمثل تلك الخُدَع النفسية الجميلة.

وكل عيد أمّ، وعيد أب، وأنتم بخير.

دمشق الشام: مساء الأربعاء ٢١-٣-٢٠١٨

على مائدة الفاصوليا.. في عيد الأم، في أيام الدم

وهو ينظر إلى "القُرون" الخُضْر، تُقطَّع رؤوسها ثمّ أذنابها، وتُسحب منها تلك "الخيوط" على الجانبين... تذكّر وتذكّر...

تصوّر زارعَها يرعاها في الربيع شتلاً وزهرًا، ثمّ ينحني يقطف ثمارها واحدة واحدة، ويرتّبها في عبوات ينزل بها إلى سوق الهال... ومَزارع الغوطة، اليوم، تُغطّي سماءَها النار وينتثر على أرضها الدم.

وعادت به الذاكرة إلى عهد الطفولة الأول... كيف أنه وإخوته، على مائدة الفاصوليا يأكلون ما أعدّت لهم الأمّ في سحابة نهارها، إنْ طَلَع لأحدهم "خيطٌ" فاتها سحبُه، فإنه يُبدي اشمئزازًا، فتنحني أمّه عليه وتسحب الخيط من اللقمة، ويعود إلى أكله هنيًّا.

دمشق الشام: ظهيرة الأربعاء ٢١-٣-٢٠١٨

في مقهى.. مطلّ على حديقة الجاحظ

لم يتّفق له أن استُكتب من قبل الصحافة المحليّة مجلاتٍ أو صُحفا، فلم يكن في ذا على وِفاق مع "النظام"، وهو الذي دأب على نقد الظلم والظلام، وإن اتّسم نقده بما يُسمّى "الشفافيّة"، إلى أن هتفت له يومًا إعلاميةٌ مرموقة، تُخبره أنّ ناشرًا سألتْه في شأنه فرحّب بأن يكون في عداد الكتّاب في المجلتين اللتين يصدرهما، شهريةً، والأخرى أسبوعية يكون له فيها صفحتان يملؤهما بما يَعِنّ له من فنون المعرفة والأدب، وسوف تكون المكافأة مُجزية، فإنّ للرجل رأيًا فيه جميلاً.

فرح "الأستاذ"، وأخذ يُزوّد "الشهريّة" ببحوث عنده فكأنها في ذلك على ميعاد، ويُغرّد

في "الأسبوعيّة" عبر صفحتين بما يتراءى له من تجلّيات الكتابة، موغلا في الذكريات يُقرّب بعيدَها، ويرصد وقائع يوميّة... ذلك كله ما ليس له علاقة بالسياسة ودهاليزها.

وكانت الإعلاميّة الصديقة تتّصل به قس كلّ حين، تَطمئنّ، وتحدّثه بأنّ الناشر ممتنّ ومعجب "ببنات أفكاره" ويفتخر، وأنه سيُجزل له... وهو يتابع تسويد الصفحات، يُنمنمها، ولا يسأل، سعيدًا بأنه يمارس "طقسًا" في الكتابة طالما تاقت نفسه إليه.

ذات يوم هتف له طبيبٌ متقدّم في العمر من معارفه القدامى المهتمّين بالثقافة، يدعوه إلى كأس من عصير البرتقال أو الليمون، في ذلك المقهى المطلّ على "حديقة الجاحظ". ولأنه يعرف ولع هذا الصديق بما يكتب من أدب وفكر وتاريخ، فقد تأبّط بضعة كتب من أعماله، واستحثّ الخطا إلى موعد لن يتجاوز اللقاء فيه ستين دقيقة، ينتقل المُواعِدُ في نهايتها إلى صديقين له يَقْدمان إلى ذاك المقهى، في لقاءٍ لهم، الثلاثة، أسبوعيٍّ، وهو يمضي إلى حال سبيله.

ماذا نقول؟

اثنان من مثقفي البلد، يلتقيان في ظلّ هذه الظروف، في مقهى مطلّ على حديقة تشرئبّ فيها الأشجار، وتفصل بين المقهى والحديقة ساحةٌ وسيعة، يلتزم فيها السابلة السير على الأرصفة بحذر، على حين تندفع سياراتٌ تنهب الأرض نهبا... لم يكن بدّ من أن يتطرّقا، الصديقان، في حديثهما، بعد مهر الكتب بعبارات الإهداء، إلى السياسة! كان الطبيب، الأكبرُ سنًّا، يعرف أنّ جليسه من غير الراضين على "الأوضاع"، وأنه يكتب في هذا أدبًا لمّاحًا على نحو يمرّ هنا وهناك، وهو خدم في الجيش طبيبا منذ... منذ أربعينيّات القرن الماضي.

هل بلغ استرسالُهما في الذكريات حدَّ أن... أن "يعترف" الطبيب بأنه، يوم دخل الجيش شابّا، اتفق له أن سُمّي عضوًا في اللجنة التي من شأنها أن تفحص المتقدّمين ليكونوا طلابًا يتخرّجون ضباطًا؟ كان -يقول- يتساهل كثيرًا في قبول مَن لا يملكون المقدرة على العيش في

العاصمة طلابًا جامعيين، يحدّث نفسه: فليدخلْ هؤلاء الجيش ويصبحوا ضباطًا يدافعون عن الوطن.

قال هذا وهو يُحدّق إلى عينَي الأستاذ، هل استشفّ فيهما معاني الاعتراض؟ سأله:

ـ هل كنتُ في هذا مخطئًا؟

أسرع الأستاذ يقول:

ـ نعم.

قال الطبيب:

ـ إنّ بعضهم يُخطّئني حتى اليوم، فأقول لهم بأنّ أولئك "دراويش"، لا يملكون ما ينفقونه على أنفسهم في العاصمة.

قال الأستاذ:

ـ أحسب أنّ انتساب الشباب إلى الجيش للدفاع عن الوطن له معاييرُ بعيدة عن أطروحة الفقر والغنى.

قال:

ـ نعم، نعم، إنّ بعض أصدقائي ما زالوا يقولون لي هذا.

قال الأستاذ بعد أن احتسى آخر ما في كأسه من "الليموناده"، يمازحه:

ـ فأنت، يا صديقي، تتحمّل جزءًا من "المسؤوليّة" في شأن أولئك الذين قاموا بانقلاباتهم العسكريّة، وأولها انقلاب "الزعيم"!

وأطلقا ضحكتين... مغتصَبتَين.

ولحظة نهضا للوداع كانت، في الساحة تحت نظرهما، سياراتٌ تنطلق مثل السهم المارق...

يقودها فتيانٌ متهوّرون.

ـ أترى إلى هذه السيارات الفارهة التي "تُشَفّط" تحت أنظارنا؟ إنّ مَن يقودها هم أبناء وأحفاد أولئك الذين تساهلت أنت وصحبك، يومًا، ووقّعتم على قبولهم في تلك المؤسسة التي كنت أنت عضوًا في لجنتها!

ولم يبتسم أيّ منهما.

ذهب الطبيب إلى صديقَيه اللذين ينتظران، وكان أحدهما -بالمصادفة- هو صاحب المجلتين، والآخر قد قضى عمره وهو يرفُل بنَعماء النظام... والأستاذ مضى في سبيله.

في اليوم التالي، طَرق بابَ البيت مَن ردّ إلى الأستاذ مقالاته الأخيرة المرشّحة للنشر، ودفع إليه بمظروف، فتحه فوجد "المكافآت" المتراكمة وهي في أدنى حدودها... وانقطع بعدئذ ورود المجلتين إليه هديةً، وقد كان يمدّ يده إلى علبة البريد ينتزع العدد من الحضن الدافئ، يفضّه، يُقلّب صفحاته، ويقف عند حروفٍ كان يراها بعين الإبداع جُمانًا يتلألأ!

رحل الطبيبُ وواحدٌ من ذينك الاثنين من عالمنا، وبقي الأستاذ وصاحب المجلتين، يعتصم كلّ بموقعه لا يغادره.

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢١-٣-٢٠١٨

وزن كيلو رزّ!

اشترى رجل من السوق كيلو رزّ من بقّال وقف في بابه لأول مرة، وخُيّل إليه أنّ البائع طفّف في ميزانه، فأحبّ أن يتأكد من الوزن.

دخل إلى أول بقّال في حارته، وسأله أن يزن له هذا الرزّ، فقال له البقال بعد الوزن إنه كيلو وخمسون غرامًا!

لم يرتح الرجل للوزن، وذهب إلى البقّال الثاني، فقال هذا: كيلو ومئة غرام!!

وقال الثالث: كيلو ومئة وخمسون!!!

وهكذا...

فعرف الرجل أنّ كلّ بقّالي حارته حراميّة، ولكنه لم يتأكد من براءة البائع الأول

...

بالإذن من الأصدقاء غيّرت المادة المشتراة من كيلو صنوبر إلى كيلو رزّ.

دمشق الشام: ظهيرة الخميس ٢٢-٣-٢٠١٨

عندما هَفَت نفس مسؤول كبير لفنانة جميلة

في منتصف أربعينيّات القرن الماضي، استقدمت جهةٌ فنية بحلب المطرب فريد الأطرش لإحياء أمسية يسعد فيها الشعب الحلبي المولع بالطرب الأصيل، فجاء فريد الصاعد وبصحبته فرقة فنية على رأسها الراقصة المشهورة تحية كاريوكا، التي كانت تلازم فريد في أعماله السينمائية وعلى خشبة المسرح.

استحلى مسؤول أمني كبير بحلب الفنانةَ تحيّة وهي في عزّ شبابها وجمالها، فأرسل من يطلبها إليه، فأتاه الجواب رفضًا قاطعًا... فكان من غضبه أن أرسل يوم الحفلة رجال شرطته، أزعجوا الفنانين وبرطشوا[1] الحفلة، وأظن أنّ فريد الأطرش غادر وفرقته حلب آسفين.

وكانت حكاية تناقلها الناس في حلب، عرفتُها وأنا فتى.

فيما بعد صارت مثل هذه الأمور أكثر يُسْرًا.

---

(١) أفْسَدوا

دمشق الشام: ظهيرة الجمعة ٢٣-٣-٢٠١٨

وتبدأ أزهار الكبّاد

وتبدأ أزهار الكبّاد تُفتّح في شهر آذار...

دمشق الشام: ٢٨-٣-٢٠١٨

من الزمن الجميل: مدير يمنع دخول رجل الأمن لمدرسته

جاء مرة ضابطٌ لإجراء تحقيق داخل المدرسة.

فأُبلِغ أنّ المدير يرحّب به، لكن عليه أن يستبدل بلباسه العسكري لباسًا مدنيّا، تمشّيًا مع القوانين والأنظمة التي تمنع المظاهر العسكرية في حرم المساجد والكنائس والمدارس...

واستجاب الضابط لهذا الطلب.

إنه "عبد الغني جودة" (١٨٩٦-١٩٧٣) مدير "ثانوية المأمون" بحلب التي تربّيتُ فيها.

دمشق الشام: فجر الأربعاء ٢٨-٣-٢٠١٨

طالب بيننا في الجامعة.. يختال ببدلته العسكرية

وأنا طالب سنة أولى في حقوق جامعة فؤاد الأول بالقاهرة (العام الدراسي ١٩٥٠-٥١)، كان يحضر بيننا طالب وهو في بدلته العسكرية وعلى كتفيه (٣ دبابير) قولة أخوتنا المصريين، يعني ثلاث نجوم. ولاحظت أنّ طلاب المدرج الألف عددًا لم يكونوا ينظرون إليه بارتياح، وهو يمشي بيننا مختالًا، وبعض الطلاب يأتون إلى الجامعة وأحذيتهم مثقوبة.

ذات مرة، ونحن في انتظار قدوم الأستاذ المحاضر، "تلاسن" هذا الطالب مع آخر، فرفع صوته بكلمات تدلّ على اعتداده بأنه "ضابط"، فما كان ممّن حوله إلا أن نهضوا يدفعونه أمامهم، وطلاب المدرج يُندّدون: "اطلع برّه، اطلع برّه! " حتى أخرجوه من المدرّج.

ومن يومها لم نره، لا في بدلته العسكرية ولا في لباس مدني.

أظنّ أنّ الشعور "بالتشفي" عندي كان الأعلى، فقد كنا، نحن السوريين في تلك الآونة، نعاني من مرارة أول انقلاب عسكري يقع في الأقطار العربية.

دمشق الشام: ظهيرة الجمعة ٣٠-٣-٢٠١٨

وجاءني.. قبل ذهابه إلى الاعتقال!

رأيت فيما يرى النائم فجر اليوم، أنه زارني في بيتي، على غير توقع، زميلٌ في الكتابة، ينظم الشعر ويكتب المسلسلات التلفزيونية، وقد ظلّ ينعم بأحضان السلطة، في عمره غير الطويل، وإن كان يدّعي أنه مع الحريات العامة والديموقراطية الهامة، وكنت ألاحظ فيه "عدم استلطافه" لي، لسببين فيما أقدّر، طائفي وطبقي. وسمعناه يترنّم، يوم نزوله العاصمة في أعقاب الثامن من آذار، ببيت من الشعر لأبي فراس الحمداني، حَوّره تحويرًا، يشكو فيه بمرح صروفَ الزمان:

لنا "السطحُ" دون العالمين أو "القَبْوُ"!

جاءني، في منام الفجر، ليُعلمني -يا للعجب! - أنه دُعي "من قِبلهم" للذهاب إليهم اليوم، الآن، وهو على يقين من أنهم سوف يعتقلونه "لمواقفه" من الحرية! وإنما أتى إليّ ليستهديني بعض أعمالي القصصية، التي أتناول فيها الهمّ الوطني، ليستمتع بقراءتها في المعتقل!

هنا أَهَبْتُ بالبنيّة التي تساعدني، أن تأتي لي بعناوين من كتبي سمّيتها، فكانت تعود إليّ في كل مرة بعناوين غيرها، إلى أن استوفيت ما أردت، وكان هو قاعدًا أمامي ينتظر بصبر وعيناه إليّ تَشِفّان عن محبّةٍ خُيّل إليّ أنها صادقة. حاولت أن أخطّ على الكتب عبارات إهداء مناسبة ولكن ذلك استعصى على قلمي!

واستيقظت لأروي لكم.

وأعجب ما هنالك، أيها الأصدقاء، أنّ هذا الرجل كان قد فارق دنيانا قبل عشرين سنة!

صباحكم جميل.

دمشق الشام: ضحى السبت ٣١-٣-٢٠١٨

كيف يمكن للغرب

كيف يمكن للغرب أن يحترم العرب

وهو يراهم ألعوبةً بين يديه

يتواطأ معه في ذلك نفرٌ منّا؟

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ٣-٤-٢٠١٨

برمش العين

برمش العين... نبني

وهناك مَن، بلمح البصر، يهدم كلّ شيء.

دمشق الشام: عصر الثلاثاء ٣-٤-٢٠١٨

حسناء

قصيدة بقلمي، من أيام الشباب الأول!

(١)

مستقبلي... مثلُ ظَبيٍ، ضاحكٍ طربِ يختال في صفحة الأقدار في طرَبِ!

يلهو ويعبث... بالأرزاء والنُّوَبِ! كأنه ما درى ماضيَّ ذا الكُرَبِ!

يا ظبي! حلّقْ إلى أعلى من الشُّهبِ!

(٢)

سـألتـه ونهـاري لُـفَّ في كـفـنٍ! والكونُ أسـبـلَ جفنيه على الوسـنِ
مـالي أراك وقـد أُفْـلـتَّ مـن حَـزَني ورُحـتَ تَخطِر في دَلّ عـلى الزمن؟!
لم تدرِ، يا ظبي، ماذا كان يعصف بي؟

(٣)

يا ظبيُ! كم من ليـالٍ ليس يخطَفُها كرُّ الليـالي من المـاضـي، ويحذفها!
كم بـتُّ فيهـا أليمَ العين، أذرفهـا دمعًـا، وحينًـا -إذا مـا عزّ- أقـذفها
حمراءَ قانية.. والقلبُ في صخبِ

(٤)

كم بِـتُّ والليـلُ والآفـاق تسـتمعُ إلى شـكـاواي.. تعلو ثمّ تنقطع!
أبـثُّ نجـواي لـلأنسـام.. لا أدعُ نجوى تفوت! فقلبي ليس يتّسـعُ
لمثلها وهو المخلوق للطربِ

(٥)

يا ظبيُ! هذا هو الماضـي الذي انقرضـا ولـن يـزور فـؤادا طـالمـا انـتـفضـا
مثـلَ انتفـاضـة طيرٍ عنـدمـا قبضـا عليـه مخـلبُ طيرٍ جـارح عَـرَضـا
هيهاتَ يرجع بعد اليوم من كثبِ

(٦)

حسـناءُ قد بزغت كالشـمس في أفقي تختـالُ في موكـبٍ من حسـنها العبقِ
وراءهـا حَـزَنٌ يَـهـوي عـلى رمـقي فبـدّدت بِسَـنـاها الـنـاضـر الألقِ
جيوشَ همّي كلحنٍ فيَّ منسكبِ

(٧)

حسـناء يا أملي، ها قد بعثتِ غدي حيًّـا وكـان مَـوَاتاً فـاقـدَ الـرَّشَـدِ
عصـفتِ في جسـمه الواهي، ولم يكد يـراكِ حـتى غـدا كـالـبـلـبـل الـغَـرِدِ
يرتّل اللحن تلو اللحن في طربِ

فاضل السباعي – سادس–أدبي – الكتابة: ربيع ١٩٥٠.

العدد الثالث من مجلة "صوت الطالب" (أيار ١٩٥٠)، عن "ثانوية المأمون" بحلب.

دمشق الشام: مساء الأربعاء ٤–٤–٢٠١٨

صُروحٌ تحمل الأسماء

في بلادنا...

كثيرٌ من الصُّروح والأوابد التي شيّدتْها النُّخَبُ في الزمن القديم، مَوَّلوها وجعلوا لها أوقافًا يُنفق منها، عليها، وما زالت تحمل أسماءهم...

لَكْ قلبي يشتهي أشوف واحد من نُخَب اليوم بنى وشيّد وسمّى باسمه... ولكنّا نسمع أنّ ثروته، التي بلغت المليارات، مودعة، بأمان أو دونه، في بنوك الغرب، والشرق، ودُبي، وبلاد الواق واق...

دمشق الشام: ضحى الأربعاء ٤-٤-٢٠١٨

من أطراف الريف.. إلى تخوم الغابات!

كانت تأتي إلى بيتي يومًا في الأسبوع، تُدبّر أموره وتطبخ ما تيسّر.

روت لي أنّ زوجها الذي يعمل بالتمريض، توجّه قبل حين إلى إحدى دول الخليج كسبًا للرزق، وتركها وطفلها الصغير في بلدتهم القريبة من العاصمة يُورّد لها ولوالدته ما يسدّ الرمق. بعد حين علمت أنه تزوج من ممرضة زميلة له في المستشفى تنتمي إلى إحدى الدول العربية، فثارت فيها كرامة الأنثى، وأتصوّر أنها أسرفت في الاحتجاج على الزوج، فقطع عنها المورد... هنا أشارت عليها حماتها التي تشاطرها السكن، بأن تعمل في المنازل كما تعمل هي، فاستجابت، وهي ترعى طفلها الذي دخل المدرسة الابتدائية، وقد كانت تلتمس مني في بعض المرات أن أتيح لها الانصراف باكرًا لتُدرِّسه، فعنده غدا مذاكرة أو امتحان.

ذات يوم جاءتني لتعتذر عن دوامها الأسبوعي في بيتي، ذلك أنّ حماتها علمت أنها تخدم في بعض أيامها في بيت لا نساء فيه، فهي تخشى أن تصل إليها هذه "المعلومة"... فيكون أمر آخر!

وقع هذا قبل نحو عشرين سنة... وفي بلدتها وحولها دارت معارك وكان نزوح... ولا أعرف إلى أي مكان قذفت بها رياح القتال: هل هي تفترش الأرصفة في شوارع بيروت، أم أنّ ابنها -الذي شبّ وتجاوز العشرين- مشى بها على تخوم الغابات في الطريق إلى....؟

دمشق الشام: ظهيرة الأربعاء ٤-٤-٢٠١٨

إن وافاني الأجل المحتوم قبل..

إن وافاني الأجل المحتوم قبل أن أوفَّق في نشر العشرين مؤلفًا المتناثرة فصولها في أدراج

مكتبتي

فإني سوف أحزن وأنا تحت الثرى

دمشق الشام: مساء الخميس ٥-٤-٢٠١٨

لم أعد أعرف

لم أعد أعرف كيف أبتسم

هل يعود هذا لتراكم السنين،

أم لجسامة الأحداث؟

دمشق الشام: مساء الخميس ٥-٤-٢٠١٨

أن يكون لك أصدقاء هكذا..

كتبتْ له: أنا على وشك أن أخرج من بيتي متوجّهةً إليك، ماذا تشتهي أن "أطبخ" لك، "يا أبي"؟

ردّ على صديقته بالفيس: "مقلوبة"، التي يقولون تارة أصلها من دمشق وأخرى من حمص!

قالت: تكرم عينك، أنا دمشقية وحمصية ومن اللاذقية أيضًا!

لحظة وصلت "جارته" -التي يحلو لها أن تناديه "يا أبي"- وهي تحمل المستلزمات، كان هو يحمل رزمة يريد أن يودعها البريد، وأوصاها أن تُكثر من كمية المطبوخ، فهو يُحِبّ المقلوبة، طبقاتٍ من رزّ وباذنجان.

قضى خارجًا ساعة من زمان، وفي عودته رأى الصديقة، الجارة، الابنة، طالبة الدراسات العليا، قد أنجزت كثيرًا من مراحل العمل. ما لاحظه أنها، عند احتياجها لهذا الغرض أو ذاك،

تعرف بنظرة واحدة أين يكون، إحساس "ربّة بيت" عريقة!

كان يُعِدّ نفسه لقلب القِدر في الصينيّة، فالأكلة اسمها "مقلوبة"، يصبح الأسفل أعلى. ولكنه، وهو يُروّب العيران، فوجئ بأنها هي التي قلبت... فوقف يتملّى النظر من هذا "الأعلى" الذي تبدّى لعينيه، يغمره لحمٌ ناعم وتتدحرج إلى الجوانب قطعٌ يسمّونها "راس عصفور"، واليد تنثر فوقها "القلوبات" المحمّرة!

وفي الحديقة، بجوار بِرْكة ما زال ماؤها يُثرثر بصوت خافت... أخذا يسكبان، ويحتسيان العيران المطيّب بالثوم.

جميلٌ أن ينتقل أصدقاؤك "الافتراضيون" إلى أرض الواقع، يشاطرونك اللقمة الهنيّة، بجوار بِركة من ماء الفيجة، وعبيرُ أزهار يملأ الصدر والفضاء... متغافلين -لبعض الوقت- عن صخب القذائف ورائحة الدم المسفوك.

دمشق الشام: عصر السبت ٧-٤-٢٠١٨

أيها النظام

أيها النظام

تنين صعب

أوقفوا التعفيش[١] رحمةً بالعباد.

دمشق الشام: ظهيرة الأحد ٨-٤-٢٠١٨

---

(١) التّعفيش: نَهب العَفْش، أي أثاث البيت. مصطلح جديد، يُقصد به: نهب قوات النظام وميليشياته لأثاث البيوت التي يسيطرون عليها أثناء غياب أهلها، وبيعها في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام.

سوف أظلّ أرفع الصوت مطالبًا بالحرية

سوف أظلّ أرفع الصوت مطالبًا بالحرية

مثال بسيط: أربع مخطوطات قدّمتها لاتحاد الكتاب في وطني، وأنا من الأعضاء المؤسّسين، ويَرفض الاتحاد نشرها.

أولها كتاب "حزن حتى الموت"، الذي تولّت نشره فيما بعد دار ببيروت في ثلاث طبعات، والرابعة عندي في "دار إشبيلية" التي اضطررت لتأسيسها حلا لمشكلتي، والإصدار الخامس في باريس باللغة الفرنسية.

الإبداع هو الأكثر حساسية ضدّ الظلم... مثل اللقمة المغمّسة بالدم.

دمشق الشام: الأحد ٨-٤-٢٠١٨ س ٢:٠٠ م

بعد أن أدّت صلاة الفجر...

بعد أن أدّت صلاة الفجر... أطلّت على صفحتي فرأتني سهران، فسألتني عما يشغلني؟

قلت:

- شرعت في كتابة مقالة... فغاب عني الليل كما تغيب الشمس عند الأصيل.

قالت، وهي مَن تفرّق أبناؤها في الأقطار، وصعد الزوج إلى السماء:

- قد تعوّدنا الوحدة.

أحببت أن أشارككم هذا الحوار الصغير... قبل أن أذهب إلى النوم.

دمشق الشام: فجر الأحد ٨-٤-٢٠١٨

فُقَرا، نعم.. لكن حراميّة!

من نحو عشرين ثلاثين سنة، زرت رجل أعمال من أثرياء البلد، له اهتمام ملحوظ بالثقافة والأدب، وكان يستمع مني أكثر ممّا يتحدّث.

ولست أدري كيف تواصل الحديث إلى "الرشوة" المتفشّية في البلد، فتكلم متعاطفًا مع المرتشين، وجاء بمَثَل أنه من نافذة مكتبه المطلة على الساحة تحت، يرى بعينيه شرطة المرور كيف يتقاضون الرشاوى من أصحاب السيارات العابرة... وليس هذا بشيء، ولكنه ختم حديثه بكلمة:

ـ خْطَيْ[1]، رواتبهم لا تكفي!

ولعمري، لم أر عطفا مُلتبِسًا مثل هذا!

تُرى هل هنا اليوم مَن يعطف على المعفِّشين، الذين يعرضون في "سوق الحراميّة" منهوباتهم من بيوت أهل الغوطة المنكوبين، فيقول لي: "خْطَيْ، فُقَرا، بدّنْ يعيشوا! "؟

دمشق الشام: ليل الأحد ٨-٤-٢٠١٨

أربع لوحات للفنان لؤي كيالي

في "مرض الفُصام" (الشيزوفرينيا) الذي حلّ بالفنان لؤي كيالي منذ العام ١٩٦٦ (وانتهى به إلى الوفاة يوم ٢٦ كانون الأول ١٩٧٨)، أرسل إليّ عن طريق سفريات الكرنك يوم الثامن عشر من آذار ١٩٧١ من حلب حيث كان يقيم، ثلاث لوحات تُعَدُّ (هي ورابعة كانت في حوزتي بدمشق) من أفضل نتاجه في تلك المرحلة من حياته الفنية، طالبًا مني أن أقدّمها -هذه

---

(١) خْطَيْ وخْطيَّة: تُقال تعبيراً عن الشفقة. يعني: مساكين رواتبهم لا تكفي. وهي تحريف خطيئة

اللوحات الأربع- "هدية" على الوجه التالي:

• لوحتا "عبّاد الشمس" و"قرية تل عَرَن" إلى الاتحاد العام النسائي فرع دمشق،

• ولوحتا "الحُبلى في الأشهر الأولى" و"كادح في مقهى النيل" إلى مجلس الشعب.

ولقد تراءى لي أن أتريّث قليلاً في تقديم هذه الهدايا إلى مَن سمّاهم، حتى يتمّ عرضٌ لها وحديثٌ في التلفزيون وفي إحدى جرائد العاصمة، أملاً في أن تكتسب اللوحات قيمة أعلى في أعين المهدَى إليهم، فظنّ "لؤي" بي تلكّؤًا وما أسرع ما طيّر لي برقية تؤكد ضرورة أن أقدّم اللوحات "كما ورد في الرسالة! ".

ذهبت باللوحات إلى مبنى التلفزيون، وتمّ تصويرها والتعليق عليها من قبل الفنانة التشكيلية أسماء فيومي.

وأذكر أنّ الاتحاد النسائي تقبّل الهدية مع الشكر.

وأما مجلس الشعب، فقد اعتذر لي "أمين المجلس" عن قبولها، ظنًّا منه –حسب تقديري– أنّ الفنان إنما يقصد بهذا الإهداء استدراجًا للشراء، فأكّدت له أنه إهداء خالص، فقبل، لكنه تقديرًا لحالة الفنان، التي بات الجميع يعرفون أنها متردّية صحيًّا وماليًّا، بعث إليه في حلب بحوالة بريدية تتضمّن قيمة اللوحتين حسب التقدير في تلك الآونة... فما كان من لؤي إلا أن ردّ الحوالة، مستكبرًا أن يتقاضى ثمنًا لما قَدّمه هديّة!

وعن هذه اللوحات الأربع أسمح لنفسي بأن أكشف، بعد نحو نصف قرن، عن أسرار تتعلق بمصيرها البائس:

فأما لوحتا مجلس الشعب، فلم يحظَ بهما جدارٌ تُعلّق عليه في مبناه العريق، بل أُدخلتا المستودع ليُعفّرهما الغبار، إلى أن خطر يومًا لأحد الموظفين في هذا المجلس (كما أسرّ إليّ ونحن جلوسٌ سويعةَ أصيل في "حديقة ابن سينا/ حديقة المدفع"، في مطالع تسعينيّات القرن

الماضي)، أن يستهديها لنفسه من "أمين المجلس" الآخر، بمناسبة إحالته على التقاعد، مكافأةً له على خدمته في هذه المؤسسة، فامتلأ قلب الأمين حنانًا ووقّع للموظف بالموافقة. ثمّ إنّ هذا المُحال على التقاعد (م. إ) أعلمني، بعد سنوات من ذلك اليوم، أنه تمّ تسويق اللوحتين عنده لذوّاقةٍ في الفنّ أجنبيّ الجنسية، على يد صاحب "صالة كذا... "، وكان الثمن مليون ليرة سورية (ما يعادل يومئذ ثلاثين ألف دولار أمريكي، ومُفضيًا إليّ بفرح بأنه قدّم هذا المبلغ لابنه، الذي بادر فافتتح به محلا في "المهاجرين".

وأما لوحتا الاتحاد العام النسائي، فقد سألت يومًا رئيسة تحرير مجلة "المرأة العربية" (التي تصدر عن الاتحاد، ر. ز)، فأعربت لي -بصفتي من جاء بهما إليهم يومًا- عن بالغ حزنها، فهم يوم شاركوا في المسيرة الكبرى إلى "القنيطرة" المحررة في عام ١٩٧٤، فشاؤوا أن يكون بين الأعلام المرفوعة هاتان اللوحتان... فعاد المحتفلون إلى دمشق بالسلامة ولم تعد اللوحتان لجدران الاتحاد!

دمشق الشام: فجر الأحد ٨-٤-٢٠١٨

الفقراء يعفّشون..

الفقراء يعفّشون ما في بيوت الفقراء

وللآخرين تعفيشُهم

دمشق الشام: ظهيرة الإثنين ٩-٤-٢٠١٨

إنّ الغرب، وأمريكا خصوصًا

إنّ الغرب، وأمريكا خصوصًا، بعد أن أجهضوا الشيوعية في موسكو، وتراجعت من تلقائها في بكين... جاء الدور للإسلام والمسلمين، هؤلاء الذين فيهم المتواطئ، والذي لا

يدرك، والذي لا يقدر!

إنها "الحرب الصليبيّة" تُستأنف في القرن الحادي والعشرين، ولا بأس عندهم في أن يجرفوا في طريقهم الإثنيّات المنضوية.

انتبهوا للتاريخين: ١٩٨٩ و٢٠٠٣... الفارق أربعة عشر عامًا!

دمشق الشام: عصر الإثنين ٩-٤-٢٠١٨

لم يعد للسوري من هواية...

لم يعد للسوري من هواية... إلا معاناة الشقاء!

دمشق الشام: مساء الثلاثاء ١٠-٤-٢٠١٨

كيف يتربى الطفل في وطني الجميل

في البيت، يتربّى كما الأطفال في كلّ الدنيا.

في المدرسة، يفتتح نهاره بالهتاف: أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة، ثمّ يشهد بعينيه تلميذا بينهم يَصْحب رجالَ أمن إلى قاعات الدرس، يدلّهم إلى حيث زملاء له كان كتب بحقهم التقارير، ويدري أنّ مدرّسًا يومًا هبّ في وجهه طلابٌ منتمون، لأنه لمّح تلميحًا إلى النظام، وهمّوا بأن يضربوه، ففتح باب الصفّ، وانطلق يجري في الباحة حتى الشارع... ثمّ لم يعد إليهم أبدًا

في المجتمع يتربّى وهو يرى المواطنين يغادرون تحت القصف منازلهم، ويبحثون عن موطئ جسد ينطرحون فيه، على أرصفة العواصم العربية أو تحت الخيام في القفار المنعزلة، أو يجتازون البحار وتُخومَ الغابات، التجاءً إلى بلدان يفقدون فيها -بَعد فقدان الوطن- خصوصيّتَهم ويعيشون أغرابًا...

وإذا رفع رأسه إلى فوق... يراهم يُغنّون المواويل!

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ١٠-٤-٢٠١٨

يوم ما كان عنّا لا نفط ولا غاز

يوم ما كان عنّا لا نفط ولا غاز، كنّا نشحد المعونات من هون ومن هون

ولمّا تبيّن انو عنّا غاز، تحت الأرض وتحت المي، قام العالم يتقاتل علينا... وبدّن يعلنوها على أرضنا حرب كونيّة!

اجت الحزينة لتفرح ما لاقتلها مطرح.

عصر الأربعاء ١١-٤-٢٠١٨

السير في ساحة الجسر الأبيض.. تحت وابل من المطر

نزلت أمس من بيتي باتجاه ساحة الجسر الأبيض، القريبة، لأشتري حاجات لا بدّ منها.

وكان مطرٌ ينزل.

لكني، بعد أن تسوّقت من الباعة على الرصيف المتاخم للجامع ومن "سنتر الجسر" المفتتح حديثًا، وحملت مشترياتي باليدَين، رأيت المطر قد أصبح وابلاً، وقليلُ الماء الذي كان ينساب من "حيّ العفيف" دون الرصيف، تحوّل الآن إلى "جدول ماء"، اتّسع عرضًا حتى ليمنعُ من عبوره دون ابتلال!

مشيت على رصيف "مطبخ نور الدين" مصعِّدًا نحو "بنّ الحموي"، لعلني أجد موضعًا في هذا الجدول أو "الساقية" يكون أضيق فيُمْكنني اجتيازه ببللٍ أقلّ... ولكنني عدت إلى حيث كنت.

رأيت المياه سيولًا تغمر الساحة طولا وعرضا، وأناسا بينهم فتيات يقطعونها، بجداولها وسواقيها، غير عابئين. إنه استئناف المسير، استئناف الحياة. فتاتان رقيقتا الشعور تحاولان الأخذ بيدي وقايةً لي من الانزلاق، ولكنّ اليدين مشغولتان... فخضتُ... ولم أبالِ بالماء الذي أغرق القدمين.

فكرت: السماء فتحت أبوابها الآن بالغيث يرسله إلينا ربُّ العالمين... وأعرف أنها مفتوحةُ الأبوابِ لاستقبال أبناء وطني.

دمشق الشام: ضحى الأربعاء ١١-٤-٢٠١٨

يتساءل السوريون:

"لماذا وصلنا إلى هنا "!

دمشق الشام: صباح السبت ١٤-٤-٢٠١٨

ترتعد.. كلما دُقّ باب بيتها!

صديقتي في الشابكة، الإعلاميةُ الأديبة، أبدت قبل أعوام رغبة عزيزة في أن تقرأ لي، ولم يسبق أن قرأت شيئًا من كتبي قبل التعارف عبر الأثير. كانت -بعد اعتقالها والمحاكمة وإطلاق السراح- قد غادرت إلى ما وراء الحدود. اقترحتْ أن أعطي ما أبعث به إليها لشقيقتها في عنوان بإحدى ضواحي دمشق.

لما حمل المرسال الكتب، حذّره بعضُهم في الضاحية من الاتصال، فالأسرة "مثار ريبة"! بيّنتُ لها ذلك، فعرضت بأريحيّة: "تذهب شقيقتي إلى حيث تتسلّم الأمانة". ووصلت إليها الكتب، قرأت، وكتبت أحلى الكلام، في صفحتها ومقالات في بعض المجلات الإلكترونية والورقية.

أمس، الرابع عشر من نيسان، تصادف ذكرى اعتقالها قبل أربع سنوات هي وزوجها في بيتهم، تصف فتقول: "... وأمام أطفالنا، بطريقتهم، وما زلت وأطفالي نرتعد كلما دُقّ الباب"، وتضيف متمنية: "الحرية لكل المعتقلين!"... قرأت هذا الآن في صفحتها، فترقرقت في العينين الدموع.

إنها الإعلامية الراقية "ماري عيسى". لها الأمان والسلامة حيثما تكون، فالعدوان قارَبَها حتى هناك.

أحيّي أدبَها (ورواية ما تزال تشتغل عليها)، وإعلامَها، ووطنيتَها، وقلبَها المفعم بالمشاعر الإنسانية.

دمشق الشام: فجر الجمعة ١٥-٤-٢٠١٦

وكانت "التَفْلية" في الملابس دون الرؤوس!

يوم دعته نقابتُه المهنيّة -تلك التي يفترض أن ترعى منتسبيها وتُسبغ عليهم جناح حمايتها- ليتسلّم تبليغًا يقضي بأن يراجع ذلك الفرع الأمني، دون أن يرافقه واحدٌ من أعضائها التنفيذيين أو يُعْلموه المُخبّأ له، وهو المواطن الذي يُشار إليه بالبنان...

وهناك اعتقلوه، وفي فِناء بناية يُغطّيه سقفٌ ارتجالي أودَعوه، بين معتقلين يجلسون متلازّين في النهار وفي الليل ينامون "سيف" في مصطلح السجناء.

واستغرقت "التربية" له مدة أربعة أشهر... خرج بعدها في صفحته يروي.

فقط أتوقف عند صورة واحدة ممّا رسم قلمُه الذي يَرعف ألمًا وعجبًا: أنّ المعتقلين كانوا يعانون من القمل... فيراهم منهمكين أحيانا في "تَفْلية" ملابسهم تخلّصا منه، دون الرؤوس التي كانت حليقة على الدرجة صفر.

دمشق الشام: ليل الإثنين ١٦-٤-٢٠١٨

الطريق.. محفوف بالمخاطر

أيام المحنة التي تعرّضت لها مدينة حماة، في شباط ١٩٨٢، أذكر أني كنت أذهب وأنا في دمشق كل مساء إلى بيت أسرة حَموية من أقاربي (وإنّ خُؤولتي وخؤولة أبي من هذه المدينة المجاهدة التي ثارت على الفرنسيين في صيف ١٩٤٥)، حيث يكون هناك قادمون من البلد المنكوب استطاعوا أن يتسلّلوا تحت جِنْحِ الليل هربًا ملتجئين إلى العاصمة، وكنت أسمع من الوقائع والقصص ما يُدمي القلب، ممّا ارتكب "رفعت"، الذي أعلن فيها بعد مبرّئًا نفسه من ذلك وهو يضحك أنه أساسا لم يزر حماة!

وكنت أجتمع، من ناحية ثانية، في شارع نوري باشا مع الصديقين الحميمين الفنان التشكيلي "منير زيتوني" في محترفه في المبنى المجاور لي والشاعر "نهاد رضا" الساكن حيًّنا، أحدّثهم بأطراف مما سمعت وما لم يكن لهم ولا لغيرهم أن يعرفوا، وحصار مضروب حول المدينة.

أقول: إنّ وفودا إعلامية عالمية حضرت إلى دمشق، رحّب بهم النظام، واستضافهم في "الشيراتون"، ولكنه لم يمكنهم من التوجه إلى حيث الأحداث تجري، بحجّة أنّ الطريق إلى هناك، وأنّ التنقل في دروب المدينة "محفوفان بالمخاطر"، فالتزموا البقاء في العاصمة وهم يتحرّقون للتعرّف على الأخبار التي ما جاؤوا إلا من أجلها.

صديقنا "منير" كان على صلات مع الجالية السويدية هنا والسفارة، لأنّ زوجته من بلاد القطب الشمالي، خطر له أن يعرض عليهم أن أجتمع بهم في محترفه مساء اليوم التالي كي أُدلي لهم! لما سألني في ذلك، أعلنت رفضي القاطع للاجتماع بأيّ واحد منهم، وغبت تلك الليلة عن سهرتهم.

ثم إني استمعت إلى الأخبار الدولية من إذاعة الـBBC) لندن) نُتَفًا مما بقي في ذاكرة صديقي المتعبة، وهو مَن كان يحدثنا مازحا عن أنه إن قرأ سطرين في جريدة أحسّ بالنعاس!

أمس في الأخبار سمعت أنه قيل للوفد، القادم من الغرب ليحقق في موت الأطفال بالكيماوي: الطريق إلى دوما محفوف بالمخاطر.

ملاحظة: سمحت لنفسي بأن أذكر اسمَي الصديقين منير ونهاد، لأنهما انتقلا قبل سنوات إلى الرفيق الأعلى. رحمهما ورحمنا الله.

دمشق الشام: ظهيرة الثلاثاء ١٧-٤-٢٠١٨

اذهب

اذهب

أنت وقلمك

فناضلا دفاعًا عن الحرية

ونحن ههنا منتظرون

دمشق الشام: عصر الخميس ١٩-٤-٢٠١٨

المحتويات